

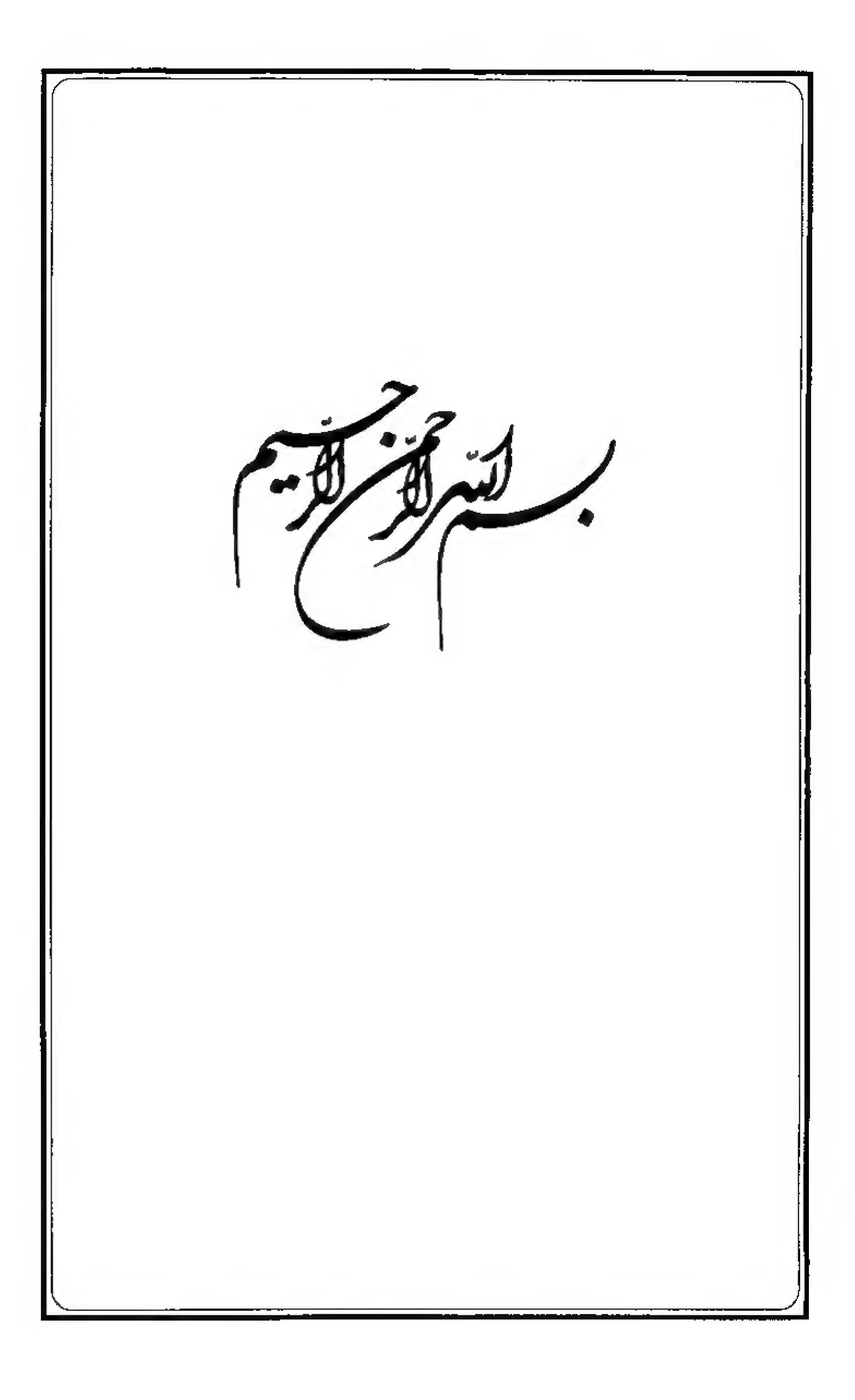
الأصفى

في تفسير القرآن

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

الأصفى

في تفسير القرآن

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

الفيض الكاشاني، المولى محمّدمحسن، ۱۰۰۷ ـ ۱۰۹۱ق.
الأصفىٰ في تفسير القرآن / ملاّمحسن فيض؛ حقّقه مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. ـ قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، ۱۳۷٦ـ
ج.ـ نمونه ـ (دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات؛ ۵۰۰ : كتابهاى مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى؛ ٦۵)
كتابنامه: [۷۰۳] ـ ۷۱۳؛ همچنين به صورت زيرنويس.
۱. تفاسير شيعه. الف. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى. مصحّح. ب. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات. ج. عنوان.
BP ۹۷/۵۸ ۹ف ٦الف ۲۹۷/۱۷۲٦

فهرست نويسى پيش از انتشار توسط مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى

ISBN 964 - 424 - 257 - 2
شابك ۲ ـ ۲۵۷ ـ ٤۲٤ ـ ۹٦٤



الكتاب: الأصفىٰ في تفسير القرآن/ج۱
المؤلّف: المولى محمّدمحسن الفيض الكاشاني
التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية
المحقّقان: محمّدحسين درايتي و محمّدرضا نعمتي
الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولى / ۱٤۱۸ق، ۱۳۷٦ش
الكمية: ۱۵۰۰ نسخة
السعر: ۲۰۰۰ تومان

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي،
ص ب: ۹۱۷، هاتف: ۷ـ ۷٤۲۱۵۵، فاكس: ۷٤۲۱۵٤، توزيع: ۷٤۳٤۲٦

Printed in the Islamic Republic of Iran

دليل الجزء الأوّل

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم، وجعله تبياناً لكل شيء ورحمة وهدى للمتقين. والصلاة والسلام على المصطفى الامين ابي القاسم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد، فإن المهتمين بشؤون التراث الإسلامي بشكل عام والتراث القرآني بشكل خاص، يُدركون جيداً أنّ المكتبة الإسلامية ـ التي تحوي على نفائس المخطوطات وبشتّى المعارف الإسلامية والإنسانية ـ زاخرة بذلك التراث العظيم الذي يكاد أو كاد ان يندثر لولا قيام أهله واضطلاعهم بمسؤولية حفظه وبعث الحياة فيه من جديد، وهذا لايعني أنّ التراث باجمعه قد وصل إلينا، فكم من عالم من العلماء تُنقل عنه اقوال ولاتجد له كتاباً لتوثيق مايُنقل عنه، وكم هي آثار من السلف الصالح فُقِد ولم يصل إلينا ولاتوجد منها أثر في المكتبات.

والادهى والامرّ من ذلك وقوع تلك النفائس من المخطوطات بيد الجهّال، فربما مزّقها وربما باعها بابخس الأثمان.

ومن المؤسف جداً أنّ ما تمّ طبعه على الحجر مملوء بالاخطاء، دون أيّ اهتمام بفنون التصحيح والتحقيق، بل ولا بأبسط مستلزمات الكتاب، الأمر الذي أدّى إلى ابتعاد الجيل الناشئ عن مطالعة الكتب الاسلامية.

والدعوة إلى إحياء التراث ـ عزيزي القارئ ـ ليست ترفاً فكرياً أو بدعاً من الامر، وإنما هي دعوة لإعادة بناء الإنسانية من خلال رسم خط سيرها الفكري، ولاكتشاف تلك الذخائر التي من خلالها يتم إعادة بناء الإنسان.

ولذا كثُرت الدعوات في العقود الاخيرة من هذا القرن من أجل بعث هذا التراث وتاصيله، وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وقيام دولتها في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم. فحدثت كثير من التحولات التي لبّت طموح الآملين في إحياء آثار الإسلام والمسلمين، فانشئت كثيراً من المؤسسات التي عنيت بإحياء التراث، ومنها: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـ قم. الذي انبرى العلماء والفضلاء المحقّقين فيه وشمّروا عن ساعد الجدّ لإحياء تراث الشيعة بدءاً بمصنفات الشهيدين ومروراً بآثار العلّامة وغيرهم من الأفذاذ الذين لازالت مصنّفاتهم تنتظر ان تُكسى الحلّة الجديدة لتخرج بابهى صورة وأجمل هيئة.

وبما انّ القرآن هو المصدر الرئيسي في التشريع الإسلامي واقدس كتاب لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، و به ثبتت نُبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وهو معجزة الإسلام الخالدة، وهو المصدر الوحيد «القطعي الثبوت» باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة او نقصان، ومع كل ذلك فهو الكتاب المهجور الذي غفل عنه المسلمون وراحوا يلهثون وراء الأفكار الدخيلة التي هي أبعد ماتكون عن توفير حلول ناجعة لمشاكل الإنسانية.

ولاغرابة إذا قلنا: إنّ السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين هو جهلهم بقيمة هذا الكتاب وماحواه من ثروات تشريعية وأخلاقية تكفل سعادة الإنسان إلى نهاية الشوط.

مضافاً إلى أن التعرف على القرآن الكريم له دور كبير في فهم العلوم الإلهية واستخراج الأحكام والقوانين الإسلامية العامة التي تعتبر حجر الأساس في صرح الدولة الإسلامية.

ولذا قرّر «*مركز الابحاث والدراسات الإسلامية*» تحقيق ونشر كتاب «*تفسير الأصفى*» للشيخ الفقيه والفيلسوف العارف والمفسّر المحدّث المولى محسن المعروف بـ«*الفيض الكاشاني*» من أعلام القرن الحادي عشر الهجري.

ويتميّز تفسير «*الاصفى*» عن باقي التفاسير بالإيجاز والاختصار، مضافاً إلى كونه تفسيراً روائياً جامعاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات القرآن الحكيم.

نبذة عن حياة المفسّر:

كان المولى محمدبن المرتضى المدعو بـ«*محسن*» والمعروف بـ«*الفيض الكاشاني*» أحد نوابغ العلم والمعرفة في القرن الحادي عشر، وكان ـ مضافاً إلى علمه وفضله ـ حكيماً متكلماً محدّثاً مفسّراً عارفاً أديباً متبحراً في جميع العلوم والمعارف.

ولد رحمه الله في سنة (۱۰۰۷) في مدينة قم المشرّفة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى كاشان ليشدّ الرحال بعدها إلى مدينة شيراز للانتهال من العلمين: السيد ماجدبن عليّ البحراني وصدرالمتالهين الشيرازي، حيث تزوّج من ابنة الأخير، وما إن ارتوى من تلك المعارف عاد إلى مدينة كاشان ليكون هناك مرجعاً فذّاً لاندّ له إلى ان توفّي فيها سنة ۱۰۹۱ وهو ابن الأربع والثمانين عاماً ودفن فيها، وقبره هناك مشهور يقصده العلماء والعارفون.

اما ترجمته فقد وردت في كثير من كتب التراجم وفي مقدمة كتبه التي حُقّقت وطُبعت اخيراً، وقد تصدّى في بعض كتبه لترجمة نفسه بنفسه، وقد ألّف الفيض الكاشاني ثلاث رسائل في فهرس مؤلفاته، طبعها المرحوم السيد محمد المشكاة في مقدمة المجلّد الثاني من كتاب «المحجّة البيضاء»، ولنكتف بهذا القدر على انّا نحيل من يريد الاطلاع على ماذكرنا آنفاً.

أقوال العلماء فيه:

نعته المحدّث الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدّثاً

فقيهاً محققاً شاعراً أديباً حسن التصانيف ...»[١].

وقال عنه الرجالي الكبير محمدبن علي الاردبيلي: «محسن بن المرتضى رحمه الله العلّامة المحقق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشان، رفيع المنزلة، فاضل كامل اديب، متبحّر في جميع العلوم»[٢].

وقال صاحب الروضات: «امره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والاصول وكثرة التاليف مع جودة التعبير والتوصيف اشهر من انْ يخفى في هذه الطائفة على احد إلى منتهى الابد»[٣].

وقال المحدّث القمي: «وامره في الفضل والادب وطول الباع وكثرة الاطّلاع وجودة التعبير وحسن التحرير والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول اشهر من أن يخفى»[٤].

وقال العلّامة الاميني في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف:

«هو ابن المحقق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الاخلاق، وعباب العلوم والمعارف، وهو ابن ذلك الفذّ الذي قلّ ماانتج الدهر بمثيله، وعقمت الايام ان تاتي بمشابهه»[٥].

ونُقل عن العلّامة الطباطبائي صاحب الميزان قوله: «هو ممّن جمع العلوم وقلّ نظيره في العالم الإسلامي»[٦].

مصنّفاته:

صرف المولى محسن الفيض عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة والمعارف الإلهيّة

١ـ «امل الآمل» ٢: ٣٠٥.

٢ـ «جامع الرواة» ٢: ٤٢.

٣ـ «روضات الجنّات» ٦: ٧٩.

٤ـ «الكنى والالقاب» ٣: ٣٥.

٥ـ «الغدير» ١١: ٣٦٢.

٦ـ «مهر تابان» ٣٦.

تدريساً وتاليفاً، فخلّف ثروة علميّة عظيمة في شتّى أنحاء العلم والمعرفة من الفقه والحديث والحكمة والعرفان والأخلاق والتفسير والأدعية والأشعار وغيرها، ناهزت المائة والعشرين مصنَّفاً، منها: «الصافي» و«الأصفى» في التفسير، و«الوافي» و«النوادر» في الأخبار، و«معتصم الشيعة» و«مفاتيح الشرائع» في الفقه، و«عين اليقين» و«علم اليقين» في الحكمة والكلام، و«المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء».

وقد امتازت تاليفاته بجودة التحقيق وحسن البيان والتاليف وسلامة الالفاظ ومتانة المباني ودقّة المعاني وعلوّ المقاصد.

لقد أولى الفيض اهتماماً متزايداً وعناية بالغة بالقرآن والحديث، واستدلّ على آرائه في جميع مصنفاته بادلّة من الكتاب العزيز وبالحديث الصادر عن الرسول وآله الطاهرين، وله في التفسير مسلك خاص، جمع فيه بين الطريقة والشريعة، ألّف في الحقائق القرآنية التي أُسّست على أصول الفطرة والحكمة المتعالية ـ التي تنطبق على نواميس الطبيعة والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة والعقل ـ تفسيريْه «الصافي» و«الأصفى».

مؤلفاته في التفسير:

(١) «الصافي» وقع الفراغ من تاليفه في خمس وسبعين بعد الالف[1]، وقد طُبع في عشرة مجلّدات سنة ١٩٧٩ بتصحيح الشيخ حسين الأعلمي.

(٢) «الأصفى» وهو منتخب من الصافي، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين[2].

(٣) «تنوير المواهب»، قال في الفهرس: «وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بـ«المواهب العلية»، تنبّه على ماخالف الإمامية في تفسير الآيات وشان النزول ومما ليس على طريقة أهل البيت عليهم السلام، وتورد ماورد عنهم عليهم السلام في ذلك، يقرب من ثلاثة آلآف بيت»[3].

١ـ «رسالة المصنّف في فهرست تاليفه» ضمن «المحجة البيضاء» ٢: ٥.

٢ـ نفس المصدر السابق.

٣ـ نفس المصدر، ص١٢.

وذكره في «الذريعة» ٤: ٤٧١، الرقم: ٢٠٩١ باسم «تنوير المذاهب في تعليقات المواهب». ولم نعثر على نسخة منه في حدود مالدينا من فهارس المكتبات.

(٤) «تفسير آية الامانة»[١] رسالة في جواب من سأل عن تفسير هذه الآية، والنسخ الخطّية الموجودة منه كالتالي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٢) ضمن مجموعة من صفحة (٢٥٤ ـ ٢٥٦)[٢].

ب ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٣) مع «اصول المعارف»[٣] للمصنّف.

٤ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (٤٧٠٢) ضمن مجموعة من الورقة (١٢٠ إلى ١٢٨)[٤].

٥ ـ مخطوطة مكتبة مدرسة الشهيد المطهّري المرقّمة (٦٣٢٧)[٥].

٦ ـ مخطوطة مكتبة كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، المرقّمة (١٣٣٥).

ما نُسب إليه من التفاسير فهي:

١ ـ «مجمع المطالب ومنتهى المآرب» في تفسير سورة الحمد والتوحيد. نسبه إليه في «الروضات» ٦: ٥٤٥، وفي «الذريعة» ٢: ١٢٤؛ ٢٥٥؛ ٢٠: ٤٤ و«ريحانة الادب» ٦: ٣٦٩. وفي فهرست مكتبة ملك الوطنية ٦: ١٤٤، المرقّمة (٦٧٠٨) ذكر أنّه «في تفسير سورة الحمد والتوحيد، كتبه في أربعين عمره»، وهذا سهو قطعاً؛ وذلك لأنّه لم يَرِد ذكره

١ـ «المحجة البيضاء»، ج ٢، ص ٢٠.

٢ـ «فهرست نسخه هاى خطّى مجلس شوراى اسلامى» ج ٥، ص ٥٦.

٣ـ نفس المصدر السابق، ج٥، ص ٥٧.

٤ـ نفس المصدر السابق، ج ١٣، ص ٨٥.

٥ـ فهرست نسخه هاى خطّى مدرسه سپهسالار (سابقاً) ١: ١٦٠؛ ٣: ١٥٥.

في أحد من الرسائل الثلاث للمصنف، مع أنّ النسخة الموجودة في مكتبة ملك الوطنية قد تمّ تأليفها في سنة (١٢٧٠)، وهي لشخص كان يُدعى بـ«ملّا محسن».

٢ ـ «المصفّى» في تلخيص «الأصفى»، نسب إليه في «ريحانة الأدب» ٦: ٢٤٢ و«روضات الجنات» ٦: ٥٤٥. وقال الطهراني في «الذريعة» ٢: ١٢٤، الرقم: ٤٩٦ تحت عنوان «الأصفى»: «إن هذا أوسط التفاسير الثلاثة التي ألّفها الفيض.»

وعلّق السيد المشكاة على ذلك قائلاً: «هذا هو المشهور... ولكنّي لاأعرف للفيض أكثر من تفسيرين، وليس لهذا التفسير الثالث الذي يسمّى بـ«المصفّى» أثر في المكتبات ولا في شيء من فهارسه لتاليفاته»[1].

وقفة مع «الأصفى»:

تفسير «الأصفى» واحد من الآثار التفسيرية القيّمة للمولى محسن الفيض الكاشاني، وهو منتخب من تفسيره الكبير «الصافي»، يتألّف من جزئين، يشتمل الجزء الأول على خمسة عشر جزءاً ابتداءً من سورة الفاتحة حتى سورة بني إسرائيل، والجزء الثاني من سورة الكهف حتى آخر سورة من القرآن الكريم.

وامتاز «الأصفى» ـ كما هو عليه «الصافي» ـ بأنّه تفسير مزجت فيه الرواية مع الدراية، وللاختصار حُذفت أسانيد الروايات، فكان تفسيراً موجزاً غاية الإيجاز مع شموله لجميع القرآن.

قال المصنف في خطبة الكتاب: «هذا مااصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان مايحتاج إلى البيان من الآيات دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات، فالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».

طبع الأصفى قبل هذه الطبعة ثلاث طبعات: الأولى عام ١٢٧٤، والثانية عام ١٣١٠

---

١ ـ «المحجّة البيضاء» ٢: ٢٤.

في حاشية «الصافي»، والثالثة على الحجر في عام ١٣٠٣ ـ ١٣٥٤ في مجلد واحد كبير.

منهجية التحقيق:

اولاً: النسخ المعتمدة في التصحيح والتحقيق، وهي:

ا ـ محطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٢١٦)، تمّ تحرير الجزء الاول في عام ١٠٩٠، والثاني في عام ١٠٨٩، أي قبل سنتين من وفاة المصنف في ٢٣٥ ورقة.

وناسخها: ابن عليّ بن عليّ الشهير بنوروز الدين محمد نصير، وهي نسخة كاملة مصححة جميلة الخط، وفي حواشيها علائم التصحيح والبلاغ، وفي بعض الحواشي هناك تعليقات لاتخلو من فائدة برمز «منه دام ظلّه» و«منه دام فيضه» و«منه»، ورمزنا لهذه المخطوطة بـ«الف».

ب: مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد والمرقمة (١١٦٢) في ٣٠٦ ورقة من المجموعة المهداة من قبل المرحوم الشيخ محمد صالح، العلامة الحائري المازندراني، تمّ تحريرها في شهر جمادى الثانية عام ١٠٨١هـ، وكتب في حاشية الصفحة الاخيرة: «بلغ سماعه على سماع تفهّم وتدبّر واستبصار واستكشاف، وفّقه الله للعمل به، وبلّغه أقصى مراتب الكمال، وكتبه الفقير إلى الله احمدبن محمدحسن عفا الله عنه وأيّده الله لما يرتضيه».

وهي نسخة كاملة مظبوطة قيّمة، مصحّحة على نسخة المؤلّف، جميلة الخط، وفي حواشيه علائم التصحيح، وتعليقات نافعة برمز «منه سلّمه الله» و«منه دام ظلّه»، ورمزنا لها بـ«ج».

وكتب المرحوم الشيخ محمد صالح العلّامة الحائري المازندراني في الورقة الملصقة باول النسخة: «هذا التفسير المسمّى بـ«الأصفى» كلّه بخطّ المولى محمدهادي سبط أخي المصنف، وخطّه الشريف موجود عندي على ظهر الجزء الرابع والخامس عشر من أجزاء «الوافي»، وهو إجازته لابن أُخته المولى محمد رفيع».

إلى أن قال: «ولمّا وصل التحرير إلى هذا الكلام ذكرت أنّه وقع بيدي تفسير مسمّى

بالمؤلّف [كذا] بخط المؤلف من أهل هذا البيت، ففتحته فإذا فيه: يقول المتمسّك بحبل الله المتين «محمد بن المرتضى» المدعو بـ«نور الدين»، ثمّ قال في جملة كلام: ومن أراد الاطلاع على متون الأخبار والكتب المأخوذة هي منها، فليرجع إلى التفسير «الصافي» المنسوب إلى عمي «المحسن» الاستاذ ومن عليه فيما استفدته المعوّل والاستناد». وتفسير هذا خلاصة «الأصفى» بطرز بديع. وفرغ منه سنة تسعين وألف. والنسخة هي المسودة الأولى. وقد (شخط) على بعض عباراته، لمبالغته في الإيجاز. وأنا... العلّامة الحائري المازندراني».

هذا ولا يبعد أن يكون هذا التفسير هو التفسير الثالث المنسوب إلى الفيض المذكور في «الذريعة» وغيرها من المصادر كما تقدم.

ج: النسخة المطبوعة على الحجر عام ١٣٥٣ ـ ١٣٥٤ بخط محمد علي المصباحي النائيني والمتخلّص بـ«عبرت» وقد أضاف الكاتب في أوائل السور بعض الفوائد ورمزنا لها بـ«ب».

ثانياً: في موارد وجود اختلافات بين النسخ، أعرضنا عن إثباتها في الهوامش إلا ما اقتضت الضرورة إثباته، مع بذل الجهد في اختيار ما هو الأنسب والأصحّ، معتمدين في ذلك أسلوب التلفيق بين النسخ.

ثالثاً: خرّجنا الأحاديث والآثار والأقوال والآراء التي أوردها المصنف ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ وبذل الجهد في تخريجها وإحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأشرنا إلى بعض الاختلافات في الهامش، وفي حالة اقتضاء السياق للزيادة، وضعنا تلك الزيادة بين معقوفتين[ ].

رابعاً: عمدنا إلى ضبط وإعراب بعض الكلمات في الموارد اللازمة وموضع الحاجة.

خامساً: اعتمدنا في الرسم القرآني على المصحف الشريف المكتوب بخط (عثمان طه)، وبالنظر لتعذر ضبط الآيات بهذا الرسم على أجهزة الكمبيوتر، فقد عمدنا إلى تجزئة الآيات وبالرسم العثماني ووضع كل آية في موضعها المناسب.

سادساً: اتبعنا في الترقيم والإملاء القواعد الحديثة والمتداولة.

سابعاً: ألحقنا الفهارس الموضوعة للكتاب في آخر المجلد الثاني.

شكر واعتذار

في الختام نحمد الله سبحانه على توفيقه إيانا في إنجاز هذا المشروع الذي استغرق مدة خمس سنوات، بذل فيه الإخوة المحقّقون في «قسم إحياء التراث الإسلامي» غاية مجهودهم لإنجاحه وإيصاله إلى ماهو عليه الآن، ونخصّ منهم بالذكر:

الشيخ علي أوسط ناطقي المشرف على قسم إحياء التراث، والأخوين الفاضلين الشيخ محمدحسين درايتي والشيخ محمدرضا نعمتي، اللذين تجشّما عناء العمل منذ بداياته حتى انتهائه.

وكذا الفاضل المحقق الشيخ نعمت الله جليلي والأستاذ الأديب اسعد الطيب لمراجعتهما الكتاب، والاخوين الفاضلين الشيخ منصور لقائي والشيخ علي رفيعي القوچاني لمساهمتهما في بعض مراحل العمل، ولايفوتنا ان نتقدم بوافر الشكر للاخ الفاضل السيد محمد هادي الطباطبائي لمشاركته في تصحيح بعض الاخطاء المطبعية، والإخوة في مديرية التنقيح والنشر في مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، والإخوة الاعزّاء في مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، لجهودهم في الصفّ وتنظيم الصفحات والإخراج الفنّي للكتاب باحسن هيئة، فجزى الله الجميع خير الجزاء ووفقنا وإياهم لخدمة القرآن العزيز وإحياء علومه ومعارفه، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

محمد مهدي الفقيهي

قم المقدسة

جمادى الثانية سنة ١٤١٧

يا هادي سبل اهدنا الصراط المستقيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للتمسك بالثقلين وجعل لنا القرآن هدى والمودة في القربى قربى وعبّر عن أهل بيت نبيه المرسل بثقل كتابه المنزل وكشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيه المرسل جعل الكتاب والعترة حبله وبينهما حبلين ممدودين وصاحبين مصطحبين غير مفترقين لم يزل تأثيرهما فينا طرف منهما بيده وطرف بأيدينا ما إن تمسكنا بهما لن نضل وما اعتصمنا بهما لن نزل فصل اللهم على محمد وعترته ما استنار كل نجم الأصفى ما جرينا وآتنا من فهم القرآن وعلمه أوفى ما يغنينا أما بعد فيقول الفقير إلى الله الغني محمد بن مرتضى المدعو بمحسن زوده الله في سفره لعقباه وجعل آخرته خيرا من أولاه هذا ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمى بالصافي واجتبيت غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح مقتصرا على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات دون ما يستغنى عنه من الحكايات أو الإيضاحات فبالحري أن يسمى بالأصفى وعسى أن يغني ببيانه أكثر ما لا يهم ظاهره بعد البيان من القرآن وإن كان الصافي هو الأوفى وإنما نعول فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرسول إلا ما يتضح باللغة ويرجع وما إلى التفسير يؤول إذ لا يوجد علم التنزيل إلا عند قوم كان ينزل في بيوتهم جبرئيل ولا كشاف عن وجوه عرائس أسرار التأويل إلا من خوطب بأنوار التنزيل ولا يتأتى تفسير القرآن إلا لمن يجمع البيان والتبيان فعلى من يعول إلا عليهم وإلى من يصار إلا إليهم لا والله لا نتبع إلا أخبارهم ولا نقتفي إلا آثارهم وهذا ما أوردت فيما يفتقر إلى السماع إلا عنهم ما وجدت إليه سبيلا إما بألفاظه بعينه أو بمعانيه ومضمونه عنهم إن لم أذكر قائله بخصوصه إذ حديثهم واحد وحديثهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله تبارك وتعالى كما ورد عنهم عليهم السلام فكل ما كان من الكلم عليهم السلام صدرته بقال أو ورد أو في رواية فإن حذفت منه شيئا للتلخيص وضعت مكانه أو للتوضيح [illegible] نبهت عليه إن احتاج إلى التنبيه ليعرف أنه المنقول بعينه ومعانيه وأكثر ما نبهت عليه من ذلك نبهت عليه بكذا و[illegible] فإنه من [illegible] الألفاظ هذه التنبيه وما نقلته من تفسير علي بن إبراهيم القمي بإسناده إلى المعصوم [illegible] أنه مسند إلى المعصوم صدرته بالقمي ليمتاز عن غيره وما رويت من طريق العامة صدرته بروي ليمتاز عما رويت من طريق الخاصة وما لم أجد فيه إلى حديث المعصوم سبيلا أو لم أعتمد على ما وجدت فيه وهو مما يفتقر إلى السماع وعسى أن يكون قليلا أوردته من سائر التفاسير ما هو أقوم قيلا والله المستعان نفعنا الله به وسائر الإخوان بحق العترة والقرآن إنه الجواد المنان [illegible] ينبغي لمن أراد فهم معاني القرآن الأمجاد

الصفحة الاولى من نسخة «الف»

النار فيه سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف أسود في جوف كل أسود سبعون ألف
جرة سم لا بد لأهل النار أن يمروا عليها أو الشر الغلق حبس في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره سأل الله أن
يأذن له أن يتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم ومن شر ما خلق كائنا ما كان ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه
إذا وقب دخل ظلامه في كل شيء ومن شر النفاثات في العقد من شر النفوس أو النساء السواحر اللواتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق ورد أن يهوديا سحر النبي في إحدى عشرة عقدة في وتر ودسه
في بئر فمرض فنزلت المعوذتان وأخبره جبرئيل عليه السلام بموضع السحر فبعث عليا عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه
فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة قال أكثر النبي صلى الله عليه وآله ... ووجد علامة وكان ...
ولا ... حتى ... السحر حتى ما سلط الله الشيطان على نبي ... في قوله وما أنزل ... سحرون
فأراد ... ومن شر حاسد إذا حسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره قال أما رأيته إذا فتح عينيه وهو ينظر
إليك هو ذاك وتخصيص الحسد بالاستعاذة منه لأنه العمدة في الأضرار ... الحسد ... العقد

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس يعني
الموسوس سمي به الوسواس مبالغة الخناس الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه
القمي الخناس اسم الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا عن ذكر ربهم من الجنة والناس
بيان للوسواس قال ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه أذن ينفث فيها الوسواس الخناس وأذن ينفث
فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله وأيدهم بروح منه وفي رواية لكل إنسان شيطان
على الناس ... المعاصي ... الشيطان من الجن وقد سبق تفسير شياطين الإنس في سورة الأنعام
تم كتاب الأصفى بتيسير الله بعد تمام الصافي والحمد لله
أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله
... الطيبين الطاهرين
وسلم

الصفحة الأخيرة من نسخة «الف»

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا للتمسك بالثقلين وجعل لنا القرآن هدى والمودة في القربى غرماً من اجر هدى

نبيه المرسل نور كتابه المنزل وكشف عن سر كتابه المنزل حجز بينه الرسل بحبل الكتاب والعترة بينه

وبيننا حبلين ممدودين متصلين متطيبين غير مفترقين لن يفترقا ما انما الطرف منهما بين [illegible]

ايدينا ما ان تمسكنا بهما لن نضل وما اعتصمنا به لن نزل وصل اللهم على محمد وعترته واستعمل كاسهم

الاصفى ما رويتنا وانلنا من فهم القرآن وعلمه الاوفى ما اغنيتنا اما بعد فيقول الفقير الى الله في كل

سلك وملك محمد بن مرتضى المدعو بمحسن زين الله في دنياه معاده وجعل آخرته خيرا من اولاه هذا

ما اصطفيت من تفسير القرآن اسمي الاصفى راغب فيه ما لا يجاوز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع

التوضيح مقتصرا على بيان ما يحتاج الى البيان من الآيات دون ما استغنى عنه من المحكمات الواضحات

فبالحري ان يسمى بالاصفى وحري ان يقتفى بيان اكثر ما لا يفهم بظاهره بدون البيان من القرآن وما كان

الصافي هو الاوفى وانما المعول فيه على كلام الامام المعصوم من آل الرسول الا ما شذ عنه فلمهم وما

الى التفسير اذ لا يعرف معالم التنزيل الا من نزل في بيوتهم جبرئيل ثم كان من وجوه

مراتب التاويل الا من خوطب بتاويل التنزيل ولم يأت جميع تفسير الآيات الا منهم تمام البيان والتبيان

فلي من قول الاطياب والى من تفسير الايم لانه لا شيء الا اخبارهم ولا [illegible] تامعهم فلعله ما اوجه

فيما ينتمي الى التسمح الاحديثهم ما وجدت اليه سبيلا الا للفائدة وسوى ان يجانسن منهم غيران

لم اذكر ما له بخصوصه انحديثهم واحد وحديثهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول

الله صلى الله عليه وآله قول الله تبارك وتعالى كما ورد عنهم عليهم السلام فكل ما كان من الفاظهم عليهم السلام

صدرته بقال او ورد او في رواية فان تصرفت في شيء منه للتلخيص بتغيير او نقل بمعناه نبهت عليه

ان احتيج الى التنبيه ليعرف ان المنقول بعضه بمعناه واكثر ما نبهت به على ذلك تغيير كلمة او نحو

من اوجز الفاظ هذا التنبيه وما نقلته من تفسير علي بن ابراهيم القمي ولم يسنده الى المعصوم وظاهره انه مسنده

الى المعصوم صدرته بالقول احترازا عن الجزم وما رويته من طريق العامة صدرته بروي ليتميز عما رويت من

طريق الخاصة وما لم يسند الى حديث المعصوم سبيلا او لم اعتمد على اوجدت عنه عما نسب الى السماع وصح

الصفحة الاولى من نسخة «ج»

الصفحة الأخيرة من نسخة «ج»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي هدانا للتّمسّك بالثّقلين، و جعل لنا القرآن هدًى، والمودّة في القربىٰ قرّة عينٍ. ابلج عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، و كشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيّه المرسل. جعل الكتاب و العترة بينه و بيننا حبلين ممدودين، و صاحبين مصطحبين غير مفترقين، لم يزل اقامهما فينا، طرفٌ منهما بيده و طرفٌ بايدينا، ماتمسّكنا بهما لن نضلّ، و ما اعتصمنا بهما لن نزلّ. فصلّ اللّهمّ على محمّد و عترته، واسقنا من كاسهم الاصفى ما يروينا، و آتنا من فهم القرآن و علمه الاوفىٰ ما يُغنينا.

امّا بعد، فيقول الفقير إلى الله في كلّ مسلك و موطن، محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ـ زوّده الله في دنياه لعقباه، و جعل آخرته خيراً من أولاه ـ: هذا ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمّىٰ بـ«الصّافي» راعيت فيه غاية الإيجاز مع التّنقيح، و نهاية التّلخيص مع التّوضيح، مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات، دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات؛ فبالحريّ ان يسمّى بـ«الإصفىٰ».

و عسى أن يفي ببيان أكثر ما لايفهم ظاهره بدون البيان من القرآن، و إن كان «الصّافي» هو الاوفىٰ، و إنّما معوّلي فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرّسول، إلاّ فيما يشرح اللّغة و المفهوم و ما إلى القشر يؤول؛ إذ لايوجد معالم التّنزيل إلاّ عند قوم كان

ينزل في بيوتهم جبرئيل، و لا كشّاف عن وجوه عرائس أسرار التّأويل إلاّ من خوطب بأنوار التّنزيل. و لايتأتّىٰ تيسير تفسير القرآن إلاّ ممّن لديه مجمع البيان و التّبيان. فعلى من نعوّل إلاّ عليهم؟ و إلى من نصير إلاّ إليهم؟ لا والله لانتّبع إلاّ أخبارهم، و لانقتفي إلاّ آثارهم.

و لهذا ما أوردت فيما يفتقر إلى السّماع إلاّ حديثهم ما وجدت إليه سبيلاً، إمّا بألفاظه و متونه، أو بمعانيه و مضمونه؛ غير أنّي لم أذكر قائله بخصوصه، إذ حديثهم واحد، و حديثهم حديث رسول الله، و حديث رسول الله ﷺ قول الله تبارك و تعالى، كما ورد عنهم عليهم السّلام[1].

فكلّ ما كان من ألفاظهم عليهم السّلام صدّرته بـ«قال»، أو «وَرَدَ»، أو «في رواية».

فإن تصرّفت في شيء منه لتلخيص يستدعيه، أو لتوضيح معانيه، نبّهت عليه إن احتاج إلى التّنبيه، ليُعْرَف أنّه المنقول بمضمونه و معانيه؛ و أكثر ما نبّهتُ به على ذلك تذييله بـ«كذا وَرَدَ»، فإنّه من أوجز ألفاظ هذا التّنبيه.

و ما نقلته من «تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي» ممّا لم ينسبه إلى المعصوم و ظاهره أنّه مسند إلى المعصوم، صدّرته بـ«القمّي» ليمتاز عن المجزوم.

و ما رويت من طريق العامّة، صدّرته بـ«رُوِيَ» ليمتاز عمّا رويت من طريق الخاصّة.

و ما لم أجد فيه إلى حديث المعصوم سبيلاً، أو لم أعتمد على ما وجدت منه، وهو ممّا يفتقر إلى السّماع ـ و عسى أن يكون قليلاً ـ أوردت من سائر التّفاسير ما هو أقوم قيلاً. و الله المستعان، نفعنا الله به و سائر الإخوان، بحقّ العترة و القرآن، إنّه الجواد المنّان.

١ ـ الكافي ١ : ٥٣، الحديث : ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

مقدّمة :

ينبغي لمن أراد فهم معاني القرآن من الأخبار من دون توهّم تناقض و تضادّ، أن لا يجمد في تفسيره و معناه على خصوص بعض الآحاد و الأفراد، بل يعمّم المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الإحاطة والعموم، كما ورد في بعض الآيات من الرّوايات. فإنّ وهم التّناقض في الأخبار المخصّصة إنّما يرتفع بذلك، و فهم أسرار القرآن يبتني على ذلك، و إنّ نظر أهل البصيرة إنّما يكون على الحقائق الكلّية، دون الأفراد الجزئيّة.

فما ورد في بعض الأخبار من التّخصيص، فإنّما ورد للتّنبيه على المنزّل فيه، أو الإشارة إلى أحد بطون معانيه، أو غير ذلك. و ذلك بحسب فهم المخاطب على سبيل الاستئناس، إذ كان كلامهم مع النّاس على قدر عقول النّاس[1].

و قد عمّم مولانا الصّادق عليه السلام الآية الّتي وردت في صلة رحم آل محمّد عليهم السّلام صلةَ كلِّ رَحِمٍ، ثمّ قال: «و لاتكوننّ ممّن يقول في الشّيء: إنّه في شيء واحد»[2].

و عليه نبّه عليه السلام في حديث المُفضّل بن عُمَر، حيث فسّر له قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «عليٌّ قسيم الجنّة و النّار»، و قد ذكرناه في مقدّمات «الصّافي»[3].

كيف و لو كان المقصود من القرآن مقصوراً على أفرادٍ خاصّة و مواضعَ مخصوصة، لكان القرآن قليلَ الفائدة، يسيرَ الجدوى و العائدة؛ حاشاه عن ذلك فإنّه «بحر لايُنْزَف»[4]،

١ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ؛ و قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم النّاس على قدر عقولهم». «الكافي ١: ٢٣، الحديث: ١٥»

٢ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨. و يأتي أيضاً في ذيل الآية: ٢١ من سورة الرّعد.

٣ـ الصافي ١: ٢٢، المقدّمة الثالثة. و الحديث في علل الشّرايع ١: ١٦١، الباب: ١٣٠، الحديث: ١.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٣١٥، الخطبة: ٢١٨. و فيه: «بحرٌ لاينْزِفُهُ المُسْتَنْزِفُون». نَزَفْتُ ماء البئر نزفاً: نزحتُه كلّه. الصّحاح ٤: ١٤٣٠ (نزف).

ظاهره أنيق[1]، و باطنه عميق، لا تُحْصى عجائبُه، و لاتبْلى غرائبُه». كما ورد[2]
و قد تبيّن ممّا ذكرنا معنى التّأويل؛ فإنّه يرجع إلى إرادة بعض أفراد معنى العامّ، و هو ما بطن عن أفهام العوامّ، و يقابل التّنزيل[3]. و الله يقول الحقّ و هو يهدي السّبيلَ.

١ـ شيء أنيق، أي: حَسَنٌ معجب. الصّحاح ٤: ١٤٤٧ (انق).
٢ـ الكافي ٢: ٥٩٩، الحديث: ٢، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالتّنزيل».

سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قال: «الله هو الّذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عندالحوائج و الشّدائد، إذا انقطع الرّجاء من كلّ مَنْ دونه و تقطّع الاسباب من جميع مَنْ سواه، يقول: «بسم الله»؛ أي: استعين على أُموري كلّها بالله الّذي لاتحقّ العبادة إلاّ له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعي»[1].

اقول: معنى يتألّه إليه: يفزع إليه و يلتجا و يسكن. و في رواية: «يعني: بهذا الاسم أقرأ، او اعمل هذا العمل»[2]. و في أخرى: «يعني: أَسِمُ نفسي بِسِمَةٍ من سِمات الله و هي العبادة. قال: و السِّمَة: العلامة»[3]. و يأتي حديث آخر في معنى «الله» في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ قال: «الّذي يرحم ببسط الرّزق علينا»[4]. و في رواية: «العاطف على خلقه بالرّزق، لايقطع عنهم موادّ رزقه، و إن انقطعوا عن طاعته»[5].

١ـ التّوحيد: ٢٣١، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥.
٣ـ التّوحيد: ٢٢٩، الباب: ٣١، الحديث: ١، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.

أقول: الرّزق يشمل كلّ ما به قوام الوجود و الكمال اللاّئق به.

﴿الرَّحِيمِ﴾ قال: «الـرّحيم بنا في ديننا ودنيانا و آخرتنا، خفّف علينا الدّين و جعله سهلاً، و هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه»[١]. و في رواية: «الرّحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، و بعباده الكافرين في الرّفق في دعائهم إلى موافقته»[٢].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: «قال الله: قُولوا: الحمدلله على ما انعم به علينا»[٣]. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قال: «يعني: مالك الجماعات من كلّ مخلوق، و خالقهم، وسائق رزقهم إليهم من حيث يعلمون و من حيث لايعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، و يغذوها من رزقه، و يحوطها[٤] بكنفه، و يدبّر كلاّ منها بمصلحته، و يمسك الجمادات بقدرته ما اتّصل منها عن التّهافت[٥]، و المتهافت عن التّلاصق، و السّماء انْ تقع على الارض إلاّ بإذنه، و الارض ان تنخسف إلاّ بامره»[٦].

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. لعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصّفات المذكورة على استحقاقه الحمد.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال: «يعني: القادر على إقامته و القاضي فيه بالحقّ. والدّينُ: الحساب»[٧].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال: «قال الله تعالى: قُولوا يا ايّها الخلق المُنْعَم عليهم: إيّاك ـ ايّها المُنْعِمُ علينا ـ نطيع، مخلصين، موحّدين مع التّذلّل و الخشوع، بلا رياء و لا سُمعة»[٨].

١ ـ التّوحيد: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن امير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.
٣ ـ المصدر: ٣٠.
٤ ـ الحياطة: الحفاظة. مجمع البحرين ٤: ٢٤٣ (حوط).
٥ ـ التّهافت: التّساقط قطعةً قطعة. الصّحاح ١: ٢٧١ (هفت).
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام. ٣٠؛ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٠.
٧ ـ المصدر: ٣٨
٨ ـ المصدر: ٣٩

وفي رواية: «لانريد منك غيرك»[١].

أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّه كان بتمجيده لله سبحانه يتقرّب إليه متدرّجاً، إلى أن بلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً، و الخبر شهوداً، و الغيبة حضوراً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: «على طاعتك و عبادتك، و على دفع شرور أعدائك»[٢].

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. قال: «يعني: أدِمْ لنا[٣] توفيقك الّذي أطعناك به في ماضي أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»[٤]. و في رواية: «يعني: أرْشِدْنا للزوم الّطريق المؤدّي إلى محبّتك، و المبلّغ إلى جنّتك، و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب[٥]، و أن نأخذ بآرائنا فنهلك»[٦]. و في أخرى: «الصّراط المستقيم في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ، و ارتفع عن التّقصير، و استقام؛ و في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة»[٧]. و في أُخرى: «هي الطّريق إلى معرفة الله، و هما صراطان: صراط في الدّنيا و صراط في الآخرة، فأمّا الصّراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطّاعة؛ من عرفه في الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه على الصّراط في الآخرة فتردّى[٨] في نار جهنّم»[٩]. و ورد: «الصّراط أدقّ من الشّعر

١ ـ تفسير القرآن الكريم، للسيّد مصطفى الخميني ١: ٤١٩، نقلاً من تفسير الإمام عليه السلام. و لم نجده فيما كان بأيدينا من تفسير الإمام عليه السلام و نقله في الصّافي ١: ٧٢ بلفظة: و في رواية عاميّة عن الصّادق عليه السلام.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤١.
٣ ـ لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره آناً فآناً و لحظةً فلحظةً، فإدامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى؛ فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ. «منه في الصّافي ١: ٧٢».
٤ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٥ ـ العَطَب: الهلاك. الصّحاح ١: ١٨٤ (عطب).
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤.
٧ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٨ ـ أي: سقط في جهنّم. مجمع البحرين ١: ١٨١ (ردا).
٩ ـ معاني الأخبار: ٣٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و أحدّ من السّيف. فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل عَدْوِ الفرس، و منهم من يمرّ عليه ماشياً، و منهم من يمرّ عليه حَبْواً[١]، و منهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتاخذ النّار منه شيئاً و تترك شيئاً»[٢]. وفي رواية: «إنّه مُظْلِمٌ، يسعى النّاس عليه على قدر انوارهم»[٣].

اقول: مآل الكلّ واحدٌ؛ لانّ الصّراط المستقيم ما إذا سلكه العبد اوصله إلى الجنّة، و هو ما يشتمل عليه الشّرع، كما قال الله تعالى: "وَ إنَّكَ لَتَهْدى إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ"[٤]. و هو صراط التّوحيد و المعرفة، و التّوسّط بين الاضداد في الاخلاق، و التزام صوالح الاعمال.

و بالجملة: صورة الهُدى الّذي انشاه المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، ينتقل فيه من معرفةٍ إلى معرفةٍ أُخرى فوقها، و من خُلقٍ محمودٍ إلى احمد، و من عملٍ صالحٍ إلى اصلح، حتّى يلتحق باهل الجنّة. و هو ادقّ من الشَّعر واحدّ من السَّيف في المعنى، مُظلم لايهتدي إليه إلاّ من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم في المعرفة. و ورد: «إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، و الجسر الممدود بين الجنّة و النّار»[٥].

و يتبيّن من هذا كُلّه انّ الصّراط و المارّ عليه شيءٌ واحدٌ، في كلّ خُطْوَةٍ يضع قدمه على راسه؛ أعني يعمل على مقتضى نور معرفته الّتي هي بمنزلة راسه؛ بل و يضع راسه على قدمه؛ أي: يبني معرفته على نتيجة عمله الّذي كان بناؤه على المعرفة السّابقة، حتّى يقطع المنازل و يصل إلى الجنّة؛ و إلى الله المصير.

١ـ حَبا الصَّبيُّ حَبْواً: إذا مشى على اربع. مجمع البحرين ١: ٩٤ (حبا).
٢ـ القمّي ١: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الصّافي ١: ٧٣؛ و نوادر الاخبار: ٣٤٦، الباب: ٩١، في الصّراط.
٤ـ الشّورى (٤٢): ٥٢.
٥ـ الصّافي ١: ٧٣، عن الصّادق عليه السلام.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قال: «أي قولوا: صراط الّذين أنعمت عليهم بالتّوفيق لدينك و طاعتك لا بالمال و الصّحّة؛ فإنّهم قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً. قال: وهم الّذين قال الله تعالى: "وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّينَ وَ الصِّدّيقينَ وَ الشُّهداء والصّالحين و حَسُنَ أُولٰئكَ رَفيقاً"»[١].

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قال: «هم اليهود الذين قال الله فيهم: "مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ"».[٢]

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: «هم النّصارى الّذين قال الله فيهم: "قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثيراً". ثمّ قال: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه و ضالّ عن سبيل الله»[٣].

وفي رواية: «المغضوب عليهم: النّصّاب؛ والضّالّين: أهل الشّكوك الّذين لايعرفون الإمام»[٤].

أقول: و يدخل في صراط المُنْعَمِ عليهم: كُلُّ وسط و استقامة في العقائد والأخلاق و الأعمال، و هم: "ٱلَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا"[٥]؛ و في صراط المغضوب عليهم: كُلُّ تفريط و تقصير، و لا سيّما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى وعيسى و نبيّنا صلوات الله عليهم؛ و في صراط الضّالّين: كُلُّ إفراط و غُلُوٍّ، و لا سيّما إذا كان عن جهل، كما فعلت النّصارى بعيسى عليه السلام؛ و ذلك لأنّ الغضب يلزمه البعد والطّرد، و المُقصِّرُ هو المُدْبِر المُعْرِض فهو البعيد المطرود، و الضّلال هو الغيبة عن المقصود، و المفرط هو المقبل المجاوز، فهو الّذي غاب عنه المطلوب.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧ـ ٤٨، و الآية في النّساء(٤): ٦٩.
٢ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٦٠.
٣ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٧٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٩: عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ فصّلت(٤١): ٣٠؛ و الأحقاف(٤٦): ١٣.

سورة البقرة

[مدنيّة، و هي مائتان و ستّ و ثمانون آية][1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. قد مرّ تفسيرها.

﴿الٓمٓ﴾. قال: «هو حرف من حروف اسم الله الاعظم، المقطّع في القرآن، الّذي يؤلّفه النّبيّ او الإمام عليهما السّلام، فإذا دعا به أُجيب»[2]. و في رواية: «و إذا عدّ اخبر بما يغيب»[3].

اقول: فهو سرّ بين الله و بين الحبيب، لم يقصد به إفهام غيره و غير الرّاسخين في العلم من ذرّيّته. و فيه الاعاجيب؛ و التّخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال: «يعني القرآن الّذي افتتح بـ"الم"، هو "ذلك الكتاب" الّذي اخبرت به موسى و من بعده من الانبياء، و هم أخبروا بني إسرائيل أنّي سأُنزله عليك يا محمّد»[4]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: «لاشكّ فيه لظهوره عندهم»[5]. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال:

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ معاني الأخبار: ٢٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣؛ والتبيان ١: ٤٧.

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢.

«الّذين يتّقون الموبقات، و يتّقون تسليط السَّفَه[1] على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم، فإنّهم يهتدون به و ينتفعون بما فيه»[2].

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: «بما غاب عن حواسّهم من توحيد الله، و نبوّة الأنبياء، و قيام القائم، و الرّجعة، و البعث، و الحساب، و الجنّة، و النّار، و سائر الأمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لايعرف بالمشاهدة، و إنّما يعرف بدلائل نصبها الله عزّ و جلّ عليه»[3]. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: «بإتمام ركوعها و سجودها، و حفظ مواقيتها و حدودها، و صيانتها ممّا يفسدها او ينقصها»[4]. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ قال: «من الأموال و الأبدان و القوىٰ و الجاه و العلم»[5]. ﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون.

«يحتملون الكَلّ[6]، و يؤدّون الحقوق لأهاليها، و يقرضون، و يُسْعِفُونَ[7] الحاجات، و يأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر[8] و يُنجونهم من المهالك، و يحملون المتاع عنهم، و يحملون الرّاجلين على دوابّهم، و يُؤثِرون من هو افضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال و النّفس، و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما، و يعلّمون العلم من كان أهله، و يروون فضائل أهل البيت عليهم السّلام لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته». كذا ورد[9].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن و الشّريعة ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال:

١ـ السَّفَه: ضدّ الحلم. مجمع البحرين ٦: ٣٤٧ (سفه).
٢ـ معاني الأخبار: ٢٥، الحديث: ٤، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام.
٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٧و٧٣.
٥ـ لمصدر: ٧٥.
٦ـ الْكَلّ ـ بفتح الكاف ـ الثقل والعيال. الصّحاح ٥: ١٨١١؛ و مجمع البحرين ٥: ٤٦٤ (كلل).
٧ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٨ـ الضّرائر: المحاويج (المحتاجون). الصّحاح ٢: ٧٢٠ (ضرر).
٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٧٥.

«من التّوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و سائر كتب الله المنزّلة»[1] . ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ ﴾ قال: «الدّار الّتي بعد هذه الدّار الّتي فيها جزاء الأعمال الصّالحة بافضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السّيئة بمثل ما كسبوه»[2] . ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ قال: «لايشكّون»[3] .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ قال: «على بيان وصواب و علم بما امرهم به»[4] .

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: «النّاجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤمّلون»[5] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال: «بالله و بما آمن به هؤلاء المؤمنون»[6] . ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ قال: «خوّفتهم»[7] . ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال: «اخبر عن علمه فيهم»[8] .

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . قال: «وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته و اوليائه إذا نظر إليها بانّهم الّذين لايؤمنون»[9] . «عقوبةً على كفرهم»[10] . ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ : غطاء. قال: «و ذلك انّهم لمّا اعرضوا عن النّظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما أُريد منهم، جهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء، لايبصر ما أمامه؛ فإنّ الله عزّ و جلّ يتعالى عن العبث و الفساد، و مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه»[11] . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: «يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، و في الدّنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه، بما ينزّل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه على طاعته، أو من عذاب الاصطلام ليصيّره إلى عدله و حكمته»[12] .

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٨٨.
٤و٥ـ المصدر: ٩٠.
٦، ٧و٨ـ المصدر: ٩١.
٩ـ المصدر: ٩٨.
١٠ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣، الباب: ١١؛ الحديث: ١٦.
١١و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٩٨.

أقول: الاصطلام ـ بالمهملتين ـ الاستئصال.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾. «نزلت في المنافقين و النّاصبين العداوة لآل الرّسول، من الّذين زادوا على الكفر الموجب للختم. والغشاوةُ: النّفاق». كذا ورد[١]. ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾: «يعاملون الله معاملة المُخادع». كذا ورد[٢]. و في رواية: «يخادعون رسول الله بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم»[٣].

أقول: وجه التّوفيق انّ مخادعةَ الرّسول مخادعةُ الله، كما قال عزّ و جلّ: "إنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّما يُبَايِعُونَ اللَّه"[٤]. و قال: "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ"[٥]. وقال: "وَ مَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمَى"[٦].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: و يخادعون الّذين آمنوا ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ قال: «ما يضرّون بتلك الخديعة إلاّ انفسهم؛ لانّ الله غنيّ عنهم و عن نصرتهم، و لولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم»[٧]. ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال: «انّ الامر كذلك، وانّ الله يُطْلِعُ نبيّه على نفاقهم»[٨].

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: نفاق و شكّ تغلي على النّبيّ و آله، حقداً و حسداً و غيظاً

١ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ١١١ـ١١٣.

٢ـ و يدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن الصّادق عليه السلام: «انّ النّبيّ صلى الله عليه وآله سُئل فيما النّجاة غداً؟ قال: إنّما النّجاة أن لا تخادعوا اللّه فيخدعكم؛ فإنّ من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان و نفسه يخدع لو يشعر. قيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ و جلّ ثمّ يريد به غيره؛ فاتّقوا الله و الرّيا، فإنّه شرك بالله» «عنه في الصّافي ١: ٨٢ـ٨١» والحديث مذكور في تفسير العيّاشي ١: ٢٨٣ مع اختلاف يسير.

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤، و فيه «بإيمانهم».

٤ـ الفتح (٤٨): ١٠.

٥ـ النّساء (٤): ٨٠.

٦ـ الأنفال (٨): ١٧.

٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤.

وخنقا[1] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: «بحيث تاهت قلوبهم»[2]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع غاية الإيجاع. و هو العذاب المعدّ للمنافقين، و هو أشدّ من عذاب الكافرين؛ لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم أو تكذيبهم، على اختلاف القراءتين[3].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ «بإظهار النّفاق لعباد الله المستضعفين، فتشوّشوا عليهم دينهم و تحيّروهم». كذا ورد[4]. ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ «لأنّا لانعتقد ديناً، فنرضى محمّداً في الظّاهر و نعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، و في هذا صلاح حالنا». كذا ورد[5].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ قال: «بما يفعلون أُمور أنفسهم، لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم، فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم و لايثق بهم أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين، فلا يرتفع لهم عندهم منزلة»[6].

أقول: و لهذا ردّ عليهم أبلغ ردّ. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ قال: «قال لهم خيار النّاس»[7]. ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾. قال: «المؤمنون كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار»[8].

أقول: يعني إيماناً مقروناً بالإخلاص، مبرأً عن شوائب النّفاق.

﴿قَالُوٓا﴾ قال: «قالوا في الجواب لمن يفيضون إليه، لا لهؤلاء المؤمنين، فإنّهم لايجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب»[9]. ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: «المذلّون أنفسهم

١ـ خَنَقَه: إذا عصر حلقه. اساس البلاغة: ١٧٦ (خنق).

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٧.

٣ـ فإنّه قرأ أهل الكوفة: «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء، مخفّفاً، و الباقون «يُكَذِّبُونَ». راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧.

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨.

٦، ٧، ٨و٩ـ المصدر: ١١٨ـ١١٩.

لمحمّد، حتّى إذا اضمحلّ أمره أهلكهم أعداؤه». كذا ورد[١]. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: «الأخفّاء العقول و الآراء، الّذين لم ينظروا حقّ النّظر، فيعرفوا نبوّته و ثبات أمره»[٢]. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: «أخدانهم[٣] من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرّسول»[٤]. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ اي: في الدّين والاعتقاد كما كنّا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بالمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: «يجازيهم جزاء من يستهزئ به، أمّا في الدّنيا ففي إجراء احكام المسلمين عليهم، و امره الرّسول بالتّعريض لهم حتّى لايخفى مَن المراد بذلك التّعريض، و أمّا في الآخرة فبان يفتح لهم ـ و هم في النّار ـ باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، و ذلك قوله تعالى: "فَالْيَوْمَ الَّذين آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ"». كذا ورد[٥]. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ قال: «يمهلهم و يتأنّى بهم برفقه»[٦]. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: في التّعدّي عن حدّهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيّرون؛ والعَمَهُ في البصيرة كالعَمى في البصر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: «باعوا دين الله و اعتاضوا منه الكفر بالله»[٧]. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ قال: «ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة، لأنّهم اشتروا النّار و اصناف عذابها بالجنّة الّتي كانت معدّة لهم لو آمنوا»[٨]. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قال: «إلى الحقّ و الصّواب»[٩].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨ـ١١٩.
٢ـ المصدر: ١١٩ـ١٢٠.
٣ـ جمعُ خِدْن، و الخِدْن: الصَّديق. الصّحاح ٥: ٢١٠٧؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٤٣ (خدن).
٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٢٣. و الآية في الرّقم الخامس، في المطفّفين(٨٣): ٣٤.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ١٢٥ـ١٢٦.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم العجيبة. و إنّما يضرب الله الأمثال للنّاس في كتابه لزيادة التّوضيح و التّقرير، فإنّها أوقع في القلب و أقمع للخصم. ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: «ليبصر بها ما حوله»[١]. ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «بإرسال ريح أو مطر اطفاها؛ و ذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحقّ و الهدى، و أعطوا احكام المسلمين، فلمّا أضاء إيمانهم الظّاهرُ ما حولهم، أماتهم الله و صاروا في ظلمات عذاب الآخرة». كذا ورد[٢]. ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ قال: «بان منعهم المعاونة واللّطف، و خلّى بينهم وبين اختيارهم»[٣].

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ قال: «يعني في الآخرة، كما قال عزّ و جلّ: ﴿وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمّاً﴾»[٤].

اقول: و في الدّنيا أيضاً في بواطنهم من أُمور الآخرة، لأنّهم سدّوا مسامعهم من الإصغاء إلى الحقّ، و أبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، و أن يتبصّروا الآيات بأبصارهم. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضّلالة الّتي اشتروها إلى الهُدَى الّذي باعوه وضيّعوه.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: او كمطر من العلا. قيل: يعني مَثَلُ ما خوطبوا به من الحقّ و الهدى كَمَثَلِ مطر؛ إذ به حياة القلوب، كما أنّ بالمطر حياة الارض[٥]. ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾. مثّل الشّبهات و المصيبات بالظّلمات، و التّخويفَ و الوعيدَ بالرّعد، و الآياتِ الباهرةَ المتضمّنة للتّبصير و التّسديد بالبرق، و تصامُمَهُم عمّا يسمعون من الوعيد، و ما يطرقون به من النّكايات[٦] بحال من يهوله الرّعد فيخاف صواعقه فيسدّ أُذُنه عنها، مع أنّه لاخلاص له

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣، الباب: ١١، الحديث: ١٦.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠ـ ١٣١. والآية في الإسراء(١٧): ٩٧.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٢٥؛ والتّفسير الكبير (للرّازي) ١: ٧٨.
٦ـ نكيتُ في العدوّ نكاية: إذا اكثرت الجراح. أساس البلاغة: ٦٥٥ (نكى).

منها. ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ قال: «مقتدر عليهم؛ إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم و أبدى لك أسرارهم و أمرك بقتلهم»[1].

﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ ﴾: يذهب بها. و ذلك لأنّ «هذا مثَل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، لم يغضّوا عنه ابصارهم، و لم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه، و لم ينظروا إلى الطّريق الّذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق. فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدّالّة على صدق النّبيّ ﷺ الّتي يشاهدونها و لايتبصّرون بها، و يجحدون الحقّ فيها، يبطل عليهم سائر ما علموه[2] من الأشياء الّتي يعرفونها، فإنّ من جحد حقّاً أدّاه ذلك إلى ان يجحد كلّ حقّ، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه، كالنّاظر إلى جرم الشّمس في ذهاب بصره». كذا ورد[3].

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾: وقفوا و تحيّروا. «فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم، فرحوا و تيمّنوا ببيعتهم و إظهار طاعتهم، و إذا رأوا ما يكرهون في دنياهم، وقفوا و تشأموا بها». كذا ورد[4].

قيل: مثّل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه، أو رفد تطمح إليه ابصارهم، بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم، و تحيُّرَهم و توقُّفَهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة، بتوقفهم إذا أظلم عليهم[5]. و إنّما قال مع الإضاءة «كلّما»، و مع الإظلام «إذا»، لأنّهم حرّاص على المشي، كلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها، و لا كذلك التوقّف[6].

١ـ تفسير الإمام ؏: ١٣٣.
٢ـ في المصدر: «عملوه»
٣ و ٤ـ تفسير الإمام ؏: ١٣٣ـ١٣٤.
٥ـ البيضاوي ١: ١٠٤.
٦ـ المصدر: ١٠٦.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال: «حتّى لا يتهيّأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت و أصحابك، فتوجب قتلهم»[١]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: لا يعجزه شيء.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال: «لها وجهان: احدهما: خلقكم و خلق الّذين من قبلكم لتتّقوه، كما قال: "وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونَ"[٢]. و الآخر: اعبدوه لعلّكم تتّقون النّار. و«لَعَلَّ» من الله واجب؛ لأنّه اكرم من ان يُعَنِّي[٣] عبده بلامنفعة و يطمعه في فضله ثمّ يخيّبه»[٤].

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ قال: «جعلها ملائمةً لطبايعكم، موافقةً لاجسادكم، مطاوِعةً لحرثكم و ابنيتكم و دفنِ موتاكم، لم يجعلها شديدةَ الحرارة فتحرقكم، و لاشديدة البرودة فتجمدكم، و لا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم[٥]، ولاشديدة النّتن فتعطبكم، و لا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، و لاشديدة الصّلابة فتمتنع عليكم في حرثكم و ابنيتكم و دفن موتاكم؛ و لكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به في كثير من منافعكم»[٦]. ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ قال: «سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم»[٧].

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ قال: «يعني: المطر، ينزله من العلا ليبلغ قُلَلَ

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣ـ١٣٤.
٢ـ الذّاريات(٥١): ٥٦.
٣ـ بالنّون على بناء التّفعيل، اي: يكلّفه ما يشقّ عليه، و في بعض النّسخ «يُعيي» ـ بالياء ـ من قولهم: اعيى السّيرُ البعيرَ اي: اتعبه و اكلّه. و الاوّل اظهر.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٠ـ١٤٢. و «لعلّكم» على المعنى الاوّل متعلّق بـ «خَلَقَكُمْ»، و التّقوى بمعنى العادة و على الثّاني متعلّق بـ «اُعْبُدُوا»، و التّقوى بمعنى الحذر. «منه في الصّافي ١: ٨٧»
٥ـ الهامَةُ: الرّأس. الصّحاح ٥: ٢٠٦٣ (هيم).
٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٢؛ و عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٧، الباب: ١١، الحديث: ٣٦.

حبالكم و تلالكُم و هضايكُم و أوهادكم، ثمّ فرّقه رَذاذاً و وابلاً و هَطلاً وطَلاً[١] لتنشفه[٢] أرضوكم، و لم يجعل نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم وزروعكم و ثماركم»[٣]. قال: «قال رسول الله ﷺ: ينزل مع كلّ قطرة ملَكٌ يضعها في موضعها الّذي أمره به ربُّه جلّ و عزّ»[٤]. ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ أي: لمطعمكم و مشربكم و ملبسكم و سائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: «أشباهاً و أمثالاً من الاصنام الّتي لا تعقل و لا تسمع و لا تبصر و لا تقدر على شيء»[٥]. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «انّها لا تقدر على شيء من هذه النّعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم»[٦].

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ قال: «حتّى تجحدوا أن يكون محمّد رسولَ الله، و أن يكون هذا المنزّل عليه كلامي، مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرات، كالغَمامة المظلّلة عليه و الجمادات المسلّمة عليه و غير ذلك»[٧]. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: «من مثل ما نزّلنا مماثلةً لهذا القرآن في البيان الغريب و حسن النّظم والبلاغة، أو[٨] من مثل عبدنا ممّن هو على حاله، من كونه لم يقرأ الكتب و لم يأخذ من العلماء». كذا ورد[٩]. ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: «أصنامكم و شياطينكم و من

١ ـ الهضاب: أعالي الجبال؛ و الرّذاذ: المطر الضّعيف؛ والوابل: المطر الشّديد؛ والهطْل: المطر الضّعيف الدّائم و تتابع المطر؛ والطّلّ: أخفّ المطر و أضعفه.
٢ ـ النّشف: دهاب الماء في الأرض والثّوب. يقال: نَشِفَت الأرضُ الماءَ: شربته. النّهاية ٥: ٥٨ (نشف).
٣ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٤٣.
٤ ـ المصدر: ١٥٠. في المصدر و «ج»: «عزّوجلّ».
٥و٦ ـ المصدر: ١٤٣.
٧و٩ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.
٨ ـ في التّرديد في التّفسير دلالة على أنّ القرآن ذو وجوه و أنّ حمله على الجميع صحيح، كما مرّ نظيره في قوله ـ سبحانه: «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم» الآية. و ليس التّرديد في مثل ذلك من قبيل التّرديد في معناه. «منه في الصّافي ١: ٨٨».

تطيعونه و تعبدونه من دون الله، و تزعمون أنّهم شهداؤكم يوم القيامة، يشهدون لكم بعبادتكم عند ربّكم، ليشهدوا لكم بأنّ ما آتيتم مثله». كذا ورد[١]. و قيل: لينصروكم على معارضته، فيكون الشّهيد بمعنى النّاصر[٢]. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: «بأنّ محمّداً تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزّله الله عليه»[٣].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: الإتيان بما يساويه أو يدانيه ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ قال: «و لايكون هذا منكم أبداً، و لن تقدروا عليه»[٤]. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾ قال: «حطبها»[٥]. ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: «حجارة الكبريت، لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً»[٦]. و قيل: المراد بها الأصنام الّتي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعاً في شفاعتها، كما في قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»[٧]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: «المكذّبين بكلامه و نبيّه»[٨].

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ قال: «من تحت أشجارها و مساكنها»[٩]. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ «في الدّنيا؛ فأسماؤه كأسمائه، و لكنّها في غاية الطّيب، غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدّنيا من الفضلات و الأخلاط إلّا العرق الّذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك». كذا ورد[١٠].

أقول: العِرض ـ بالكسر ـ: الجسد.

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.
٢ ـ البيضاوي ١: ١١٣.
٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.
٤، ٥ و ٦ ـ المصدر: ٢٠٢، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٧ ـ البيضاوي ١: ١١٦. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٨.
٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.
٩ و ١٠ ـ المصدر. ٢٠٢.

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ قال: «يشبه بعضه بعضاً بانّها كلّها خيار لارذل[1] فيها، و بانّ كلّ صنف في غاية الطّيب و اللّذة، ليست كثمار الدّنيا الّتي بعضها نيّ[2]، و بعضها متجاوز حدّ النّضيج[3] والإدراك إلى حدّ الفساد، من حموضة ومرارة وسائر صنوف المكاره، ومتشابهاً أيضاً: متّفقات الالوان، مختلفات الطّعوم»[4].

﴿ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ ﴾ «من انواع الاقذار و المكاره لا يحضن و لا يحدثن ولا يصحن و لا يتغايرن و لا يتباغضن و لا يغششن و لا يعبن و لا يخدعن و لا يكثرن الطّرف والاختيال». كذا ورد[5]. ﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال: «لانّ نيّاتهم في الدّنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابداً، فبالنّيّات خلّدوا»[6].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ قال: «للحقّ، يوضحه لعباده المؤمنين»[7].
﴿ مَّا ﴾ يعني: ايّ مثل كان، فإنّ «ما» تزاد لزيادة الإبهام و الشّيوع. ﴿ بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾. قال: «و هو الذّباب. ردّ بذلك على من طعن في ضربه الامثال بالذّباب والعنكبوت، و بمستوقد النّار والصّيّب، في كتابه». كذا ورد[8].

اقول: وجه الرّدّ انّ المعتبر في المثل ان يكون على وفق الممثّل له في الصّغر و العظم و الخسّة و الشّرف، ليبيّنه و يوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس، دون الممثّل.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾. قال: «"أنّه": المثل المضروب،

١ـ الرّذل: الدّون الخسيس. الصّحاح ٤: ١٧٠٨؛ و مجمع البحرين ٥: ٣٨٢ (رذل).
٢ـ النّيّ: الفاكهة او اللّحم الذي لم يطبخ، او طبخ ادنى طبخ و لم ينضج. النّهاية ٥. ١٤٠ (نيا)
٣ـ في المصدر و«ب»: «النّصح». نضج اللّحم والفاكهة: استوى و طاب اكله. مجمع البحرين ٢: ٣٣٢ (نضج).
٤و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٣. والاختيال: التكبّر. مجمع البحرين ٥: ٣٦٧ (خيل).
٦ـ علل الشّرايع: ٢: ٥٢٣، الباب: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٨ـ المصدر: ٢٠٥

"الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ" أراد به الحقّ و إبانته، و الكشف عنه و إيضاحه»[١]. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾: أيّ شيء أراد به من جهة المَثل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾. قال: «يعني: يقول الّذين كفروا: إنّ الله يُضِلّ بهذا المثل كثيراً و يهدي به كثيراً، أي: لا معنى للمَثَل. لأنّه و إن نفع به مَنْ يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به، فردّ الله عليهم بقوله»[٢]: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قال: «الخارجين عن دين الله، الجانين على أنفسهم بترك تأمّله و بوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه»[٣]. و قيل: بل قوله: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" جواب "ماذا" أي: إضلال كثير بسبب إنكاره، و هداية كثير بسبب قبوله[٤].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ قال: «المأخوذ عليهم للّه بالرّبوبيّة، و لمحمّد بالنّبوّة، ولعليّ بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة»[٥]. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ قال: «إحكامه وتغليظه»[٦]. ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قال: «من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم. و أفضلُ رَحِمٍ و أوجَبُهُمْ حقّاً رَحِمُ محمّدٍ؛ فإنَّ حقَّهم بمحمّد، كما أنّ حقّ قرابات الإنسان بأبيه و أُمّه، و محمّدٌ أعظم حقّاً من أبويه، و كذلك حقّ رَحِمِه أعظمُ، و قطيعتُه أفظع و أفضح»[٧].

أقول: و يدخل في الآية التّفريق بين الأنبياء و الكتب في التّصديق، و ترك موالاة المؤمنين، و ترك الجمعة و الجماعات المفروضة، و سائر ما فيه رفض خيرٍ أو تعاطي شرٍّ، فإنّه يقطع الوصلة بين الله و بين العبد، الّتي هي المقصودة بالذّات من كلّ وصل و فصل.

﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ «بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه». كذا

١، ٢ و ٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.
٤ـ البيضاوي ١: ١٢٦ـ١٢٧، و فيه: «إهداء كثير».
٥ و ٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.
٧ـ المصدر: ٢٠٧.

ورد[١]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ قال: «الّذين خسروا أنفسهم لمّا صاروا إلى النّيران، وحُرموا الجنان»[٢].

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ قال: «الخطاب لكفّار قريش و اليهود»[٣]. ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ قال: «في أصلاب آبائكم و أرحام أُمّهاتكم»[٤]. ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ قال: «أجرى فيكم الرّوح و أخرجكم احياء»[٥]. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ قال: «في هذه النّشاة و يقبركم»[٦]. ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ قال: «في القبور، و ينعّم فيها المؤمنين و يعذّب الكافرين»[٧]. ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قال: «في الآخرة، بان تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى الثّواب او العقاب»[٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ قال: «لتعتبروا به و تتوصّلوا به إلى رضوانه، و تتوقّوا من عذاب نيرانه»[٩]. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: «اخذ في خلقها و إتقانها»[١٠]. ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: عدّلهنّ مصونة عن العوج و الفطور. ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ولهذا خلق ما خلق، كما خلق لمصالحكم على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قال: «الّذين كانوا في الارض مع إبليس و قد كانوا طردوا عنها الجنّ بني الجانّ و خفّفت عليهم العبادة»[١١]. و ورد: «إنّ الجنّ كانوا يفسدون في الأرض، فبعث الله إليهم الملائكة، فقتلوهم و أسروا إبليس من بينهم وكان حاكماً فيهم»[١٢]. ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ قال: «بدلاً منكم، ورافعكم منها، فاشتدّ ذلك عليهم؛ لانّ العبادة عن رجوعهم إلى السّماء تكون أثقل

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٧.
٣ إلى ٨ـ المصدر: ٢١٠.
٩ و ١٠ـ المصدر ٢١٥.
١١ـ المصدر ٢١٦
١٢ـ القمّي ١ ٣٦ـ٣٧.

عليهم»[١]. و في رواية: «خليفة تكون حجّةً لي في أرضي على خلقي»[٢].

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ قال: «كما فعلته الجنّ؛ بنو الجانّ الّذين قد طردناهم عن هذه الأرض»[٣]. ﴿ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ ﴾ قال: «ننزّهك عمّا لايليق بك من الصفات»[٤]. ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قال: «نطهّر أرضك ممّن يعصيك»[٥]. «فاجعل ذلك الخليفةَ منّا، فإنّا لانتحاسد و لا نتباغض و لانسفك الدّماء»[٦]. و في رواية: «إنّهم منّوا على الله بعبادتهم إيّاه، فأعرض عنهم، و إنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، نحن خزّان الله و جيرانه، و أقرب الخلق إليه»[٧]. و في أُخرى: «فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم فتاب عليهم»[٨].

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ قال: «من الصّلاح الكامن[٩] فيه، و من الكفر الباطن فيمن هو فيكم، و هو إبليس لعنه الله»[١٠]. ورد: «إنّه لمّا خلق الله آدم بقي أربعين سنةً مصوّراً، و كان يمرّبه إبليس و يقول: لأمرٍ مّا خُلقتَ؟ و قال: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا عصيته»[١١].

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ قال: «أسماء المخلوقات من الجبال و البحار و الأودية والنّبات و الحيوان و غيرها»[١٢]. و في رواية: «أسماء أنبياء الله و أوليائه و عتاة أعدائه»[١٣].

١، ٣، ٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
٢و٦ـ القمّي ١: ٣٦ـ٣٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٨ـ علل الشّرايع ٢: ٤٠٦، الباب: ١٤٣، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٩ـ في المصدر: «الكائن فيمن أجعله بدلاً منكم».
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
١١ـ القمّي ١: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
١٢ـ المصدر ٤٥
١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.

أقول: وجه التّوفيق أنّ المراد بالأسماء، أسماء الله الحسنى الّتي بها خلقت المخلوقات كما أُشير إليها في أدعية أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ بقولهم: «و بالإسم الّذي خلقت به العرش، و بالإسم الّذي خلقت به الكرسيّ، و بالإسم الّذي خلقت به الأرواح»[١]؛ إلى غير ذلك. و إنّما اختصّ كلّ مخلوق باسم، بسبب غلبة ظهور الصّفة الّتي دلّ عليها ذلك الإسم فيه، كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ: «يا آدم هذا محمّدٌ و انا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسماً من اسمي؛ و هذا عليّ و انا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي»[٢] الحديث. و إنّما أُضيفت في الحديث تارةً إلى المخلوقات كلّها، لأنّها كلّها مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة؛ و أُخرى إلى الاولياء و الاعداء، لأنّهما مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الاولياء، و صفات القهر كلّها في الاعداء. و المراد بتعليمها آدمَ كلّها، خَلْقُهُ من أجزاء مختلفة وقوىً متباينة، حتّى استعدّ لإدراك انواع المدرَكات، من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات، وإلهامُه معرفةَ ذوات الأشياء وخواصّها وأُصول العلم وقوانين الصّناعات وكيفيّة آلاتها والتّميز بين أولياء الله وأعدائه؛ فتأتي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريّته لأسماء الله الحسنىٰ كلّها، و جامعيّته جميع كمالات الوجود اللائقة به، حتّى صار منتخباً لكتاب الله الكبير الّذي هو العالَم الاكبر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيك انْطوَى العالَمُ الأكبَرُ»[٣].

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ ﴾ أي: عرض أشباح المخلوقات جميعاً المدلول عليها بالاسماء كلّها. وفي الرّواية الأخيرة: «إنّه عرض أشباحهم حين كونهم أنواراً في

١ـ البلد الأمين: ٤١١ـ٤١٢؛ و البحار ٩٠: ٢٥٤ـ٢٥٥، و هو دعاء الاسماء الحسنىٰ.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٠.
٣ـ ديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ٤١. و المصرع الاوّل: «و تحسب أنّك جرمٌ صغيرٌ».

الأظلّة»[١]. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني حقايقها الّتي هي أسماء الله الّتي بها خُلقت هذه الأشباحُ الّتي هي مظاهرها. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ «بأنّ تركّكم هيهنا أصلح من إيراد من بعدكم بأنّكم أحقّ[٢] بالخلافة من آدم». كذا ورد[٣].

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ قال: «بكلّ شيء»[٤].

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ قال: «المُصيب في كلّ فعل»[٥].

أقول: اعترفوا بالعجز و القصور لما قد بان لهم من فضل آدم ولاحت لهم الحكمة في خلقه، فصَغُر حالهم عند أنفسهم و قلّ علمهم لديهم و انكسرت سفينة جبروتهم، فَغَرَقُوا في بحر العجز وفوّضوا العلمَ والحكمةَ إلى الله؛ وذلك لعدم جامعيّتهم وكونهم وحدانيّةَ الصّفة، إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لايفعل كلٌّ صنف منهم إلّا فعلاً واحداً، فالرّاكع منهم راكع أبداً، و السّاجد ساجدٌ أبداً، والقائم قائمٌ أبداً، كما ورد في الحديث[٦]. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: "وَمَا مِنَّا إلّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ"[٧]. فكلّ صنف منهم مَظْهَرٌ لاسم واحدٍ من الأسماء الإلٰهيّة لايَتَعدّاه؛ ففاقهم آدمُ بمعرفته الكاملة و مَظْهَريّته الشّاملة. و تمامُ بيان هذا التّأويل يُطلب من تفسيرنا الكبير[٨].

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾.

أقول: يعني أَخبِرْهُم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليَعْرِفوا جامعيّتك لها، وقُدرةَ الله على الجمع بين الصّفات المتباينة و الأسماء المتناقضة في مخلوق

١، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٢ـ في «ب» و «ج»: «و بأنّكم أحقّ».
٥ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢١٧.
٦ـ راجع: نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤١، الخطبة: ١.
٧ـ الصّافّات (٣٧): ١٦٤.
٨ـ الصّافي ١: ١٠٠.

واحد. ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قال: «فعرفوها»[١]. ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: «سرّهما»[٢]. ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ قال: «من ردّكم عليّ»[٣]. ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قال: «من اعتقادكم أنّه لايأتي أحد يكون أفضلَ منكم، و عزم إبليس على الإباء على آدم إنْ أمر بطاعته، فجعل آدمَ حجةً عليهم»[٤].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾. «وذلك لما كان في صُلبه من انوار نبيّنا، واهل بيته المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ وكانوا قد فُضّلوا على الملائكة باحتمالهم الاذىٰ في جنب الله، فكان السّجود لهم تعظيماً و إكراماً، ولله ـ سبحانه ـ عبوديّةً، ولآدم طاعةً». كذا ورد[٥].

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾. ورد: «إنّه كان بين الملائكة يعبد الله في السّماء، وكانت تظنّه منهم فلمّا استكبر علمت أنّه لم يكن منهم، وإنّما دخل في الامر، لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم»[٦]. ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ قال: «اخرج ما كان في قلبه من الحسد»[٧]. ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾. ورد: «إنّه أوّل من كفر و انشا الكفر»[٨].

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ورد: «إنّها كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، و لو كانت من جنان الخلد لم يدخلها إبليس ولاخرج منها آدم ابداً»[٩]. ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[١٠]. ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

١، ٢و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٣ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٩ـ٢٢٠.
٦ـ القمّي ١: ٣٥ـ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١.
٩ـ القمّي ١: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.

ٱلشَّجَرَةَ ﴾ قال: «شجرة علم محمّدٍ و آل محمّد، الّتي آثرهم الله بها دون سائر خلقه، لايتناولُ منها بأمر الله إلاّ هم. قال: وكانت شجرةً تحمل انواع الثّمار والفواكه والاطعمة، فلذلك اختلفت الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: بُرَّة؛ وقال آخرون: عنَبَة، وقال آخرون: عنّابَة. وهي الشّجرة الّتي من تناول منها بإذن الله أُلهِمَ علمَ الاوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه»[1].

وفي رواية: «أنّها شجرة الكافور»[2]. وفي أخرى: «أنّها شجرة الحسد»[3]. وفي أخرى: «انّ كلّها حقٌّ وانّ آدم قال في نفسه: هل خلق الله بشراً افضلَ منّي؟ فاراه الله اشباح آل محمّدٍ»[4]. وفي رواية: «أراه أسماءهم من العرش وقال: هٰؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولاخلقت الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الارض، فإيّاك ان تنظر إليهم بعين الحسد وتتمنّىٰ منزلتهم. فتسلّط عليه الشّيطان، حتّى اكل من الشّجرة الّتي نُهِيَ عنها، وتسلّط على حوّاء، فنظرت إلى فاطمة بعين الحسد، حتّى اكلت من الشّجرة كما اكل آدم»[5].

اقول: كما انّ للبدن غذاء من الحبوب والفواكه، كذلك للرّوح غذاء من العلوم والمعارف؛ وكما انّ لذلك الغذاء اشجاراً تثمرها كذلك لهذا، و لكلّ صنف من النّاس ما يليق به من الغذاء، ولكلٍّ فاكهةٍ في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني، ولهذا فسّرت الشّجرة تارةً بشجرة الفواكه، وأخرى بشجرة العلوم. وكانّ شجرة علم محمّد إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة المثمرة للتّوحيد الخالص المستجمع للكمالات الإنسانيّة قاطبةً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ و ٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٧، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

فإنّ فيها من ثمار المعارف كلّها. وشجرة الكافور إشارة الى بَرْد اليقين الموجب للطُّمانينة التّامّة المقتضية للخلق العظيم الّذي كان لنبيّنا ﷺ. فلا تنافي بين الرّوايات، ولا بينها وبين ما قاله أهل التّأويل: إنّها شجرة الهوى والطّبيعة. لانّ قربها إنّما يكون بالهوى والشّهوة الطّبيعيّة. وهذا معنى ما ورد إنّها شجرة الحسد، فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها.

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال: «بمعصيتكما والتماسكما درجةً قد أُوثر بها غيرُكما إذا رمتما بغير حكم الله»[1].

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ «بوسوسته وخديعته وإيهامه وعداوته وغروره، بأن دخل بين لحيي الحيّة فاراهما انّ الحيّة تخاطبهما» كذا ورد[2]. ويأتي تمام القصّة في سورة الاعراف إن شاء الله[3]. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ قال: «من النّعيم»[4].

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ قال: «يا آدم و يا حوّاء و يا إبليس و يا حيّة اهبطوا»[5]. ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال: «آدم و حواء و ولدهما عدوٌّ للحيّة و إبليس، وإبليس والحيّة واولادُهما أعداؤهم. قال: وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة، فإنّ الحيّة كانت من احسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة»[6].

اقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يُعْرَف، وذلك لانّه قد دخلها مختفياً في فم الحيّة ليُدلّيهما بغرور كما مرّ. وبهذا يرتفع التّنافي بين هذا الحديث وبين الّذي مرّ: انّها لو كانت من جنان الخُلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في فم

١ و٢ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٢.
٣ـ الاعراف (٧): ١٩ إلى ٢٣.
٤، ٥ و٦ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٤

الحيّة. فتدبّر.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ قال: «منزل و مقرّ للمعاش»[1]. ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ قال: «منفعة»[2] ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قال: «حين الموت»[3]. وفي رواية: «يوم القيامة»[4]. ولعلّ وجه التّوفيق، حديث: «من مات فقد قامت قيامته»[5].

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾. قال: «يقولها، فقالها»[6]. ورد: «هي لاإلٰهَ إلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فاغْفِرْلي وَأنْتَ خَيْرُ الْغافِرينَ. لاإلٰهَإلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فاغْفِرْلي وَارْحَمْني، إنَّكَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ. لاإلٰهَإلاّ أنْتَ، سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ»[7]. وفي رواية: «بحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ»[8]. وفي أُخرى: «بحقّ محمّد وآل محمّد»[9]. وقيل: هي: "رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا". الآية[10]. ﴿ فَتَابَ ﴾ الله ﴿ عَلَيْهِ ﴾ بها ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ ﴾ قال: «القابل للتّوبات»[11]. ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ قال: «بالتّائبين»[12].

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾. قال: «أُمروا أوّلاً بالهبوط، وثانياً بأنْ لايتقدّم أحدهم الآخرين»[13]. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشّرط. ولذلك حسن النّون من غير طلب؛

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٤
٤ـ القمّي ١: ٤٣.
٥ـ كنز العمّال ١٥: ٥٤٨، الحديث: ٤٢١٢٣.
٦ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٢٤.
٧ـ الكافي ٨: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٢، عن أحدهما عليهما السّلام.
٨ـ معاني الأخبار: ١٢٥، الحديث: ٢؛ و الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٢، مرفوعة.
٩ـ الاحتجاج ١: ٥٥، عن النّبيّ ﷺ.
١٠ـ البيضاوي ١: ١٤٣. والآية في الأعراف (٧): ٢٣.
١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام ﷺ. ٢٢٤.

والشّرط الثّاني مع جوابه جواب الشّرط الاوّل[١].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: دلالاتنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «اولاد يعقوب»[٢]. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «ان بعثت محمّداً و اقررته في مدينتكم و لم أُجشّمْكم الحطّ[٣] والتّرْحال إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه، كيلا يشتبه عليكم حاله»[٤]. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: «الّذي أخذته على أسلافكم، بلسان انبيائهم، وأمرتهم أن يؤدّوه إلى اخلافهم، ليؤمننّ بمحمّد العربيّ المؤيّد بالمعجزات»[٥]. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: «الّذي اوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة»[٦]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ قال: «في مخالفة محمّد فإنّي القادر على صرف بلاء مَنْ يعاديكم على موافقتي، وهم لايقدرون على صرف انتقامي عنكم، إذا آثرتم مخالفتي»[٧]. وفي رواية: «اوفوا بولاية عليّ، فرضاً من الله، أُوف لكم بالجنّة»[٨].

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ قال: «فإنّ مثل هذا الذّكر في كتابكم»[٩]. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾. قيل: فيه تعريض بانّ الواجب أن تكونوا اوّل مؤمن به، لانّهم كانوا عالمين بشانه، مستفتحين به، مبشّرين بزمانه[١٠]. ورد: «إنّ هؤلاء يهود المدينة، جحدوا نبوّة محمّد وخانوه بعد ما عرفوه، وقالوا: نحن نعلم انّ محمّداً نبيّ وانّ

١- البيضاوي ١: ١٤٤.

٢- تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧.

٣- اجشمني فلان امراً و جشّمنيه: كلّفني، والحطّ: النّزول و وضع الاحمال عن الدّوابّ. لسان العرب ١٢: ١٠٠ و٧: ٢٧٢ (جشم، حطط).

٤، ٥، ٦، ٧ و ٩- تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧-٢٢٨.

٨- العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

١٠- البيضاوي ١: ١٤٨.

عليّاً وصيّه؛ ولكن لستَ أنت ذلك. ولا هذا، ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة»[١].

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾. قال: «كان لهم مأكلة على قومهم في كلّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النّبيّ، فحرّفوا لذلك آياتٍ من التّوراة، فيها صفته وذكره؛ فذلك الثّمن الّذي أُريد به في الآية»[٢]. ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ قال: «في كتمان أمر محمّد وأمر وصيّه»[٣].

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: «لاتخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه وتجحدوه من وجه»[٤]. ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ قال: «من نبوّة هذا وإمامة هذا»[٥]. ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال: «إنّكم تكتمونه؛ تكابرون علومكم وعقولكم»[٦].

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال: «المكتوبة الّتي جاء بها محمّد ﷺ، وأقيموا أيضاً الصّلاة على محمّد وآله»[٧]. ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ قال: «من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمت، ومن معونتكم إذا التمست»[٨]. وفي رواية: «هي الفطرة الّتي افترض الله على المؤمنين»[٩]. قال: «نزلت الزّكاة وليست للنّاس الأموال، وإنّما كانت الفطرة»[١٠].

﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ قال: «تواضعوا مع المتواضعين؛ لعظمة الله في الانقياد لأولياء الله»[١١]. وقيل: صلّوا في الجماعة[١٢].

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ قال: «بالصّدقات وأداء الأمانات»[١٣]. ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾: تتركونها ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قال: «التّوراة الآمرة لكم بالخيرات،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٩.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٩٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ إلى ٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٩.
٩ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ المصدر: ٤٣، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣١
١٢ـ البيضاوي ١: ١٥٠.
١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.

النّاهية عن المنكرات»[١]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لاتأخذون، وفي نهيكم عمّا أنتم فيه منهمكون ـ قال: ـ نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم»[٢]. وفي رواية: «نزلت في الخطباء والقصّاص»[٣].

أقول: وهي جارية في كلّ من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ «عن الحرام؛ على تادية الامانات، و عن الرّياسات الباطلة على الاعتراف بالحقّ واستحقاق الغفران والرّضوان ونعيم الجنان». كذا ورد[٤]. وفي رواية: «إنّ الصبرَ الصيام»[٥]. ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾ قال: «الصّلوات الخمس والصّلاة على محمّد و آله»[٦]. وفي رواية: «كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء، فزع إلى الصّلاة، ثمّ تلا هذه الآية»[٧]. و روي مثله عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً[٨]، فتشتمل غير الخمس. ﴿وَإِنَّهَا﴾ القمّي: يعني الصّلاة[٩]. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: «عظيمة»[١٠].

أقول: يعني ثقيلة شاقّة، لقوله تعالى: "كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ"[١١].

﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال: «الخائفين عقاب الله في مخالفته في أعظم فرائضه»[١٢]. قيل: وذلك لانّ نفوسهم مرتاضة بامثالها، متوقّعة في مقابلها ما يستخفّ لاجله مشاقّها ويستلذّ بسببه متاعبها، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: «جعلت قرّة عيني في الصّلاة»[١٣].

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.
٣ ـ القمّي١: ٤٦، و فيه: «الخطّاب» بدل «الخطباء».
٤ و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
٥ ـ الكافي ٤: ٦٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ المصدر٣: ٤٨٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان١ ـ ٢: ٩٩.
٩ ـ القمّي ١: ٤٦.
١٠ و١٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
١١ ـ الشّورى(٤٢): ١٣.
١٣ ـ البيضاوي ١: ١٥١.

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ قال: «يوقنون أنّهم يبعثون»[١]. وفي رواية: «يقدّرون ويتوقّعون أنّهم يلقون ربّهم، اللّقاء الّذي هو أعظم كرامته لعباده ـ قال ـ: وإنّما قال "يظنّون" لأنّهم لايدرون بماذا يختم لهم، لانّ العاقبة مستورة عنهم، لايعلمون ذلك يقيناً، لانّهم لا يأمنون أن يغيّروا ويبدّلوا»[٢]. ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ قال: «إلى كراماته ونعيم جنّاته»[٣].

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «أن بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنّبوّة، فهدیا هم إلى نبوّة محمّد و وصيّة عليّ وإمامة عترته عليهم السّلام، وأخذا عليهم بذلك، العهود، إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان»[٤].
﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ قال: «فضلت أسلافكم في دينهم بقبول ولاية محمّد وآله، وفي دنياهم بتظليل الغمامة، وإنزال المنّ والسّلوى، وسقيهم من الحَجَرِ ماءً عذباً، وفلق البحر لهم، وإنجائهم من الغَرَقِ، وغرق أعدائهم»[٥]. ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: «عالمي زمانهم الّذين خالفوا طريقتهم وحادوا عن سبيلهم»[٦]. «وإنّما خاطب اللهُ الأخلافَ بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم، لرضاهم به، ولأنّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يتخاطبون بمثل ذلك»[٧]. كذا ورد.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا ﴾ قال: «وقت النّزع»[٨]. ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ قال: «لاتدفع عنها عذاباً قد استحقّته»[٩]. ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ قال: «بتأخير الموت»[١٠]. ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ قال: «فداء، بأن تمات وتترك

١ـ العيّاشي ١: ٤٤، الحديث: ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يوقنون أنّهم مبعوثون».
٢ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٤ـ المصدر: ٢٤٠، و فيه نسبة فعل الهداية و الأخذ إلى الله تعالى.
٥ و٦ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.
٧ـ المصدر: ٢٧٢.
٨، ٩ و١٠ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.

هي. قال: هذا يوم الموت، فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني عنه، فأمّا في القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء»[١]. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني في دفع الموت والعذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ قال: «واذكروا إذ أنجينا أسلافكم»[٢].

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: "اذكروا نعمتي".

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «و هم الّذين كانوا يؤلون إليه بقرابته وبدينه ومذهبه»[٣].

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ قال: «كانوا يعذّبونكم»[٤].

أقول: من سامه الأمر: كلّفه إيّاه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال: «شدّة العذاب. و كان من عذابهم الشّديد أنّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطّين و يخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطّين على السّلاليم إلى السّطوح، فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[٥]، ولا يحفلون[٦] بهم»[٧]. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾. قال: «و ذلك لمّا قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يده هلاكك و زوال ملكك»[٨]. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ قال: «يبقونهنّ ويتّخذونهنّ إماء»[٩].

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: في الإنجاء ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «نعمة»[١٠]. ﴿عَظِيمٌ﴾ قال: «كبير»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٠ـ٢٤١.
٢، ٣ و٤ـ المصدر: ٢٤٢ـ٢٤٣.
٥ـ رجل زَمِن: مبتلىً بيّن الزّمانة، و الزّمانة: العاهة. لسان العرب ١٣: ١٩٩ (زمن).
٦ـ الحفل: المبالاة. يقال: ما أحفل بفلان. أي ما أُبالي به. لسان العرب ١١: ١٥٩ (حفل).
٧ و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٣.
٩، ١٠ و١١ـ المصدر. ٢٤٤

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ قال: «واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض»[١]. ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ قال: «هناك»[٢]. ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «فرعون وقومه»[٣]. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إليهم وهم يغرقون»[٤].

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: «وعده الله أن يعطيه التّوراة بعد هلاك فرعون، وضرب له ميقاتاً ثلاثين يوماً، فاستاك بعد مضيّ ثلاثين، فذهب طيب فمه فأتمّه بعشر». كذا ورد[٥]. ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ومعبوداً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. يأتي قصّته في الأعراف إن شاء الله[٦].

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. قال: «يعني عفونا عن أوائلكم عبادة العجل، لعلّكم ـ يا أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني إسرائيل ـ تشكرون تلك النّعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم»[٧].

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: «التّوراة»[٨]. ﴿ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ قال: «فرّق ما بين الحقّ والباطل، والمحقّ والمبطل»[٩]. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً؛ يقتل من لم يعبد العجل من عبده»[١٠]. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾؛ «لأنه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدّنيا ثمّ تكونوا في النّار خالدين»[١١]. كذا ورد. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «قبل توبتكم، قبل استيفاء القتل لجماعتكم وقبل إتيانه على كافّتكم، وأمهلكم للتّوبة

١، ٢، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٥.
٥ـ المصدر: ٢٤٨ـ٢٥٠.
٦ـ في ذيل الآية: ١٤٣.
٧، ٨و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٢.
١٠و١١ـ المصدر: ٢٥٤.

واستبقاكم للطّاعة»[١]. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ قال: «أسلافكم»[٢]. ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: «عياناً»[٣]. ورد: «إنّهم السّبعون الّذين اختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك رايت الله فارناه كما رأيته؛ فقال لهم: إنّي لم اره فقالوا له ذلك»[٤]. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إلى الصّاعقة تنزل»[٥].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قال: «الحياة الّتي فيها تتوبون وتقلعون، لكيلا تخلّدوا في النّار»[٦].

اقول: ويأتي تمام الكلام في سؤالهم الرّؤية في الأعراف إن شاء الله[٧].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال: «لمّا كنتم في التّيه[٨] تقيكم من حرّ الشّمس وبرد القمر»[٩]. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ قال: «التّرنجبين كان يسقط على شجرهم، فيتناولونه». ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ قال: «السُّماني اطيب طير كان يسترسل بهم، فيصطادونه»[١٠]. وفي رواية: «ينزل عليهم باللّيل المنّ فياكلوه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٤.
٢و٣ـ المصدر: ٢٥٦.
٤ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٦١، الباب: ١٢، الحديث: ١.
٥و٦ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢٥٦.
٧ـ في ضمن الآية: ١٥٥.
٨ـ التّيه في اللّغة: المفازة يتاه بها. و تيهُ بني إسرائيل: الصّحراء الّتي تاهوا بها اي حاروا، فلم يهتدوا للخروج منها، و هي ارض بين «ايلة» و «مصر» و «بحر القلزم» و جبال «السَّراة» من ارض الشّام يقال: إنّها اربعون فرسخاً في مثلها، و قيل: اثناعشر فرسخاً في ثمانية فراسخ. «راجع معجم البلدان٢: ٦٩ و لسان العرب ١٣: ٤٨٢ـ تيه».
٩و١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.
١١ـ القمّي ١: ٤٨

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ ﴾ قال: «قال الله: كلوا»[1]. ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ قال: «لمّا غيّروا وبدّلوا ما به أُمروا، ولم يفوا بما عليه عاهدوا؛ لأنّ كفر الكافر لايقدح في سلطاننا، كما انّ إيمان المؤمن لايزيد في سلطاننا»[2]. ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ قال: «هي "أريحا"[3] من بلاد الشّام؛ وذلك حين خرجوا من التّيه»[4]. ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[5]. ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ قال: «باب القرية»[6]. ﴿ سُجَّدٗا ﴾: ساجدين لله ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ قال: «سجودنا لله حطّة لذنوبنا، ومحو لسيّئاتنا»[7]. ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ السّالفة ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: «من لم يقارف[8] الذّنب منكم ثواباً»[9].

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾ قال: «لم يسجدوا كما أُمروا، ولاقالوا ما أُمروا، بل دخلوها باستاههم[10]، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوّتها، احبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول»[11].

﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾. قيل: كرّره مبالغةً في تقبيح امرهم، وإشعاراً بانّ الإنزال عليهم لظلمهم على انفسهم، ولوضع غير المامور به موضعه[12]. ﴿ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: عذاباً. وهو في الاصل ما يعاف عنه، كالرّجس. ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ قال: «يخرجون عن أمر الله وطاعته. قال: والرّجز الّذي اصابهم، أنّه مات بالطّاعون

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.

٣ـ مدينة الجبّارين في الغور من ارض الأُردنّ بالشّام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. معجم البلدان١: ١٦٥.

٤،٥،٦،٧،٩ و١١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٩ـ٢٦٠.

٨ـ قارف الذّنب: داناه و لاصقه. النّهاية ٤: ٤٥ (قرف).

١٠ـ الأست: العجز و جمعه: أستاه. «الصّحاح ٦: ٢٢٣٣ـ سته». و في مجمع البيان ١ـ٢: ١١٩. «كانوا لقد أُمروا أن يدخلوا الباب سجّداً وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه راحفين على أستاههم».

١٢ـ راجع: البيضاوي١: ١٥٦.

منهم في بعض يوم، مائة وعشرون ألفاً وهم الّذين في علم الله أنّهم لايؤمنون ولايخرج من صلبهم ذريّة طيّبة»[١].

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ قال: «لمّا عطشوا في التّيه وضجّوا إليه بالبكاء»[٢]. ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قال: «فضربه بها داعياً بمحمّد و آله الطّيّبين، فانفجرت»[٣]. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ قال: «كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب»[٤]. ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ قال: «ولايزاحم الآخرين في مشربهم»[٥]. ﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾: من المنّ والسّلوى والماء ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ اي: لاتعتدوا؛ من العثوّ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ قال: «المنّ والسّلوى ولابدّ لنا من خلط معه»[٦]. ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ قال: «الفوم: الحنطة»[٧]. ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ قال: «اتستدعون الادون ليكون لكم بدلاً من الافضل؟»[٨]. ﴿ٱهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: «من الامصار»[٩]. ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ قال: «الجزية والفقر»[١٠].

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ قال: «رجعوا و عليهم الغضب واللّعنة»[١١]. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قال: «يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس»[١٢]. قيل: جرّهم العصيان والاعتداء فيه، إلى الكفر بالآيات وقتل النّبيّين؛ فإنّ صغار الذّنوب تؤدّي إلى كبارها، كما انّ صغار الطّاعات

١ إلى ٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦١
٦ ـ المصدر: ٢٦٣.
٧ ـ القمّي ١: ٤٨.
٨ إلى ١٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٣.

تؤدّي إلى كبارها[١] . وفي رواية: «والله ما ضربوهم بأيديهم ولاقتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً»[٢] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قال: «بالله وبما فرض عليهم الإيمان به»[٣] . ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ قال: «يعني اليهود»[٤] . ﴿ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم في دين الله متناصرون»[٥] . وفي رواية: «الّذين هم من قرية يقال لها: "ناصرة" من بلاد الشّام»[٦] . ﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم صبّوا إلى دين الله وهم كاذبون»[٧] .

أقول: «صبّوا» أي: «مالوا» إن لم يهمز، و«خرجوا» إن كان بالهمز . والقمّي: إنّهم ليسوا من أهل الكتاب، ولكنّهم يعبدون الكواكب والنّجوم[٨] .

﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ منهم ﴿ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ : «عهودكم: أن تعملوا بما في التّوراة وما في الفرقان الّذي اعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوّة محمّد و وصيّة عليّ والطّيّبين من ذرّيّتهما، وأن تؤدّوا إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه» . كذا ورد[٩] . ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ قال: «الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين، قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم»[١٠] .

١ـ البيضاوي ١: ١٥٧ .
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله (عليه السلام) .
٣، ٤ و٥ـ تفسير الإمام (عليه السلام): ٢٦٤ .
٦ـ عيون أخبار الرّضا (عليه السلام) ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠ .
٧ـ تفسير الامام (عليه السلام): ٢٦٥ .
٨ـ القمّي ١: ٤٨ .
٩ و١٠ـ تفسير الإمام (عليه السلام): ٢٦٦ .

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾. قال: «قال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أُمرتم به فيه، وإمّا أن أُلقي عليكم هذا الجبل، فأُلجئوا إلى قبوله كارهين، إلّا من عصمه الله من العناد؛ فإنّه قَبِلَه طائعاً مختاراً. ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفّروا، وكثير منهم عفّر خدّيه لا لإرادة الخضوع لله، ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا»[١]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال: «من قلوبكم ومن أبدانكم»[٢]. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قال: «من جزيل ثوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إبائكم له»[٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: «لتتّقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك، الثّواب»[٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ قال: «عن القيام به»[٥]. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال: «بإمهالكم للتّوبة، وإنظاركم للإنابة»[٦]. ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ قال: «لمّا اصطادوا السّموك فيه»[٧]. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مبعدين عن كلّ خير»[٨].

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ قال: «المسخة الّتي اخزيناهم ولعنّاهم بها»[٩]. ﴿نَكَالًا﴾ قال: «عقوبةً»[١٠]. ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: «من ذنوبهم الموبقات الّتي بها استحقّوا العقوبة»[١١]. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال: «وردعاً للّذين شاهدوهم بعد مسخهم الّذين يسمعون بها من بعدها، لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم»[١٢]. ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٤ـ المصدر: ٢٦٧، وفيه: «جزيل الثّواب».
٥و٦ـ المصدر: ٢٦٧.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ٢٦٨.
١٠ـ المصدر: ٢٦٨، وفيه: «عقاباً وردعاً».
١١و١٢ـ المصدر: ٢٦٨.

ويأتي قصّتهم في الأعراف إن شاء الله[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾. ملخّص ما ورد في بيان هذه القصّة: «انّ رجلاً من خيارهم خطب امرأةً منهم حسناء، فأُجيب، وخطبها ابن عمّ له، فَرُدَّ فحسده فقتله، وحمله إلى موسى عليه السلام وقال: ابن عمّي هذا قُتِلَ ولاادري من قَتَلَهُ. فأمر الله موسى أن يأمرهم بذبح بقرة يضربون ببعضها المقتول، ليحيى ويخبرهم بالقاتل. فسألوا عن صفتها لجاجاً وسوء ظنّ بموسى، فتعيّنت وانحصرت في واحدة، فطلبوها فلم يجدوا إلاّ عند شابّ كان لايبيعها إلاّ بملأ جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فاخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملأ جلدها ذهباً»[2].

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ قال: «سخرية»[3]، «نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة»[4]. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾. قال: «انسب إلى الله ما لم يقل لي[5]، ـقال ـ: فعلموا أنّهم قد أخطأوا»[6].

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ قال: «ما صفتها لنقف عليها»[7]. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾: إنّ الله ﴿يَقُولُ﴾ قال: «بعد ما سال ربه»[8]. ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ قال: «لا كبيرة ولا صغيرة»[9]. ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ قال: «وسط بين الفارض والبكر»[10]. ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾ قال: «إنّ الله يقول»[11]: ﴿إِنَّهَا

١ ـ في ذيل الآية: ١٦٣.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٣ـ٢٧٥.
٣ ـ المصدر: ٢٧٥.
٤ و٦ ـ القمّي ١: ٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥، ٧، ٨، ٩ و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٦.
١١ ـ المصدر: ٢٧٧.

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ قال: «حسنة الصفرة، ليس بناقص يضرب إلى البياض؛ ولا بمشبع يضرب إلى السواد»[١]. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ قال: «لبهجتها وحسنها وبريقها»[٢].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ قال: «ما صفتها؟ يزيد في صفتها»[٣]. ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. قال: «لو لم يستثنوا، لما بيّنت لهم آخر الابد»[٤].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ قال: «لم تذلّل لإثارة الارض[٥] ولم ترض[٦] بها»[٧]. ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ قال: «ولا هي مما تجرّ الدلاء ولا تدير النواعير، قد اعفيت من ذلك اجمع»[٨]. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ قال: «من العيوب كلّها»[٩]. ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال: «لا لون فيها من غيرها»[١٠]. ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال: «من عظم ثمن البقرة»[١١]. قال: «لو عمدوا إلى ايّ بقرة اجزاهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم»[١٢].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال: «اختلفتم وتدارأتم: ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض وادرأه عن نفسه و ذويه»[١٣]. ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: «من

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧. و البريق: التلألؤ. يقال: برق السّيف و غيره، إذا لمع و تلألأ، و الاسم: البريق. لسان العرب ١٠: ١٥ (برق).

٣ـ المصدر: ٢٧٧.

٤ ـ البيضاوي ١: ١٦٢؛ والدرّ المنثور ١: ٧٧.

٥ ـ ارض مثارة: إذا أثيرت بالسّن، وهي الحديدة الّتي تحرث بها الأرض. و أثار الارض: قلبها على الحبّ بعد ما فتحت مرّة. لسان العرب ٤: ١١١ (ثور).

٦ ـ الرّضّ: دقّ الشّيء. و إبل رضارض: راتعة، كأنّها ترضّ العُشب. لسان العرب ٤: ١٥٤ (رضض)

٧، ٨، ٩ و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧.

١١ ـ المصدر: ٢٨١.

١٢ـ العيّاشي ١: ٤٦، الحديث: ٥٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

خبر القاتل وإرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لايجيبه إليه»[١] .

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ قال: «اضربوا الميّت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من قتلك؟ فأخذوا ذنبها وضربوه به، فقام سالماً سوياً وقال: يا نبيّ الله! قتلني ابن عمّي هذا، فقاده موسى عنه»[٢] . ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ قال: «في الدّنيا والآخرة؛ كما أحيا الميّت بملاقاة ميّت آخر؛ امّا في الدّنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وامّا في الآخرة، فينزل بين نفختي الصّور من دوين السّماء من البحر المسجور منيّاً كمنيّ الرّجال، فيمطر ذلك على الارض فيلقي الاموات البالية، فينبتون من الارض ويحيون»[٣] .﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ قال: «غلظت وجفّت ويبست[٤] من الخير والرّحمة، قلوبكم معاشر اليهود!»[٥] . ﴿ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ قال: «من بعد ما تبيّنت الآيات الباهرات»[٦] . ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ قال: «اليابسة؛ لاترشح برطوبة، ولاينتفض[٧] منها ماينتفع به. أي: إنّكم لاحقّ الله تؤدّون، ولا من اموالكم ولا من حواشيها[٨] تتصدّقون، ولا بالمعروف تتكرّمون وتجودون، ولا الضّيف تقرُون، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانيّة تعاشرون وتعاملون»[٩] . ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ قال: «فيجيئ بالخير و النّبات لبني آدم. ابهم اوّلاً بالتّرديد، ثمّ بيّن انّ قلوبهم

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢ .

٢ـ المصدر: ٢٧٨، و فيه: «قتلني هذان ابناعمّي».

٤ـ في المصدر: «يبست».

٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣ .

٧ـ نفضت الثّوب والشّجر أنفضه: إذا حرّكته لينتفض. والنَّفَض ـ بالتّحريك ـ ما تساقط من الورق و الثّمر. لسان العرب ٧: ٢٤٠ (نفض).

٨ـ في المصدر: «مواشيها».

٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣ .

أشدّ قسوة من الحجارة». كذا ورد[1]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ قال: «وهو ما يقطر منه الماء دون الأنهار»[2]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قال: «إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه»[3]. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ قال: «يا محمّد أنت وأصحابك»[4]. ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ قال: «هؤلاء اليهود، يصدّقوكم بقلوبهم»[5]. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قال: «في أصل جبل طور سيناء»[6]. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال: «عمّا سمعوه، إذا أدّوه إلى من وراءهم»[7]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنّهم في تقوّلهم كاذبون»[8]. قيل: يعني: أنّ أحبارهم ومقدّميهم كانوا كذلك، فما طمعكم بسَفَلتهم وجهّالهم[9]؟

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «من دلائل نبوّة محمّد و إمامة عليّ»[10]. ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قال: «بأنّكم قد علمتم هذا وشاهدتموه، فلِمَ لم تؤمنوا[11] به ولم تطيعوه؟»[12]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «إنّ الّذي تخبرونهم به، حجّة عليكم عند ربكم»[13].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: «هؤلاء القائلون لإخوانهم: "أتحدّثونهم"»[14]. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٤.
٣ ـ المصدر: ٢٨٤.
٤و٥ ـ المصدر: ٢٩١.
٦، ٧و٨ ـ المصدر: ٢٩٢.
٩ ـ البيضاوي ١: ١٦٤.
١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.
١١ ـ في المصدر: «فلم تؤمنوا به و لم تطيعوه».
١٢، ١٣و١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: «لا يقرؤون ولايكتبون. والأُمّي منسوب إلى الأُمّ، أي: هو كما خرج من بطن أُمّه لايقرأ ولايكتب»[١]. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ قال: «إلّا أن يُقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه، لايعرفون أنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه»[٢].

أقول: يعني: إلّا ما يقدّرون في أنفسهم من مُنىً أخذوها تقليداً من المحرّفين للتّوراة واعتقدوها، لم يعرفوا أنّه خلاف ما في التّوراة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لا علم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ قال: «شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم»[٣]. ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: يحرّفون من أحكام التّوراة ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾. «كتبوا صفة النّبيّ ﷺ بخلاف ما هو به، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان، وأنّه يجيء بعد هذا الزّمان بخمسمائة سنة». كذا ورد[٤]. ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: «لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم منهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله ﷺ»[٥]. ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ قال: «شدّة العذاب ثانية[٦] مضافة إلى الأُولى»[٧]. ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: «من الأموال الّتي يأخذونها إذا أثبتوا عوامّهم على الكفر»[٨].

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. قيل: وهي الّتي عبدنا فيها العجل[٩]. قال: «وهي تنقضي ثمّ نصير بعده في النّعمة في الجنان، ولانستعجل المكروه في الدّنيا

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٩.
٣، ٤ و٥ ـ المصدر: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٦ ـ في «الف»: «ثانية».
٧ و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٩ ـ البيضاوي ١: ١٥٦؛ والقمّي ١: ٥١.

للعذاب الّذي هو بقدر أيّام ذنوبنا»[١]. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ قال: «إنّ عذابكم على كفركم منقطع غير دائم؟»[٢]. ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ يعني: فإن اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده. ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «بل أنتم في أيّهما ادّعيتم كاذبون»[٣]. قال: «بل ما هو إلاّ عذاب دائم لانفاد له»[٤].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾. قال: «السيّئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله، و تنزعه عن ولاية الله و تؤمّنه من سخط الله[٥]؛ و هي الشّرك بالله، والكفر به و بنبوّة محمّد، و ولاية عليّ وخلفائه عليهم السّلام. كلّ واحد من هذه سيّئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتبطلها و تمحقها»[٦]. ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «عهدهم المؤكّد عليهم»[٧].

أقول: وهو جارٍ في أخلافهم لما أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، و جارٍ في هذه الأمّة أيضاً كما يظهر ممّا يأتي.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال: «لاتشبّهوه بخلقه، ولاتجوّروه في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره»[٨]. قال: «من شغله عبادة الله عن مسألته، أعطاه الله أفضل ما يعطي السّائلين»[٩].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: «وأن تحسنوا بهما إحساناً، مكافاة عن إحسانهما إليكم وإنعامهما عليكم»[١٠]. «والحقّ محمّد و عليّ اللّذين هما أبوا هذه الأمّة عليهم أعظم من

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٤.
٣، ٤و٦ـ المصدر: ٣٠٤ـ٣٠٥.
٥ـ في المصدر: «و ترميه في سخط الله»، و في بعض نسخ المصدر: «لاتؤمّنه من سخط الله».
٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦
٩ـ المصدر: ٣٢٧، عن أبي محمّد عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
١٠ـ المصدر: ٣٢٦

حقّ أبوي ولادتهم، لأنّهما ينقذانهم من النّار إن أطاعوهما». كذا ورد[١] ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ : «وأن تحسنوا بقراباتكم منهما لكرامتهما. ولحقّ قربى محمّد وعليّ أعظم من حقّ قربى أبوي النّسب، على قدر زيادة فضل محمّد وعليّ». كذا ورد[٢].
﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ : الّذين فقدوا آباءهم الكافين[٣] لهم أمورهم. «وأشدّ منهم يتماً يتيم عن إمامه[٤]، ابتلي بجهالة شرايع دينه، فمن علّمه و هداه من علماء الشيعة كان مع أئمّته في الرّفيق الأعلى». كذا ورد[٥]. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ : «مَنْ سكّنَ الضرُّ و الفقرُ حَركَتَه. وأفضل من مواساتهم، مواساة الّذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم عن مقاتلة أعداء الله، الّذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون احلامهم، بتقويتهم بفقهه وعلمه، حتّى أزال مسكنتهم، ثمّ سلّطهم على الأعداء الظّاهرة؛ من الإنس، والأعداء الباطنة؛ من مردة الأبالسة، حتّى يهزموهم عن دين الله». كذا ورد[٦].

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ «كلّهم: مؤمنهم ومخالفهم؛ امّا المؤمن فببسط الوجه والبشر؛ وامّا المخالف فبالمداراة، ليكفّ بذلك شرّه عن نفسه وإخوانه». كذا ورد[٧]. وفي رواية: «قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون ان يقال لكم»[٨].

أقول: و امّا ما ورد: «أنّها نزلت في أهل الذّمّة ثمّ نسخت بآية القتال»[٩]، فلا ينافي

١ـ تفسير الإمام ﷺ: ٣٣٠، عن امير المؤمنين ﷺ، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ المصدر: ٣٢٦و٣٣٤.
٣ـ في المصدر: «الكافلين لهم».
٤ـ والأوفق بالسّياق: «يتيم انقطع عن إمامه».
٥ـ تفسير الإمام ﷺ: ٣٢٦و٣٣٩.
٦ـ المصدر: ٣٤٥و٣٤٦.
٧ـ المصدر: ٣٥٣و٣٥٤.
٨ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث ١٠، عن أبي جعفر ﷺ.
٩ـ الخصال ١: ٢٧٥، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

ما قلناه، لجواز كونها إنّما نسخت في حقّ المأمورين بقتالهم، وبقي حكمها في سائر النّاس.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ «أيها اليهود، عن الوفاء بالعهد الّذي أدّاه إليكم أسلافكم». كذا ورد[1]. ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «عن ذلك العهد، تاركين له، غافلين عنه»[2].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ قال: «لا يخرج بعضكم بعضاً»[3]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «بذلك الميثاق، كما أقرّبه أسلافكم والتزمتموه كما التزموه»[4]. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قال: «بذلك على أسلافكم وأنفسكم»[5].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ قال: «معاشر اليهود»[6]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: النّاقضون. وهذا مثل قول القائل: أنت ذلك الرّجل الّذي فعل كذا. وهو استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشّهادة عليه. ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً»[7]. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ غضباً وقهراً عليهم[8]، كما فعل عثمان بأبي ذرّ، حين أخرجه إلى «الرّبذة» وكان قد أخبر به النّبيّ ﷺ أباذرّ، وقال له: «هذه الآية نزلت فيك وفي خصمك». كذا ورد[9]. ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ قال: «يظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه وقتل من تقتلونه، بغير حقّ»[10]. ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء الّذين تخرجونهم، أي: ترومون إخراجهم أو قتلهم ظلماً»[11]. ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ قال: «قد أسرهم أعداؤكم وأعداؤهم»[12]. ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قال: «من الأعداء بأموالكم»[13].

١ ـ تفسير الإمام ؏: ٣٦٥.
٢ ـ المصدر ٣٢٧.
٣ ـ المصدر: ٣٦١.
٤ إلى ٨ ـ المصدر: ٣٦٧.
٩ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ ـ ٥٤.
١٠ ـ تفسير الإمام ؏: ٣٦٧.
١١، ١٢ و١٣ ـ المصدر: ٣٦٧.

أقول: وهذا كما «اعترف به عثمان لأبي ذرّ أنّه يفديه بكلّ ما يملك إن أسره المشركون، ولم يرضوا إلاّ بذاك» كما ورد[1].

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. «أعاد إخراجهم، لئلاّ يتوهّم انّ المحرّم إنّما هو مفاداتهم». كذا ورد[2].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ قال: «وهو الّذي أوجب عليكم المفاداة»[3]. ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ قال: «و هو الّذي حرّم عليكم قتلهم و إخراجهم»[4]. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ قال: «ذلّ»[5]. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «جزية تضرب عليه و يذلّ بها»[6]. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال: «التوراة المشتمل على الاحكام، ونبوّة محمّد، وإمامة عليّ وخلفائه»[7]. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قال: «جعلنا رسولاً في اثر رسول»[8]. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ قال: «اعطيناه الآيات الواضحات: إحياء الموتى، وإبراء الاكمه والأبرص، والإنباء بما ياكلون وما يدّخرون في بيوتهم»[9]. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: «و هو جبرئيل»[10]. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ ايها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: «عن الإيمان و الاتّباع»[11]. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى و عيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: «قتل أسلافكم زكريّا ويحيى؛ وانتم

١ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ـ٥٤.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
٣، ٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٨.
٧، ٨، ٩و١٠ـ المصدر: ٣٧١.
١١ ـ البيضاوي ١: ١٦٩.

رمتم قتل محمّد ليلة العقبة، وقتل عليّ بالمدينة، فخيّب الله سعيكم و ردّ كيدكم في نحوركم». كذا ورد[١].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ـ بضمّ اللاّم جمع غلاف ـ قال: «أي: أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثمّ هي مع ذلك لاتعرف لك ـ يا محمّد ـ فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله»[٢]. قال: «وإذا قرئ "غُلْفٌ" يعني: بسكون اللاّم جمع أَغْلَفْ، فمعناه قلوبنا في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك، كقوله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنا في أَكِنَّةٍ ممَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ"[٣] ـ قال: ـ و كلتا القراءتين حقّ، و قد قالوا بهذا و هذا جميعاً»[٤]. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: «ابعدهم من الخير»[٥].

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «فإيماناً قليلاً[٦]، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض». كذا ورد[٧].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء اليهود»[٨]. ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال: «القرآن»[٩]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: «يعني التّوراة المشتمل على نبوّة نبيّنا، و ولاية عليّ». كذا ورد[١٠]. ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قال: «انْ ظهر محمّد بالرّسالة»[١١]. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قال: «يسالون الله الفتح والظّفر»[١٢]. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «من اعدائهم»[١٣]. «ويتوعّدونه به ويقولون: ليخرجنّ نبيّ، فليكسرنّ اصنامكم، وليفعلنّ بكم وليفعلنّ»[١٤]. «وإذا دهمهم امر[١٥]، دعوا الله بمحمّد وآله الطّيّبين، واستنصروا بهم، وكان الله يفتح لهم وينصرهم»[١٦].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
٢، ٤، ٥و٧ ـ المصدر: ٣٩٠.
٣ ـ فصّلت (٤١): ٥.
٦ ـ في «الف» و «ح»: «فإيماناً قليلاً يؤمنون».
٨ إلى ١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
١٤ ـ الكافي ٨: ٣١٠، الحديث: ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٥ ـ أدهمه: ساءه و دَهِمَكَ ـ كسَمِعَ و مَنَعَ ـ غَشِيَكَ. القاموس المحيط ٤: ١١٦ (دهم).
١٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٤

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ قال: «من نعت محمّد وصفته»[1]. ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: «جحدوا نبوّته حسداً له و بغياً عليه»[2]. ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ «باعوها بالهدايا والفضول الّتي كانت تصل إليهم من السّفلة، ورياستهم على الجهّال وبقاء عزّهم في الدّنيا و نيل المحرّمات، و كان الله امرهم بشرائها من الله بطاعتهم له، ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة». كذا ورد[3]. ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «اي على موسى من تصديق محمّد»[4]. وفي رواية: «بما أنزل الله في عليّ»[5]. ﴿بَغْيًا﴾: لبغيهم وحسدهم ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ «يعني تنزيل القرآن على محمّد الّذي ابان فيه نبوّته واظهر به آيته ومعجزته [و فضائل أهل بيته عليهم السّلام]»[6]. كذا ورد[7].

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال: «يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله في اثر غضب؛ فالغضب الاوّل حين كذّبوا بعيسى، فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام؛ والغضب الثّاني حين كذّبوا بمحمّد صلى الله عليه وآله فسلّط عليهم سيوف اصحابه حتّى ذلّلهم بها، فإمّا دخلوا في الإسلام طائعين، وإمّا أعطوا الجزية صاغرين»[8].

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ اي لهم. اظهر، لينبئ عن السّبب، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «على محمّد من القرآن»[9]. ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قال: «وهو التّوراة»[10]. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قال: «ما

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
٣ و ٤ ـ المصدر: ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٥ ـ راجع: الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٥؛ و العيّاشي ١: ٥٠، الحديث: ٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.
٧ و ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٢.
٩ و ١٠ ـ المصدر: ٤٠٤.

سواه»[١] . ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ قال: «لأنّه هو النّاسخ للمنسوخ الّذي تقدّمه»[٢] . ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ و هو التّوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ قال: «أي: فلِمَ كنتم تقتلون»[٣] . ﴿أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ «بالتّوراة؛ فإنّ فيها تحريم قتل الأنبياء، والأمر بالإيمان بمحمّد والقرآن، فما آمنتم بعد بالتّوراة». كذا ورد[٤] .

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ قال: «إلهاً»[٥] . ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «من بعد انطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته هارون»[٦] . ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بما فعلتم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ قال: «قلنا لهم: خذوا»[٧] . ﴿مَا آتَيْنَاكُم﴾ قال: «من هذه الفرائض»[٨] . ﴿بِقُوَّةٍ﴾ . قال: «قد أعطيناكموها ومكّنّاكم[٩] بها»[١٠] . ﴿وَاسْمَعُوا﴾ قال: «ما يقال لكم وتؤمرون به»[١١] .

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قال: «قولك»[١٢] . ﴿وَعَصَيْنَا﴾ قال: «أمرك»[١٣] . «قالوا: سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا، فـأمّا في الظّاهر فاعطوا كلّهم الطّاعة، داخرين صاغرين». كذا ورد[١٤] . ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ . قيل: تداخلهم حبّه و رسخ في قلوبهم صورته لفرط شعفهم به، كما يتداخل الصّبغ الثّوب، والشّراب أعماق البدن[١٥] .

و في رواية: «عمد موسى عليه السلام فبرد[١٦] العجل ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه في اليمّ، فكان

١ إلى ٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٤.

٥ و٦ ـ المصدر ٤٠٨

٧، ٨ و١٠ ـ المصدر: ٤٢٤.

٩ ـ في «ب» و «ج»: «و تحمّلناكم».

١١ إلى ١٤ ـ المصدر: ٤٢٥.

١٥ ـ البيضاوي ١: ١٧١.

١٦ ـ برد الحديد: سَحَلَه. و البُرادة: السُّحالة. و السُّحالة ـ بالضّمّ ـ: ما سقط من الذّهب و الفضّة إذا بُرِد. القاموس المحيط ١: ٢٨٦ و٣: ٤٠٥ (برد ـ سحل).

احدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرّض لذلك الرّماد[1] فيشربه»[2]. وفي أُخرى: «أُمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذُرّيت[3] سحالته في الماء الّذي أُمروا بشربه، ليتبيّن من عبده ممّن لم يعبده، باسوداد شفتيه وأنفه إن كان أبيض اللّون، وابيضاضها إن كان أسود؛ وذلك حين أنكروا عبادته لمّا أُمروا بقتل من عبده، فوصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم»[4].

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ قال: «بموسى والتّوراة أن تكفروا بي»[5]. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. قال: «كما تزعمون بموسى والتّوراة، ولكن معاذ الله! لا يأمركم إيمانكم بموسى والتّوراة الكفرَ بمحمّد ﷺ»[6].

﴿قُلْ﴾ قال: «قل يا محمّد لهؤلاء اليهود القائلين بأنّ الجنّة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وإنّا مبتلون بك ونحن أولياء الله المخلصون»[7]. ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ قال: «الجنّة ونعيمها»[8]. ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: «محمّد وأهل بيته و مؤمني أُمّته»[9]. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. قيل: لأنّ في التّوراة مكتوباً أنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولا يرهبونه[10]. والوجه في ذلك أنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها، وأحبّ التّخلّص إليها من الدّار ذات المحن. وفي رواية: «فتمنّوا الموت للكاذب منكم ومن مخالفيكم، ليستريح الصّادق منكما ويتّضح الحجّة؛ وذلك لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم المجاب دعاؤهم»[11].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من موجبات النّار، كالكفر بمحمّد و آله

١ ـ في المصدر: «بذلك للرّماد».
٢ ـ العيّاشي ١: ٥١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ ذرّيت: فرّقت.
٤، ٥ و ٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٢٦.
٧، ٨ و ٩ ـ المصدر: ٤٤٣ ـ ٤٤٢.
١٠ ـ القمّي ١: ٥٤.
١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٣.

والقرآن و تحريف التوراة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ قال: «ليأسهم عن نعيم الآخرة، لانهماكهم في كفرهم الّذي يعلمون أنّه لاحظّ لهم معه في شيء من خيرات الجنّة»[١].

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال: «وأحرص من الّذين أشركوا، يعني المجوس الّذين لايرون النّعيم إلاّ في الدّنيا، ولايأملون خيراً في الآخرة»[٢]. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: «يتمنّى»[٣]. ﴿وَمَا هُوَ﴾ قال: «التّعمير ألف سنة»[٤]. ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ قال: «مباعده»[٥]. ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾. «إنّما أبدل من الضّمير، و كرّر التّعمير، لئلاّ يتوهّم عوده إلى التّمنّي». كذا ورد[٦]. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ قال: «فعلى حسبه يجازيهم»[٧].

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾. «نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله ﷺ: لو كان الملك الّذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بك، فإنّه ملك الرّحمة يأتي بالسّرور والرّخاء وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب ينزل بالقتل والشّدّة و الحرب و هو عدوّنا». كذا ورد[٨].

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ قال: «يعني نزّل هذا القرآن»[٩]. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: «بأمر الله»[١٠].

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ «من كتب الله». كذا ورد[١١] ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «شيعة محمّد وعليّ»[١٢].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾. «وذلك قول من قال من النّصّاب، لمّا قال النّبيّ في عليّ: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و إسرافيل من خلفه وملك الموت أمامه و الله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرّضوان

١ إلى ٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٤.
٨ ـ القمّي ١: ٥٤.
٩، ١٠ و ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٩.
١٢ ـ المصدر: ٤٥١.

إليه ناصره. قال بعض النّصّاب: أنا أبرأ من الله وجبرئيل وميكائيل و الملائكة الّذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد. فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء، تعصّباً على عليّ، فإنّ الله يفعل بهم ما يفعل العدوّ بالعدوّ». كذا ورد[1].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: «دالأت على صدقك في نبوّتك وإمامة أخيك عليّ»[2]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «الخارجون عن دين الله وطاعته، من اليهود والنّواصب»[3].

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كعيسى ومحمّد[4]. وفي رواية: «رسول من عندالله اي: كتاب من عند الله القرآن»[5]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قال: «التّوراة وساير كتب انبياء الله»[6]. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: «تركوا العمل بما فيها من الامر باتّباعه حسداً». كذا ورد[7]. ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: «ما تقرأه كفرة الشّياطين، من السّحر والنّيرنجات[8]»[9]. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾: «على عهده. زعموا انّ سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به، وبذلك نال ما نال، و ملك ما ملك، و قدر على ما قدر. قالوا: ونحن ايضاً بالسّحر نظهر العجائب، حتّى ينقاد لنا النّاس ونستغني عن الانقياد لمحمّد واهل بيته». كذا ورد[10]. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ قال: «ولا استعمل السّحر كما قال هؤلاء الكافرون»[11]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قال: «يعني كفروا

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٥١.
٢و٣ ـ المصدر: ٤٥٩
٤ ـ أنظر: البيضاوي ١: ١٧٤.
٥، ٦، ٧و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١.
٨ ـ النّيرنج ـ بالكسر ـ: أخذٌ كالسّحر و ليس به. القاموس المحيط ١: ٢١٧ (النّورج).
١٠و ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ـ ٤٧٢

بتعليمهم النّاس السّحر الّذي تسبوه إلى سليمان»[١]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ قال: «وبتعليمهم إيّاهم ما أنزل على الملكين»[٢]. ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾.

قال: «كان بعد نوح عليه السّلام قد كثر السّحرة والمموّهون، فبعث الله ملكين إلى نبيّ ذلك الزّمان بذكر ما يسحر به السّحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم، فتلقّاه النّبيّ عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السّحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به النّاس ـ قال: ـ وذلك النّبيّ أمر الملكين ان يظهرا للنّاس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك و يعظاهم»[٣].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ﴾ قال: «ذلك السّحر و إبطاله»[٤]. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ قال: «للمتعلّم»[٥]. ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ قال: «امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون؛ فيبطلوا به كيد السّحرة[٦] و لا يسحروا»[٧]. ﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ قال: «باستعمال هذا السّحر»[٨].

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾ قال: «ممّا تتلوا الشّياطين وممّا أنزل على الملكين»[٩]. ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: «بتخلية الله[١٠] وعلمه، فإنّه لو شاء لمنعهم بالجبر و القهر»[١١]. ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ﴾ قال: «في دينهم»[١٢]. ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ فيه

﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ قال: «هؤلاء المتعلّمون»[١٣]. ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ قال: «بدينه الّذي ينسلخ عنه بتعلّمه»[١٤]. ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ قال: «من نصيب في ثواب الجنّة.

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ـ٤٧٢.
٢و٣ ـ المصدر ٤٧٢ـ٤٧٣.
٤، ٥، ٨و٩ ـ المصدر: ٤٧٣.
٦ ـ في «الف»: «كيد السّحر».
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٣، و فيه و في «ح»: «ولا يسحروا لهم».
١٠ ـ خلّى الأمر و تخلّى منه و عنه: تركه. القاموس المحيط ٤: ٣٢٧ (خلا).
١١ إلى ١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ـ٤٧٥.

وذلك لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة»[1]. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ قال: «باعوا»[2]. ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «و رهنوها بالعذاب»[3]. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: «أي: راع أحوالنا وراقبنا وتأنّ بنا فيما تلقّننا حتّى نفهمه. وذلك لأنّ اليهود لمّا سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله بقولهم: "راعنا" و كان "راعنا" في لغتهم سبّاً، بمعنى: اسمع لاسمعت. قال بعضهم لبعض: لو كنّا نشتم محمّداً إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له "راعنا" يريدون به شتمه، ففطن بذلك سَعْدُ بن مُعاذ، فلعنهم و أوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم، فنزلت». كذا ورد[4]. ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾: انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾. قال: «إذا قال لكم أمراً و أطيعوا»[5]. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الشاتمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: «آية بيّنة وحجّة معجزة لنبوّته وشرفه وشرف أهل بيته». كذا ورد[6]. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ قال: «بنبوّته»[7]. وفي رواية: «توفيقه لدين الإسلام وموالاة محمّد وعليّ»[8]. ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ قال: «بان نرفع حكمها»[9]. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: «بان نرفع

١ إلى ٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ـ٤٧٥.
٤ـ البرهان ١: ١٣٩، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام، مع تفاوت.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٩، و فيه: «إذا قال لكم رسول الله قولاً و أطيعوا».
٦ـ المصدر: ٤٨٩.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ١٧٩، عن أمير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام
٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٩
٩ـ المصدر: ٤٩١.

رسمها ونبلي[١] عن القلوب حفظها»[٢]. ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ قال: «بما هو اعظم لثوابكم و أجلّ لصلاحكم»[٣]. ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ قال: «من الصّلاح لكم. يعني: إنّا لاننسخ و لانبدّل إلّا وغرضنا في ذلك مصالحكم»[٤]. «وذلك لأنّ المصالح تختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، فإنّ النّافع في عصر وبالنّسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر وفي حقّ غير ذلك الشّخص». كذا ورد[٥]. قيل: نزلت حين قالوا: إنّ محمّداً يأمر أصحابه بأمر، ثمّ ينهى عنه ويأمر بخلافه[٦]. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ قال: «يلي صلاحكم»[٧]. ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ قال: «ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم»[٨].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ قال: «بل تريدون يا كفّار قريش واليهود»[٩]. ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ قال: «ما تقترحونه من الآيات الّتي لاتعلمون هل فيه[١٠] صلاحكم او فسادكم»[١١]. ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ قال[١٢]: «و اقترح عليه لمّا قيل له: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ"[١٣]». ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ قال: «بما يوردونه

١ ـ في المصدر: «نزيل».
٢، ٣و٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٥ ـ الاحتجاج ١: ٤٤و٤٥؛ وتفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣و٤٩٤.
٦ ـ البيضاوي١: ١٧٨.
٧و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١
٩، ١١و١٢ ـ المصدر: ٤٩٦
١٠ ـ كذا في النّسخ. و لعلّ الصّواب: «فيها» كما في المصدر
١٣ ـ البقرة(٢): ٥٥. والآية: «فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ».

عليكم من الشُّبه»[١]. ﴿حَسَدًا﴾ لكم ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ قيل: يعني من عند تشهّيهم، لا من عند تديّنهم[٢]. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: «فيهم بالقتل يوم فتح مكّة»[٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة و إنفاق مال أو جاه ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه. قال: «تحطّ به سيّئآتكم وتضاعف به حسناتكم وترفع به درجاتكم»[٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ قال: «يعني اليهود و النّصارى. قالت اليهود»[٥]: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ قال: «أي: يهوديّاً»[٦]. ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ قال: «يعني وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيّاً»[٧]. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: «الّتي يتمنّونها بلا حجّة»[٨]. ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ لما سمع الحقّ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال: «في عمله لله»[٩]. ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «حين يخاف الكافرون»[١٠]. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «حين الموت لأنّ البشارة بالجنان تاتيهم»[١١].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: «من الدّين؛ بل دينهم باطل وكفر»[١٢]. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: «من الدّين، بل دينهم باطل و كفر؛ و ذلك لأنّ كلاً من الفريقين مقلّد بلاحجّة». كذا ورد[١٣]. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥١٥. وَ الشُّبه جمع: «الشّبهة».
٢ ـ البيضاوي١: ١٨٠.
٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٠.
٥،٦و٧ ـ المصدر: ٥٢٦
٨ ـ المصدر: ٥٢٧.
٩،١٠و١١ ـ المصدر: ٥٤٣
١٢و١٣ ـ المصدر: ٥٤٤.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: «ولايتأمّلونه ليعملوا بما يوجبه، فيتخلّصوا من الضّلالة»[١]. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قال: «يكفّر بعضهم بعضاً»[٢] ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ لئلاّ تعمر بطاعة الله. وهو عامّ وإن نزل خاصّاً. قال: «هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة لمّا منعوهم من التّعبّد فيها بأن ألجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج عن مكّة»[٣]. وفي رواية: «مساجد الدّنيا كلّها بأن همّوا بقتل النّبيّ والوصيّ»[٤]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ من المؤمنين أن يبطشوهم[٥]. فهو وعد للمؤمنين بالنّصرة واستخلاص المساجد منهم. وقد أنجز وعده بفتح مكّة لمؤمني ذلك الزّمان، وسينجزه لعامّة المؤمنين حين ظهور العدل. قال: «خائفين من عدله وحكمه النّافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه»[٦]. وفي رواية مقطوعة: «يعني لايقبلون الإيمان إلاّ والسّيف على رؤوسهم»[٧]. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ قال: «وهو طردهم عن الحرم»[٨]. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يعني ناحيتي الارض. أي: له كلّها. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إذ لا يخلو منه مكان ولايخفى عليه خافية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. ورد: «إنّها نزلت في التّطوّع خاصّة. قال: وصلّى رسول الله ﷺ إيماءً على راحلته أينما توجّهت به، حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٤٤

٣،٦و٨ـ المصدر: ٥٦٠

٤ـ المصدر: ٥٦٠، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٥ـ كذا في النّسخ ولعلّ الصّواب: «أن يبطشوا بهم» وبطش به: أخذه بالعنف والسّطوة. القاموس المحيط ٢: ٢٧٣ (بطش).

٧ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث ٧٩.

طهره»[١]. وفي رواية: «نزلت في قبلة المتحيّر»[٢].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عُزَيْرٌ ابن الله و قالت النّصارى: المسيح ابن الله وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بل كلّه ملك له: "عزير" و "المسيح" و "الملائكة" وغيرهم. ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: منقادون، مقرّون له بالعبوديّة طبعاً وجبلّةً، لا يمتنعون عن مشيّته وتكوينه، فكيف يكونون مجانسين له؟ ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: «ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله»[٣]. ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: اراد فعله وخلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قال: «لابصوت بقرع، ولا بنداء يسمع؛ و إنّما كلامه سبحانه فعل منه انشاه، يقول ولا يلفظ ويريد و لا يضمر»[٤]. و «إرادته للفعل: إحداثه»[٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من اهل الكتاب: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ فقالوا ارنا الله جهرة ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى والعناد ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فلا عليك إن أصرّوا أو كابروا ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾. ورد: «إنّه على النّهي»[٦] وقد قرئ به.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. مبالغة في إقناطه عن

١ ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٨٠: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٧٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ ـ الكافي ١: ٢٥٦، الحديث ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٤، الخطبة: ١٨٦
٥ ـ الكافي ١: ١٠٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ١٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

إسلامهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. هذا من قبيل: إيّاك أعني واسمعي ياجارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «بالوقوف عند ذكر الجنّة والنّار يسأل في الأولى ويستعيذ في الأخرى»[1]. ورد: «هم الأئمة».[2] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: «فريضة»[3]. وفي رواية: «فداء»[4]. ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. كرّر ذلك وختم به الكلام معهم، مبالغة في النّصح و إيذاناً بأنّه فذلكة القصّة والمقصود منها.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: «هي الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهي قوله: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة و الحسن و الحسين»[5]. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: «يعني إلى القائم اثنى عشر إماماً»[6]. والقمّي: هي ما ابتلاه به ممّا أراه في نومه من ذبح ولده فأتمّها إبراهيم بالعزم و التّسليم[7]. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: «لايكون السّفيه إمام التّقي»[8]. قال: «فابطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة»[9].

١ـ مجمع البيان ١-٢: ١٩٨؛ و العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢١٥، الحديث: ٤، عنه عليه السلام.
٣و٤ ـ العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٥و ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥و٦ ـ الخصال: ٣٠٤ـ٣٠٥، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٥٩.
٨ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٧، الباب: ٢٠، ذيل الحديث: ١.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ : مرجعاً ومحلّ عود ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من سخط اللّه، ومن دخله من الوحش والطّير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[١]. ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ هو الحجر الّذي عليه أثر قدمه. قال: «يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة»[٢]. ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: «نحّيا عنه المشركين»[٣]. ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾. قال: «وينبغي للعبد أن لايدخله إلّا و هو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى و تطهّر»[٤].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ قال: «من ثمرات القلوب، أي: حبّبهم إلى النّاس لينتابوا إليهم[٥] ويعودوا»[٦].

أقول: ويؤيّد هذا قوله عليه السّلام في سورته: "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"[٧]. وفي رواية: «لمّا دعا بذلك، أمر الله بقطعة من الأردن[٨] فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت ثمّ أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع المسمّى بالطّائف، ولذلك سمّي الطّائف»[٩].

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. قال: «إيّانا عنى بذلك و أولياءه وشيعة وصيّه»[١٠]. ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ أرزقه أيضاً ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ

١ ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ التّهذيب ٥: ١٣٨، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي ١: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشّرايع ٢: ٤١١، الباب: ١٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ انتابهم انتياباً: أتاهم مرّة بعد أخرى. القاموس المحيط ١: ١٤٠ (النّوب).
٦ ـ القمّي ١: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ إبراهيم (١٤): ٣٧.
٨ ـ الأردن كالأحمر: ضربٌ من الخزّ. القاموس المحيط ٤: ٢٢٩ (الرّدن).
٩ ـ علل الشّرايع ٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الباب: ١٨٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
١٠ ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ عذاب النّار. قال: «عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته»[1].

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ﴾: منقادين مخلصين ﴿لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: واجعل بعض ذريّتنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة يأمّون، أي يقصدون و يقتدى بهم ﴿مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾. قال: «هم اهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»[2]. وفي رواية: «بنوهاشم»[3]. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: عرّفنا متعبّداتنا ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾: في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ قال: «يعني من تلك الأمّة»[4]. عن النّبيّ ﷺ: «انا دعوة أبي إبراهيم»[5]. ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾: من استهانها و اذلّها و استخفّ بها. قيل: بكسر الفاء متعدّ و بضمّها لازم[6]. ورد: «ما احد على ملّة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا، وسائر النّاس منها براء»[7]. ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١ ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ الكافي ٥: ١٤، الحديث: ١؛ و التّهذيب ٦: ١٢٨، الحديث: ٢٢٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ و ٤ ـ العيّاشي ١: ٦٠ ـ ٦١، الحديث: ١٠١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٦٢.
٦ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٨٩
٧ ـ المحاسن للبرقي ١: ١٤٧، الباب: ١٦، الحديث: ٥٤، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، و فيه و في «ح»: «بُرَآء»

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي: بالملّة، أو بهذه الكلمة أعني كلمة: "أسلمت لربّ العالمين".

﴿إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: و وصّى بها يعقوب أيضاً بنيه ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إنكار؛ يعني ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾. أراد به تقريرهم على التّوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثّبات عليهما. ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾. عدّ إسماعيل من آبائه؛ لأنّ العرب تسمّي العمّ والجدّ أباً؛ لوجوب تعظيمهما كتعظيمه. وفي الحديث: «عمّ الرّجل صنو أبيه»[1]. ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾. تصريح بالتّوحيد ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾: لكلّ أجر عمله، ولا ينفعكم انتسابكم إليهم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: لا تؤاخذون بسيّئاتهم، كما لا تثابون بحسناتهم.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ﴾ قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النّصارى: كونوا نصارى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾: بل نكون أهل ملّة إبراهيم متّبعين له ﴿حَنِيفًا ۖ﴾: مائلاً عن كلّ دين إلى دين الحقّ. قال: «الحنيفيّة هي الإسلام»[2]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعني إبراهيم. تعريض بأهل الكتابيْن، فإنّهم كانوا يدّعون اتّباع ملّة إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشّرك.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾. قال: «عنى بالخطاب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين

١- سنن لدار قطني ٢: ١٢٣. والصّنو: الأخ الشّقيق والابن والعمّ. النّخلتان هما زاد في الأصل الواحد كلّ واحد منهما صنوٌ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٥ (الصّنو).

٢- البرهان ١: ١٥٦، الحديث ١؛ و العيّاشي ١: ٦١، الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وحرت بعدهم في الأئمة»[1]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ يعني الصّحف. «و الاسباط»: حفدة يعقوب. ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التوراة والانجيل ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ حملةً؛ المذكورون منهم وغير المذكورين. ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كاليهود، نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ قال: «أي: ساير النّاس»[2]. ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ قال: «في كفر»[3].

اقول: واصله المخالفة والمناواة؛ فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين و وعد لهم بالحفظ و النّصر على ناواهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإخلاصكم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: صبَّغَنا اللهُ صِبْغَتَهُ، وهي فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها. قال: «هي الإسلام»[4]. وفي رواية: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»[5]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: لاصبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ تعريض بهم، أي: لانشرك به كشرككم.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه نبيّاً من العرب؟ قيل: إنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت نبيّاً لكنت منّا، فنزلت[6]. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لااختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من

١ـ الكافي ١: ٤١٥ـ٤١٦، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٢ـ٤٢٣، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.

يشاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾. موحّدون، نخلصه[1] بالإيمان والطّاعة دونكم.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ وقد نفى الله عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة، حيث قال: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا"[2]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ إنكار؛ قيل: يعني لا أحد أظلم من أهل الكتاب، حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة، والبراءة من اليهوديّة والنّصرانيّة، أو منّا لو كتمنا هذه الشّهادة؛ وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنّبوّة في كتبهم وغيرها[3]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. لعلّ المراد بالأمّة هناك الأنبياء، وهنا أسلاف اليهود و النّصارى، أو الخطاب هناك لليهود، وها هنا لنا، فلا تكرار.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يريد المنكرين لتغيير القبلة، وفائدة تقديم الإخبار به توطين النّفس و إعداد الجواب. ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾: ما صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[4]. ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ قال: «يملكهما. وتكليفه التّحوّل إلى جانب، كتحويله لكم إلى جانب آخر»[5]. ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. «هو مصلحهم و مؤدّيهم بطاعته إلى جنّات النّعيم، أيّة جهة يعرف صلاحكم في استقبالها، في أيّ وقت يأمركم به». كذا ورد[6].

١ـ كذا في النّسخ، و لعلّ الأصحّ: «نخلص له».
٢ـ آل عمران(٣): ٦٧.
٣ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.
٤و٥ـ تفسير الإمام ؏: ٤٩٣ـ٤٩٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٢٢ـ٢٢٣.
٦ـ المصدر: ٤٩٣؛ والاحتجاج ١: ٤٤، عن أبي الحسن العسكري ؏.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ القمّي: أئمّة عدلاً و واسطة بين الرّسول والنّاس[١] ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني يوم القيامة. قال: «نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في ارضه وسمائه»[٢]. وفي رواية: «إنّ الله تعالى إيّانا عنى بقوله: "لتكونوا شهداء على النّاس" فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، و حجّته في أرضه، و نحن الّذين قال الله: "وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً"»[٣]. وفي أخرى: «ظَنَنْتَ انّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين؟ أفترى انّ من لا تجوز شهادته في الدّنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ؛ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم؛ "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[٤]، هم الائمّة[٥] الوسطى وهم خير أمّة أُخرجت للنّاس»[٦].

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ يعني بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يرتدّ عن دينه آلفاً لقبلة آبائه. قال: «يعني إلاّ لنعلم ذلك منه وجوداً بعد ان علمناه سيوجد، وذلك انّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة، فاراد الله ان يبيّن متّبع[٧] محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمّد يأمر بها؛ ولمّا

١ ـ القمّي ١: ٦٣.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث. ١١٠؛ و البرهان ١: ١٥٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام. كلمة «وسمائه» ليست في المصدر.
٣ ـ شواهد التّنزيل ١: ٩٢.
٤ ـ آل عمران (٣): ١١٠.
٥ ـ في المصدر: «و هم الأمّة الوسطى»؛ و في نسخة «الف» و «ج»: «و هم الأئمّة الوسطى».
٦ ـ العيّاشي ١: ٦٣، الحديث: ١١٤؛ و البرهان ١: ١٦٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «متّبعي محمّد».

كـان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتهـا والتّوجّه إلى الكعبة، ليتبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه، فهو مصدّقه و موافقه»[١]. ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ يعني الصّلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ وعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلي طاعته في مخالفة هواه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم. قال: «نزلت حين قال المسلمون: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا؟ قال: فسمّى الصّلاة إيماناً»[٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد النّبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود، فقالوا له: إنّك تابع لقبلتنا؛ فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض اللّيل خرج يقلّب وجهه في آفاق السّماء، فلمّا اصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين جاء جبرئيل بهذه الآية، ثمّ اخذ بيده فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النّساء والنّساء مقام الرّجال»[٣]. قيل: إنّما كان يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[٤].

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: نحوه. وإنّما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾. خصّ الرّسول بالخطاب تعظيماً له

١ ـ الاحتجاج١: ٤٦ـ٤٥، عن أبي محمّد العسكري ﷺ.
٢ ـ العيّاشي١: ٦٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ ـ من لايحضره الفقيه١: ١٧٨، الحديث: ٨٤٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ البيضاوي١: ١٩٧.

وإيجاباً لرغبته، ثمّ عمّ[1] تصريحاً بعموم الحكم جميع الأمكنة وسائر الأُمّة، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأُمّة على المتابعة. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قيل: لعلمهم بتخصيص كلّ شريعة بقبلة ولتضمّن كتبهم أنّه يصلّي إلى القبلتين[2]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: برهان وحجّة ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾؛ لأنّ المعاند لاتنفعه الدّلالة ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾. قطع لاطماعهم. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لتصلّب كلّ بما هو فيه. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. من قبيل: إيّاكِ أعني و اسمعي يا جارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون محمّداً بنعته وصفته ومبعثه ومُهاجَره وصفة اصحابه في التّوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «أنك الرّسول إليهم»[3]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشّاكّين.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: ولكلّ قوم قبلة وملّة وشرعة ومنهاج يتوجّهون إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: الله مولّيها إيّاهم ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الطّاعات، و في رواية: «الولاية»[4]. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: أينما متّم في بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر[5]. و ورد: «إنّها نزلت في أصحاب القائم، وإنّهم المفتقدون من فرشهم ليلاً

١ ـ في «ج»: «عمّم».
٢ ـ البيضاوي١ : ١٩٨.
٣ ـ الكافي٢ : ٢٨٣، الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ ـ الكافي٨ : ٣١٣، الحديث: ٤٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي١ : ١٩٩.

فيصبحون بمكّة، وبعضهم يسير في السّحاب نهاراً؛ نعرف اسمه[1] واسم أبيه وحليته ونسبه»[2]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ للسّفر في البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذا صلّيت ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وإنّ التوجّه إلى الكعبة لَلْحَقّ الثّابت المامور به من ربّك ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. التّكرير لتاكيد امر القبلة؛ لانّ النّسخ من مظانّ الفتنة و الشّبهة؛ و لأنّه ينوط بكلّ واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ كحجّة يهود بانّ المنعوت في التّوراة قبلته الكعبة، وبأنّه يجحد ديننا ويتّبع قبلتنا، وكحجّة المشركين بانّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. قيل: إلّا الحجّة الدّاحضة من المعاندين بانّه ما تحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، او بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك ان يرجع إلى دينهم[3]. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فإنّ مطاعنهم لاتضرّكم ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا ما امرتكم به ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. قال: «تمام النّعمة دخول الجنّة»[4]. وفي رواية: «الموت على الإسلام»[5].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطّاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثّواب. ورد: «إنّ الله لم يذكره احد من عباده

١ـ في المصدر: يعرف باسمه.
٢ـ كمال الدّين٢: ٦٧٢، الباب: ٥٨، الحديث: ٢٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي١: ٢٠٠
٤ـ كنز العمّال٢: ١٧، الحديث: ٢٩٦٥.
٥ـ راجع: البيضاوي١: ٢٠١.

المؤمنين إلاّ ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته»[١]. و ورد: «ذكر الله لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه»[٢]. ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وعصيان الأمر. قال: «أُريد بالكفر كفر النّعم»[٣]. ورد: «شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله»[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. «هذا لمن استقبل البلايا بالرّحب، وصبر على سكينة و وقار؛ وهو صبر الخواصّ». كذا ورد[٥].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. قال: «المؤمن إذا قبضه الله صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصّورة الّتي كانت في الدّنيا»[٦].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بالجنّة. «هذا لمن صبر كرهاً ولم يَشْكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره وهو صبر العوامّ». كذا ورد[٧].

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾. قال: «كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة»[٨]. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالملك»[٩]. ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالهلك»[١٠]. ورد: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة

١ ـ الكافي ٨: ٧ و ٤٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٢ ـ القمّي ٢: ١٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الخصال ١: ١٤، الحديث: ٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و ٧ ـ مصباح الشّريعة: ١٨٦، الباب: ٨٨، في الصّبر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي ١: ٢٠٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٩ و ١٠ ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٥، الحكمة: ٩٩.

ويصبر حين تفجأه إلّا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكرها غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما»[١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾. هما علما جبلين بمكّة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾: من أعلام مناسكه ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾. قال: «إنّ رسول الله ﷺ شرط في عمرة القضاء أن يرفعوا الأصنام من الصّفا والمروة ثلاثة أيّام حتّى يسعى، فتشاغل رجل عن السّعي حتّى انقضت الأيّام وأُعيدت الاصنام، فشكى إلى النّبيّ ﷺ فنزلت. يعني: لاجناح عليه أن يطّوّف بهما وعليهما الاصنام»[٢]. وفي رواية: «إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السّعي بينهما شيء صنعه المشركون، فنزلت»[٣]. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: «كأحبار اليهود الكاتمين للآيات الشّاهدة على أمر محمّد وعليّ ـ عليهما السّلام ونعتهما وحليتهما، وكالنّواصب الكاتمين لما نزل في عليّ»[٤]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. قال: «كلّ من يتأتّى منه اللّعن حتّى أنفسهم، فإنّهم يقولون: لعن الله الظّالمين»[٥].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ قال: «من كتمانهم»[٦]. ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ قال: «أعمالهم وما كانوا أفسدوه»[٧]. ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما كتموا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: المبالغ في قبول التّوبة وإفاضة الرّحمة.

١ ـ الكافي ٣: ٢٢٤، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ البرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٣؛ والكافي ٤: ٤٣٥، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٤٠؛ والبرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤، ٥، ٦ و ٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧١ ـ ٥٧٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قال: «استقرّ عليهم البعد من الرّحمة»[1].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قال: «في اللّعنة في نار جهنّم»[2]. ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قال: «يوماً ولا ساعة»[3]. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: «أي: بلا عمد من تحتها يمنعها من السّقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيّها العباد والإماء أُسرائي في قبضتي، الارض من تحتكم لا منجا لكم منها أين هربتم، والسّماء من فوقكم لا محيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئتُ أهلكتكم بهذه، وإن شئتُ أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السّماوات من الشّمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماتها، وإلجائكم بالاستراحة في الظّلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك أبدانكم»[4].

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال: «المتتابعَيْن الكارّيْن[5] عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع، وخصْب وقحط، وخوف وأمن»[6]. ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ قال: «الّتي جعلها الله مطاياكم، لا تهدأ[7] ليلاً ولا نهاراً،

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٢، وفيه: «يوجب الله تعالى لهم البعد من الرّحمة».
٢ و٣ ـ المصدر: ٥٧٢.
٤ ـ المصدر: ٥٧٥. وينهك أبدانكم أي: يدنف ويضني. الصّحاح ٤: ١٦١٣ (نهك).
٥ ـ كرّ عليه الليل والنّهار: عادا مرّة بعد أُخرى. وفي المصدر: «الكادّين» ـ بالدّال المهملة ـ من الكدّ بمعنى الشّدّة والإلحاح في الطّلب فتكون كناية عن عدم تخلّفهما. وما في المتن أبلغ وأنسب بالمقام.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥.
٧ ـ لاتهدأ أي: لاتسكن. والمطايا جمع للمطيّة وهي النّاقة الّتي يُرْكَبُ مطاها أي ظهرها. النّهاية ٥: ٢٤٩؛ و٤: ٣٤٠ (هدأ ـ مطا).

ولاتقتضيكم[١] علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرّياح مؤنة تسييرها بقواكم الّتي لاتقوم لها لو ركدت عنها الرّياح، لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغكم الحوائج لأنفسكم»[٢].

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ قال: «وابلاً و هطلاً و رذاذاً، لاينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معايشكم، لكنّه ينزل متفرّقاً من علا، حتّى يعمّ الأوهاد والتّلال والتّلاع»[٣]. ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال: «فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها»[٤]. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ قال: «منها ما هي لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضارية، حافظة عليكم أنعامكم، لئلاّ تشذّ[٥] عليكم خوفاً من افتراسها لها»[٦].

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ ﴾ قال: «المربّية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النّافية لركود الهواء والاقتار[٧] عنكم»[٨]. ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ﴾ قال: «المذلّل الواقف»[٩]. ﴿ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «يحمل أمطارها ويجري بإذن الله ويصبّها حيث يؤمر»[١٠]. ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قال: «دلائل واضحات لقوم يتفكّرون فيها بعقولهم»[١١].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ من الاصنام والرّؤساء الّذين

---

١ ـ في المصدر: «تقضيكم» من تقضّى الشّيء بمعنى فني و انصرم و لكن ما في المتن أوفق بالعبارة.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥ـ٥٧٦.

٣ ـ المصدر: ٥٧٦. الوهد: الارض المنخفضة. و التّل من التّراب: قطعة منه ارتفع قليلاً ممّا حولها و الجمع: تلال. و التّلعة: ما انهبط من الارض و مسيل الماء. و في المصدر: القلاع بدل التّلاع. و القُلاع ـ بضمّ القاف ـ الطّين الّذي يتشقّق إذا نضب عنه الماء و قشر الارض يرتفع عن الكمأة فيدلّ عليها «راجع: القاموس المحيط».

٤ ـ المصدر: ٥٧٦.

٥ ـ في: «الف»: «يشذ» و في المصدر: «تشدّ» بالدّال المهملة.

٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

٧ ـ كأنّه جمع القتر بمعنى الغبرة أي: يذهب الأغبرة و الأبخرة المجمعة في الهواء الموجبة لكثافتها و تعفّنها قاله المجلسي في البحار ٣: ٥٥.

٨ إلى ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

يطيعونهم. قال: «هم أئمّة الظّلم وأشياعهم»[١]. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. يأتي تفسير محبّة الله في آل عمران إن شاء الله[٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم يرون الرّبوبيّة والقدرة للّه، لايشركون به شيئاً، فمحبّتهم خالصة له. قال: «هم آل محمّد»[٣]. ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قال: «باتّخاذ الأصنام انداداً لله سبحانه، والكفّار والفجّار أمثالاً لمحمّد وعليّ»[٤]. ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾. جواب "لو" محذوف، أي: لندموا أشدّ النّدم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ قال: «الرّؤساء»[٥]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الرّعايا والأتباع»[٦]. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: «ففنيت حيلتهم ولايقدرون على النّجاة من عذاب الله بشيء»[٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الاتباع»[٨]. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ قال «يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى دار الدّنيا»[٩]. ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ قال: «هناك»[١٠]. ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ قال: «هنا»[١١]. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قال: «وذلك أنّهم عملوا في الدّنيا لغير الله أو على غير الوجه الّذي أمر الله، فيرونها لاثواب لها، ويرون أعمال غيرهم الّتي كانت لله قد عظّم الله ثوابها»[١٢]. وفي رواية: «يدع ما له بخلاً فينفقه غيره في طاعة الله، فيراه حسرة؛ أو في معصية الله فكان قد أعانه عليها، فيراه حسرة»[١٣].

١ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث ١٤٢؛ و الكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١١؛ و البرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٣١.
٣ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٣؛ والبرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ إلى ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٨.
٩ إلى ١٢ ـ المصدر: ٥٧٨.
١٣ ـ الكافي ٤: ٤٢، الحديث: ٢؛ و العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «ما يخطو بكم إليه، ويغريكم به من مخالفة الرّسول»[١]. قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس[٢]. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ قيل: هو ما أنكره العقل[٣]. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ قيل: هو ما استقبحه الشّرع[٤]. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كاتّخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات وتحريم الطّيّبات. ورد: «إيّاك وخصلتين، ففيهما هلك من هلك: إيّاك ان تفتي النّاس برايك، أو تدين بما لا تعلم»[٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال: «من الدّين والمذهب»[٦]. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: جهلة لايتفكّرون في امر الدّين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقّ و الصّواب.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يصيح. من نعق الرّاعي بغنمه: إذا صاح بها[٧]. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾. قال: «اي: مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان كمثل النّاعق في دعائه المنعوق به، من البهائم الّتي لاتفهم، وإنّما تسمع الصّوت»[٨].

اقول: أراد ـ عليه السّلام ـ أنّ مثل داعيهم إلى الإيمان كمثل داعي البهائم، يعني انّهم لانهماكهم في التّقليد لايلقون آذانهم إلى ما يتلى عليهم، و لايتامّلون فيما يقرّر

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨١، و فيه «و يغركم به»
٢ ـ راجع: التّبيان ٢: ٧٢ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٥٢.
٣ و ٤ ـ راجع: البيضاوي ١: ٢٠٩.
٥ ـ الكافي ١: ٤٢، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٢.
٧ ـ راجع: الصّحاح ٤: ١٥٥٩ (نعق).
٨ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٥٤: عن ابي جعفر عليه السلام

معهم، فهم في ذلك كالبهائم الّتي ينعق عليها فتسمع الصّوت ولاتعرف مغزاه وتحس النّداء ولا تفهم معناه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «عن الهدى»[١]. ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ قال. «على ما رزقكم منها»[٢].

أقول: بأن تعتقدوا بأنّ النّعمة من الله، وأن تصرفوا النّعمة فيما خلقت لاجله، وتحمدوا الله بالسنتكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنّكم تختصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النّعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قال: «الّتي ماتت حتف انفها بلا ذباحة من حيث اذن الله»[٣]. ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: «ما ذكر اسم غير الله عليه من الذّبايح، وهي الّتي يتقرّب بها الكفّار باسامي اندادهم الّتي اتّخذوها من دون الله»[٤].

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ قال: «إلى شيء من هذه المحرّمات»[٥]. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: «الباغي: الّذي يخرج على الإمام، والعادي: الّذي يقطع الطّريق»[٦]. وفي رواية: «الباغي: الّذي يبغي الصّيد بطراً ولهواً، لاليعود به على عياله، والعادي: السّارق؛ ليس لهما ان يأكلا الميتة إذا اضطرّا»[٧]. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناول هذه الاشياء.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ قال: «ستّار لعيوبكم»[٨]. ﴿رَّحِيمٌ﴾ قال: «بكم حين أباح لكم في الضّرورة ما حرّمه في الرّخاء»[٩].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٣
٢ ـ المصدر: ٥٨٤. و في «الف»: «على ما رزقناكم منها».
٣ و٤ و٥ ـ المصدر: ٥٨٥
٦ ـ الكافي ٦: ٢٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، ذيل الحديث: ١٠٠٧، عن محمّد بن عليّ الرّضا عليهما السّلام.
٨ و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ـ٥٨٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾: «عرضاً يسيراً من الدّنيا، كمال أو رياسة عند الجهّال». كذا ورد[١]. ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملأ بطونهم ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ قال: «بدلاً من إصابتهم اليسير من الدّنيا لكتمانهم الحقّ»[٢].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «بكلام خير»[٣]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[٤]. وقيل: و لايثني عليهم[٥]. و إنّهما كنايتان عن غضبه تعالى عليهم، وتعريض لحرمانهم عن الزلفى من الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ في الدّنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾. قال: «على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النّار»[٦].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ قال: «بان قال بعضهم: إنّه سحر، و قال آخر: إنّه شعر، و قال آخر: إنّه كهانة»[٧]. ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ قال: «الطّاعة الّتي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرّضوان»[٨]. ﴿أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ قال: «بصلواتكم»[٩]. ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. «ردّ على الّذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت، مدّعياً كلّ طائفة أنّ البرّ هو التّوجّه إلى قبلتها، والمشرق قبلة النّصارى، والمغرب قبلة اليهود». كذا ورد[١٠].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ـ ٥٨٦.
٢، ٣و ٤ـ المصدر: ٥٨٦.
٥ـ راجع: البيضاوي١: ٢١١.
٦ـ البرهان١: ١٧٥، الحديث: ١و ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦ـ ٥٨٧.
٨و ٩ـ المصدر: ٥٩٠، وفيه «بصلاتكم».
١٠ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٩.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾: برّ من آمن ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ قال: «على حبّه للمال و شدّة حاجته إليه، يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح شحيح»[1]. ﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ قال: «ذوي قرابته[2] الفقراء برّاً وصدقة، وذوي قرابة النّبيّ الفقراء برّاً وهديّة لاصدقة»[3]. وكذا قال في اليتامى. ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ قال: «مساكين النّاس»[4]. ﴿ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ قال: «المجتاز الّذي لانفقة معه»[5]. ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ قال: «الّذين يتكفّفون»[6]. ﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ وفي تخليصها: قال: «المكاتبين، يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا»[7]. ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾. عطف على "من آمن". ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ نصبه على المدح، ولم يعطف، لفضل الصّبر على ساير الاعمال. قال: «يعني في محاربة الاعداء، ولاعدوّ يحاربه أعدىٰ من إبليس»[8]. وفي رواية: «نفسه»[9]. ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ قال: «الفقر والشّدّة»[10]. ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ قال: «عند شدّة القتال»[11].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ قال: «صدقوا في إيمانهم، و صدّقوا أقاويلهم بأفاعيلهم»[12]. ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ قال: «لما أمروا باتّقائه»[13]. ورد: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان»[14].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ قال: «يعني المساواة وأن

١، ٣، ٤، ٥، ٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٢.
٢ـ الضّمير في «قرابته» يرجع إلى المعطي. و في المصدر: «و آتى قرابة نفسه صدقة و برّاً و على أيّ سبيل أراد».
٨، ١٠، ١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.
٩ـ راجع الكافي٢: ٣٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و البحار٦٧: ٦٤، الحديث ١، عن عدّة الدّاعي، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
١٤ـ البيضاوي١: ٢١٣

يسلك بالقاتل في طريق المقتول الّذي سلكه به لمّا قتله»[١]. ورد: «هي لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصّة»[٢]. ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾. قال: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "النّفس بالنّفس" الآية»[٣]. و إنّه «لا يُقتَلُ حرٌّ بعبد؛ و لكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد، و لا يقتل الرّجل بالمرأة، إلاّ إذا أُدّي إلى اهله نصف ديته»[٤].

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ﴾ اي: الجاني الّذي عفي له ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ الّذي هو وليّ الدّم. قيل: ذكر الأُخوّة ليعطف عليه "شَيْءٌ" من العفو[٥]، وهو العفو من القصاص دون الدّية. ﴿فَٱتِّبَاعٌ﴾: فليكن اتّباع من العافي، اي مطالبة بالدّية ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بان لا يظلم الجاني باخذ الزّيادة ولا يعنّفه ﴿وَأَدَاءٌ﴾ من الجاني ﴿إِلَيْهِ﴾ اي: إلى العافي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ «بان لايماطله ولايضارّه، بل يشكره على عفوه». كذا ورد في تفسير هذه الآية[٦]. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ لو لم يكن إلاّ القتل او العفو، لقلّما طابت نفس وليّ المقتول بالعفو بلاعوض، فكان قلّما يسلم القاتل من القتل. ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بان يقبل الدّية او يعفو او يصالح، ثمّ يجيء بعد، فيمثل او يقتل ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ قال: «لانّ من همّ بالقتل فعرف انّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للّذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد ان يقتل، وحياة لغيرهما من النّاس؛ إذا علموا انّ القصاص واجب، لايجسرون على القتل مخافة

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.
٣ ـ المائدة(٥). ٤٥، و تمام الآية: «وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ و الْأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ. الآية».
٤ ـ راجع: القمّي ١: ٦٥؛ و العيّاشي ١: ٧٥، الحديث: ١٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي ١: ٢١٤.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و لكن ليست فيه جملة: «بل يشكره على عفوه».

القصاص»[١]. ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. قيل: ناداهم للتأمّل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح، وحفظ النّفوس[٢]. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: حضر أسبابه وظهر أماراته ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾: «مالاً كثيراً». كذا ورد[٣]. ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بالشّيء الّذي يعرف العقل انّه لاجور فيه ولاجَنَف[٤]. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. ورد: «إنّها مسوخة بآية المواريث»[٥]. وحمل على التّقيّة لموافقته مذاهب العامّة، ومخالفته لما ورد: «أنّه سئل عن الوصيّة للوارث؟ فقال: تجوز. ثمّ تلا هذه الآية»[٦]. وفي معناه أخبار أُخر[٧].

أقول: نسخ الوجوب لاينافي بقاء الجواز.

و ورد: «من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية»[٨]. وفي رواية: «أنّه شيء جعله الله لصاحب هذا الامر. سئل: هل لذلك حدّ؟ قال: ادنى ما يكون ثلث الثّلث»[٩].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾. وعيد للمبدّل بغير حقّ. ورد: «أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهوديّاً أو نصرانيّاً، وأنّه يغرمها

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و فيه: «لايجرؤن» بدل: «لايحسرون»
٢ ـ البيضاوي١: ٢١٥
٣ ـ الدرّ المنثور١: ١٧٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧.
٤ ـ في «الف» «ولا حيف» و كلاهما بمعنى واحد و هو الجور و الميل عن الحقّ، و لعلّ ما اثبتناه انسب لقول بعض اللّغويّين إنّ الجَنَف يختصّ بالوصيّة، و لكونه متّحداً من الآية الآتية.
٥ ـ العيّاشي١: ٧٧، الحديث: ١٦٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧، عن أحدهما عليهما السّلام،
٦ ـ الكافي٧: ١٠، الحديث: ٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٧: ٩، باب الوصيّة للوارث، الحديث: ١، ٢، ٣و٤؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث. ١٦٤؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧.
٨ ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٣٤، الحديث: ٤٦٦؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث: ١٦٦؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧. و في «الف» و «ب»: «بمعصيته».
٩ ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٧٥، الحديث. ٦٦٥؛ والعيّاشي١: ٧٧، الحديث: ١٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا خالف»[1].

﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ قال: «ميلاً عن الحقّ بالخطأ أو التّعمّد»[2].

وفي رواية: «إذا اعتدى في الوصيّة وزاد على الثّلث»[3]. ﴿ فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ ﴾: بين الورثة والموصى لهم ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ في التّبديل؛ لأنّه تبديلُ باطلٍ إلى الحقّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

ورد: «إنّ قوله: "فَمَنْ بَدَّلَهُ" منسوخ بقوله: "فَمَنْ خَافَ". قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصي فيما أوصى به إليه فيما لايرضى الله به من خلاف الحقّ، فلا إثم على الموصى إليه أن يردّه إلى الحقّ وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير»[4].

وفي رواية: «إنّ الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف، ويردّها إلى المعروف»[5].

وفي أُخرى: «مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل المال كلّه لبعض ورثته ويحرم بعضها. قال: فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تأمر بعمارة بيوت النّيران واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لايعمل بشيء من ذلك»[6].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾. قال: «لذّة النّداء أزال تعب العبادة

١ـ الكافي ٧: ١٤، الحديث: ١و٢؛ و العيّاشي ١: ٧٧، الحديث ١٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. والظّاهر أنّ جملة: «و أنّه يغرمها إذا خالف» ليست ذيل الرّواية المذكورة؛ بل هي مضمون الحديث الآخر المرويّ في العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٧٠.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٣؛ و علل الشّرايع ٢: ٥٦٧، الباب: ٣٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٢؛ والكافي ٧: ٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٧: ٢٠، الحديث: ١، و فيه: «و كان فيها حَيْفٌ».

٦ـ القمّي ١: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والعناء»[١]. وقال: «فيه وفي "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" هذه كلّها تجمع الضُّلّال والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة»[٢]. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: «من الأنبياء والأمم، أوّلهم آدم»[٣].

أقول: يعني أنّه عبادة قديمة ما أخلى الله أمّة من إيجابها عليهم، لم يوجبها عليكم وحدكم. ففيه ترغيب وتطييب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنّ الصّيام يكسر الشّهوة الّتي هي معظم أسبابها. ورد: «من لم يستطع الباه[٤] فليصم، فإنّ الصّوم له وجاء»[٥].

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يضرّه الصّوم ويعسر؛ لقوله: "وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[٦]. قال: «هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة فليصم، كان المريض على ما كان»[٧]. وقال: «كلّ ما أضرّ به الصّوم، فالإفطار له واجب»[٨]. ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾. حدّ السّفر وشرايطه في وجوب الإفطار يطلب من كتابنا «الوافي»[٩]. ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. هذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض والمسافر، كما ورد في أخبار كثيرة، حتّى قالوا: «الصّائم في شهر رمضان في السّفر كالمفطر فيه في الحضر،

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٢١٦.
٣ـ راجع: جوامع الجامع ١: ١٠٣.
٤ـ في «ب» و «ج»: «الباءة».
٥ـ الكافي ٢: ١٨٠، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والمقنعة ـ للمفيد ـ: ٤٩٧ باب السّنّة في النّكاح، وفيه: «فليد من الصّوم»؛ والوسائل ٧: ٣٠٠، والوجاء: أن ترضّ انثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب شهوة الجماع ويتنزّل في قطعه منزلة الخصيّ. وقيل: هو أن توجأ العروق، والخصيتان بحالهما. أراد أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء. النّهاية ٥: ١٥٢ (وجا).
٦ـ البقرة (٢): ١٨٥.
٧ـ الكافي ٤: ١١٨، الحديث: ٣، وفيه: «كان المرض ما كان».
٨ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الوافي ١١: ٣٠٩

وعليه القضاء[1]. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ قال: «كانوا يطيقونه، فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك»[2]. وفي رواية: «الّذين يطيقونه: الشّيخ الكبير، والّذي يأخذه العطاش»[3].

اقول: في الرّواية الأولى إشكال، وفي الثّانية إجمال، ولعلّ المراد بهم: الّذين يكون الصّيام بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعسر، فإنّ من كان كذلك، لم يكلّفه الله به على الحتم، بل خيّره بينه وبين الفدية توسيعاً منه جلّ وعزّ، ورحمةً؛ وذلك لأنّ الله سبحانه لايكلّف نفساً إلاّ وسعها، «والوسع دون الطّاقة» كما ورد به النّص[4]. يدلّ على ما قلت قوله تعالى: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ"[5]، فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هوالّذي يقدر على الصّيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الّذي أوجب عليه، فإنّه إذا اختار المشقّة على السّعة كان أعظم أجراً، فحكم الآية باق ليس بمنسوخ كما زعمته قوم، وهذا بعينه معنى الرّواية الثّانية.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يعني إن أفطروا، يتصدّقون عن كلّ يوم بما يجتزي به مسكين. وفي رواية: «مدّ»[6]. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيقون فهو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صمتم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيّام المعدودات هي شهر رمضان. ورد: «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله ﷺ، وعلى أمّته»[7]. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني أُنزل بيانه وتأويله

١ـ الكافي ٤: ١٢٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، و ليست فيه: «و عليه القضاء».
٢ـ الكافي ٤: ١١٦، الحديث: ٥؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٧٨و٧٩، الحديث: ١٧٦و١٧٩؛ و الكافي ٤: ١١٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٧٤.
٥ـ البقرة (٢): ١٨٤.
٦ـ العيّاشي ١: ٧٩، الحديث: ١٨١؛ والكافي ٤: ١١٦، الحديث ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٦١، الحديث: ٢٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

في ليلة القدر منه، وأمّا تنزيله، فكان من ابتداء بعثة النّبيّ إلى أوان وفاته ﷺ . كذا يستفاد ممّا ورد[١] . وفي رواية: «نزل القرآن جملة[٢] واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزّل في طول عشرين سنة»[٣] . ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: أُنزل في ليلة القدر بيانه، وتأويل متشابهه ليكون هدىً للنّاس ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ : بتفريق المحكم من المتشابه، وبتقدير الأشياء، وتبيين خصوص الوقايع الّتي تصيب الخلق في كلّ سنة إلى ليلة القدر الآتية، وذلك يكون في كلّ عصر و زمان لصاحب ذلك العصر والزّمان. والفرقان: هو المحكم الواجب العمل به، وهو بعينه ما قاله عزّ و جلّ في الدّخان: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»[٤] اي محكم. كذا المستفاد ممّا ورد[٥] .

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ : فمن حضر في الشّهر، ولم يكن مسافراً ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ قال: «ما ابينها. من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه»[٦] . و ورد: «ليس للرّجل إذا دخل شهر رمضان ان يخرج إلاّ في حجّ، أو عمرة، أو مال يخاف تلفه، أو اخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه؛ فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فليخرج حيث شاء»[٧] . ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ .كرّر ذلك، تاكيداً للأمر بالإفطار، وأنّه عزيمة لايجوز تركه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في المرض

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦؛ و معالم التنزيل (للبغوي) ١: ٢١٨.
٢ـ في «الف»: «جملاً واحدةً».
٣ـ العيّاشي١: ٨٠، الحديث١٨٤؛ والكافي ٢: ٦٢٨، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الآية: ٣و٤.
٥ـ العيّاشي١: ٨٠، الحديث: ١٨٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٤: ١٢٦، الحديث: ١؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٩١، الحديث: ٤٠٤؛ والتّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّهذيب٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والسَّفر ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ : عدّة أيّام الشّهر بالصّيام ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ : «ولتعظّموا الله وتمجّدوه على هدايته إيّاكم. أُريد به تكبير صلاة العيد». كذا ورد[١]. وفي رواية: «التّكبير عقيب الصّلوات الأربع في العيد»[٢]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تسهيله الأمر لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ : فقل لهم: إنّي قريب. روي: «أنّ أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت»[٣].

أقول: مَثَلُ قربه تعالى مَثَلُ معيّته، فكما أنّ معيّته ليست بممازجةٍ ومداخلةٍ، ومفارقته ليست بمباينةٍ ومزايلةٍ، فكذلك قربه ليس باجتماع وأين، وبعده ليس بافتراق وبين، وإنّما يجد قربه من عَبَدَهُ كأنّه يراه، وأمّا بُعد من بَعُدَ عنه، مع تساوي نسبة قربه إلى جميع عباده فهو كما أنّ لك رقيباً وهو حاضر عندك وأنت عنه في عمى، لا تراه ولا تشعر بحضوره.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ . تقرير للقرب، و وعد للدّاعي بالإجابة. «ومن لم يجد الإجابة فقد أخلّ بشرط الدّعاء». كذا ورد[٤]. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطّاعة، كما أجبتهم إذا دعوني لمهامّهم. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ قال: «وليتحقّقوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه»[٥]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال: «لعلّهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه»[٦].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ . كناية عن المواقعة؛ لأنّه قلّما يخلو

١ ـ من لا يحضره الفقيه١: ٣٣١، الحديث: ١٤٨٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ ـ الكافي٤: ١٦٦، الحديث١؛ والعيّاشي١: ٨٢، الحديث: ١٩٣ و١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الدّرّ المنثور١: ١٩٤؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٧٨.
٤ ـ الكافي٢: ٤٨٦، الحديث: ٨؛ ومصباح الشّريعة: ١٣٣، الباب: ٦٢، في الدّعاء، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من رفث[١] ، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه . ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ .
بيان لسبب الإحلال وهو قلّة الصبر عنهنّ وكثرة مخالطتهنّ . ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ من الخيانة ، أي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثواب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ . ورد : «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان باللّيل بعد النّوم ، والنّكاح حراماً باللّيل والنّهار ، فنام رجل قبل أن يفطر ، وحضر حفر الخندق ، فأُغمي عليه ، وكان قوم من الشّبّان ينكحون باللّيل سرّاً ، فنزلت»[٢] . ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل : من الولد أو من الإباحة بعد الحظر[٣] ، فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برُخَصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه .

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال : «بياض النّهار من سواد اللّيل»[٤] . وفي رواية : «هو الفجر الّذي لاشكّ فيه»[٥] . وفي أخرى : «ليس هو الأبيض صعداء ؛ إنّ الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا ، وتلا هذه الآية»[٦] . وسئل : آكلُ في شهر رمضان باللّيل حتّى اشكّ؟ قال : «كُلْ حتّى لاتشكّ»[٧] .
﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ : معتكفون فيها . والاعتكاف أن يحبس نفسه في الجامع للعبادة . ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ : حرمات الله

١ ـ الرّفث ـ محرّكة ـ : كلام متضمّن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع و دواعيه و جعل في الآية كنايةً عن الجماع «المفردات . رفث» وعن الأزهري : الرّفث كلمة جامعة لكلّ ما يريده الرّجل من المرأة . النّهاية ٢ : ٢٤١ (رفث) .
٢ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢ : ٢٨٠ ؛ و العيّاشي ١ : ٨٣ ، الحديث : ١٩٧ ؛ والقمّي ١ : ٦٦ ، عن أبي عبدالله عليه السلام ؛ والدرّ المنثور ١ : ١٩٧ .
٣ ـ الكشّاف ١ : ٣٣٨ . و في «الف» : «من الولد او الإباحة بعد الحظر» .
٤ ـ العيّاشي ١ : ٨٤ ، الحديث : ٢٠٣ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٥ ـ من لايحضره الفقيه ٢ : ٨٢ ، الحديث : ٣٦٤ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٦ ـ التّهذيب ٢ : ٣٧ ، ذيل الحديث : ٦٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٧ ـ التّهذيب ٤ . ٣١٨ ، الحديث : ٣٧ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

ومناهيه ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾. ورد: «إنّ لكلّ ملك حمى، وإنّ حمى الله محارمه، فمن رتع[1] حول الحمى، يوشك أن يقع فيه»[2]. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾: «بالوجه الّذي لم يشرعه الله كالقمار، وكاليمين الكاذبة، والدَّين الّذي ليس له ما يؤدّيه». كذا ورد[3]. ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾: ولا تلقوا أمرها إلى الحكّام ﴿ لِتَأْكُلُوا۟ ﴾ بالتّحاكم ﴿ فَرِيقًا ﴾: طائفة ﴿ مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزّور، واليمين الكاذبة ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنّكم مبطلون. قال: «هو أن يعلم الرّجل أنّه ظالم، فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الّذي حكم له»[4]. وقال: «قد علم الله أنّه يكون حكّام يحكمون بغير الحقّ فنهى أن يتحاكم إليهم»[5].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾: عن زيادتها ونقصانها ﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾: معالم يوقّت بها النّاس عباداتهم ومزارعهم ومتاجرهم ومحالّ ديونهم وعدد نسائهم. و ورد: «لصومهم و فطرهم و حجّهم»[6]. ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾. قال: «كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنّما يدخلون ويخرجون من نقب ينقبونه[7] في مؤخّرها، ويعدّون ذلك برّاً فنهوا عن التّديّن بها»[8].

١ ـ رَتَعَ: أكل و شرب ما شاء في خِصْبٍ و سَعَةٍ. «القاموس المحيط ٣: ٢٨٠ ـ رتع». و رتع حول الحمى أي: يطوف به و يدور حوله.
٢ ـ الكشّاف ١: ٣٤٠، عن النّبيّ ﷺ.
٣ ـ الكافي ٥: ١٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي ١: ٨٥، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٦٧، عن أبي الحسن الأول عليه السلام.
٦ ـ التّهذيب ٤: ١٦٦، الحديث: ٤٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ في «الف»: «ينقبون».
٨ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قال: «ما حرّم الله»[١]. ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ قال: «يعني ان يأتي الأمر من وجهه أيّ أمر كان»[٢].

أقول: ومنه أخذ أحكام الدّين عن أمير المؤمنين وعترته الطّيّبين؛ لأنّهم أبواب مدينة علم النّبيّ ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ كما قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا يؤتى المدينة إلاّ من بابها»[٣]. وقال عليّ عليه السلام: «قد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا". والبيوت هي بيوت العلم الّذي استودعته الأنبياء، وابوابها أوصياؤهم»[٤].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تغيير احكامه ﴿لعلّكم تفلحُونَ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته. ورد: «إنّها ناسخة لقوله: "كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"»[٥]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ بابتداء القتال والمفاجاة به من غير دعوة، وبالمُثْلة، وقتل من نُهيتم عن قتله من النّساء والصّبيان والمشايخ والمعاهدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. ورد: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ"»[٦]. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني مكّة؛ وقد فعل ذلك بمن لم يسلم منهم يوم الفتح. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾. قيل: معناه شركهم في الحرم، وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه[٧]. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ

١ـ الصّافي١: ٢٠٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي١: ٨٦، الحديث: ٢١١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤؛ و القمّي١: ٦٨.
٤ـ الاحتجاج١: ٣٦٩، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٥. و الآية في سورة النّساء(٤): ٧٧.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٥، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام. و الآية في سورة الأحزاب(٣٣): ٤٨.
٧ـ راجع: البيضاوي١: ٢٢٣.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: لاتفاتحوهم بالقتال و هتك حرمة الحرم ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمّة؛ فإنّهم هم الّذين هتكوا حرمته ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يفعل بهم ما فعلوا ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن القتال والشّرك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: «شرك»[1]. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ اي: الطّاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشّرك والقتال ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا تعتدوا على المنتهين. سمّى الجزاء باسم الابتداء، للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله: "وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها"[2].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾. «قاتلهم المشركون في عام الحُدَيبيّة في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته، فنزلت؛ اي: هتكُهُ بهتكه فلاتبالوا به». كذا ورد[3]. وفي رواية: «إذا ابتدا المشركون باستحلال الشّهر، جاز للمسلمين قتالهم فيه»[4]. ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ يعني: كلّ حرمة يجري فيه القصاص؛ فلمّا هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله. والحرمة: ما يجب أن يحافظ عليها.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾. فذلكة وتاكيد. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الانتصار، فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيحرسهم ويصلح شأنهم.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بالإسراف، وتضييع وجه

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الشورى (٤٢): ٤٠
٣ـ البيضاوي ١: ٢٢٣؛ و تفسير الطّبري ٢: ١١٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث ٢١٥.

المعاش، وبمعصية السّلطان وبكلّ ما يؤدّي إلى الهلاك. ورد: «لو انّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله، ما كان أحسن ولا وفّق؛ ثمّ تلا هذه الآية»[١]. و ورد أيضاً: «طاعة السّلطان واجبة، ومن ترك طاعة السّلطان فقد ترك طاعة الله ودخل في نهيه؛ ثمّ تلا هذه الآية»[٢]. ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: «يعني المقتصدين»[٣].

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾: ائتوا بهما تامّين كاملين بشرائطهما واركانهما ومناسكهما لوجه الله خالصاً. ورد: «هما مفروضان»[٤]. و ورد: «يعني بتمامهما: ادائهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما»[٥]. وفي رواية: «اقيموهما إلى آخر ما فيهما»[٦]. ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾: «منعكم خوف أو مرض بعد ما احرمتم». كذا ورد[٧]. ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾: فعليكم إذا اردتم التّحلّل من الاحرام ما تيسّر من الهدي تبعثون به. ورد: «يعني شاة وضع على أدنى القوم قوّة، ليسع القويّ والضّعيف»[٨]. ﴿ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ ﴾: لاتحلوا ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ يعني: مكانه الّذي يجب ان ينحر فيه.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلق ﴿ أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ كجراحة او قمّل ﴿ فَفِدْيَةٌ ﴾: فعليه فدية إن حلق ﴿ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ اي: دم. ورد: «إنّ الصّيام ثلاثة ايّام، والصّدقة على ستّة مساكين، والنّسك شاة»[٩]. ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ ﴾: استمتع وانتفع بعد التّحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرّماً

١ و٣ـ الكافي ٤: ٥٣، الحديث: ٧؛ و العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢١٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الامالي (للصّدوق): ٢٧٧. المجلس الرّابع و الخمسون، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ـ الكافي٤: ٢٦٥، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي١: ٨٨، الحديث: ٢٢٤، عن ابي العبّاس.
٥ـ العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٠، عن امير المؤمنين و عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٧ـ المصدر، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٢٠، الباب: ٣٤، ذيل الحديث: ١.
٩ـ العيّاشي١: ٩٠، الحديث: ٢٣١؛ والكافي٤: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

عليه ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: إلى أن يحرم بالحجّ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فعليه دم استيسره. قال: «شاة»[۱].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾: في وقته وأيّام الاشتغال به. ورد: «يعني في ذي الحجّة»[۲]. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم. «فإن بدا له الإقامة بمكّة نظر مقدم أهل بلاده فإنْ ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم». كذا ورد[۳]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. «لاتنقص عن الأُضحيّة الكاملة». كذا ورد[٤]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التّمتّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: «من كان منزله على أزيد من ثمانية عشر ميلاً منه». كذا ورد[٥]. [وفي رواية[٦]: «حدّه ثمانية وأربعون ميلاً»][۷]. ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ يعني: وقت إحرامه ومناسكه؛ وهي شوّال وذوالقعدة وذوالحجّة. ورد: «ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهنّ، ومن أحرم بالحجّ في غيرها فلا حجّ له»[۸]. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ «بأن لبّى أو أشعر أو قلّد». كذا ورد[۹]. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾: في أيّامه. قال: «الرّفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسّباب، والجدال: قول لا والله و بلى و الله»[۱۰]. و «في الجدال شاة؛ وفي الفسوق

۱ـ الكافي٤: ٤٨٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۲ـ العيّاشي۱: ۹۳، الحديث: ۲٤۰، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۳ـ الكافي٤: ٥٠٩، الحديث: ۸.
٤ـ المصدر: ٥١٠، الحديث: ١٥.
٥ـ المصدر: ۳۰۰، الحديث: ۳، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي۱: ۹۳، الحديث: ۲٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ ما بين المعقوفتين ليس في «الف».
٨ـ الكافي٤: ٣٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و٣٢٢، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ۱: ٩٤، الحديث: ٢٥٤؛ والكافي ٤: ٢٨٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ العيّاشي۱: ٩٥، الحديث: ٢٥٦؛ والكافي ٤: ٣٣٨، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بقرة؛ وفي الرّفث فساد الحجّ»[1]. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾. حثّ على البرّ. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. قيل: كانوا يحجّون من غير زاد، فيكونون كلاًّ على النّاس، فأُمروا أن يتزوّدوا ويتّقوا الإبرام والتّثقيل[2] على النّاس[3]. ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: تجارةً. ورد: «كانوا يتأثّمون بالتّجارة في الحجّ فرفع عنهم الجناح»[4]. وفي رواية: «فضلاً أي: مغفرةً»[5]. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾. قال: «ومضيتم إلى مزدلفة»[6]. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: بإزاء هدايته إيّاكم. قال: «لدينه والإيمان برسوله»[7]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: وإنّه كنتم. ﴿مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. قال: «الضّالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه»[8].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: ثمّ لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال: «أي: من عرفات»[9]. ورد: «إنّ قريشاً كانوا لا يقفون بعرفات، ولا يفيضون منه، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه كسائر النّاس»[10].

١- الكافي٤: ٣٣٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- في «الف»: «والثّقل».
٣- راجع: الكشّاف١: ٣٤٧؛ والبيضاوي١: ٢٢٥.
٤- مجمع البيان ١-٢. ٢٩٥ لكنّه نقله بلفظ: «قيل» عن ابن عبّاس ومجاهد والحسن وعطا ثمّ يقول: وهو المرويّ عن أئمّتنا.
٥- المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام.
٦، ٧و٨- تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٩- البيضاوي١: ٢٢٧.
١٠- مجمع البيان ١-٢. ٢٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي١: ٩٧، الحديث: ٢٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: وعلى هذا فمعنى "ثُمَّ" الترتيب في الرتبة كما في قولك: أحسن إلى النّاس ثمّ لا تحسن إلى غير كريم. وفي رواية: «إنّ قوله: "فَإِذَا أَفَضْتُم" متأخّر عن قوله: "ثُمَّ أَفِيضُوا"»[١]. وعلى هذا يكون "ثُمّ" بمعناه الظّاهر. وفي أُخرى: «إنّ المراد بقوله: "ثُمَّ أَفِيضُوا" الإفاضة من المشعر إلى منى»[٢]. وعلى هذا فلا إشكال.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من جاهليّتكم في تغيير المناسك. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال: «للتّائبين»[٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. ورد: «كانوا إذا فرغوا من الحجّ، يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع»[٤]. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال: «بأن يزيدوا فيذكروا نعم الله سبحانه وآلاءه ويشكروا نعماءه؛ لأنّ آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم، ولأنّه تعالى هو المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم»[٥].

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ منحتنا[٦] ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ خاصة ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: نصيب وحظّ؛ لأنّ همّه مقصور على الدّنيا. قال: «لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب فيها خيراً»[٧].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالصّحّة والأمن و ورد: «السّعة في

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٤و٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المَنْح: العطاء. يقال: مَنَحْتُه مَنْحاً أي: أعطيْتُه. والاسم: المِنْحَة ـ بالكسر ـ وهي العطيّة. مجمع البحرين ٢: ٤١٥ (منح).
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

المعاش وحسن الخلق»[١]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ كالرّحمة والزّلفة. و ورد: «رضوان الله والجنّة»[٢]. وفي رواية: «في الدّنيا المرأة الصّالحة، وفي الآخرة الحوراء»[٣]. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالمغفرة والعفو. و ورد: «امرأة السّوء»[٤].

أقول: كلّ ذلك أمثلة للمراد بها، فلا تنافي بينها.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ قال: «من ثواب ما كسبوا ـ قال: ـ في الدّنيا وفي الآخرة»[٥]. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. قال «يحاسب الخلايق كلّهم في مقدار لمح البصر»[٦]. قال: «لأنّه لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة عن محاسبة، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسب للكلّ يتمّ حساب الكلّ بتمام حساب الواحد، وهو كقوله تعالى: "ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة"»[٧].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾. «يعني: أيّام التّشريق. و ذكر الله فيها: التّكبير المعهود عقيب الصّلوات المعهودة». كذا ورد[٨]. ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ النّفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النّحر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتّى رمى في اليوم الثّالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قال: «يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له»[٩]. ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

قال: «نفي الإثم إنّما هو لمن اتّقى الله عزّوجلّ»[١٠]. وفي رواية: «اتّقى الكبائر»[١١].

١ و٢ـ الكافي ٥: ٧٦، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٩٨، الحديث: ٢٧٤و٢٧٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ و٤ـ البيضاوي ١: ٢٢٩، عن علي عليه السلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٨.

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦. والآية في سورة لقمان (٣١): ٢٨.

٨ـ العيّاشي ١. ٩٩، الحديث: ٢٧٦ إلى ٢٧٩؛ و جوامع الجامع ١: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨٩، الحديث: ١٤٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١٠ـ المصدر: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

١١ـ القمّي ١: ٧٠؛ والكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي أُخرى: «اتّقى الكبر وهو أن يجهل الحقّ ويطعن على أهله»[١]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد في إحرامه»[٢]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد حتّى ينفر أهل منى النّفر الأخير»[٣] وفي أُخرى: «اتّقى ما حرّم الله عليه في إحرامه»[٤]. وفي رواية: «يعني من مات قبل أن يمضي فلا إثم عليه، و من تأخّر فلا إثم عليه، لمن اتّقى الكبائر يعني تأخّر موته»[٥]. و ورد: «أنتم و الله هم. إنّ رسول الله ﷺ قال: لايثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون»[٦]. وفي رواية: «إنّما هي لكم و النّاس سواد وأنتم الحاجّ»[٧]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بما تعملون. والحشر: الجمع وضمّ المتفرّق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ قال: «بأن يحلف لك بأنّه مؤمن مخلص مصدّق لقوله بعمله»[٨]. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ قال: «أدبر و انصرف عنك»[٩]. وقيل: ملك الأمر وصار والياً[١٠]. ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ قال: «بظلمه وسوء سيرته»[١١]. ورد: «إنّ الحرث هنا: الدّين، والنّسل: النّاس»[١٢]. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

١ـ الكافي ٤: ٢٥٢، الحديث: ٢؛ و معاني الأخبار: ٢٤٢، الحديث: ٥و٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٩؛ والعيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٠٠، الحديث: ٢٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الكافي ٤: ٥٢٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و سواد النّاس: عوامّهم.
٨و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن ضحّاك.
١١ـ العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٢ـ القمّي ١: ٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ :حملته الأنفة وحميّة الجاهليّة على الإثم الّذي يؤمر باتّقائه لجاجاً، «فيزداد إلى شرّه شرّاً ويضيف إلى ظلمه ظلماً». كذا ورد[1].

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ :يبيعها يبذلها لله ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طلباً لرضاه، قال: «فيعمل بطاعته ويأمر النّاس بها»[2]. وردت في عدّة أخبار عاميّة وخاصيّة: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وهرب النّبيّ إلى الغار»[3]. وفي رواية: «إنّ المراد بها الرّجل يقتل على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[4]. يعني: هي عامّة وإن نزلت خاصّة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قال: «امّا الطّالبون لرضا ربّهم فيبلغهم اقصى امانيّهم ويزيدهم عليها ما لم تبلغه آمالهم، وامّا الفاجرون فيرفق في دعوتهم إلى طاعته ولا يقطع ممّن علم انه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته»[5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾. قال: «في المسالمة إلى دين الإسلام»[6].

اقول: يعني في الاستسلام والطّاعة. و في رواية: «في ولايتنا»[7].

﴿كَافَّةً﴾: جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بالتّفرّق والتّفريق. و في رواية: «بولاية فلان وفلان»[8].

اقول: لا تنافي بين التّفسيرين في الكلمتين؛ فإنّ الولاية ركن الطّاعة او المعصية وبها يتمّ الإسلام.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.
٢ـ المصدر: ٦٢١.
٣ـ راجع من الخاصّة: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١؛ و العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٢؛ والبرهان ١: ٢٠٦، و من العامّة: الجامع لاحكام القرآن ٢: ٢١؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٥ـ٦: ٢٢٣.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١: مروياً عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢١.
٧ـ الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٩؛ و العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ عن الدّخول في السّلم ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لاينتقم إلاّ بالحقّ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني أمره و بأسه ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾. وفي رواية: «هكذا نزلت: إلاّ أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام»[1]. وفي أُخرى: «يعني يأتيهم الله في ظلل من الغمام ويأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم المحال»[2]. ويستفاد من بعضها أنّ المراد به الرّجعة وخروج القائم. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: و اتمّ أمر إهلاكهم وفرغ منه. وفي الرّواية الأخيرة: «قضاء الأمر: الوسم على خرطوم الكافر»[3]. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ «فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من اقرّ و منهم من بدّل» كذا قراء[4] الصّادق عليه السلام[5]. ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: آياته الّتي هي سبب الهدى والنّجاة الّذين هما أجلّ النّعم، بجعلهما سبب الضّلالة وزيادة الرّجس. ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: حسنت في أعينهم وأُشربت محبّتها في قلوبهم، حتّى تهالكوا عليها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من فقراء المؤمنين الّذين لاحظّ لهم منها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ من المؤمنين ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لانّهم في علّيين وفي الكرامة، و هم في سجّين و في النّدامة ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ في الدّارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير فيوسّع في الدّنيا استدراجاً تارة وابتلاء أُخرى ويعطي أهل الجنّة ما

١ـ التّوحيد: ١٦٣، الباب: ٢٠، الحديث: ١، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢٩، و فيه: «و تأتيهم الملائكة».

٣ـ العيّاشي ١: ١٠٣، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ في «ب» و «ج»: «كذا قراءة».

٥ـ الكافي ٨: ٢٩٠، الحديث: ٤٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لايحصى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: «قبل نوح»[1]. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: «على الفطرة لامهتدين ولاكافرين، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله. اما تسمع إبراهيم يقول: "لَئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لَأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّينَ" أي ناسياً للميثاق»[2]. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال: «ليتّخذ عليهم الحجة»[3]. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ثمّ اختلفوا بعد البعث على الرّسل، في الإيمان بهم والكفر، ثمّ في الكتاب بعد الإيمان، كما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. جعلوا نزول الكتاب الّذي أُنزل لإزالة الخلاف، سبباً في شدّة الاختلاف. ﴿بَغْيًۢا﴾: حسداً وظلماً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لحرصهم على الدّنيا ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. بيان لـ«ما». ﴿بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾. استبعاد للحسبان وتشجيع للمؤمنين على الصّبر والثّبات مع الّذين اختلفوا عليهم وعداوتهم لهم. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾: متوقّع إتيانه منتظر ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ حالهم الّتي هي مَثَل في الشّدّة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الاهل والمال ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشّدايد ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ استبطاء له، لتناهي الشّدّة واستطالة المدّة، بحيث تقطّعت حبال الصّبر. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾. فقيل لهم ذلك، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النّصر. ورد: «فما تمدّون أعينكم ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ، فيقطع يده

١ ـ العيّاشي١: ١٠٤، الحديث: ٣٠٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٣٠٩، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية في سورة الأنعام(٦): ٧٧.
٣ ـ العيّاشي٢: ١٦٤، الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

ورجله ويصلب، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾. سئل عن المنفق، فأجاب ببيان المصرف، لأنّه أهمّ؛ إذ النّفقة لايعتدّ بها إلاّ إذا وقعت موقعها. قيل: وكان السّؤال متضمّناً للمصرف أيضاً[٢]، وإن لم يذكر في الآية. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ يعلم كنهه و يوفّي ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة. وهكذا اكثر ما أُمرنابه؛ فإنّ الطّبع يكرهه وهو مناط صلاحنا وسبب فلاحنا ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في المآل. وهكذا اكثر ما نهينا عنه؛ فإنّ النّفس تحبّه وتهواه وهو يفضي بنا إلى الرّدى. وإنّما ذكر "عسى" لأنّ النّفس إذا ارتاضت ينعكس الامر عليها. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. قيل: قتل المسلمون مشركاً في غرّة رجب، وهم يظنّونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشّهر الحرام؛ فسئل، فنزلت[٣]. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم. تمّ الكلام ثمّ ابتدأ و قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ولكن ما فعلوا بك من الصدّ عن الإسلام والكفر بالله و بالمسجد و إخراجك والمؤمنين منه، أعظم وزراً عند الله من القتل الّذي وقع في الشّهر الحرام. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ يعني الكفر وساير ما فعلوا

١ـ الخرايج و الجرايح٣: ١١٥٥، الحديث: ٦١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٩؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٣.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٢؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٤.

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثّواب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾. ورد: «إنّ الخمر راس كلّ إثم ومفتاح كلّ شرّ»[١]. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالطّرب وكسب المال وغيرهما ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ اي: المفاسد الّتي تنشا منهما أعظم من المنافع المتوقّعة منهما. «هي اوّل آية نزلت في الخمر من الاربع الّتي كلٌّ متاخّرة منها أغلظ واشدّ في التّحريم من الّتي قبلها، ليوطّن النّاس انفسهم عليه[٢] ويسكنوا إلى نهي الله فيها، وليكون اصوب لهم إلى الانقياد واقرب لنفارهم». كذا ورد[٣]. ويأتي الفاظه مع تمام الكلام في الخمر في "المائدة"[٤] إن شاء الله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ما قدر الانفاق؟ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قال: «الوسط»[٥]. وفي رواية: «ما يفضل عن قوت السّنة»[٦].

اقول: العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما تيسّر له بذله. ورد: «ياتي احدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف النّاس؛ إنّما الصّدقة عن ظهر غنى»[٧]. اقول: يعني ما

١ـ الكافي٦: ٤٠٢، الحديث ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و الحديث٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في النّسخ و لعلّ الصّواب: «عليها»
٣ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا مرسلاً.
٤ـ ذيل الآية: ٩١.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ راجع: الدّرّ المنثور١: ٦٠٨؛ و سنن الدّارمي١: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أبقى غنى.

ورد. «إنّها سخت بآية الزكاة»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾. ورد: «لمّا نزلت: "إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً"[2]. وفي رواية: "وآتوا اليتامى أموالهم"، كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا، فنزلت»[3]. ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾: مشاركتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدّين، ومن حقّ الأخ أن يخالط. ورد: «تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثمّ تنفقه»[4]. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، و هي المشقّة، ولم يجوّز لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾: لاتزوّجوهنّ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾ مملوكة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بجمالها أومالها ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: لاتزوّجوا منهم المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾ مملوك ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ حرّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله او ماله او حاله ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «إنّ هذه الآية منسوخة النّصف»[5]. يعني نسخ نصفها الأوّل بقوله تعالى: "والمحصنات من الّذين اوتوا الكتاب". كمايأتي في المائدة[6].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه، نفرة منه له

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٧٢، عن ابي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة النّساء (٤): ١٠.
٣ـ مجمع البيان: ٣ـ٤: ٤. و الآية في سورة النّساء (٤): ٢
٤ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٧٣.
٦ـ ذيل الآية: ٥.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ : فاجتنبوا مجامعتهنّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ : ينقطع الدّم عنهنّ. وعلى قراءة التّشديد: يغتسلن. ورد: «ليأتها حيث شاء، ما اتّقى موضع الدّم»[1]. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ : اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال: «فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله»[2].

أقول: يعني المأتى الّذي أمركم به وحلّله لكم. وإنّما استفيد طلب الولد من لفظة «من».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذّنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء والمتنزّهين عن الأقذار. ورد: «كانوا يستنجون بالكراسف[3] والأحجار، ثمّ أحدث الوضوء، يعني الاستنجاء بالماء، وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله ﷺ وصنعه فنزلت»[4].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ : مواضع حرث ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال: «متى شئتم في الفرج»[5]. وفي رواية: «أيّ ساعة شئتم»[6]. وفي أُخرى: «إنّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله: "نساؤكُمْ حَرْثٌ لكُمْ فأتوا حَرْثَكُمْ أنّى شئتُمْ": من خلف أو قدّام خلافاً لليهود، ولم يعن في أدبارهنّ»[7].

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ما يدّخر لكم من العمل الصّالح. و قيل: هو طلب الولد[8]. وقيل: التّسمية على الوطي[9]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : من صدّقك و امتثل أمرك.

١ـ التّهذيب ١: ١٥٤، الحديث: ٤٣٦؛ و الاستبصار ١: ١٢٨، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التّهذيب ٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكراسف جمع كُرْسف و هو القطن. لسان العرب ٩: ٢٩٧ (كرسف).
٤ـ الكافي ٣: ١٨، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١١١، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر، الحديث: ٣٣٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢١؛ و الكشّاف ١: ٣٦٢.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾. العرضة: ما يعترض دون الشيء فيحجز عنه، والمعرض للأمر. والمعنى على الأوّل: لاتجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير. فيكون المراد بالإيمان الأمور المحلوف عليها. وعليه ورد في تفسيرها: «إذا دُعيتَ لصلح بين اثنين فلاتقل عليّ يمين ان لا أفعل»[1]. وعلى الثّاني: لاتجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف. وعليه ورد: «لا تحلفوا بالله صادقين ولاكاذبين، فإنّ الله يقول: ... وتلا الآية»[2]. ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾. بيان للأيمان، أي الأمور المحلوف عليها من الخيرات على الأوّل، وعلّة للنّهي على الثّاني. أي: أنهاكم عنه إرادة برّكم و تقواكم و إصلاحكم بين النّاس فإن الحلاّف مجترئ على الله تعالى والمجترئ على الله تعالى لايكون برّاً متّقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين، ولذلك ذمّه الله في قوله: "وَلاتُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ"[3]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالعقوبة والكفّارة ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: «بالسّاقط الّذي لاعقد معه، بل يجري على عادة اللّسان لمجرّد التّأكيد». كذا ورد[4]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزمتموه، كقوله تعالى: "بِمَا عَقَّدْتُّمُ الأَيْمَانَ"[5] فإنّ كسب القلب هو العقد والنّيّة والقصد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾: يحلفون على ان لايجامعوهنّ مضارّة لهنّ. والإيلاء: الحلف. وتعديته بـ"عَلىٰ"، ولكن لمّا ضمّن هذا القسم معنى البعد عدّى بـ"من" ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها و التّوقّف فيها، فلايطالبوا بشيء. ﴿فَإِن فَاءُوا﴾: رجعوا إليهنّ بالحنث وكفّارة اليمين وجامعوا مع القدرة و وعدوها مع العجز،

١ و٢ـ العيّاشي ١: ١١٢، الحديث: ٣٤٠.
٣ـ القلم (٦٨): ١٠.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٣، عن ابي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام؛ والكشّاف ١: ٣٦٣، عن الشّافعي.
٥ـ المائدة (٥): ٨٩.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لايتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضميرهم. قال: «الإيلاء: ان يحلف الرّجل على امرأته ان لايجامعها، فإنْ صبرت عليه فلها أن تصبر، وإن رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا ان ترجع إلى المناكحة، وإمّا ان تطلّق فإن ابى حبسه أبداً»[١]. وفي رواية: «فإن مضت الاربعة اشهر قبل أن يمسّها فسكتت و رضيت فهو في حلّ وسعة»[٢].

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ يعني: المدخول بهنّ من ذوات الاقراء، لما دلّت الآيات والاخبار انّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: بقمعها وحملها على التربّص ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فلا يتزوّجن فيها. ورد: «القرء جمع الدّم بين الحيضتين[٣]، والقروء: الاطهار، فإذا رات الدّم من الحيضة الثّالثة فقد انقضت عدّتها»[٤].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ «من الولد ودم الحيض استعجالاً في العدّة وإبطالاً لحقّ الرّجعة». كذا ورد[٥]. ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النّكاح والرّجعة إليهنّ ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: في زمان التربّص. ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ ولم يريدوا مضارّتهنّ ﴿وَلَهُنَّ﴾ حقوق عليهم ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ في الاستحقاق لا في الجنس ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الّذي لاينكر في الشّرع ولا في عادات النّاس.

١ـ القمّي ١: ٧٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٦: ١٣١، الحديث: ٤، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام، و فيه: «فإن مضت الاربعة الاشهر»
٣ـ الكافي ٦: ٩٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٨٨، الحديث: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٦، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ٧٤؛ و الظّاهر انّ ما في المتن هو مضمون الحديث و المستفاد منه، كما يظهر بعد التّأمّل و المراجعة.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ و فضيلة بقيامهم عليهنّ. ورد: «لها عليه أن يشبع بطنها ويكسو جثّتها وإن جهلت غفر لها»[١]. «وله عليها أن تطيعه ولاتعصيه، ولاتتصدّق من بيته إلاّ بإذنه، ولاتصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه، ولاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولاتخرج من بيتها إلاّ بإذنه»[٢]. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقدر على الانتقام ممّن خالف الاحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ يشرعها لحكم ومصالح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ «اي: التّطليق الرّجعيّ اثنتان؛ فإنّ الثّالثة باين». كذا ورد[٣]. سئل النّبيّ ﷺ اين الثّالثة؟ فقال: «فتسريح بإحسان»[٤]. ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ بان لايراجعها او يطلّقها الثّالثة بعد الرّجعة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ اي: فيما يلزمهما من وظايف الزّوجيّة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها. يعني: لاجناح عليه في الاخذ، ولاعليها في الإعطاء. ورد: «إذا قالت جملة: «لاأُطيع لك امراً» مفسّراً او غير مفسّر، حلّ له ما اخذ منها وليس له عليها رجعة»[٥]. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ قال: «يعني: التّطليقة الثّالثة»[٦]. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ يعني: تزويجها ﴿مِن بَعْدُ﴾: من بعد هذا الطّلاق ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزّوج الثّاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾: يرجع كلّ منهما إلى الآخر بالزّواج ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٢٧٩، الحديث: ١٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٧٧، الحديث: ١٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: البرهان ١: ٢٢١، الحديث: ٢و٤؛ والتّبيان ٢: ٢٤٣، عن عروة و قتادة؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٠٦، عن عروة بن الزّبير؛ و جامع البيان (للطّبري) ٢: ٢٧٧، عن السّدي.
٤ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٩، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٣٩، الحديث: ١٦٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

حُدُودَ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: قاربن آخر عدّتهنّ؛ فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنوّ، كما يطلق على الوصول. والأجل يطلق على منتهى المدّة، كما يطلق على المدّة. ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾: راجعوهنّ بما يجب لها من القيام بموجبها[1] من غير طلب ضرار بالمراجعة ﴿ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ ﴾: خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ، فيكنّ أملك بأنفسهنّ ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا ﴾: ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ من غير رغبة فيهنّ ﴿ لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴾: لتظلموهنّ بتطويل المدّة عليهنّ في حبالكم أو إلجائهنّ إلى الافتداء. ورد: «كان الرّجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثمّ طلّقها، يفعل ذلك ثلاث مرّات، فنهى الله عن ذلك»[2]. ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ بتعريضها للعقاب.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾: لا تستخفّوا بأوامره ونواهيه ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: انقضت عدّتهنّ ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾: لا تمنعوهنّ ظلماً. والعَضْلُ: الحبس والتّضييق. كانوا لا يتركونهنّ يتزوّجن من شئن، فنزلت. ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ ﴾: أنفع ﴿ وَأَطۡهَرُۚ﴾ من دنس الآثام ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ

١ـ في «ب» و «ج»: «بمواجبها».

٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٣، الحديث: ١٥٦٧؛ والعيّاشي ١: ١١٩، الحديث: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ زوجها ﴿ولده﴾: بسبب ولدها، بأن تترك إرضاعه تعنتاً أو غيظاً على أبيه وسيّما بعد ما ألفها الولد، أو تطلب منه ما ليس بمعروف، أو تشغل قلبه في شأن الولد، أو تمنع نفسها منه خوف الحمل، لئلاّ يضرّ بالمرتضع. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ أي: لا يضارّ المولود له أيضاً امرأته ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾ :بسبب ولده، بأن ينزعه منها ويمنعها من إرضاعه إن ارادته، وسيّما بعد ما ألفها، أو يكرهها عليه، أو يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه، أو يترك مواقعتها خوف الحمل إشفاقاً على المرتضع. ورد المعنى الأخير في الموضعين في سبب النّزول[1]، ولا يتفاوت المعنى على المعلوم والمجهول في «لاتضارّ» غير أنّه يتعاكس على اللّفظتين. و ورد: «إذا طلّق الرّجل امرأته وهي حبلى، انفق عليها حتّى تضع حملها، وإذا وضعته أعطاها اجرها ولا يضارّها، إلاّ أن يجد من هو ارخص اجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي احقّ بابنها حتّى تفطمه»[2].

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: «وارث المولود له بعد موته». كذا ورد[3]. ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قال: «مثل ما على الوالد»[4]. ورد: «إنّ اجر رضاع الصبيّ ممّا يرث من ابيه و أمّه»[5]. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطاماً عن الرّضاع قبل الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا﴾ المراضع ﴿أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتم إيتاءه إيّاهنّ وشرطتم لهنّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ الكافي ٦: ١٠٣، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥؛ والبيضاوي ١: ٢٤٥.
٤ـ العيّاشي ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٣.
٥ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٠٩، الحديث: ١٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ ﴾ من التّعرّض للخُطّاب وسـاير ما حرّم عليهنّ للعدّة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ ﴾ المعتدّات، بـأن يقول لهـا مـا يوهم انّه يريد نكـاحهـا، حـتّى تحبس نفسهـا عليه إن رغبت فـيه، ولايصرّح بـالنّكاح. ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾: او سترتم واضـمرتم في قلوبكم، فلم تـذكروه بـالسنتكم ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾: خلـوة، كـان يـقول لهـا قبـل انقضـاء عـدّتهـا: أواعدك بيت آل فلان. يـريـد أن يـرغّبهـا في نفسـه في الخلـوة. كـانـوا يتكلّمـون في الخلـوة المواعـد بهـا بمـا يستهجـن، كـالرّفث او التّعريض به ونحـو ذلك، فنهـوا عـن ذلك. كـذا يستفـاد ممّـا ورد[1]. ﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾: «بـأن يعرّض فيهـا بـالخطبـة على وجههـا وحلّهـا ولا يصـرّح بهـا». كـذا ورد[2]. ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ ﴾: مـا كتـب وفرض مـن العدّة ﴿ أَجَلَهُۥ ﴾: منتهـاه ﴿ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ مـن العزم على مـا لا يجوز ﴿ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمـن عـزم ولـم يفـعل ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعـاجـلكم بـالعقوبة.

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾: لا تبـعـة عليكم من مـهـر او وزر ﴿ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾: ما لم تجامعوهنّ ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا ﴾: إلاّ أن تفرضوا ﴿ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ اي: تسمّوا مهراً. و ذلك انّ المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهر، فلها نصف المسمّى، وإلاّ فليس لهـا إلاّ المتعة. كذا ورد[3]. ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾: اعطوهنّ من مالكم مـا يتمتّعن به ﴿ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾: مقداره الّذي يطيقه ﴿ مَتَٰعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾: تمتّعاً

١ـ العيّاشي١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٤؛ عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي١: ٧٧.
٢ـ الكافي ٥: ٤٣٥، الحديث: ٣، عن ابي الحسن عليه السلام.
٣ـ الكافي ٦: ١٠٦، الحديث: ٣؛ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٦، الحديث: ١٥٧٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

بالوجه الّذي يستحسنه الشّرع والمروّة ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ورد: «إنّ الغنيّ يمتّع بدار أو خادم، والوسط يمتّع بثوب، والفقير بدرهم او خاتم»[١]. وفي رواية: «نحو ما يمتّع مثلها من النّساء»[٢]. و ورد: «يمتّع قبل ان يطلّق و أنّها فريضة»[٣].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾. قال: «هو وليّ امرها»[٤]. وقال: «يعني الاب والّذي توكّله المراة وتولّيه امرها، من اخ او قرابة أو غيرهما»[٥]. وقال: «الوليّ يأخذ بعضاً ويدع بعضاً و ليس له ان يدع كلّه»[٦]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أن يتفضّل بعضكم على بعض ولا يستقصي. ورد: «سياتي زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك. ثمّ تلا هذه الآية»[٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها باداء أركانها. ورد: «لايزال الشّيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصّلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه، فادخله في العظائم»[٨]. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بينها خصوصاً. قال: «هي صلاة الظّهر، وهي وسط النّهار و وسط صلاتين بالنّهار»[٩] وفي رواية: «هي الجمعة يوم الجمعة

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٢٧، الحديث: ١٥٨٢.
٢ـ التّهذيب٨: ١٤٢، الحديث: ٤٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ٤٨٩و٤٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التّهذيب٦: ٢١٥، الحديث: ٥٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٥، الباب: ٣١، الحديث: ١٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «و لم يؤمن بذلك»
٨ـ الكافي٣: ٢٦٩، الحديث: ٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. و «ذعراً من المؤمن» أي: خائفاً منه. و الذُّعْر ـ بالضّمّ ـ: الخوف. و ـ بالتّحريك ـ: الدّهش من الحياء. لسان العرب ٤: ٣٠٦ (ذعر).
٩ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

والظّهر ساير الأيّام»[١]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «والصّلاة الوسطى وصلاة العصر»[٢]. ﴿وَ قُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصّلاة ﴿قَـٰنِتِينَ﴾. قال: «هو إقبال الرّجل على صلاته ومحافظته، حتّى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء»[٣]. وفي رواية: «مطيعين راعين»[٤]. وفي أخرى: «هو الدّعاء»[٥]. و ورد: «نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله ﷺ في سفر فقنت فيها»[٦].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ «من لصّ او سبع او غير ذلك». كذا ورد[٧]. ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين. قال: «يكبّر و يؤمي إيماءاً»[٨]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾: صلّوا صلاة الامن او اشكروه على الامن ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: مثل ما علّمكم او شكراً يوازي تعليمكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾: يوصون وصيّة من قبل ان يحتضروا ﴿مَّتَـٰعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ بان تمتّع ازواجهم بعدهم حولاً كاملاً، اي: ينفق عليهنّ من تركته ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهنّ. ورد: «هي منسوخة، نسختها "يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ و عَشْرًا"[٩]، و نسختها آية[١٠] الميراث»[١١].

أقول: يعني نسخت المدّة بآية التّربّص، والنّفقة بآية الميراث. و آية التّربّص وإن كانت متقدّمة في التّلاوة فهي متاخّرة في النّزول.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل ازواجهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٣، عن امير المؤمنين عليه السلام
٢و٣ـ القمّي ١: ٧٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤و٦ـ العيّاشي ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٢٨، الحديث: ٤٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧و٨ـ الكافي ٣: ٤٥٧، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٩ـ البقرة (٢): ٢٣٤.
١٠ـ النّساء (٤): ١٢.
١١ـ العيّاشي ١: ١٢٩ الحديث: ٤٢٦.

مَّعْرُوفٍ﴾ كالتزيّن والتعرّض للأزواج ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممّن خالفه ﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي مصالحهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾. تعميم بعد ذكر بعض الافراد، وحمل على الاستحباب، لما ورد من اختصاص الوجوب بذلك[1]. و ورد: «إنّ متاعها بعد ما تنقضي عدّتها، على الموسع قدره و على المقتر قدره ـ قال: ـ وكيف يمتّعها في عدّتها؟ وهي ترجوه ويرجوها ويحدث الله بينهما ما يشاء»[2].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونها و تستعملون العقل فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾. تعجيب وتقرير. ورد: «هم أهل مدينة من مدائن الشّام وكانوا سبعين الف بيت، هربوا من الطّاعون، فمرّوا بمدينة خربة قد جلا اهلها عنها وافناهم الطّاعون، فنزلوا بها، فاماتهم الله من ساعتهم جميعاً وصاروا رميماً يلوح[3]، فمرّ بهم نبيّ من انبياء بني إسرائيل يقال له: «حزقيل» فبكى واستعبر وقال: يا ربّ لو شئت لاحييتهم السّاعة كما امّتهم، فعمروا بلادك و ولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك. فاوحى الله إليه أن قُلْ: كذا و كذا فقاله ـ وكان الاسم الاعظم ـ فعادوا أحياءاً، ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله ويكبّرونه ويهلّلونه. فقال «حزقيل» عند ذلك: أشهد انّ الله على كلّ شيء قدير»[4]. هذا ملخّص القصّة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لايعتبرون.

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٥ـ٣٤٦؛ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٨، الحديث: ١٥٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكافي ٦: ١٠٥، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ـ اي: يظهر للنّاس عظامهم المندرسة من غير جلدو لحم «مرآة العقول ٢٦: ١٠٢».

٤ـ الكافي ٨: ١٩٨ـ١٩٩، الحديث: ٢٣٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فإنّ الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقوله المخلّفون والسّابقون ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما يضمرونه.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾: مقروناً بالإخلاص من حلال طيّب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ لايقدّرها إلاّ الله. ورد: «لمّا نزلت "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها"[١]، قال رسول الله ﷺ: اللّهم زدني، فأنزل الله: "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها"[٢]، فقال رسول الله ﷺ: زدني فنزلت. فعلم أنّ الكثير من الله لايحصى وليس له منتهى»[٣]. ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: «يمنع و يوسّع»[٤].

أقول: يعني فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم. ورد: «إنّها نزلت في صلة الإمام»[٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قال: «هو إشموئيل، وهو بالعربيّة إسماعيل»[٦]. ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. قال: «كان الملك في ذلك الزّمان هو الّذي يسير بالجنود، والنّبيّ يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند ربّه»[٧]. ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ﴾: ان تجبّنوا ولا تفوا ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بالسّبي والقهر على نواحينا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. تهديد لمن تولّى.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا

١ـ النّمل (٢٧): ٨٩.
٢ـ الانعام (٦): ١٦٠.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ التّوحيد: ١٦١، الباب: ١٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٤٢، الحديث: ١٨٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٠، عن أبي جعفر ؑ.
٧ـ العيّاشي ١: ١٣٢، الحديث. ٤٣٧، عن أبي عبدالله ؑ.

﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾ وراثة ومكنة ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ﴾: فضيلة وسعة ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يوسّع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن يليق بالملك.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ﴾: امنة وطمانينة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

ورد: «إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن امر ربّهم، وكان فيهم نبيّ ينها هم فلم يطيعوه، فسلّط الله عليهم جالوت، وهو من القبط، فآذاهم[1] وقتل رجالهم واخرجهم من ديارهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله ان يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. وكانت النّبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسّلطان في بيت آخر، لم يجمع الله النّبوّة والملك في بيت. كانت النّبوّة في ولد "لاوي" والملك في ولد "يوسف" وكان طالوت من ولد "بن يامين" اخي يوسف لأمّه، ولم يكن من بيت النّبوّة ولا من بيت المملكة، وكان اعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان اعلمهم، إلاّ أنّه كان فقيراً، فعابوه بالفقر.

و كان التّابوت الّذي انزل الله على موسى، فوضعته فيه أمّه، فالقته في اليمّ وكان في بني إسرائيل يتبرّكون به[2]. فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الالواح [ودرعه][3] وما كان عنده من آيات النّبوّة و أودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصّبيان يلعبون به في الطّرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ و شرف مادام التّابوت

١ ـ في المصدر: «فاذلّهم».
٢ ـ في المصدر: «فكان في بني إسرائيل معظماً يتبركون به».
٣ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.

بينهم. فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتّابوت رفعه الله عنهم. فلمّا سالوا النّبيّ وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم، ردّ الله عليهم التّابوت»[١].

وقال: «السّكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان. وكان إذا وضع التّابوت بين يدي المسلمين والكفّار، فإن تقدّم التّابوتَ رجلٌ لا يرجع حتّى يُقتَل أو يغلب، ومن رجع عن التّابوت كفر و قتله الإمام»[٢]. وقال: «والبقيّة رَضْراض الالواح فيها العلم والحكمة»[٣]. وفي رواية: «وعصا موسى»[٤]. وفي أخرى: «والطّست الّذي يغسل فيه قلوب الأنبياء»[٥]. وقد مرّ لها معنى اعمّ من ذلك كلّه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم عن بلده ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ قال: «فليس من حزب الله»[٦]. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. استثناء من قوله: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ" ومعناه: الرّخصة في اغتراف الغرفة باليد. قال: «لمّا وردوا النّهر، اطلق الله لهم ان يغترف كلّ واحد منهم غرفة»[٧].

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «إلّا ثلثماة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب»[٨]. وفي رواية: «القليل الّذين لم يشربوا و لم يغترفوا

١ ـ القمّي١: ٨١ـ٨٢: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ المصدر: ٨٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ ـ الكافي٨: ٣١٧، الحديث: ٥٠٠؛ و العيّاشي١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
والرُّضراض: الفتات، من رضرضه إذا كسره و فرّقه و رضراض الألواح: مكسوراتها. «منه قدّس سرّه في الصّافي ١: ٢٥٣». و في العيّاشي: «رضاض» و هي بمعناه.
٤ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيه: «الطست الّتي تغسل فيها قلوب الانبياء».
٦ و٧ ـ القمّي١: ٨٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي ١: ١٣٤، الحديث: ٤٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

ثلثماءة وثلاثة عشر»[١]. قال: «وكان الّذين شربوا منه ستّين ألفاً»[٢]. و روي: «انّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه و إداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته ولم يقدر ان يمضي. وهكذا الدّنيا لقاصد الآخرة»[٣]. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ﴾: تخطّى النّهر طالوت ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يعني: القليل من أصحابه، ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿قَالُوا﴾: قال الّذين اغترفوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقّنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ وهم الّذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. ورد: «اوحى الله إلى نبيّهم انّ جالوت يقتله من يسوّى[٤] عليه درع موسى، وهو رجل من ولد "لاوي بن يعقوب" اسمه: "داود بن آسي". قال: فلمّا جاء إلى طالوت البسه درع موسى، فاستوت عليه. وقتل داود جالوت واجتمعت بنو إسرائيل على داود، وانزل الله عليه الزّبور، وعلّمه صنعة الحديد وليّنه له»[٥]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال: «يدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر»[٦]. ﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. ورد: «إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من

١ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٥٥. والإداوة ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. و إداوة الشّيء و اداوته آلته. لسان العرب ١٤: ٢٥ (ادا).
٤ـ في المصدر: «من يستوي».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٨٢؛ والعيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصّلاة لهلكوا. ثمّ ذكر الزّكاة والحجّ، ثمّ تلا هذه الآية وقال: فو الله ما نزلت إلاّ فيكم ولا عني بها غيركم»[١].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون على تدارك ما فرّطتم. ولعلّ المراد به يوم الموت، كما مرّ في قوله: «وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجزي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً»[٢]. و ذلك لانّ الشّفاعة ثابتة يوم القيامة. ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فتحصّلون ما تنفقونه أو تفتدون[٣] به من العذاب. ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتّى تعينكم عليه أخلاّؤكم أو يسامحونكم به ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ حتى تتكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حطّ ما في ذممكم[٤] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحقّ للعبادة لا غير ﴿ٱلْحَىُّ﴾: العليم القدير ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الدّائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ بالطّريق الاولى. وهو تأكيد للنّوم المنفيّ ضمناً. والجملة نفي للتّشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيّوماً. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يملكهما ويملك تدبيرهما.

١ـ العيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٣ـ في «الف»: «و تفتدون».
٤ـ في «ج»: «ذمّتكم».

تأكيد لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده بالأُلوهيّة.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. بيان لكبرياء شأنه وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة، فضلاً أن يعاوقه عناد أو مناصبة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «ما كان»[١]. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال: «و ما لم يكن بعد»[٢]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: من معلوماته بأن يعلموه كما هو ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ القمّي: «إلا بما يوحي إليهم»[٣]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: «علمه»[٤]. وفي رواية: «العرش هو العلم الّذي اطلع الله عليه أنبياءه و رسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الّذي لم يُطلع عليه أحداً منهم»[٥]. وفي اُخرى: «العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه»[٦]. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: ولا يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيّاهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ عن الأنداد والأشباه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: تميّز الإيمان من الكفر، واتّضح أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السّعادة الأبديّة، وأنّ الكفر غيّ يؤدّي إلى الشّقاوة السّرمديّة، فلا حاجة إلى الإكراه. أو إخبار في معنى النّهي، مختصّ بأهل الكتاب، إذا أدّوا الجزية. ورد: «لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله»[٧]. وعلى هذا يكون المعنى: لا إكراه في التّشيّع. فهو إخبار في معنى النّهي من دون تخصيص.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال: «الشّيطان»[٨]. وفي رواية: «كلّ ما عبد من دون الله

١، ٢ و٣ـ القمّي ١: ٨٤، عن الرّضا عليه السلام.
٤ـ التّوحيد: ٣٢٧، الباب: ٥٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و ٦ـ معاني الأخبار: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من صنم أو صادٍ عن سبيل الله»[١]. ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾. قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له»[٢]. وفي رواية: «هي مودّتنا أهل البيت»[٣]. ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنّيات

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: متولّي أُمورهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: «ظلمات الذّنوب»[٤]. ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ قال: «نور التّوبة والمغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله»[٥]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ قال: «نور الإسلام الّذي كانوا عليه»[٦]. ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: «ظلمات الكفر، لولايتهم كلّ إمام جائر ليس من الله، فأوجب الله لهم النّار مع الكفّار»[٧]. قال: «وذلك لأنّ الكافر لا نور له حتّى يخرج منه»[٨]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾. تعجيب من محاجّة نمرود وحماقته. ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: لأن آتاه: اي: ابطره[٩] إيتاؤه الملك وحمله على المحاجّة، أو المراد وضع المحاجّة موضع الشكر على إيتائه الملك. ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل والقتل. ورد: «إنّ ابراهيم قال له: أَحْيِ مَنْ قَتَلْتَهُ إنْ كنت صادقاً»[١٠]. وكان ذلك بعد إلقائه إيّاه في النّار.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾. عدل إلى مثال اجلى، دفعاً للمشاغبة[١١]. ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: فصار مبهوتاً، وعلى قراءة المعلوم:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والبيضاوي ١: ٢٦٠؛ والدرّ المنثور ٢: ٢٢.
٢ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نور الثّقلين ١: ٢٦٣، الحديث: ١٠٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ إلى ٨ ـ العيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠؛ والكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٣؛ عن أبي عبدالله عليه السلام
٩ـ ابطره: ادهشه و جعله بطراً والبطر: سوء احتمال الغنى والطّغيان عند النّعمة. القاموس المحيط ١: ٣٨٨، و مجمع البحرين ٣: ٢٢٦ (بطر).
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ المشاغبة: المخاصمة. مجمع البحرين ٢: ٩١ (شغب).

فعلبه. والقمّي: أي انقطع، وذلك أنّه علم أنّ الشّمس أقدم منه [١]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ بمحجّة [٢] المحاجّة وسبيل النّجاة وطريق الجنّة ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية. ورد: «خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتّى أدخل على نمرود فخاصمهم» [٣].

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾ قال: «هو إرميا النّبيّ» [٤]. وفي رواية: «عزير» [٥]. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: «ساقطة حيطانها على سقوفها، وأهلها موتى، والسّباع تأكل الجيف، ففكّر في نفسه ساعة». كذا ورد [٦]. ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾: كيف يحيي؟، أو متى يحيي؟ اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي. أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة. ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾. ورد: «إنّه أماته غدوة وبعثه عشيّة قبل الغروب، وكان أوّل ما أحيا الله منه عينيه في مثل غرقيّ البيض، ثمّ أوحى إليه: "كَمْ لَبِثْتَ" قال: "لَبِثْتُ يَوْماً" فلمّا أن نظر إلى الشّمس لم تغب، قال: "أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ"» [٧]. ﴿قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾: لم يتغيّر بمرور السّنين. ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قال: «كيف تفرّقت عظامه ونخرت وتفتّتت» [٨]. ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ﴾ أي: و فعلنا ذلك لنجعلك آية، قال: «حجّة» [٩]. ﴿وَٱنظُرۡ

١ـ القمّي ١: ٨٦.
٢ـ في «الف» و «ج»: «لحجّة».
٣ـ العيّاشي ١: ١٣٩، الحديث: ٤٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: القمّي ١: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ جوامع الجامع ١: ١٤٢. والتّفتّت: التّكسّر. لسان العرب ٢: ٦٥؛ و مجمع البحرين ٢: ٢١٢ (فتت).
٩ـ كمال الدّين ١: ٣٠.

﴿إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. قال: «كيف نرفع بعضها إلى بعض»[1]. «فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف تجري»[2].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبين ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قال: «فلمّا استوى قائماً قال: أعلم»[3]. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي رواية: «فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السّباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: "اعلم انّ الله عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدير"»[4].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. ورد: «لمّا رأى إبراهيم ملكوت السّمٰوات والأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدّ[5] بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً. فعند ذلك تعجّب إبراهيم ممّا رأى وقال: "رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيي الْمَوْتىٰ"؟ قال: كيف تخرج ما تناسل الّتي أكل بعضها بعضاً؟»[6]. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأنّي قادر على الإحياء؟ قال له ذلك ليجيب بما أجاب، فيعلم السّامعون غرضه. ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: «يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها»[7]. ورد: «كان على يقين ولكنّه أراد من الله الزّيادة في يقينه»[8]. وفي رواية: «إنّ الله أوحى إليه أنّي متّخذ من

١ـ جوامع الجامع ١: ١٤٣.
٢و٣ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٩٠ـ ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّدّ ـ بالفتح ـ: الحملة في الحرب. القاموس المحيط ١: ٣١٦ (شد).
٦و٧ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣؛ والعيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٦٩ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المحاسن (للبرقي) ٢٤٧، الباب: ٢٩، الحديث: ٢٤٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفسه أنّه ذلك الخليل، فقال: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِن؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي" على الخلّة»[١].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: أملهنّ واضممهنّ ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتأمّلها وتعرف شأنها، لئلاّ يلتبس عليك بعد الإحياء ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قال: «فقطّعهنّ واخلطهنّ، كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السّباع الّتي أكل بعضها بعضاً فخلط»[٢]، الحديث.

وفي رواية: «فأخذ نسراً وبطّاً وطاووساً و ديكاً، فقطّعهنّ وخلّطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال ـ الّتي كانت حوله وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً؛ وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ، و وضع عنده حبّاً و ماءاً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انظمّ إلى رقبته و رأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا، أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير»[٣]. وفي تعيين الطّيور أخبار اُخر[٤]. ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عمّا يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعله ويذره.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾: باذر حبّة ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ قال: «لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[٥]. و ورد: «إذا أحسن العبد المؤمن عمله، ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٤ـ راجع: العيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٧٠ و ٤٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٣؛ والقمّي ١: ٩١.
٥ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سبعماة ضعف وذلك قول الله: «والله يضاعف لمن يشاء»[١]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزّيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾. المنّ: الاعتداد بالإحسان على من أحسن إليه. والأذى: التّطاول عليه بما أنعم عليه. ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تجاوز عن السّائل أو مغفرة من الله ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقة المانّ والموذي ﴿حَلِيمٌ﴾ لايعاجله بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. قال: «نزلت في عثمان وجرت في معاوية واتباعهما»[٢]. ﴿كَٱلَّذِى﴾: كإبطال المنافق الّذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: نقيّاً من التّراب ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: لاينتفعون بما فعلوه ولايجدون ثوابه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير والرّشاد.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ القمّي: «عن المنّ والأذى»[٣].

أقول: يعني ويوطّنون أنفسهم على حفظه ممّا يفسده من المنّ والأذى والرّياء، بعد ابتغائهم به مرضاة الله. ورد: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام»[٤].

١ـ العيّاشي ١: ١٤٦، الحديث: ٤٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٤٨، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: مَثَلُ نفقتهم في الزّكاء كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: في موضع مرتفع ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلَيْ ما كانت تثمر بسبب الوابل. قال: «يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[1].

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها. والطّلّ يقال لما يقع بالليل على الشّجر والنّبات. والمعنى انّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإخلاص والرّياء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف تنعكس من الأرض إلى السّماء، مستديرة كعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾. قال: «من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كمن قال الله: "أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ" قال: الإعصار: الرّيح، فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كان له جنّة كثيرة الثّمار، وهو شيخ ضعيف له أولاد ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كلّه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: و من طيّبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثّمار والمعادن. قال: «كان القوم قد كسبوا مكاسب[3] في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله إلّا أن يخرجوا من طيّب ما كسبوا»[4]. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

١ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ في المصدر: «مكاسب سوء».
٤ ـ الكافي ٤: ٤٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «من أطيب ما كسبوا».

﴿الْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا الرّدي ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾: وحالكم أنّكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته: ﴿إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: إلّا أن تتسامحوا فيه. ورد: «إنّها نزلت في قوم كانوا يأتون برديّ التّمر، فيدخلون في تمر الصّدقة»[١]. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم؛ وإنّما أمركم به لا نتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله وإثابته.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق في وجوه البرّ، وفي إنفاق الجيّد من المال ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ ويغريكم على البخل، ومنع الزّكوات إغراء الآمر للمأمور. والعرب تسمّي البخيل فاحشاً. ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم وكفّارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾: وخلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدّنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: واسع الفضل لمن أنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وفي رواية: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[٢]. وفي أُخرى: «معرفة الإمام و اجتناب الكبائر الّتي اوجب [الله][٣] عليها النّار»[٤]. وفي أُخرى: «المعرفة والفقه في الدّين ـ قال: ـ فمن فقّه منكم فهو حكيم»[٥]. وفي أُخرى: «الحكمة ضياء المعرفة وميراث التّقوى وثمرة الصّدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وارفع واجزل وابهى من الحكمة لقلت، ثمّ تلا هذه الآية»[٦].

أقول: والكلّ يرجع إلى ما فسّرناها به أوّلاً.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم. وفي

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يأتون بالحشف».
٢ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الزّيادة من المصدر و «ب».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «التّفقّه في الدّين»
٦ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «للقلب».

الرّواية الأخيرة قال: «أي: لا يعلم ما أودعت وهيّأت في الحكمة إلاّ من استخلصته لنفسي وخصّصته بها. والحكمة هي الكتاب[1]، وصفة الحكيم الثّبات عند أوايل الأمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله»[2]. وفي أُخرى: «ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً. ألا فتفقّهوا و تعلّموا ولا تموتوا جهلاء»[3].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة او كثيرة، سرّ اوعلانية، في حقّ أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة او معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصّدقات ولا يوفون بالنّذور ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قال: «يعني الزّكاة المفروضة»[4]. ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: «يعني النّافلة، إنّهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النّوافل»[6]. ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ترغيب في الإخفاء ومجانبة الرّياء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فلاتمنّوا به على من تنفقونه عليه ولاتؤذوه ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: إلاّ لطلب ما عنده. فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الّذي لا يتوجّه بمثله إلى الله؟ ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه اضعافاً مضاعفة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: اعمدوا للفقراء ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أحصرهم الجهاد

١ـ في المصدر: «النّجاة»؛ وفي بعض النّسخ: «الكتاب».
٢ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ و٦ـ الكافي ٤: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا شتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: ذهاباً فيها للكسب. ورد: «إنّها نزلت في أصحاب الصُّفَّة»[1]. قيل: كانوا نحواً من أربع مائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صفّة المسجد، يستغرقون أوقاتهم بالتّعلّم والعبادة وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله ﷺ[2]. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: من أجل تعفّفهم عن السّؤال ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من صفرة الوجه و رثاثة الحال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: إلحاحاً، وهو ان يلازم المسئول حتّى يعطيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قال: «نزلت في علي عليه السلام كانت معه أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية»[3]. وفي رواية «نزلت في النّفقة على الخيل»[4]. ولا منافاة بينهما. و ورد: «إنّها ليست من الزّكاة»[5].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: إلاّ كقيام المصروع ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: الجنون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: قاسوا احدهما بالآخر ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. إنكار لتسويتهم وابطال للقياس. ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ قال: «الموعظة: التّوبة»[6]. ﴿فَانتَهَىٰ﴾:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ١: ٣٩٨؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٨، عن الصّادقين عليهما السّلام؛ والعيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠٢، عن أبي إسحاق
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٨٨، الحديث: ٨٥٢، عن النّبي ﷺ.
٥ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠١؛ والكافي ٣: ٤٩٩، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٥، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام

فاتّعظ وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يستردّ منه. قال: «كلّ رباً أكله النّاس بجهالة ثمّ تابوا، فإنّه يقبل منهم، إذا عرف منهم التّوبة»[١]. ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ما تبيّن له تحريمه مستحقّاً به. سئل: الرّجل يأكل الرّبا وهو يرى أنّه حلال؟ قال: «لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً»[٢]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يذهب بركته ويهلك المال الّذي يدخل فيه. ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يضاعف ثوابها. ورد: «ليس شيء إلاّ وقد وكّل به ملك غير الصّدقة؛ فإنّ الله يأخذه بيده ويربّيه[٣] كما يربّي أحدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحد»[٤]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرّمات ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: واتركوا بقايا ما شرطتم على النّاس منه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: فاعلموا بها. ورد: «درهم رباً أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم»[٥]. ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بأخذ الزّيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالمَطْل[٦] والنّقصان منها.

١ـ الكافي ٥: ١٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٤٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه: «أنّه له حلال».
٣ـ كذا في جميع النّسخ والمصدر؛ ولعلّ الأصحّ: «يأخذها بيده ويربّيها».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٣، الحديث: ٥١٠؛ والبحار ٩٣: ١٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ـ الكافي ٥: ١٤٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المطل: التّسويف بالعدة والدّين. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مطل).

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ : إن وقع في غرمائكم ذو إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ : فإنظار إلى وقت يسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : أكثر ثواباً من الإنظار ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «إن كنتم تعلمون أنّه معسر فتصدّقوا عليه بمالكم عليه»[١].

ورد. «من أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه»[٢]

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : تاهّبوا لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ : إذا تعاملتم نسيئة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنّه أوثق وأدفع للنّزاع ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ لايزيد على ما يجب ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الكتابة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأنّه المقرّ المشهود عليه. والإملال: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ : ولا ينقص من الحقّ ﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾.

قال: «السّفيه هو الّذي يشتري الدّرهم بأضعافه، والضّعيف: الأبله»[٣]. وفي رواية: «السّفيه: شارب الخمر، والضّعيف: الّذي يأخذ واحداً باثنين»[٤]. وفي أُخرى: «ضعيفاً في بدنه لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه لا يقدر أن يملّ و يميّز الالفاظ الّتي هي عدل عليه و له من الالفاظ الّتي هي جور عليه أو على حميمه»[٥]. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ قال: «بأن يكون مشغولاً في مرمّة لمعاش أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرّم؛ فإنّ تلك الاشغال الّتي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها»[٦]. ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾

١و٢ ـ الكافي ٤: ٣٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ التهذيب ٦: ١٨٢، الحديث: ٧٣١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي ١: ١٥٥، الحديث: ٥٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن امير المؤمنين عليه السلام

قال: «يعني النّائب عنه والقيّم بأمره»[١]. ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾. قال: «أن لا يحيف على المكتوب له ولا على المكتوب عليه»[٢].

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: المسلمين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾. قال: «يعني ممّن ترضون دينه وأمانته وصلاحه وعفّته وتيقّظه فيما يشهد به وتحصيله وتمييزه؛ فما كلّ صالح مميّز، ولا محصّل، ولا كلّ محصّل مميّز صالح»[٣]. ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ بأن تنساها. من قولهم: «ضلّ الطّريق»: إذا لم يهتد. ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾. قال: «إذا ضلّت إحداهما عن الشّهادة ونسيتها ذكّرتها الأُخرى، فاستقامتا في أداء الشّهادة»[٤]. ورد: «عدل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل، لنقصان عقولهنّ و دينهنّ»[٥].

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾. قال: «إذا دعاك الرّجل تشهد له على دَيْنٍ او حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»[٦]. وفي رواية: «هي قبل الشّهادة ومن يكتمها بعد الشّهادة»[٧]. ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: ولا تملّوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ كان الحقّ ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: إلى وقت حلوله الّذي اقرّبه المديون. ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: اعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: واثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: واقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدّين و قدره و أجله و شهدائه ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تتبايعون يداً بيد.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ﴾.

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ المصدر: ٦٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ و ٥ـ المصدر: ٦٧٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ العيّاشي ١: ١٥٦، الحديث: ٥٢٣، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٧ـ المصدر، الحديث: ٥٢٦ و ٥٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يحتمل الساءين. وهو نهي لهما عن ترك الإجابة والتّحريف والتّغيير في الكتابة والشّهادة، أو نهي عن الضّرار بهما، مثل أن يعجّلا عن مهمّ، ويكلّفا الخروج عمّا حدّ لهما، أو لا يعطى الكاتب جُعْلَة والشّهيد مُؤْنَةَ مجيئه حيث كان. ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ الضّرار وما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الطّاعة لاحق بكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. كرّر لفظة "الله" في الجمل الثّلاث لاستقلالها.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾: فالّذي يستوثق به رهان. وهي جمع رهن. ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾. قال: «لا رهن إلاّ مقبوضاً»[1].

أقول: لا يختصّ الارتهان بالسّفر، ولكن السّفر لمّا كان مظنّة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي: الّذي عليه الحقّ ﴿أَمَانَتَهُ﴾. سمّي الدّين امانة لإيتمانه عليه بترك الارتهان منه. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة وإنكار الحقّ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾. خطاب للشّهود. ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من ادائها ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ قال: «كافر قلبه»[2]. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. تهديد.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من خير أو شرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ سوى الوسوسة وحديث النّفس ممّا لا يدخل تحت الاختيار، كما ورد به الاخبار[3]. ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾. قال: «وبما في الصّدور يجازي العباد»[4]. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن

١ـ التّهذيب ٧: ١٧٦، الحديث. ٧٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٥، الحديث ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام
٣ـ راجع: الكافي ٢: ٤٦٣، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ والوسائل ٥: ٣٤٥، الحديث ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح). ١٠٣، الخطبة: ٧٥

يَشَآءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾. شهادة ونصّ من الله على صحّة إيمانه. ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾. إمّا استيناف، أو عطف على الرّسول وما بعده استيناف. ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ أي يقولون ذلك. والمراد نفي الفرق في التّصديق. ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا﴾: أجبْنا ﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾ أمرك ﴿غُفۡرَانَكَ﴾: اغفر غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ قال: «يعني المرجع في الآخرة»[1].

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾ قال: «فيما افترض الله عليها»[2]. ﴿إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾: إلّا ما دون طاقتها فضلاً و رحمةً. ورد: «ما أمر العباد إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء أمر النّاس بأخذه فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم؛ ولكنّ النّاس لاخير فيهم»[3].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ من خير ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ من شرّ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾: حملاً ثقيلاً. ياصر صاحبه، أي يحبسه في مكانه. يعني به التّكاليف الشّاقّة. ﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ يعني به: «ما كلّف به بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النّجاسة وغير ذلك». كما ورد مفصّلاً[4].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ من العقوبات النّازلة بمن قبلنا ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾: وامح ذنوبنا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾: واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾: وتعطّف بنا وتفضّل علينا ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾: سيّدنا، ونحن عبيدك ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة عليهم بالحجّة. فإنّ من حقّ المولى أن ينصر مواليه على الأعداء.

١ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام
٢ـ العيّاشي ١: ١٦٠، الحديث: ٥٣٣، عن أحدهما عليهما السّلام.
٣ـ التّوحيد: ٣٤٧، الباب: ٥٦، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام

ورد: «إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه في ليلة المعراج. قال ﷺ: فقلت انا مجيباً عنّي وعن أُمّتي: "وَالْمُؤْمِنُونَ" إلى قوله: "وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". فقال الله: "لا يُكَلِّفُ اللهُ ... إلى قوله: "مَا اكْتَسَبَتْ". فقلت: "رَبَّنَا لا تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا" فقال الله: لا أؤاخذك. فقلت: "رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا" فقال الله: لا احملك. فقلت: "رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا" إلى آخر السّورة. فقال الله: قد أعطيتك ذلك لك و لأُمّتك. قال الصّادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد اكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأُمّته هذه الخصال»[1].

١ـ راجع: القمّي ١: ٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة آل عمران

[مدنيّة، و هي مائتاآية] [1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الٓمٓ﴾. قد سبق تأويله [2].

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصّدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَ أَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ جملة على موسى و عيسى.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ عامّة، و قومهما خاصّة ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: ما يفرّق به بين الحقّ والباطل. قال: «القرآن: جملة الكتاب، والفرقان: المحكم الواجب العمل به» [3]. و في رواية: «الفرقان كلّ آية محكمة في الكتاب» [4]. و في أُخرى: «سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسّور؛

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ في ابتداء سورة البقرة

٣ـ الكافي ٢: ٦٣٠، الحديث: ١١؛ و معاني الأخبار: ١٨٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ جوامع الجامع ١: ١٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُنزلت في غير الألواح و غير الصّحف[1]، والتّوراة والإنجيل والزّبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق»[2]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالب ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ شديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ من صبيح[3] أو قبيح، ذكر او انثى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٞ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: أُحكمت عباراتها، بان حفظت من الإجمال ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصله، يردّ إليها غيرها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾: محتملات لا يتّضح مقصودها إلاّ بالفحص والنّظر، ليظهر فيها فضل العلماء الرّبّانيّين في استنباط معانيها و ردّها إلى المحكمات، و ليتوصّلوا بها إلى معرفة الله تعالى و توحيده. قال: «المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[4]. و في رواية: «ما يشبه بعضه بعضاً،»[5]. و ورد في تاويله: «إنّ المحكمات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام، والمتشابهات فلان و فلان»[6]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٞ﴾: ميل عن الحقّ كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلّقون بظاهره أو بتاويل باطل ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا النّاس عن دينهم بالتّشكيك والتّلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه. ورد: «إنّ الفتنة هنا الكفر»[7]. ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ﴾: و طلب أن يؤوّلوه على ما يشتهونه.

١ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ الصّواب: «و غيره من الصحف» كما في المصدر.
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧٠، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ الصّباحة: الجمال، فهو صبيح. القاموس المحيط ١: ٢٤١ (صبح).
٤ـ العيّاشي ١: ١٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ﴾ الّذي يجب أن يحمل عليه. قال: «يعني تأويل القرآن كلّه»[1].

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ الّذين تثبّتوا و تمكّنوا فيه. قال: «نحن الرّاسخون في العلم و نحن نعلم تأويله»[2]. و في رواية: «إنّ الرّاسخون في العلم من لا يختلف في علمه»[3]. و في أُخرى: «إنّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، و قسماً لا يعرفه الاّ من صفيَ ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعرفه إلاّ الله و أنبياؤه والرّاسخون في العلم؛ و إنّما فعل ذلك لئلاّ يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله لهم، و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار[4] بمن ولاّه امرهم»[5].

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: هؤلاء الرّاسخون العالمون بالتّأويل يقولون: آمنّا بالمتشابه. ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: من عند الله الحكيم الّذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. مدح للرّاسخين بجودة الذّهن و حسن التّدبّر، و إشارة إلى ما استعدّوا به للاهتداء إلى تأويله و هو تجرّد العقل عن غواشي الحسّ.

قال: «اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام[6] في السُّدَد[7] المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب،

١ـ العيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه «فنحن نعلم تأويله».
٣ـ الكافي ١: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر الثاني، عن أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ ائتمر الأمر: امتثله. مجمع البحرين ٣: ٢١١ (أمر).
٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ اقتحم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة. لسان العرب ١٢: ٤٦٢ (قحم).
٧ـ السُّدّة: فوق باب الدار ليقيها من المطر، و قيل: هي الباب نفسه، و قيل: هي الساحة بين يديه مجمع البحرين ٣: ٦٧ (سدد).

فقالوا: "آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا". فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً؛ فاقتصرْ على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[١]. و ورد: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم. ثمّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، و محكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها. ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[٢].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ عن نهج الحقّ إلى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه؛ و إنّما أُضيف الزّيغ إلى الله لأنّه مسبّب عن امتحانه و خذلانه. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحقّ ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ بالتّوفيق والمعونة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ لكلّ سؤل. قال: «إنّهم قالوا ذلك حين علموا انّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها ورداها»[٣].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: لحساب يوم و جزائه ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كشأنهم، و أصل الدّأب: الكدح. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. ورد: «إنّها

١ـ التّوحيد: ٥٥، الباب: ٢، ذيل الحديث: ١٣؛ والعيّاشي ١: ١٦٣، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله، عن امير المؤمنين عليهما السّلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٩.
٣ـ الكافي ١: ١٨، الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام. والرّدى: الهلاك. لسان العرب ١٤: ٣١٦ (ردى).

نزلت حين حذّرهم النّبيّ ﷺ بمثل ما أُصيبوا به يوم بدر، فقالوا: يا محمّد لايغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا[2] لعرفت أنّا نحن النّاس»[3]. و قد صدق الله وعده و غُلب المشركون.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: دلالة معجزة على صدق محمّد ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في دينه و طاعته؛ و هم الرّسول و اصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ و هم مشركوا مكّة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في التّقليل والتّكثير و غلبة القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾. قال: «القنطار ملاء مسك ثور ذهباً»[4].

اقول: والمقنطرة ماخوذة منه للتّاكيد.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة او المرعيّة. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الابل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ممّا يستقذر من النّساء. ورد: «ما تلذّذ النّاس في الدّنيا والآخرة بلذّة اكبر[5] لهم من لذّة النّساء و هو قول الله عزّوجلّ: "زيّن للنّاس" الآية. ثمّ قال: و إنّ اهل الجنّة ما يتلذّذون بشيء من الجنّة اشهى عندهم من النّكاح، لا طعام و

١ـ رجلٌ غُمَر: من لم يجرّب الأُمور. القاموس المحيط ٢: ١٠٧؛ و لسان العرب ٥: ٣١ (غمر).
٢ـ في المصدر: «إنّا والله لو قاتلناك».
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٣.
٤ـ المصدر ١: ٤١٧. المرويّ عن ابي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ في المصدر: «أكثر».

لا شراب»[١]. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ و هو أجلّ النّعم كما قال: "وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ"[٢] والجنّة أوسطها، و متاع الدّنيا أدناها. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قال. «المصلّين وقت السّحر»[٣]. و قال: «من استغفر سبعين مرّة في وقت السّحر فهو من أهل هذه الآية»[٤]. و ورد: «من قال في وتره إذا أوتر: "أستغفر الله و اتوب إليه" سبعين مرّة و هو قائم، فواظب على ذلك حتّى تمضي له سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار، و وجبت له المغفرة من الله تعالى»[٥].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بيّن وحدانيّته لقوم بظهوره في كلّ شيء و تعرّفه ذاته في كلّ نور و فيء، و لقوم بنصب الدّلائل الدّالّة عليها، و لقوم بإنزال الآيات النّاطقة بها. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، و فعلاً لقوم، و قولاً لقوم. ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بالإيمان، والعيان، والبيان شبه الظّهور، والإظهار في الانكشاف، والكشف بشهادة الشّاهد. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل. ورد: «إنّ أُولي العلم الاولياء[٦] والاوصياء وهم قيام بالقسط، والقسط: العدل»[٧]. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تاكيد و تمهيد لقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام، و هو

١ـ الكافي ٥: ٣٢١، الحديث: ١٠؛ والعيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التوبة (٩): ٧٢.
٣ و ٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال ٢: ٥٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في المصدر: «الأنبياء».
٧ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «والقسط هو العدل في الظاهر، و العدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام».

التّوحيد والتّدرّع بالشّرع. ورد: «إنّ الإسلام قبل الإيمان، و عليه يتوارثون و يتناكحون، والإيمان عليه يثابون»[١]. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإسلام ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأنّه حقّ ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً و طلباً للرّياسة، لا لشبهة فيه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدّين و جادلوك فيه بعد ما أقمت لهم الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: اخلصت نفسي و جملتي له لا أشرك فيها غيره. عبّر عن النّفس بالوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظّاهرة و مظهر القوى والحواسّ. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: و أسلم من اتبعني ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الّذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجّة أم بعد على كفركم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. وعد ووعيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إذ لم ينالوا بها المدح والثّناء، و لم يحقن دماؤهم و أموالهم، و لم يستحقّوا به الاجر والثّواب[٢] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾. قيل: يريد به أحبار اليهود[٣]. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ و هو التّوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوّة نبيّنا أو في رجم الزّاني،

١ـ الكافي ١: ١٧٣، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّحيح: «لم تحقن دماؤهم و أموالهم و لم يستحقّوا بها الأجر والثّواب» كما في الصّافي.
٣ـ راجع: الكشّاف ١: ٤٢٠.

و قد اختلفوا فيه [١] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتولّيهم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: ما تشاء من الملك ﴿مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ﴾: تستردّ ما تشاء منه ﴿مِمَّن تَشَاءُ﴾ فالملك الاول عامّ، والآخران خاصّان. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: تنقص من اللّيل و تجعل ذلك النّقصان زيادة في النّهار، و تنقص من النّهار و تجعل ذلك النّقصان زيادة في اللّيل. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قال: «المؤمن من الكافر» [٢]. ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال: «الكافر من المؤمن» [٣]. ورد: «إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً و إنّ الميّت هو الكافر». ثمّ فسّر الآية بما ذكر [٤]. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهليّة أو نحوهما حتّى لا يكون حبّهم و بغضهم إلاّ في الله، و قد كرّر ذلك في القرآن [٥]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: ليس من ولايته في شيء ﴿إِلَّا أَن

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٤؛ والتّبيان ٢: ٤٢٥.
٢ و ٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٨، والرّواية مرويّة عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ـ معاني الأخبار: ٢٩٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «فانّ الميّت هو الكافر».
٥ـ راجع: النساء (٤): ٨٩، ١٣٩ و ١٤٤؛ والمائده (٥): ٨٠؛ والتوبه (٩): ٢٣؛ والممتحنة (٦٠): ١ و ٩.

﴿تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ : إلاّ أن تخافوا من جهتهم خوفاً أو أمراً يجب أن يخاف منه قال : «التّقيّة ترس الله بينه و بين خلقه»[1] . و قال : «لا إيمان لمن لا تقيّة له، ثمّ تلا هذه الآية»[2] . ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة أحكامه و موالاة أعدائه.

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفّار و غيرها ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ . كرّر ذلك للتّأكيد والتّذكير؛ ثمّ أشار إلى أنّه تعالى إنّما نهاهم و حذّرهم، رأفة بهم، ومراعاة لصلاحهم، و أنّه لذو مغفرة و ذو عقاب، ترجى رحمته و يخشى عذابه.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ . قيل : نزلت لمّا قالت اليهود : «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ»[3] .

أقول : المحبّة من العبد ميل النّفس إلى الشّيء، لكمال أدركت فيه، بحيث تحملها على ما يقرّبها إليه؛ و من الله رضاه عن العبد، و كشفه الحجاب عن قلبه. والعبد إذا علم أنّ الكمال الحقيقي ليس إلاّ لله، و أنّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله و إلى الله لم يكن حبّه إلاّ لله و في الله؛ و ذلك يقتضي إرادة طاعته والرّغبة فيما يقرّبه إليه. فعلامة المحبّة إرادة الطّاعة والعبادة والاجتهاد البليغ في اتّباع من كان وسيلة له إلى

١ـ الكافي ٢ : ٢٢٠، الحديث . ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٢ـ العيّاشي ١ : ١٦٦، الحديث : ٢٤، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام .
٣ـ البيضاوي ٢ : ١٣ . والآية في سورة المائدة(٥) : ١٨ .

معرفة الله و محبّته ممّن كان عارفاً بالله محبّاً إيّاه محبوباً له؛ فإنّ مَنْ هذه صفاته، إنّما نال هذه الصّفات بالطّاعة على الوجه المخصوص، و هو رسول الله ﷺ و من يحذ و حذوه؛ فمن أحبّ الله فلابدّ له من اتّباع الرّسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و أحواله حتّى يحبّه الله؛ إذ بذلك يحصل التّقرّب إلى الله، و بالتّقرّب يحصل محبّة الله تعالى إيّاه، كما قال سبحانه: «و إنّ العبد ليتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أُحبّه»[1]. و أيضاً لمّا كان الرّسول حبيب الله فكلّ من يدّعي محبّة الله، لزمه محبّة الرّسول؛ لانّ محبوب المحبوب محبوب، و محبّة الرّسول إنّما تكون بمتابعته و سلوك سبيله، قولاً و عملاً و خلقاً و حالاً و سيرةً و عقيدةً، ولا يتمشّى دعوى محبّة الله إلاّ بهذا، فإنّه قطب المحبّة و مظهرها، فمن لم يكن له من متابعته نصيب لم يكن له من المحبّة نصيب؛ و من تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه و سرّه و قلبه و نفسه باطنَ الرّسول و سرّه و قلبه و نفسه، و هو مظهر محبّة الله، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التّابع قسط من محبّة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله محبّته عليه، و يسري من باطن روح الرّسول نور تلك المحبّة إليه؛ فيكون محبوباً لله محبّاً له. و من لم يتابعه يخالف باطنه باطن الرّسول، فبَعُدَ عن وصف المحبوبيّة، و زال[2] المحبّة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله لم يكن محبّاً له، وفي حكم الرّسول من أمر الله والرّسول بحبّه و اتّباعه، و هم الائمّة الاوصياء عليهم السّلام.

قال: «من سرّه ان يعلم انّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله و ليتّبعنا. الم تسمع قول الله تعالى لنبيّه: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰـهَ" الآية. والله لا يطيع اللهَ عبد ابداً إلاّ ادخل الله عليه في طاعته اتّباعنا، ولا والله لا يتّبعنا عبد أبداً إلاّ أحبّه الله، ولا والله لا يدَع أحد اتّباعنا أبداً إلاّ أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحدٌ أبداً إلاّ عصى الله، و من مات عاصياً لله أخزاه الله و

١ـ الكافي ٢: ٣٥٢، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بالنّافلة حتّى أُحبّه».
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «و زوال المحبّة» كما في الصافي ١: ٣٠٤.

أكبّه[1] على وجهه في النّار»[2].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بالتّجاوز عمّا فرط منكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تحبّب إليه بطاعته و اتّباع نبيّه و من أمر باتّباعه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾. يحتمل المضيّ والمضارع. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرضى عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾. ورد: «إنّه تلا هذه الآية فقال: نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة»[3]. و في رواية: «والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم و إنّ العترة الهادية لمن آل محمّد»[4]. ﴿وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قيل: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر، أو عيسى و أمّه بنت عمران بن ماثان. و بين العمرانين ألف و ثمانمائة سنة[5].

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ قال: «من نسل بعض»[6]. «لا يكون الذّرّيّة من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم»[7]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال النّاس ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ هي إمرأة عمران بن ماثان، أمّ مريم البتول، جدّة عيسى. في رواية: «اسمها حنّة»[8]. و في أخرى: «مرثا و قال: و هي وهيبة بالعربيّة»[9].

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس، لا أشغله بشيء ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتي.

١ـ في «الف» و «ج»: «أكبّه».
٢ـ الكافي ٨: ٤٠٨، في ذيل رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.
٣ـ العيّاشي ١: ١٦٨، الحديث: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الأمالي (للصّدوق): ١٣٤، المجلس الثّلاثون، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٤؛ والكشّاف ١: ٤٢٤.
٦ـ التّبيان ٢: ٤٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ١: ٤٧٩، الحديث: ٤، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. اعتراض، وهو قول الله؛ و على قراءة المتكلّم من كلامها، تسلية لنفسها، أي: و لعلّ لله فيه سرّاً أوالأُنثى[1] كان خيراً. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ من تتمّة كلامها. قال. «أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً سوياً مباركاً، يبرىء الأكمه والأبرص، و يحيي الموتى بإذن الله، و جاعله رسولاً إلى بني إسرائيل؛ فحدّث عمران امرأته «حنّة» بذلك و هي أُمّ مريم، فلمّا حملت بها، كان حملها عند نفسها غلاماً، فلمّا وضعتها، قالت: "رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثىٰ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثىٰ": لا تكون البنت رسولاً، يقول الله عزّوجلّ "وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ". فلمّا وهب الله لمريم عيسى، كان هو الّذي بشّر به عمران ووعده إيّاه»[2].

و في رواية: «إنّ الأُنثى تحيض فتخرج من المسجد والمحرّر لا يخرج من المسجد»[3].

و في أُخرى: «نذرت ما في بطنها للكنيسة ان تخدم العباد و ليس الذّكر كالأُنثى في الخدمة، قال: فشبّت و كانت تخدمهم و تناولهم حتّى بلغت، فامر زكريّا ان يتّخذ لها حجاباً دون العباد»[4]. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه: العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أُجيرها بحفظك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود. روي: «ما من مولود يولد إلّا والشّيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّه إلّا مريم و ابنها»[5]. قيل: يعني انّ الشّيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر من طمعه فيه إلّا مريم و ابنها؛ فإنّ الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة[6].

۱ـ في «الف»: «والأُنثى».
۲ـ الكافي ۱: ۵۳۵، الحديث: ۱، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۳ـ العيّاشي ۱: ۱۷۰، الحديث: ۳۷، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ۳۸، عن أحدهما عليهما السّلام.
۵ـ راجع. مجمع البيان ۱ـ۲: ٤۳۵، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله؛ ومسند أحمد ۲: ۲۷٤.
٦ـ راجع: البيضاوي ۲: ۱٦.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بإقامتها مقام الذّكر، و تسلّمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر و تصلح للسّدانة [١] ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: ربّاها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي الله. و إن خفّف، زكريّا [٢]. قال: «فَسُوهم عليها فأصاب القرعة زكريّا و هو زوج أُختها» [٣]. و في رواية: «ابن خالتها» [٤]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال: «كفّلها و أدخلها المسجد فلمّا بلغت ما تبلغ النّساء من الطّمث [٥] وكانت أجمل النّساء و كانت تصلّي فيضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا، فإذا عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء، فقال: أنّى لك هذا؟! قالت هو من عند الله» [٦]. و ورد نظير هذا في فاطمة عليهاالسّلام من طريقي العامّة والخاصّة جميعاً [٧].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لمّا رأى كرامة مريم و منزلتها من الله. ورد: «إنّه قال في نفسه: إنّ الّذي يقدر أن يأتي مريم بفاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء لقادر أن يهب لي ولداً و إن كنت شيخاً و امرأتي عاقراً» [٨]. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ

١ ـ سَدَنَ سَدْناً و سِدانةً: خدم الكعبة أو بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٦٣ (سدن).

٢ ـ يعني: إن قرئ «كفّلها» بالتّشديد فالفاعل هو الله و «زكريّا» معمول ثانٍ لكفّلها والمعنى: كفّل الله مريم زكريّا، و إن قرئ بالتّخفيف فالفاعل فيه هو زكريّا.

٣ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه‌السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.

٤ ـ لم نعثر عليه

٥ ـ الطّمث: المسّ والدّنس، و طَمَثَت المرأة: حاضت. القاموس المحيط ١: ١٧٦؛ و مجمع البحرين ٢: ٢٥٨ (طمث).

٦ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه‌السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.

٧ ـ راجع: العيّاشي ١: ١٧١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه‌السلام؛ والدّرّ المنثور ٢: ١٨٥ـ١٨٦.

٨ ـ تفسير الإمام عليه‌السلام: ٦٦٠.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يعني بعيسى، كما يأتي في سورة مريم[1]. ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال: «رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته»[2]. ﴿وَحَصُورًا﴾ قال: «لا يأتي النّساء»[3]. ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: مثل خلق الولد من الشّيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾: علامة أعرف بها الحمل لاستقبله بالشّكر ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: لا تقدر على تكليمهم. قال: «لمّا نادته الملائكة بما نادته، أحبّ ان يعلم أنّ ذلك الصّوت من الله، فأوحى إليه أنّ آية ذلك ان يمسك لسانه[4] عن الكلام ثلاثة أيّام؛ فلمّا امسك لسانه و لم يتكلّم، علم أنّه لا يقدر على ذلك إلاّ الله»[5]. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارة. قال: «فكان يومي براسه»[6]. ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ قيل: أي: في أيّام العجز عن التكلّم[7]. نبّه بذلك على انّ الغرض من حبس لسانه ان يخلص المدّة لذكر الله و شكره قضاءاً لحقّ النّعمة، فكانّه قال: آيتك ان نحبس لسانك إلاّ عن الشّكر. ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ قال: «من ذرّيّة الأنبياء»[8] ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قال: «من السّفاح»[9]. ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «الولادة

١ـ الآية: ٧.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.
٤ـ في «لف»: «أن تمسك لسانك».
٥ـ العيّاشي ١: ١٧٢، الحديث، ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ لمصدر، الحديث: ٤٤، عن أحدهما عليهما السّلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والكشّاف ١: ٤٢٩.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والعيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن ابي جعفر عليه السلام.

عيسى من غير فحل»[1].

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. قال: «يقرعون بها حين ايتمت من أبيها»[2]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تنافساً في كفالتها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. قال: «"كن" منه صنع، و ما يكون به، المصنوع»[3]. و قد مرّ له مزيد بيان[4].

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ في شريعة موسى ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و ليست فيه جملة: «يقرعون بها».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣ ـ ١٧٤، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ١.
٤ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١١٧.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ قال: «لمّا سمع و رأى أنّهم يكفرون»[١]. ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: من أعواني إلى سبيله؟ ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾. حواريّ الرّجل: خالصته. قال: «سمّوا بذلك لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم و مخلصين غيرهم من أوساخ الذّنوب بالوعظ والتّذكير»[٢]: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ اي: الّذين احسّ عيسى منهم الكفر من اليهود؛ بان و كّلوا عليه من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ «حين رفع عيسى و القى شبهه على من قصد اغتياله حتّى قتل بدلاً منه». كما في رواية[٣]. او «على احد من خواصّه ليقتل فيكون معه في درجته». كما في أُخرى[٤]. والمكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة، لا يسند إلى الله تعالى إلّا على سبيل المقابلة والازدواج؛ او بمعنى المجازاة، كما مرّ. ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: اقواهم مكراً و انفذهم كيداً و اقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: مستوفي أجلك و مؤخّرك إلى اجلك المسمّى، عاصماً إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الارض، من توفّيت مالي، أو مميتك عن الشّهوات العايقة عن العروج إلى عالم الملكوت. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من سوء جوارهم ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ يغلبونهم بالحجّة والسّيف ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ جميعاً ﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

١ـ القمّي ١: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠؛ و علل الشرايع ١: ٨٠، الباب: ٧٢، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٨، عن ابن عبّاس؛ و البيضاوي ٢: ٢١؛ والكشّاف ١: ٤٣٢.
٤ـ راجع: القمّي ١: ١٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ في انّه خلق من غير اب، كما خلق آدم من التّراب من غير اب ولا أمّ. شبّه حاله بما هو أقرب، إفحاماً للخصم و قطعاً لموادّ الشّبه.

﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ اي: فكان في الحال.

﴿ ٱلْحَقُّ ﴾: هو الحقّ ﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾.

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ ﴾ من النّصارى ﴿ فِيهِ ﴾: في عيسى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ اي: يدع كلّ منّا و منكم نفسه و اعزّة اهله و الصقهم بقلبه إلى المباهلة، اي: الملاعنة والمتاركة.

ورد: «إنّهم دنوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة ان لا إله إلّا الله و انّي رسول الله، و انّ عيسى عبد مخلوق ياكل و يشرب و يُحْدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي: قل لهم: ما تقولون في آدم؟ اكان عبداً مخلوقاً ياكل و يشرب ويُحْدث و ينكح؟ فمن ابوه؟ فنزلت "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ" الآيات. فقال لهم: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللّعنة عليكم، و إن كنت كاذباً أُنزلت عليّ، فقالوا: انصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: إن باهَلَنا بقومه، باهَلْناه فإنّه ليس بنبيّ، و إن باهَلَنا باهل بيته خاصّة، فلا نباهله، فإنّه لا يقدم باهل بيته إلّا و هو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ و معه أمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النّصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه و ختنه، و هذه ابنته فاطمة، و هذان ابناه الحسن والحسين، ففرّقوا و قالوا:

نعطيك الرّضى، فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»[١].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ ﴾. ردّ على النّصارى في تثليثهم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾: لا أحد سواه يساويه في القدرة التّامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الأُلوهيّة.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾. وعيد لهم. وضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على انّ التولّي عن الحجج، والإعراض عن التّوحيد إفساد للدّين و يؤدّي إلى إفساد النّفوس بل و إلى إفساد العالم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾: ان نوحّده بالعبادة و نخلص فيها ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ﴾: ولا نقول عُزَيْر ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التّحريم والتّحليل.

ورد: إنّه قيل: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله. قال: «اليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتاخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك»[٢]. ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن التّوحيد ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي: لزمتكم الحجّة، فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم. و ما أحسن ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الإرشاد و حسن التّدرّج في الحِجاج. بيّن أوّلاً أحوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يزيح شبهتهم. فلمّا راى عنادهم و لجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثمّ لمّا اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد، عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً أسهل و ألزم، بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل و ساير الأنبياء والكتب. ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضاً عليهم، و علم انّ الآيات والنّذر لا تغني عنهم، أعرض عن ذلك، و قال: "اشهدوا بأنّا مسلمون".

١ـ راجع: القمّي ١: ١٠٤، عن أبي عبدالله ﷺ، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٥؛ والبيضاوي ٢: ٢٣؛ والكشّاف ١: ٤٣٥، «روي عن عديّ بن حاتم انّه قال ما كنّا ...».

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾. تنازعت اليهود والنّصارى فيه، و زعم كلّ فريق أنّه منهم، فنزلت. والمعنى انّ اليهوديّة والنّصرانيّة حدثت بنزول التّوراة والإنجيل على موسى و عيسى، و كان إبراهيم قبلهما، فكيف يكون عليهما؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتدّعون المحال؟

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ اي: أنتم هؤلاء الحمقى، و بيان حماقتكم انّكم جادلتم فيما وجدتموه في أحد الكتابين، أو تدّعون انّه فيه، فلم تجادلون فيما لا ذكر له فيه من دين إبراهيم؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه من شأن إبراهيم و دينه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا تتكلّموا فيه.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن العقايد الزّايفة ﴿مُسْلِمًا﴾: منقاداً لله تعالى. قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[1]. و في رواية: «لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، و لكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد»[2].

أقول: يعني كان يصلّي إلى الكعبة ما بين المشرق والمغرب و كان دينه موافقاً لدين محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تعريض بأنّهم مشركون، و ردّ لادّعائهم انّهم على ملّته.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾: أقربهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ من أُمّته ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. قال: «هم الائمّة و من اتبعهم»[3]. ورد: «إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعملهم[4] بما جاؤوا به ثمّ تلا هذه الآية»[5]. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يتولّى نصرتهم.

١ـ الكافي ١: ١٥، باب الإخلاص، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٧، الحديث: ٦٠، عن ابي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «أعلمهم».
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٨؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٤، الحكمة: ٩٦.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بالتحريف ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾: نبوّة محمّد و نعته ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بما تكتمونه.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ قيل: أي أظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النّهار [1]. ﴿ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم. و ورد: «يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام صلاة الظّهر بعد ما صلّى الغداة مستقبلاً إلى بيت المقدس، يعني "لعلّهم يرجعون" إلى قبلتنا» [2].

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾. قيل: أي لا تصدّقوا ولا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الفضائل إلّا لأهل دينكم، ولا تؤمنوا بأن يحاجّوكم عند ربّكم، لأنّكم أصحّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجّة عليكم. و قوله: "قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هدى الله"، اعتراض من كلام الله[3]. و قيل فيه أقوال أُخر[4]. و هي من المتشابه الّذي لم يصل إلينا تأويله. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾: الهداية والتّوفيق منه ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾: تطالبه بالعنف ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ

١- مجمع البيان ١-٢: ٤٦٠، عن الحسن و جماعة؛ والبيضاوي ٢: ٢٥.
٢- القمّي ١: ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ و ٤- مجمع البيان ١-٢: ٤٦١؛ و الكشّاف ١: ٤٣٧.

سَبِيلٌ﴾ اي: ليس علينا في شأن من ليس من[1] أهل الكتاب و لم يكن على ديننا عقاب وذمّ. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم ذلك ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، وذلك لأنّهم استحلّوا ظلم من خالفهم، و قالوا: لم يجعل لهم في التّوراة حرمة. ورد: «إنّه ﷺ لمّا قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهليّة إلاّ و هو تحت قدمي إلاّ الأمانة، فإنّها مؤدّاة إلى البرّ والفاجر»[2].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ ايّ عهد كان ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. في وضع الظّاهر موضع المضمر إشعار بأنّ التّقوى ملاك الأمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرّسول، والوفاء بالأمانات ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: و بما حلفوا به ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدّنيا من الرّياسة و أخذ الرّشوة والذّهاب بمال أخيهم المسلم و نحو ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾: لا نصيب لهم ﴿فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «بكلام خير»[3]. ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «لا يصيبهم بخير»[4]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[5]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يفتلونها[6] بقراءته فيميلونها عن المنزّل إلى المحرّف. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على الله.

١ـ في «ح»: «من ليس أهل الكتاب».
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٣؛ والدّرّ المنثور ٢: ٢٤٤؛ والبيضاوي ٢: ٢٦.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦.
٤ـ التّوحيد: ٢٦٥، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦.
٦ـ يفتلونها: يصرفونها. مجمع البحرين ٥: ٤٣٩؛ و لسان العرب ١١: ٥١٤ (فتل).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾: والحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. روي: «أنّه قيل للنّبيّ ﷺ: أتريد ان نعبدك ونتّحدك ربّاً؟ فقال: معاذ الله أن يعبد غير الله و أن نأمر بعبادة غير الله[1]، فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني، فنزلت»[2]. ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: و لكن يقول: كونوا ربّانيين أي: الكاملين في العلم والعمل؛ منسوب إلى الرّبّ. ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: بسبب التّعليم والدّراسة. عن النّبيّ ﷺ: «لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل ان يتّخذني نبيّاً، و تلا هذه الآية»[3].

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. القمّي: كان قوم يعبدون الملائكة، و قوم من النّصارى زعموا انّ عيسى ربّ، واليهود قالوا: عزير بن الله فقال الله: "ولا يامركم" الآية[4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ قال: «ميثاق أُمم النّبيّين كلّ أُمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به فما وفوا به و تركوه»[5]. و في رواية: «اخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا عليه و عليهم السّلام ان يخبروا أُممهم بمبعثه و نعته، و يبشّروهم به، ويامروهم بتصديقه»[6]. و في أُخرى: «لم يبعث الله نبيّاً، آدم و من بعده، إلّا اخذ عليه العهد: لئن بعث الله محمّداً و هو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه، و أمره أن ياخذ العهد بذلك

١ـ في «ب» و «ج»: «و ان نامر بغير عبادة الله».
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٦؛ والبيضاوي ٢: ٢٧ «روي عن ابي رافع القُرظي من اليهود، و رئيس وفد نجران، أنّهما قالا للنّبيّ ...».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ٤٦، الحديث: ١.
٤ـ القمّي ١: ١٠٦.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
٦ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و عن ابن عبّاس و قتادة.

على قومه»[1]. و في أُخرى: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلاّ و يرجع إلى الدّنيا و ينصر أميرالمؤمنين و هو قوله: "لتؤمننّ به" يعني رسول الله ﷺ "و لتنصرنّه" يعني أميرالمؤمنين عليه السلام»[2]. ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «ثمّ قال لهم في الدّنيا أقررتم؟»[3]. ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ قال: أي: عهدي»[4]. ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ قال: «قال الله للملائكة: "فاشهدوا"»[5]. و في رواية: «قال الأنبياء و أُممهم: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به. قال الله: فاشهدوا بذلك على أُممكم»[6]. ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: «عليكم و على أُممكم».

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق والتّأكيد ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. قال: «هو توحيدهم لله عزّوجلّ»[7]. و في رواية: «معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين»[8]. قال: «و كرهاً أي: فرقاً من السّيف»[9].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتّصديق والتّكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، مخلصون في عبادته.

١ ـ الدرّ المنثور ٢: ٢٥٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن عليّ عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٠٦؛ والعيّاشي ١: ١٨١، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله، مع تفاوت في العبارة.
٣ـ القمّي ١: ١٠٦، و فيه: «في الذرّ» بدل «في الدّنيا».
٤و٥ـ المصدر: ١٠٧.
٦ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن أميرالمؤمنين عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٤٦، الباب: ٢، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٣، ذيل الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. في «الف»: «و جاءوا أقوام» و لكنّ الصّحيح ما أثبتناه كما في المصدر
٩ـ المصدر عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ١٠٧.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ أي: غير التّوحيد والانقياد لحكم الله ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ بإبطاله الفطرة السّليمة الّتي فطر عليها.

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ ﴾. عطف على معنى الفعل في "إيمانهم". ﴿ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يتفضّل عليهم.

«نزلت الآيات في انصاريّ قتل رجلاً غدراً و هرب، و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكّة ثم ندم، فسأل هل لي من توبة؟». كذا ورد[1].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ كاليهود، كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثمّ ازدادوا كفراً بمحمّد ﷺ ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾: ما يملأ الارض من الذّهب ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾: نفسه من العذاب ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ ﴾: لن تبلغوا حقيقته ولا تكونوا أبراراً ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾: من المال والجاه والمهجة و غيرها في طاعة الله. و في قراءة الصّادق عليه السلام: "ما تحبّون". قال: «هكذا فاقرأها»[2]. ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ ﴾ يعني[3]: يعقوب ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾. قال: «و هو لحم الإبل كان إذا أكل هيّج عليه وجع

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٩ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة «يعني».

الخاصرة فحرّمه على نفسه، و ذلك قبل أن تنزل التوراة، فلمّا نزلت التوراة لم يحرّمه و لم يأكله»[١].

أقول: يعني موسى عليه السلام. قيل: يعني إنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لهم من قبل إنزالها و تحريم ما حرّم فيها بظلم اليهود و بغيهم. و هذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطّيّبات عليهم لبغيهم و ظلمهم في قوله: «ذلكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ»[٢] و قوله «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ»[٣] فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، و قد كانت محرّمة على نوح و ابراهيم و من بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التّحريم إلينا فكذّبهم الله[٤].

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أمر بمحاجّتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه حتّى يتبيّن انّه تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التّوراة و بهتوا[٥].

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ما لزمهم الحجّة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم، لمكابرتهم الحقّ بعد وضوحه.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾. تعريض بكذبهم، أي: ثبت انّ الله صادق فيما أنزله و أنتم الكاذبون. ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ و هي ملّة الإسلام الّتي عليها محمّد و من آمن معه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تبرئة له ممّا كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ليكون متعبّداً لهم ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة: قال:

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ١٨٤، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأنعام (٦): ١٤٦.
٣ـ النّساء (٤): ١٦٠.
٤و٥ـ الكشّاف ١: ٤٤٥ـ٤٤٦؛ والبيضاوي ٢: ٣١.

«إنّ موضع البيت بكّة، والقرية مكّة»[١]. و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، و هو قول الله عزّوجلّ: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ" الآية»[٢]. ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير والنّفع لمن حجّه و اعتمره واعتكف عنده، و طاف حوله، و قصد نحوه من مضاعفة الثّواب و تكفير الذّنوب و نفي الفقر و كثرة الرّزق.

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنّه قبلتهم و متعبّدهم.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كقهره لمن تعرّض له من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ اي: منها مقام إبراهيم. ورد: إنّه سئل ما هذه الآيات البيّنات؟ فقال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، و منزل إسماعيل»[٣].

اقول: امّا كون المقام آية، فلما ذُكر، و لارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتّى كان أطول من الجبال، كما يأتي ذكره في سورة الحجّ إن شاء الله؛ و أمّا كون الحجر الأسود آية، فلتنطّقه لبعض الأنبياء والأوصياء كآدم والسّجّاد عليهما السّلام على ما ورد[٤]، و لعدم إطاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه؛ و امّا كون منزل إسماعيل آية، فلأنّه أُنزل به، و كان بلا ماء، فنبع له الماء؛ و إنّما خصّ المقام بالذّكر في القرآن و طوى ذكر غيره، لأنّه اظهر آياته اليوم للنّاس.

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من

١ـ علل الشّرايع ٢: ٣٩٧، الباب: ١٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٦، الحديث: ٦٧٠؛ والكافي ٤: ١٨٩، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٦، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٧، الحديث: ٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ راجع: الكافي ١: ٣٤٨، الحديث: ٥؛ و علل الشّرايع ٢: ٤٢٩، الباب: ١٦٤، الحديث: ١؛ الخرائج والجرائح: ١٩٤؛ والبحار ٤٦: ٢٢ و ٢٩ الحديث: ٢٠، و ١١١، الحديث: ٢.

سخط الله، و من دخله من الوحش أو الطّير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[١]. و في رواية: «من دخله و هو عارف بحقّنا كما هو عارف به، خرج من ذنوبه و كفي[٢] همّ الدنيا والآخرة»[٣]. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قال: «يعني به الحجّ والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان»[٤]. ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال: «يعني أن يكون له ما يحجّ»[٥]. و في رواية: «من كان صحيحاً في بدنه، مخلّى سربه، له زاد و راحلة فهو ممّن يستطيع الحجّ»[٦]. و في أُخرى: «السّعة في المال، يحجّ ببعض و يبقي بعضاً يقوت به عياله»[٧]. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يعني من ترك»[٨]. و في رواية: «هو كفر النّعم»[٩]. و في أُخرى: «تارك الحجّ و هو مستطيع كافر»[١٠]. و في أُخرى: «من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحجّ او سلطان يمنعه، فليمت يهودياً او نصرانياً»[١١].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه الحقّ المامور بسلوكه ﴿مَنْ

١ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٩، الحديث: ١٠١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «كفي به».
٣ـ العيّاشي ١: ١٩٠، الحديث: ١٠٧، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كما هو عارف له ...».
٤ـ الكافي ٤: ٢٦٤، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٦٦، الحديث: ١؛ والتوحيد «للصدوق»: ٣٥٠، الباب: ٥٦، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١١، و فيه: «فهو مستطيع للحجّ»؛ والكافي ٤: ٢٦٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ التّهذيب ٥: ١٨، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
١١ـ الكافي ٤: ٢٦٨، الحديث: ١؛ والتّهذيب ٥: ١٧، الحديث: ٤٩، و ٤٦٢، الحديث: ١٦١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ءَامَنَ﴾. قيل: كانوا يفتنون المؤمنين و يحرّشون [١] بينهم حتّى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهليّة، من التّعادي والتّحارب، ليعودوا لمثله، و يحتالون لصدّهم عنه [٢]. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: طالبين لها اعوجاجاً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ انّها سبيل الله، أو عدول عند اهل ملّتكم يثقون باقوالكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخيانة والحيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾. قيل: نزلت في نفر من الاوس والخزرج، اغرى بينهم يهوديّ و ذكرهم محارباتهم بينهم في الجاهليّة، فتفاخروا و تغاضبوا بعد تالّفهم و اجتماعهم [٣].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: «بان يطاع ولا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر» [٤]. و في رواية: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "إتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ"» [٥]. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام بالتّشديد [٦]. قال: «مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ الإمام من بعده» [٧]. و في رواية: «مستسلمون لما اتى به النّبيّ منقادون له» [٨].

١ـ التّحريش: الإغراء بين القوم والكلاب و تهييج بعضها على بعض. مجمع البحرين ٤: ١٣٣؛ و لسان العرب ٦: ٢٧٩ (حرش).
٢ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٤٩.
٣ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٥٨.
٤ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٠؛ و معاني الأخبار: ٢٤٠، باب معنى اتّقاء الله حقّ تقاته، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢١؛ والقمّي ١: ١٠٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة التّغابن (٦٤): ١٦.
٦و٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ القمّي: الحبل: التّوحيد والولاية [١]. و في رواية: «آل محمّد حبل الله المتين الّذي أمر الله بالاعتصام به، فقال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"» [٢]. و في أُخرى: «نحن الحبل» [٣]. و في أُخرى: «حبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام و ذلك قول الله: "إنَّ هـذا القُرآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ"» [٤].

أقول: مآل الكلّ واحد، كما يدلّ عليه حديث: «حبلين ممدودين، و أنّهما لن يفترقا» [٥].

﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: ولا تتفرّقوا عن الحقّ بإيقاع الاختلاف بينكم. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون، فنهاهم عن التّفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد ﷺ» [٦].

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ متحابّين في الله ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: مشفين [٧] على الوقوع في نار جهنّم لكفركم ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ قال: «بمحمّد، هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد» [٨]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ اهتداءً بعد اهتداء.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ

١ـ القمّي ١: ١٠٨.
٢ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٢٧٨، الجزء العاشر؛ والبحار ٢٤: ٨٤، الحديث: ٣و١٥؛ و مناقب آل أبي طالب ٣: ٧٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ معاني الأخبار: ١٣٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام. والآية في سورة الإسراء (١٧): ٩.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «ولا يتفرّقوا» في آخرها.
٧ـ شفا ـ بالقصر ـ: طرف الشيء و جانبه، يقال: «شفا جرف»، «شفا بئر» و «شفا واد». و مشفين أي: مشرفين. و منه: أشفى المريض على الموت. مجمع البحرين ١: ٢٤٧ (شفا)؛ و لسان العرب ١٤: ٤٣٦ (شفى).
٨ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. قال: «هذه خاصّ غير عامّ. كما قال الله: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[١]. ولم يقل: على أُمّة موسى. قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضَّعَفَة الّذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ. وقال: وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوّة له ولا عُدَد ولا طاعة»[٢]. وفي رواية: «فهذه لآل محمّد ومن تابعهم»[٣]. وفي أخرى: «إنّما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ، او جاهل فيتعلّم؛ فامّا صاحب سوط وسيف فلا»[٤]. وورد: «لا يزال النّاس بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء»[٥].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: فيقال لهم: اكفرتم؟ ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. قال: «هم اهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأُمّة»[٦].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

١ ـ الاعراف (٧): ١٥٩.
٢ ـ الكافي ٥: ٥٩، الحديث: ١٦ عن ابي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
٣ ـ القمّي ١: ١٠٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٥: ٦٠، الحديث: ٢ عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «وامّا صاحب سوط أو سيف فلا».
٥ ـ التّهذيب ٦: ١٨١، الحديث: ٣٧٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٨٥، عن امير المؤمنين عليه السلام، وليست فيه: «الآراء الباطلة».

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. الكون فيها يعمّ الأزمنة[1]. ورد: «إنّها نزلت خير أئمّة»[2]. و في رواية: «أنتم خير أمّة ـ بالألف ـ نزل بها جبرئيل، و ما عني بها إلّا محمّداً و عليّاً والأوصياء من ولده»[3]. ﴿أُخْرِجَتْ﴾: اظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً بالله و تصديقاً به و إظهاراً لدينه ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً كطعن و تهديد ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا ولا يضرّوكم بقتل و أسر ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا احد يدفع بأسكم عنهم و كان الأمر كذلك.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾. قال: «الحبل من الله كتاب الله، والحبل من النّاس عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4]. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، و لكنّهم سمعوا أحاديثهم فاذاعوها، فاخذوا عليها، فقُتلوا، فصار قتلاً و اعتداءاً و معصيةً»[5].

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في دينهم ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على الحقّ و هم الّذين اسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يعني يتلونها في تهجّدهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ

١ـ في «ج»: «جميع الأزمنة».
٢ـ العيّاشي ١: ١٩٥، الحديث: ١٢٨؛ والقمّي ١: ١١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المناقب (لابن شهر آشوب) ٤: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣١؛ و تفسير فرات الكوفي: ٩٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٣٧١، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي: «و ما ضربوهم بأيديهم و لاقتلوهم بأسيافهم».

﴿فِي ٱلْخَيْرَاتِ﴾[٤]. وصفهم بصفات ليست في اليهود. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يضيع ولا ينقص ثوابه. سمّى ذلك كفراً كما سمّى توفية الثّواب شكراً. ورد: «إنّ المؤمن مكفّر، و ذلك انّ معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في النّاس، والكافر مشكور[١]، و ذلك انّ معروفه للنّاس ينتشر في النّاس ولا يصعد إلى السّماء»[٢]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم و إشعار بانّ التّقوى مبدأ الخير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم. شبّه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفّار ضربته برد شديد من سخط الله، فاستاصلته و لم يبق[٣] لهم فيه منفعة في الدّنيا ولا في الآخرة. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ اي: المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: وليجة[٤]، و هو الّذي يعرّفه الرّجل أسراره ثقة به. شبّه ببطانة الثّوب، كما يشبّه بالشّعار. ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنّوا عنتكم، و هو شدّة الضّرر و المشقّة ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ اي: من كلامهم، لأنّهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا بدا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـ الكافي: «مشهور» بدل: «مشكور».
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٦٠، الباب: ٣٥٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في: «الف»: «لم تبق».
٤ـ وليجة الرّجل: بطانته و دخلاؤه و خاصّته و ما يتّخذه معتمداً عليه. مجمع البحرين ٢: ٣٣٥، و لسان العرب ٢: ٤٠٠ (ولج).

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ ﴾ الخاطئون في موالاة الكفّار ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ كتابكم و كتابهم، و هم لا يؤمنون بكتابكم. فيه توبيخ بأنّهم في باطلهم اصلب منكم في حقّكم. ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ نفاقاً و تغديراً ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ ﴾ تاسفاً و تحسّراً، حيث رأوا إيتلافكم و اجتماع كلمتكم و لم يجدوا إلى التّشفّي سبيلاً. ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ ﴾: نعمة من ألفة[1] او ظفر على الاعداء ﴿تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾: محنة ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ موالاتهم و مخالطتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ لما وعد الله الصّابرين والمتّقين من الحفظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾.

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ ﴾: واذكر إذ غدوت ﴿مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: تهيّيء لهم ﴿مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾: مواقف و اماكن له ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

«كان ذلك في غزوة أُحد حين خرجت قريش من مكّة يريدون حربه فخرج يبتغي موضعاً للقتال، و كان عبّا[2] أصحابه، و كانوا سبعماة رجل، فوضع «عبدالله بن جبير» في خمسين من الرّماة على باب الشّعب[3]، و أشفق ان يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال لهم: لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم. فلمّا انهزمت قريش و وقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم ينهبون[4]، قال أصحاب «عبدالله بن جبير» لعبد الله:

۱ـ في «الف»: «من الله».
۲ـ عبّا المتاع والامر: هيّاه، والجيش: جهّزه. القاموس المحيط ۱: ۲۳؛ و لسان العرب ۱. ۱۱۸ (عبا)
۳ـ الشّعب ـ بكسر الشّين ـ: الطّريق في الجبل و مسيل الماء في بطن ارض او ما انفرج بين الجبلين القاموس المحيط ۱: ۹۱؛ و مجمع البحرين ۲: ۹۰؛ و لسان العرب ۱: ٤۹۹ (شعب).
٤ـ السّواد الشّخص والمال الكثير. «مجمع البحرين ۳: ۷۲؛ و لسان العرب ۳: ۲۲٥». والنّهب: الغنيمة و نهب النّهب: اخذه. «مجمع البحرين ۲: ۱۷۸؛ و لسان العرب ۱: ۷۷۳». والمعنى انّ أصحاب عبدالله بن جبير لمّا نظروا إلى أصحاب رسول الله ياخذون الأموال الكثيرة المتروكة في ساحة القتال من المشركين قالوا لعبد الله: قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة.

قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة. فقال لهم: اتّقوا الله فإنّ رسول الله قد تقدّم إلينا ألاّ نبرح، فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، و بقي «عبدالله» في اثنى عشر رجلاً، فانحطّ[1] «خالد بن الوليد» و فرّق أصحابه و بقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشّعب، و أتى المسلمين من أدبارهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة، فكشف رسول الله البيضة عن رأسه و قال: إليّ أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله و عن رسوله؟ و لم يبق معه إلاّ أبو دُجانة و عليّ عليه السلام، فلم يزل عليّ يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه و رأسه و يديه و بطنه و رجليه سبعون جراحة». كذا ورد[2].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أن تجبّنا و تضعفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليعتمدوا عليه في الكفاية.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو ما بين مكّة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. قال: «و ما كانوا اذلّة، وفيهم رسول الله و إنّما نزل و أنتم ضعفاء»[3]. و في رواية: «ليس هكذا أنزلها الله، إنّما أُنزلت و أنتم قليل»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّها نزلت بهذا المعنى. و ورد: «إنّ عدّتهم كانت ثلثماة و ثلاثة عشر»[5].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الثّبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

١ـ حططتُ الرَّحْل: أنزلته من علوّ إلى سفل، و منه «فانحطّ الرّجل و هو قائم في صلاته». مجمع البحرين ٤: ٢٤٢؛ و لسان العرب ٧: ٢٧٣ (حطط).

٢ـ القمّي ١: ١١٤ ـ ١١٦؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في القمّي: «تسعون جراحة».

٣ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٥؛ والقمّي ١: ١٢٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٣ و ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ راجع: الغيبة (للنعماني): ٣١٥؛ والدرّ المنثور ٢: ٣٠٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨؛ والقمّي ١: ٢٥٧

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾: من ساعتهم هذه ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: معلّمين. من التّسويم بمعنى إظهار سيماء الشّيء. قال: «كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر»[١].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾ بالنّصر ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا من العُدّة والعدّة ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الّذي لا يغالب ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ الّذي ينصر و يخذل على مقتضى الحكمة.

﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: لينتقص منهم بقتل بعض و اسر بعض. ورد: «إنّه قتل منهم يوم بدر سبعون من صناديدهم و أُسر سبعون»[٢]. ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾: او يخزيهم. والكبت شدّة غيظ او وهن يقع في القلب. ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾: فينهزموا منقطعي الآمال.

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ اعتراض[٣] ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن اسلموا ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ إن أصرّوا ﴿فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: قد استحقّوا التّعذيب بظلمهم. ورد: «إنّه لمّا اخبر الله نبيّه ﷺ ان يظهر ولاية عليّ عليه السلام ففكّر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله، و حسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فاخبر الله انّه ليس له من هذا الأمر شيء، إنّما الامر فيه إلى الله ان يصيّر علياً وصيّه و وليّ الامر بعده، فهذا عنى الله، و كيف لا يكون له من الامر شيء و قد فوّض الله إليه ان جعل ما احلّ فهو حلال، و ما حرّم فهو حرام، قوله: "ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما

١ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: القمّي ١: ٢٦٧؛ والعيّاشي ١: ٢٠٥ الحديث: ١٥١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لعلّ المراد أنّه اعتراض بين الكلامين فيكون قوله: «او يتوب عليهم» متّصل بقوله: «ليقطع طرفاً»، فيكون التّقدير: ليقطع طرفاً منهم، او يكبتهم، او يتوب عليهم، او يعذّبهم؛ فإنّهم قد استحقّوا العذاب، و ليس لك اي ليس لك من هذه الأربعة شيء، و ذالك إلى الله تعالى. «مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٠ ـ٥٠١، والبيضاوي ٢: ٤٢».

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[١]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «ليس لك من الأمر شيء إن يتب عليهم أو يعذّبهم»[٢]. وفي أخرى: «ان تتوب عليهم أو تعذّبهم»[٣]. بالتّاء فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾. قيل: كان رجل منهم يربي إلى أجل، ثمّ يزيد فيه إلى آخر حتّى يستغرق بقليله مال المديون[٤]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «إلى اداء الفرائض»[٥]. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: «إذا وضعتا مبسوطتين». كذا ورد[٦]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. قال: «فإنّكم لن تنالوها إلّا بالتّقوى»[٧].

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: في أحوالهم جميعاً ما تيسّر لهم من قليل أو كثير ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: سيّئة بالغة في القبح كالزّنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزّنا ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: تذكّروا وعيده

١ـ العيّاشي ١: ١٩٧، الحديث: ١٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الحشر (٥٩): ٧.
٢ و٣ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤١ عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٦٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٢.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث: ١٠ (حديث أربعمائة) عن أبي عبدالله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.

وحقّه العظيم ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالنّدم والتوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. استفهام بمعنى النّفي معترض، لينبّه بسعة رحمته و عموم مغفرته. ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾: و لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. قال: «الإصرار ان يذنب الذّنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة»[1]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: عالمين به.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾. ورد: «إنّها نزلت في نبّاش زنى بميّتة ثمّ ندم، فاتى بعض جبال المدينة فتعبّد فيها و لبس مِسْحاً[2] و غلّ يديه جميعاً إلى عنقه ينادي ربّه و يبكي و يحثّ التّراب على راسه، و قد احاطت به السبّاع و صفّت فوقه الطّير و هم يبكون لبكائه اربعين يوماً»[3]. هذا ملخّص القصّة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقايع سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال: «انظروا في القرآن»[4]. ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: «يعني ما أخبركم عنه»[5].

﴿هَٰذَا﴾ اي: القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ عامة ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خاصّة.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: و لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أُحُد ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على من قتل منكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ فإنّكم على الحقّ، و قتالكم للّه، و قتلاكم في الجنّة. و إنّهم على الباطل، و قتالهم للشّيطان، و قتلاهم في النّار. و إنّكم أصبتم منهم يوم بدر

١ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٤؛ والكافي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة «فذلك الإصرار» في آخرها.
٢ـ المِسْح: الكساء من شعر؛ ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشّفاً و قهراً للجسد؛ البلاس يقعد عليه. المنجد في اللغة: ٧٦٠ (مسح).
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٤٦، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.
٤و٥ـ الكافي ٨: ٢٤٩، الحديث: ٣٤٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أكثر[1] ممّا أصابوا منكم اليوم. و إنّكم منصورون في العاقبة غالبون. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن صحّ إيمانكم.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ـ بالفتح والضمّ ـ لغتان. و قيل: بالفتح الجراح و بالضمّ ألمها[2]. ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ يعني إن أصابوا منكم، فقد أصبتم منهم ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أوقات النّصر والغلبة ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرّفها بينهم، نديل لهؤلاء تارة و لهؤلاء أخرى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اي: ليكون كيت و كيت من المصالح، و ليتميّز الثّابتون على الإيمان من الّذين على حرف، و يعلم الله ذلك حين يشاهده النّاس كما يعلمه من قبل و من بعد. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: و يكرم ناساً منكم بالشّهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. اعتراض، فيه تنبيه على أنّه لا ينصرهم على الحقيقة و إنّما يديل لهم أحياناً استدراجاً لهم و ابتلاءً للمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليطهّرهم و يصفّيهم من الذّنوب إن كانت الدّولة عليهم. ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: و يهلكهم إن كانت عليهم. والمحق: نقص الشّيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾. إنكار، يعني لا تحسبوا ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: و لمّا يجاهد من يجاهد و يصبر من يصبر.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ للشّهادة[3] ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. ورد: «إنّ المؤمنين لمّا

۱ـ في «الف»: «أكبر».
۲ـ انظر البيان ۲: ٦۰۰؛ و مجمع البيان ۱ـ۲: ٥۰۸؛ والكشاف ۱: ٤٦٥.
۳ـ في «ب» و «ج»: «بالشهادة».

أخبرهم الله بما فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه. فأراهم الله إيّاه يوم أُحُد، فلم يثبتوا إلاّ من شاء الله منهم، فذلك قوله: "وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ" الآية»[١].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: ارتددتم عن الدّين. قيل: كان سبب ارتدادهم و انهزامهم نداء إبليس فيهم أنّ محمّداً قد قُتِلَ[٢]، و كان ﷺ في زحام النّاس، و كانوا لا يرونه. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتداده بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾ كأمير المؤمنين و من يحذو حذوه عليهم السّلام. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية في خطبة الغدير، ثمّ قال: الا و إنّ عليّاً هو الموصوف بالصّبر والشّكر، ثمّ من بعده ولدي من صلبه»[٣].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: كتب كتاباً موقّتاً لا يتقدّم ولا يتأخّر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾. تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أُحُد، و كان ذلك سبب انهزام المسلمين. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِي الشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾: و كم من نبيّ ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾: ربانيّون علماء اتقياء، و في قراءتهم عليهم السّلام: «قُتِلَ مَعَهُ»[٤]. ﴿كَثِيرٌ﴾ قال: «الوف و ألوف، ثمّ قال: أي والله يقتلون»[٥]. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ في الدّين و عن العدوّ ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: و ما خضعوا للعدوّ، و هو تعريض بما أصابهم عند

١ـ القمّي ١: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٦.
٣ـ الاحتجاج ١: ٧٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤و٥ـ العيّاشي ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الإرجاف [١] بقتله ﷺ. قال: «بيّن الله سبحانه أنّه لو كان قتل ﷺ كما أُرجف بذلك يوم أُحُد، لما أوجب ذلك أن يضعفوا أو يهنوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم» [٢].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فينصرهم في العاقبة و يعظّم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ مع ثباتهم و قوّتهم في الدّين و كونهم ربّانيّين ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. اضافوا الذّنوب والإسراف إلى انفسهم هضماً لها، و إضافةً لما اصابهم إلى سوء اعمالهم، واستغفروا عنها ثمّ طلبوا التّثبيت في مواطن الحرب والنّصر على العدوّ، ليكون عن خضوع و طهارة فيكون اقرب إلى الإجابة.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: النّصر والغنيمة و حسن الذّكر في الدّنيا، والجنّة والنّعيم في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في اقوالهم وافعالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. قال: «نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحُد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم» [٣].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾. قيل: هو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتّى تركوا القتال و رجعوا من غير سبب [٤]. و ورد:

١ـ رَجَف: حرّك و تحرّك واضطرب شديداً، و رجفت الارض: زُلْزِلتْ كارجفت، والقوم: تهيّؤا للحرب. القاموس المحيط ٣: ١٤٧ (رجف).

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٧، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ـ المصدر: ٥١٨، عن امير المؤمنين ﷺ.

٤ـ الكشّاف ١: ٤٧٠؛ والبيضاوي ٢: ٤٧.

«نصرت بالرّعب مسيرة شهر»[١]. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا﴾ أي: آلهة ليس على إشراكها حجّة نازلة من الله عليهم. أريد نفي الحجّة و نزولها جميعاً. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي: وعده إيّاهم بالنّصر بشرط التقوى و الصّبر؛ و كان كذلك حتّى خالفوا الرّماة، فإنّ المشركين لمّا أقبلوا، جعل الرّماة يرشقونهم[٢]، والباقون يضربونهم بالسّيف حتّى انهزموا، و المسلمون على آثارهم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: تقتلونهم بإذن الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني اختلاف الرّماة حين انهزام المشركين. فقال بعضهم: فما موقفنا هاهنا؟ و قال آخرون: لا نخالف أمر الرّسول. فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير، ونفر الباقون للنّهب. ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الظّفر و الغنيمة و انهزام العدوّ. و جواب «إذا» محذوف، و هو امتحنكم. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ و هم التّاركون المركز لحيازة الغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ و هم الثّابتون محافظة على أمر الرّسول ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفّكم عنهم حين غلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب و يمتحن ثباتكم على الإيمان عندها ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ تفضّلاً، و لما علم من ندمكم على المخالفة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضّل عليهم بالعفو و غيره، سواء أديل[٣] لهم أو عليهم، إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلّق بـ«صرفكم». و الإصعاد: الذّهاب و الإبعاد في الأرض. ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾. كان يقول: إليّ عباد الله! أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله وعن رسوله؟. و في رواية:

١ـ الخصال ١: ٢٠١، الحديث: ١٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٩، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ الرّشق ـ بالفتح فالسّكون ـ: الرّمي. مجمع البحرين ٥: ١٦٩؛ و لسان العرب ١٠: ١١٦ (رشق).
٣ـ دالت الأيّام: دارت. والله يداولها بين النّاس، أي: يديرها. و أديل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. مجمع البحرين ٥: ٣٧٤؛ و لسان العرب ١١: ٢٥٢ (دال).

«من بكرّ فله الجنّة»[١]. ﴿فِىٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾: فجازاكم الله عن فشلكم و عصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ. ورد: «الغمّ الأوّل: الهزيمة و القتل، والغمّ الآخر: إشراف «خالدبن الوليد» عليهم»[٢]. ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ على ﴿مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من قتل إخوانكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾: امناً حتّى اخذكم النّعاس ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ و هم المؤمنون حقّاً. روي: «انّه غشيهم النّعاس في المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد احدهم فياخذه ثمّ يسقط فياخذه»[٣]. ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ و هم المنافقون ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾: اوقعتهم انفسهم في الهموم. إذ ما بهم إلّا همّ أنفسهم و طلب خلاصها ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: يظنّون انّ امر محمّد مضمحلّ و انّه لا ينصر ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾: ظنّ اهل الملّة الجاهليّة، اي: الكفّار.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾: هل لنا في تدبير[٤] انفسنا و تصريفها اختيار؟ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ﴿يُخۡفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ﴾: يظهرون أنّهم مسترشدون طالبون النّصر، و يبطنون الإنكار و التّكذيب ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾: لن نبرح من المدينة بل اقمنا فيها، ما غلبنا و ما قتل من قتل منّا في هذه المعركة. ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِى بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾: إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة بالمدينة ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمۡ﴾: و ليمتحن الله و يظهر سرايركم من الإخلاص و النّفاق فعل ما فعل.

١ـ الكشّاف ١: ٤٧١؛ و البيضاوي ٢: ٤٨.
٢ ـ القمّي ١: ١٢٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٤٨؛ والكشّاف ١: ٤٧١، عن ابي طلحة؛ والدرّ المنثور ٢: ٣٥٣؛ و السّنن للترمذي ٤: ٢٩٧، الحديث: ٤٠٩٥.
٤ ـ في «ب» و «ج»: «من تدبير».

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: و ليكشفه و يميّزه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم بخفيّاتها قبل إظهارها. و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، و إنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و إظهار حال المنافقين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: انهزموا ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: حملهم على الزلّة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من معصيتهم النبيّ ﷺ بترك المركز و الحرص على الغنيمة و غير ذلك، فمنعوا التأييد و قوّة القلب. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم و اعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة لكي يتوب المذنب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: لاجلهم و فيهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: إذا سافروا فيها و ماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: غازين فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾. اللام للعاقبة. ﴿ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، لا الإقامة و السفر؛ فإنّه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدنيا لو لم تموتوا او تقتلوا.

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على ايّ وجه اتّفق ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في جميع الاحوال.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾. «ما» المزيدة للتأكيد. بلغ لينه لهم إلى أن اغتمّ لهم بعد ما خالفوه. ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾: سيّئ الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسية ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك و لم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: في أمر الحرب و غيره ممّا يصحّ أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم و تطييباً لنفوسهم و تمهيداً لسنّة المشاورة للأمّة.

ورد: «لا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أوثق من المشاورة»[١]. «من شاور الرّجال شاركها في عقولها، من استبدّ برأيه هلك»[٢]. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم و يهديهم إلى الصّلاح.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾: لا ناصر لكم من بعد الله إذا جاوزتموه، أو من بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليخصّوه بالتّوكّل لما آمنوا به و علموا ان لا ناصر سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: و ما صحّ لنبيّ ان يخون في الغنائم، فإنّ النّبوّة تنافي الخيانة. و الغلول: أخذ الشّيء من المغنم في خفية. ورد: «إنّ قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر، فقال رجل من الاصحاب: ما اظنّ إلاّ رسول الله اخذها، فنزلت؛ فجاء رجل فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة فاحفرها هنالك، فامر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فاخرج القطيفة»[٣]. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. قال: «إنّه يراه يوم القيامة في النّار ثمّ يكلّف ان يدخل إليه فيخرجه من النّار»[٤]. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى جزاء ما كسبت و افياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطّاعة ﴿كَمَن بَاءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بالمعصية ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «الّذين اتّبعوا رضوان

١- التّوحيد (للصّدوق): ٣٧٦، الباب: ٦٠، ذيل الحديث: ٢٠، عن ابي جعفر، عن آبائه، عن النّبيّ ﷺ؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٨، الحكمة: ١١٣
٢- نهج البلاغة (للصّبحي صالح): ٥٠٠، الحكمة: ١٦١، مع تقدّم و تأخر.
٣- القمّي ١: ١٢٦، و فيه: «فاخباها» بدل: «فاحفرها».
٤- المصدر: ١٢٢، عن أبي جعفر ﷺ.

الله هم الائمّة، و هـم و الله درجات للمؤمنـين، و بولايتهـم و معرفتهـم إيّانـا يضـاعف الله لهـم أعـمـالهم، و يـرفع الله لـهم الدّرجـات العلى؛ و الّذين باؤوا بسـخط هم الّذين جـحـدوا حقّ علّي و الائمّة منّا أهل البيت»[١] . و قـال: «الدّرجة مـا بين السّماء والارض»[٢].

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾: انعم الله ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: عربيّاً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من سوء العقايد و الاخلاق و الاعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾:القرآن و السّنّة ﴿وَإِن كَانُوا۟﴾: و إنّه كانوا ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾. الهمزة للتّقريع و التّقرير. قال «كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة و اربعين رجلاً: قتلوا سبعين و اسروا سبعين؛ فلمّا كان يوم أحد أُصيب من المسلمين سبعون، فاغتمّوا لذلك فنزلت»[٣]. ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾: من اين هذا أصابنا و قد وعدنا الله النّصر؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: «باختياركم الفداء يوم بدر»[٤]. القمّي: و كان الحكم في الأُسارى يوم بدر، القتل، فقامت الانصار فقالوا: يا رسول الله هبهم لنا، و لا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله قد اباح لهم الفداء ان يأخذوا من هؤلاء القوم و يطلقوهم على ان يستشهد منهم في عام قابل بقدر من يأخذون منه الفداء فأخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشّرط، فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء و نتقوّى به و يقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنّة. فأخذوا منهم الفداء و أطلقوهم، فلمّا كان يوم أُحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون؛ فقالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي أصابنا و قد كنت تعدنا النّصر؟

١ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٤؛ و العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٤٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥٠، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ المصدر، الحديث: ١٥١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٣، عن امير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام.

فنزلت[١] . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدر على النّصر و منعه، و على ان يصيب بكم و يصيب منكم .

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ : يوم أحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ .

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ : و ليتميّز الفريقان ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ اي : للمنافقين ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ عن الانفس و الاموال ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ . قالوه دغلاً و استهزاءاً لزعمهم انّ ما يفعلونه ليس بقتال بل إلقاء بالانفس إلى التّهلكة . ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ كما يظهر من كلامهم هذا ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ من النّفاق و ما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنّه يعلمه مفصّلاً بعلم واجب، و انتم تعلمونه مجملاً بامارات .

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ : لاجلهم و فيهم. يريد من قتل يوم أحد . ﴿وَقَعَدُواْ﴾ : حال كونهم قاعدين عن القتال : ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ كما لم نقتل ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ﴾ : فادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ انّكم تقدرون على دفع القتل و اسبابه عمّن كتب عليه، فإنّه احرى بكم. يعني انّ القعود غير مغن .

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ . قال : «نزلت في شهداء بدر و أحد جميعاً»[٢] .

اقول : و تشمل كلّ من قتل في سبيل من سبيل الله عزّوجلّ، سواء كان قتله بالجهاد الاصغر و بذل النّفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الاكبر و كسر النّفس و قمع الهوى بالرّياضة .

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ ذوو قرب منه ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ من الجنة .

١ـ القمّي ١ : ١٢٦ .
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٥٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ و هو شرف الشّهادة، و الفوز بالحياة الأبديّة، والقرب من الله، و التّمتّع بنعيم الجنّة. ﴿ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ من إخوانهم المؤمنين الّذين تركوهم و لم ينالوا درجاتهم بعد ﴿ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾. قال: «هم و الله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة و استقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا و استيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ و على دين الله عزّ ذكره، فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين»[1].

﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾: وزيادة ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ «و ذلك انّ النّبيّ ﷺ كان قد واعد ابا سفيان القتال في العام المقبل بعد وقعة أحد ببدر الصّغرى، فخرج ابو سفيان في أهل مكّة حتّى نزل مَجَنَّة[2]، ثمّ القى الله عليه الرّعب، فبدا له في الرّجوع، فلقي نُعَيم بن مسعود الاشجعي، فقال له إلحق بالمدينة فثبّط[3] أصحاب محمّد عن القتال، و لك عندي عشرة من الإبل. فاتى نعيم المدينة، فوجد النّاس يتجهّزون لميعاد ابي سفيان، فقال لهم: بئس الرّاي رايتم[4]. اتوكم في دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم الأ شريد، فتريدون ان تخرجوا، و قد جمعوا

١ ـ القمّي ١: ١٢٧؛ والكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٦، عن ابي جعفر عليه السلام. و فيه: «... عزّوجلّ، واستبشروا...».

٢ ـ مَجَنَّة. اسم سوق للعرب كان في الجاهليّة و كانت بمرّ الظّهران قرب جبلٍ يقال له الاصفر و هو بأسفل مكّة على قدر بريد منها. معجم البلدان ٥: ٥٨ (مجنّة).

٣ ـ ثبّطهم: حبّسهم بالجبن، و ثبّطه عن الأمر: اثقله واقعده. مجمع البحرين ٢: ٢٤٠؛ و لسان العرب ٧: ٢٦٧ (ثبط).

٤ ـ في المصدر: «رايكم»

لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت [١] منكم أحد. فكره اصحاب رسول الله ﷺ الخروج. فقال رسول الله ﷺ: و الّذي نفسي بيده لأخرجنّ و لو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشّجاع فإنّه تأهّب للقتال. و قال: حسبنا الله و نعم الوكيل. فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى وافى بدر الصّغرى، فأقام به ينتظر أبا سفيان، و قد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكّة، فلم يلق رسول الله ﷺ و اصحابه احداً من المشركين ببدر، و وافوا السّوق، و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا الدّرهم درهمين، و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فنزلت». كذا ورد [٢].

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: عافية و ثبات على الإيمان وزيادة فيه ﴿وَفَضْلٍ﴾: وربح في التّجارة ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جراعة وكيد عدوّ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بجرأتهم وخروجهم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني به المثبّط و هو «نعيم». ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ و هم المنافقون المتخلّفون ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾: اولياء الله ﴿شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. تأكيد وتعميم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: نمهلهم و نخلّيهم و شأنهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: مختلطين لا يعرف مخلصهم من منافقهم ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يميز المنافق من المخلص بالتّكاليف الشّاقّة الّتي

١ـ التّفلّت و الإفلات: التخلّص. مجمع البحرين ٢: ٢١٣؛ و لسان العرب ٢: ٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٤٠، عن أبي جعفر ﷺ.

لا يصبر عليها و لا يذعن بها إلاّ الخلّص المخلصون. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعلموا ما في القلوب من إخلاص و نفاق ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيوحي إليه و يخبره ببعض المغيبات ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخلصين ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ حقّ الإيمان ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النّفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يقادر قدره.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سيلزمون وباله إلزام الطّوق. قال: «ما من احد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه، ينهش [1] من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله عزّ و جلّ "سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة"، يعني ما بخلوا به من الزّكاة» [2]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و له ما فيهما ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله، و لا ينفقونه في سبيله؟ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع و الإعطاء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. قيل: قاله اليهود لمّا سمعوا "مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ" [3]. القمّي: و الله ما راوا الله فيعلموا انّه فقير، و لكنّهم راوا اولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان غنيّاً لاغنى اولياءه؛ [4] ففخروا على الله بالغنى. و في رواية: «هم الّذين يزعمون انّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه» [5].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بإذاعة امرهم كما مرّ [6]. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا

١ ـ النّهش: النّهس، و هو اخذ اللّحم بمقدّم الأسنان. مجمع البحرين ٤: ١٥٦؛ و لسان العرب ٦: ٣٦٠ (نهش).
٢ ـ الكافي ٣: ٥٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٠٧، الحديث ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الكشّاف ١: ٤٨٤. و الآية في البقرة: ٢٤٥.
٤ ـ القمّي ١: ١٢٧.
٥ ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٦١.

عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل إنّما يعذّب بمقتضى العدل، إن عذّب و لم يتفضّل.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أمرنا في التّوراة و أوصانا، و كذّبوا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقه. روي: «انّ هذه كانت معجزة لانبياء بني إسرائيل ان يقرّب بقربان، فيقوم النّبيّ فيدعو، فتنزل نار من السّماء فتحرق قربان من قبل منه»[1]. ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. قال: «كان بين القاتلين و القاتلين خمسماة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا»[2].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الحكم و المواعظ و الزّواجر ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: المشتمل على الشّرايع والاحكام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾. وعد و وعيد للمصدّق و المكذّب. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء اعمالكم خيراً كان او شرّاً تامّاً وافياً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُوعِد ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالمراد ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ اي: زخارفها و فضولها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ اي: و الله لتختبرنّ ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ قال: «بإخراج الزّكاة»[3]. ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال: «بالتّوطين على الصّبر»[4]. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

۱ـ الكافي ٤: ۳۳٥، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ و مجمع البيان ۱ـ۲: ٥٤۹، عن ابن عبّاس؛ والقمّي ۱: ۱۲۷؛ والبيضاوي ۲: ٥۸.
۲ـ الكافي ۲: ٤۰۹، الحديث: ۱، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۳ و ٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ۲: ۸۹، الباب: ۳۳، ذيل الحديث: ۱؛ و علل الشّرايع ۲: ۳٦۹، الباب ۹۰، الحديث: ۳، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ : مّما يجب ثبات الرأي عليه نحو إمضائه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: «في محمّد»[١]. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: «إذا خرج»[٢]. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ : اخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدّنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ : يعجبون بما فعلوا ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من خير ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ قال: «ببعيد»[٣]. ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك امرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ : لد لائل واضحة على توحيده سبحانه، و كمال علمه و حكمته، و نفاذ قدرته و مشيّته ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ :لذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم و الحسّ.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ : في جميع الاحوال، و على جميع الهيئات. ورد: «من أكثر ذكر الله احبّه الله»[٤]. و في رواية: «قياماً: الصّحيح يصلّي قائماً، و قعوداً: المريض يصلّي جالساً، و على جنوبهم: الّذي يكون اضعف من المريض الّذي يصلّي جالساً»[٥]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : و يعتبرون بهما. ورد: «افضل العبادة إدمان التّفكّر في الله و في قدرته»[٦]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

١ و ٢ـ القمّي ١ : ١٢٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٢٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢ : ٤٩٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي ١ : ٢١١، الحديث: ١٧٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢ : ٥٥، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿هَٰذَا بَاطِلًا﴾: عبثاً ضائعاً من غير حكمة. يعني يقولون ذلك. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ للإخلال بالنّظر فيه و القيام بما يقتضيه.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ قال: «من ائمّة يسمّونهم باسمائهم»[١].

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو الرّسول ﷺ. و قيل: القرآن.[٢] ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، فإنّها ذات تبعات و اذناب ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا، فإنّها مستقبحة، ولكنّها مكفّرة عن مجتنب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: منزلاً عليهم. خافوا الّا يكونوا من الموعودين. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بان تعصمنا عمّا يقتضي الخزي ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن و إجابة الدّاعي. و تكرير «ربّنا» للمبالغة في الابتهال، والدّلالة على استقلال المطالب و علوّ شانها. ورد في هذه الآيات: «ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها»[٣].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: الذّكر من الأنثى و الأنثى من الذّكر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الأوطان و العشاير للدّين ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ بسبب إيمانهم بالله و من اجله ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفّار ﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. ورد: «إنّها نزلت في

١ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٧؛ والبيضاوي ٢: ٦١.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٤، عن النّبيّ ﷺ. و اللّوك: إدارة الشّيء في الفم مجمع البحرين ٥: ٢٨٧ «و فيه الحديث أيضاً»؛ و لسان العرب ١٠: ٤٨٥ (لاك).

عليّ و أصحابه»[١].

أقول: و تشمل كلّ من اتّصف بهذه الصّفات.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم و سعتهم في عيشهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: قصير مدّته، يسير في جنب ما اعدّ الله للمؤمنين. ورد : «ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع»[٢]. ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. النّزل: ما يعدّ للنّازل من طعام و شراب وصلة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ممّا يتقلّب فيه الفجّار، لكثرته و دوامه و خلوصه من الآلام.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما فعله المحرّفون من احبارهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ و يؤتون اجرهم مرّتين كما وعدوه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سبق معناه[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ قال: «على الفرائض»[٤]. ﴿وَصَابِرُوا﴾ قال: «على المصائب»[٥]. ﴿وَرَابِطُوا﴾ قال: «على الائمّة»[٦]. و في رواية: «اصبروا عن المعاصي و صابروا على الفرائض»[٧]. و في أخرى: «صابروا على التّقيّة»[٨]. و في أخرى:

١ـ القمّي ١: ١٢٩.
٢ـ البيضاوي ٢: ٦٢؛ والكشّاف ١: ٤٩١.
٣ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٢٠٢.
٤، ٥و٦ـ الكافي ٢: ٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢١٢، الحديث: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢١٣، الحديث: ١٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

«ورابطوا الصّلوات، أي: انتظروها واحدة بعد واحدة»[1]. و ورد: «من الرّباط انتظار الصّلاة بعد الصّلاة»[2]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: «يعني فيما أمركم به وافترض عليكم»[3].

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ والبيضاوي ٢: ٦٣، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ١: ٢١٣، ذيل الحديث: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة النّساء

[مدنيّة، و هي مائة و ستّ و سبعون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾. هي آدم. ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾. هي حوّاء. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ فخلق منها آدم، و فضل فضلة من الطّين، فخلق منها حوّاء» [2]. و في رواية: «إنّها خلقت من باطنه، و من شماله، و من الطّينة الّتي فضلت من ضلعه الايسر» [3].

أقول: لعلّ تاويل الضّلع الايسر الجهة الّتي تلي الدّنيا، فإنّها اضعف من الجهة الّتي تلي العقبى، ولذلك تكون جهة الدّنيا في الرّجال أنقص من جهة العقبى، و بالعكس منهما في النّساء.

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾: نشر ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾. قال: «إنّ الله عزّ و جلّ انزل على آدم حوراء من الجنّة، فزوّجها احد ابنيه، و تزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في النّاس من جمال كثير، أوحسن خلق، فهو من الحوراء، و ما كان فيهم من سوء خلق، فهو من ابنة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ العيّاشي ١: ٢١٦، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «فضلت فضلة»
٣ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧١، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

الجـانّ»[١]. ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ قيـل: يعني يسـأل بعضكـم بعضـاً، فيقول: اسألك بالله[٢]. ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ قال: «و اتّقوا الارحام ان تقطعوها»[٣]. و قال: «هي أرحام النّاس، إنّ الله عزّ و جلّ أمر بصلتها و عظّمها، الا ترى انّه جعلها معه»[٤]. يعني قرنها باسمه في الامر بالتّقوى. ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ قال: «حفيظاً»[٥].

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني إذا بلغوا، و آنستم منهم رشداً، كما في الآية الأُخرى[٦]. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: و لا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم، بأن تتعجّلوا الحرام من اموالهم قبل ان يأتيكم الرّزق الحلال الّذي قدّر لكم. و قيل: كانوا يأخذون الرّفيع من اموالهم و يجعلون مكانه الخسيس[٧]، فنهوا عنه. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾: مضمومة إليها يعني فيما زاد على قدر اجره، لقوله «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»[٨] ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾: ذنباً عظيماً.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾. ما ذكره المفسّرون في سبب نزوله و نظم محصوله لا يخلو من تعسّف. و ورد: «إنّه من إسقاط المنافقين من القرآن، و بين القول في اليتامى و بين نكاح النّساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن»[٩].

١ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٤٠، الحديث: ١١٣٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ١: ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣، عن ابي جعفر عليه السلام؛ و الدّرّ المنثور ٢: ٤٢٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٢١٧، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٣٠، عن ابي الجارود؛ و تفسير فرات الكوفي: ١٠١؛ والدّرّالمنثور ٢: ٤٢٤، عن ابن عبّاس.
٦ ـ الآية: ٦.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣.
٨ ـ النّساء(٤): ٦.
٩ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن امير المؤمنين عليه السلام. و جدير بالذّكر انّ من المسلّم عند الشّيعة الإماميّة عدم تحريف القرآن لا بالزيادة ولا بالنقصان، أُنظر: البيان في تفسير القرآن ـ لآية الله العظمى السيد الخوئي ره ـ ٢١٥

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: ثنتين ثنتين، و ثلاثَ ثلاثَ، و أربعَ أربعَ، تخيير في العدد لكلّ أحد إلى أربع. ورد: «إذا جمع الرّجل أربعاً فطلّق إحداهنّ فلا يتزوّج الخامسة حتّى تنقضي عدّة المرأة الّتي طلّق. و قال: لا يجمع الرّجل ماءه في خمس»[1].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ بين هذه الأعداد، قال: «يعني في النّفقة»[2]. ﴿فَوَٰحِدَةً﴾: فانحكوا واحدة وذروا الجمع ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ و إن تعدّدن، لخفّة مؤنهنّ وعدم وجوب القسم بينهنّ، و في حكمهنّ المتعة. فورد: «إنّها ليست من الاربع و لا من السّبعين و إنّهن بمنزلة الإماء، لأنّهنّ مستأجرات لا تطلّق ولا ترث ولا تورّث»[3]. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾: اقرب ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: تميلوا اوتعيلوا.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: مهورهنّ ﴿نِحْلَةً﴾: عطية عن طيب نفس، بلا توقّع عوض. ورد: «من تزوّج امرأة و لم ينو أن يوفّيها صداقها فهو عند الله زان»[4]. ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ﴾: وهبن لكم عن طيب نفس ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾: سائغاً من غير غصّ[5].

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾: تقومون بها و تنتعشون ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عدة جميلة تطيب بها نفوسهم. قال: «السّفيه من لا تثق به»[6]. و في رواية: «شرّاب الخمر و النّساء»[7]. و في أخرى: «النّساء و الولد، قال إذا علم الرّجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة و ولده سفيه مفسد،

١ـ الكافي ٥: ٤٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الكافي ٥: ٤٥١، الاحاديث: ١، ٤، ٥و٧، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٥٢، الحديث: ١٢٠٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ يقال: غَصِصْتُ بالماء أغصّ غَصَصاً إذا شرقتَ به، أو وقفَ في حلقك فلَمْ تكدْ تُسيغُه. النّهاية ٣: ٣٧٠؛ و مجمع البحرين ٤: ١٧٦؛ و لسان العرب ٧: ٦٠ (غصص).
٦ـ العيّاشي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٦٨، الحديث: ٥٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «شارب الخمر».

لا ينبغي له ان يسلّط واحداً منهما على ماله الّذي جعله الله له قياماً، يقول: معاشاً. قال: و المعروف العدة»[١].

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع أحوالهم في الدّين و حسن التّصرّف في المال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: حدّاً يتأتى منهم النّكاح ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾. قال: «إيناس الرّشد: حفظ المال»[٢]. و في رواية: «الرّشد: العقل و إصلاح المال»[٣]. و في أخرى: «من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له ان يعطيه حتّى يبلغ النّكاح و يحتلم، فإذا احتلم و وجب[٤] عليه الحدود، و إقامة الفرائض، و لا يكون مضيّعاً، و لا شارب خمر، و لا زانياً، فإذا آنس منه الرّشد دفع إليه المال، و اشهد عليه. و إن كانوا لا يعلمون أنّه قد بلغ فإنّه يمتحن بريح إبطه او نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، و لا يجوز له ان يحبس عنه ماله ويعتلّ عليه أنّه لم يكبر بعد»[٥].

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾: مسرفين و مبادرين كبرهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾ من اكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بقدر حاجته و أُجرة سعيه. قال: «من كان يلي شيئاً لليتامى، و هو محتاج ليس له ما يقيمه، و هو يتقاضى اموالهم و يقوم في ضيعتهم، فلياكل بقدر، و لا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عمّا يعالج لنفسه، فلا يرزان[٦] من اموالهم شيئاً»[٧]. و في

١ـ القمّي ١: ١٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «فاذا احتلم وجب عليه الحدود».
٥ـ القمّي ١: ١٣١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في الحديث. «إنّي لا ارزأ من فيئكم درهماً» اي: لاانقص شيئاً ولادرهماً. مجمع البحرين ١. ١٨٣ (رزا).
٧ـ الكافي ٥: ١٢٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رواية: «المعروف هو القوت، و إنّما عنى الوصيّ أو القيّم في أموالهم و ما يصلحهم»[١].
و في أخرى: «ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة، فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم، فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً»[٢]. و في أخرى: «هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية، و يشغل فيها نفسه، فليأكل بالمعروف، و ليس له ذلك في الدّنانير والدّراهم الّتي عنده موضوعة»[٣]. و في أخرى: «من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفاية على جهة القرض، ثمّ يردّ عليه ما أخذ إذا وجد»[٤]. و في أخرى: «كان أبي يقول: إنّها منسوخة»[٥]. ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتّهمة، و أبعد من الخصومة ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾. يعني بهم المتوارثين بالقرابة. ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾: واجباً.
قيل: كانت العرب في الجاهليّة يورثون الذّكور دون الإناث، فردّ الله سبحانه عليهم[٦].

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾: قسمة التركة ﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ممّن لا يرث ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ بأن تلطّفوا لهم في القول و تعتذروا إليهم. قال: «نسختها آية الفرائض»[٧]. و في رواية: سئل أمنسوخة هي؟ قال: «لا، إذا حضروك فأعطهم»[٨].

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز والاستحباب.

١ ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ١: ٢٢١، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ ـ المصدر، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٠، عن قتادة و ابن جريج و ابن زيد.
٧ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾: أمر بأن يخشوا الله، و يتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبّون أن يفعل بذراريهم الضّعاف بعد وفاتهم. ورد: «من ظلم يتيماً سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه، ثمّ تلا هذه الآية»[1]. ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ مثل ما يقولون لأولادهم بالشّفقة و حسن الأدب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾: ملاء بطونهم ﴿نَارًا﴾: ما يجرّ إلى النّار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. صَلْيُ النّار: مقاساة حرّها، و صَلَيْتُهُ: شَوَيْتُهُ. و الإصلاء: الإلقاء فيها. وسَعْرُ النّار: إلهابها. ورد: «لمّا أُسري بي إلى السّماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النّار و تخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»[2].

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾: يأمركم و يعهد إليكم و يفرض عليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾: في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمع الصّنفان. قال: «لأنّهنّ يرجعن عيالاً عليهم[3]. و لما جعل الله لها من الصّداق،[4] و لأنّه ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا مَعْقُلة، وعدّ غيرها»[5].

أقول: استفاد أصحابنا من قوله سبحانه: «مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» أنّ للبنتين الثّلثان، كما ذكره في الكافي[6].

﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾: ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفّى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾: و لأبوي المتوفّى ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٣، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٨٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٥٣، الحديث: ٨١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٨١٦؛ والكافي ٧: ٨٥، الحديث: ٢و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٩٦، ذيل الحديث: ٣.

مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكراً كان أو أُنثى، واحداً كان أو أكثر ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ ممّا ترك ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. الإخوة تقع على الاثنين فصاعداً. والأُختان بمنزلة أخ واحد؛ و لهذا ورد: «لا تحجب الأمّ عن الثّلث، و إنّ الإخوة و الأخوات لا يرثون مع الأبوين، و إنّ الوجه فيه انّ الاب ينفق عليهم فوفّر نصيبه»[1].

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾. "او" لا يوجب التّرتيب. قال: «إنّكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدّين، و إنّ رسول الله ﷺ قضى بالدّين قبل الوصيّة»[2].

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾. مصدر مؤكّد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح و الرّتب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى و قدّر. يعني لا تعلمون مَن أنفع لكم من أُصولكم و فروعكم، في عاجلكم و آجلكم، ممّن يورثكم و يرثكم، امَنْ اوصى منهم فعرّضكم للثّواب بإمضاء وصيّته؟ ام من لم يوص فوفّر عليكم مالاً؟ او من اوصيتم له فوفّرتم عليه؟ ام لم توصوا له فحر متموه؟ فتحرّوا[3] فيهم ما وصّاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تبديل الوصيّة، أو تفضيل بعض و حرمان بعض، فهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصيّة.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ من بطونهنّ اومن اصلاب بنيهنّ اوبطون بناتهنّ و إن سفل، ذكراً كان او أُنثى، منكم او من غيركم. ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾

١ـ راجع: الكافي ٧: ٩١ـ٩٢، الاحاديث: ١و٤؛ و التّهذيب ٩: ٢٨٢، الحديث: ١٠١٩، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّحري: القصد و الاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. النّهاية ١: ٣٧٥؛ ومجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

وتستوي الواحدة والعدد منهنّ في الرّبع و الثّمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ . لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتفاوت بها الحكم. قال: «الكلالة من ليس بولد ولا والد»[1]. و أُريد بها هنا: «من يكون اخاً او أُختاً من الأمّ خاصّة»[2]. كذا ورد. ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥ﴾: و لكلّ واحد منهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني من الأمّ ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ﴾ لورثته بالوصيّة بالزّيادة على الثّلث او بقصد الإضرار دون القربة او بإقرار دين لا يلزمه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضارّ وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

إن قيل: إذا نقصت التّركة عن السّهام او زادت، فما الحكم فيه؟ قلنا: النّقص إنّما يقع على البنات و الاخوات؛ لانّ كلّ واحد من الابوين و الزّوجين له سهمان اعلى وادنى، و ليس للبنت و البنتين و الاخوات لولا ذلك إلّا سهم واحد، فإذا دخل النّقص عليهما استوى ذووا السّهام في ذلك، والزّايد يزاد على من كان يقع عليه النّقص إذا نقصت. كذا ورد[3] عن ائمّتنا عليهم السّلام، و اجمع اصحابنا عليه[4].

﴿تِلْكَ﴾ إشارة الى ما تقدّم من الاحكام في امر اليتامى و الوصايا و المواريث.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾: شرايعه المحدودة الّتي لا يجوز تجاوزها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١ـ الكافي ٧: ٩٩، الحديث: ٢و٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الوسائل ١٧: ٤٢٥، باب «كيفيّة إلقاء العول و من يدخل عليه النّقص».
٤ـ المبسوط ٤: ٧٤.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾. قال: «هي منسوخة و السّبيل: الحدود»[1]. و في رواية: «جعل السّبيل: الجلد و الرّجم»[2].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ اي: قبول التّوبة الّذي اوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده. ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾: متلبّسين بها سفهاً. فإنّ ارتكاب الذّنب و المعصية سفه و جهل. قال: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخيه إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ"[3]. فنسبهم إلى الجهل؛ لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله»[4].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قيل: اي: قبل حضور الموت؛ لقوله تعالى: "حَتّىٰ إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ" سمّاه قريباً؛ لانّ امد الحياة قريب، اوقبل أن يشرب في قلوبهم حبّه، فيطبع عليها، فيتعذّر عليهم الرّجوع[5]. [و ورد: «من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»[6]][7]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: يعلم إخلاصهم في التّوبة ﴿حَكِيمٗا﴾: لا يعاقب التّائب[8].

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ يوسف (١٢) ٨٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٢٨، الحديث: ٦٢؛ و مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٢: ٧٤.
٦ـ الكافي ٢: ٤٤٠، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مابين المعقوفتين ليس في «ب» و «ج».
٨ـ في «ب» و «ج»: وأمّا ما ورد: «أنه من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» محمول على التفضّل، فإنّ وجوب القبول غير التفضّل به.

﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾. قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[١]. ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: هيّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾. قال: «كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا إذا مات حميم[٢] الرجل و له امرأة، ألقى الرّجل ثوبه عليها، فورث نكاحها بصداق حميمه كما يرث ماله، فنزلت»[٣]. و في رواية: «نزلت في الرّجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر موتها حتّى يرثها»[٤]. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تحبسوهنّ إضراراً بهنّ ﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. قال: «الرّجل يكون له المرأة فيضربها حتّى تفتدي منه فنهى الله عن ذلك»[٥]. و في رواية: «أمر الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة و ان لا يمسكها إضراراً بها حتّى تفتدي ببعض مالها»[٦].

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كالنّشوز و سوء العشرة و عدم التّعفّف، قال: «كلّ معصية»[٧]. و ورد: «إذا قالت له: لا اغتسل لك في جنابة و لا أبرّ لك قسماً و لأوطئنّ فراشك من تكرهه، حلّ له ان يخلعها و حلّ له ما اخذ منها»[٨]. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإنصاف في الفعل و الإجمال في القول ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. يعني فاصبروا عليهنّ ولا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس؛ فربّما كرهت النّفس ما هو أصلح في الدّين و أحمد، و أحبّت ما هو بخلافه.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: تطليق امرأة و تزويج أُخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٧٩، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الحميم: القريب في النّسب، مجمع البحرين ٦: ٥٠ (حمم).
٣ـ القمّي ١: ١٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. و في «الف»: «لاحاجة إليها».
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٩، ذيل الحديث ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ٦: ١٣٩، باب الخلع، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ وفي معناه أخبار أُخر في هذا الباب.

إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال: «ملأ مسك ثور ذهباً»[١]. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾: من القنطار ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. إنكار و توبيخ. قيل: كان الرّجل إذا أراد جديدة بهت الّتي تحته بفاحشة حتّى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوّج الجديدة؛ فهوا عن ذلك[٢].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: و قد باشرتموهنّ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهداً وثيقاً. قال: «هو العهد المأخوذ على الزوّج حالة العقد من إمساك بمعروف او تسريح بإحسان»[٣]. و في رواية: «أخذ تموهنّ بأمانة الله و استحللتم فروجهنّ بكلمة الله»[٤]. و في أُخرى: «الميثاق: الكلمة الّتي عقد بها النّكاح، و الغليظ هو ماء الرّجل يفضيه إليها»[٥].

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾. «الآباء يشمل[٦] الاجداد». كذا ورد[٧]. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهليّة فإنّكم معذورون فيه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. ورد: «إنّ رجلاً مات فالقى ابنه ثوبه على امرأة ابيه فورث نكاحها على ما كان في الجاهليّة، ثمّ تركها لا يدخل بها و لا ينفق عليها، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت»[٨].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يعني نكاحهنّ. والأُمّهات يشملن من علت، و كذا العمّات والخالات. و البنات يشملن من سفلت، و كذا بنات الأخ و بنات الأُخت. و الاخوات

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ معاني الاخبار: ٢١٢، الحديث: ١، عن النبيّ ﷺ.
٥ـ الكافي ٥: ٥٦٠، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «يشتمل».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٠، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في المضمون.
٨ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

يشملن الوجوه الثلاثه. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. سمّاها أمّاً و أختاً. و ورد: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب»[١]. و في رواية: «الرّضاع لُحْمَةٌ كلُحْمَة النّسب»[٢] فعمّ التحريم. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ و إن علون ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ و إن سفلن ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ اي: دخلتم معهنّ في السّتر[٣]، و هو كناية عن الجماع.

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾. ورد: «إذا تزوّج الرّجل المرأة حرّمت عليه ابنتها إذا دخل بالأمّ، فإذا لم يدخل بالأمّ فلا باس أن يتزوّج بالابنة، و إذا يتزوّج الابنة فدخل بها اولم يدخل بها فقد حرّمت عليه الأمّ. و قال: الرّبائب حرام، كنّ في الحِجْر او لم يكنّ»[٤]. و سئل: عن الرّجل يتزوّج المرأة متعة، أيحلّ له ان يتزوّج ابنتها؟ قال: «لا»[٥]. و عن الرّجل يكون له الجارية يصيب منها، أله ان ينكح ابنتها؟ قال «لا، هي مثل قول الله عزّ وجلّ " وَرَبائِبُكُمُ اللاتى في حُجُورِكُمْ "»[٦]. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز عن المتبنّى لا عن أبناء الولد[٧]، فيشملونهم و إن سفلوا، فقد ورد: «حرمة حليلتي الحسنين عليهما السّلام على رسول الله ﷺ و انّهما ابناه لصلبه»[٨]. و ورد: «الرّجل إذا نظر إلى الجارية بشهوة و نظر إلى ما يحرم لغيره لم تحلّ لابنه و لا لابيه»[٩]. ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ فإنّه مغفور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

١ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ كلمات المحققين «رسالة الرّضاعيّة للقطيفي»: ١٩٣، عن النّبيّ ﷺ.
٣ـ في «العـ»: «في السّرّ».
٤ـ التهذيب ٧: ٢٧٣، الحديث: ١١٦٦، عن أبي جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، و فيه «الرّبائب عليكم حرام».
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٢، الحديث: ٢، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٣٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في «ب» و «ج»: «لا أبناء الولد».
٨ـ الكافي ٨: ٣١٨، الحديث: ٥٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٦٠، الحديث: ١٢٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: اللاّتي احصنهنّ التّزويج أو الأزواج. و بكسر الصّاد: أحصنّ فروجهنّ. قال: «هنّ ذوات الأزواج»[1]. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: «اللاّتي سُبين و لهنّ ازواج كفّار»[2]. فإنّهنّ حلال للسّابين. «و اللاّتي أُشترين و لهنّ ازواج فإنّ بيعهنّ طلاقهنّ»[3]. «و اللاّتي تحت العبيد، فيامرهم مواليهم بالاعتزال و يستبرؤونهنّ ثمّ يمسّونهنّ بغير نكاح»[4]. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: كتب الله عليكم تحرير هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾: ما سوى المذكورات. و خرج عنه بالسنّة ساير محرّمات الرّضاع. «و الجمع بين المراة و عمّتها أوخالتها بغير إذنها». كما ورد[5]. ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾: أن تصرفوا اموالكم في مهورهنّ، أو أثمانهنّ ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾. الاحصان: العفّة، و السّفاح: الزّنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. سمّي اجراً، لانّه في مقابلة الاستمتاع. ﴿فَرِيضَةً﴾ مصدر مؤكّد. قال: «إنّما نزلت "فما استمتعتم به منهنّ إلى اجل مسمّى فآتوهنّ"»[6] و ورد: «إنّه قراه الباقر عليه السّلام»[7]. و روته العامّة أيضاً عن جماعة من الصّحابة[8].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من زيادة في المهر أو الاجل، أونقصان فيهما، أوغير ذلك ممّا لا يخالف الشّرع. قال: «لاباس بان تزيدها أو تزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما؛ تقول: استحللتك باجل آخر برضا منها، و لا تحلّ لغيرك حتّى

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣١، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٤٨٣، الاحاديث: ١، ٢، ٣و٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٢، الحديث: ٨٠؛ والكافي ٥: ٤٨١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٤٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٤، الحديث: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ الدّر المنثور ٢: ٤٨٤.

تنقضي عدّتها؛ و عدّتها حيضتان»[1] . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الأحكام. قال: «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله»[2] . و كان عليّ يقول: «لولا ماسبقني به بنو[3] الخطّاب ما زنى إلّا شفىً»[4] . بالفاء يعني إلّا قليل. أراد به نهيَ عمر عن المتعة و تمكّنَ نهيه من قلوب النّاس.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ قال: «غنىً»[5]. ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. قال: «لا ينبغي ان يتزوّج الحرّ المملوكة اليوم، إنّما كان ذلك حيث قال الله: "و من لم يستطع منكم طولاً". و الطّول: المهر. و مهر الحرّة اليوم مهر الامة او اقلّ»[6] . ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان، فإنّه العالم بالسّرائر و بتفاضل ما بينكم في الإيمان، فربّ أمة تفضل الحرّة فيه. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: انتم و مماليككم متناسبون. نسبكم من آدم ودينكم الإسلام. ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ :بغير مطل وضرار و نقصان ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عفايف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: غير مجاهرات بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: أخلا في السرّ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني الحدّ، كما قال: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ"[7] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ :

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، الحديث: ٨٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٤٤٩، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ج» و المصدر: «بني الخطّاب» و في بعض النّسخ: «ابن الخطّاب». راجع: المستدرك ١٤: ٤٤٧، الحديث: ٢.
٤ـ الكافي ٥: ٤٤٨، الحديث: ٢. و في بعض النّسخ: «إلّا شقيّ» ـ بالقاف و الياء المشدّدة ـ يقول ابن إدريس في السّرائر: ٣١٢: إلّا شفى ـ بالشّين المعجمة و الفاء ـ و معناه: إلّا قليل. والدّليل عليه حديث ابن عبّاس ذكره الهروي في الغريبين: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله و لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنا إلّا شفى. لانّ الشّفى عند اهل اللّغة: القليل بلا خلاف بينهم ...
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٥: ٣٦٠، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ النّور (٢٤): ٢.

لمن خاف الإثم الّذي يؤدّي إليه غلبة الشّهوة. و "الْعَنَت" يقال لكلّ مشقّة وضرر. ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاح الإماء ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي عنكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء و أهل الحقّ لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿حَكِيمٌ﴾ في وضعها.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. كرّره للتّأكيد و المقابلة. ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحقّ بموافقتهم في استحلال المحرّمات ﴿مَيْلاً عَظِيمًا﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشّريعة الحنيفيّة السّمحة السّهلة، و رخّص لكم في المضائق ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشّهوات و لا يحتمل مشاقّ الطّاعات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ قال: «الرّبا والقمار والبخس و الظّلم»[1]. ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ يعني ما حلّ من الشّراء والبيع. قال في كلام له: «و لا يأكل من أموال النّاس إلاّ و عنده ما يؤدّي إليهم حقوقهم ـ ثمّ تلا هذه الآية ـ ثمّ قال: و لا يستقرض على ظهره إلاّ و عنده وفاء»[2].

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «لا تخاطروا بنفوسكم بالقتال فتقاتلوا من لا تطيقونه»[3]. و في رواية: «كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغازات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف يشاء فنهاهم الله»[4]. وورد: «في الجبائر تكون على الكسير في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده في الجنابة و الوضوء، فقرأ

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٩٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «في القتال».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٧، ذيل الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رسول الله ﷺ "و لا تقتلوا أنفسكم" الآية»[١].

أقول: و يشمل ارتكاب كلّ ما يؤدّي إلى الهلاك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ و إنّما نهاكم عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: ما سبق من المنهيّات ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾: إفراطاً في التّجاوز و إتياناً بما لا يستحقّه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: لاعسر فيه و لا صارف عنه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قال: «لا تسألون عنها»[٢]. ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ يحتمل المكان و المصدر، فتحتَ الميم أوضممتَه. قال: «الكبائر ما أوعد الله عليه النّار»[٣]. و في رواية: «و الكبائر السّبع الموجبات: قتل النّفس الحرام، و عقوق الوالدين، و أكل الرّبوا، و التّعرّب بعد الهجرة، و قذف المحصنة، و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزّحف»[٤]. و في أُخرى: بدل الثّلاث الوسطى بغيرها[٥].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال: «لا يقل أحدكم: ليت ما أُعطي فلان من المال و النّعمة، أو المرأة الحسناء كان لي؛ فإنّ ذلك يكون حسداً، و لكن يجوز أن يقول: اللّهمّ أعطني مثله»[٦]. و ورد: «من تمنّى شيئاً و هو لله رضىً لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه»[٧]. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل، لا بالحسد و التّمنّي ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ اي: لا تتمنّوا ما

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٦، الحديث: ١٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التوحيد: ٤٠٧، الباب: ٦٣، الحديث: ٦، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت في العبارة، وإليك نصّه: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصّغائر».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٣٩، الحديث: ١١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٧٦، الحديث ٢، عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه: «... وقذف المحصنات».
٥ـ راجع المصدر: ٢٧٨ و ٢٨٥، الاحاديث: ٨ و ٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ١: ٤، الحديث ٧، عن النّبيّ ﷺ.

للنّاس و اسألوا الله مثله من خزائنه الّتي لا تنفد. و ورد: «من لم يسأل الله من فضله افتقر»[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقّه كلّ أحد.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ قيل: أي: لكلّ واحد من الرّجال و النّساء جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم أولى بميراثه، يرثون ممّا ترك الوالدان و الأقربون الموروثون، أو لكلّ جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم الوالدان و الأقربون[٢]. و قال: «إنّما عنى بذلك أُولي الأرحام في المواريث، و لم يعن اولياء النّعمة فاولاهم بالميّت اقربهم إليه من الرّحم الّتي تجرّه إليها»[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قيل: كان الرّجل يعاقد الرّجل، فيقول: دمي دمك و هدمي هدمك وحربي حربك و سلمي سلمك و ترثني و أرثك و تعقل عنّي و اعقل عنك، فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله « وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ »[٤]. و القمّي: ما في معناه[٥]. و ورد: «إذا والى الرّجل الرّجل فله ميراثه و عليه مَعْقُلَتُهُ»[٦]. يعني دية جناية خطإه. و في رواية: «عنى بذلك الائمّة عليهم السّلام، بهم عقد الله عزّ و جلّ ايمانكم»[٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾. تهديد على منع نصيبهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرّعيّة، بسبب تفضيله - عزّ و جلّ - الرّجال على النّساء بكمال العقل، و حسن التّدبير، و مزيد القوّة في الاعمال و الطّاعات. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في

١- الكافي ٢: ٤٦٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- مجمع البيان ٣-٤: ٤١؛ وتفسير البغوي ١: ٤٢١.
٣- الكافي ٧: ٧٦، الحديث، ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤- مجمع البيان ٣-٤: ٤٢. و الآية في الأنفال (٨): ٧٥.
٥- القمّي ١: ١٣٧.
٦- الكافي ٧: ١٧١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧- العيّاشي ١: ٢٤٠، الحديث: ١٢٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

نكاحهنّ كالمهر و النّفقة. قال: «فضلهم عليهنّ كفضل الماء على الأرض، فالماء يحيي الأرض و بالرّجال تحيى النّساء، و لولا الرّجال ما خلقت النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ قال: «مطيعات»[٢]. ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ في أنفسهنّ و أموال أزواجهنّ. ورد: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله»[٣]. ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: بحفظ الله إيّاهنّ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: ترفّعهنّ عن طاعتكم و عصيانهنّ لكم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالقول ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ إن لم تنجع العظةُ. قال: «يحوّل ظهره إليها»[٤]. ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير شديد، لا يقطع لحماً و لا يكسر عظماً. قال: «الضّرب بالسّواك»[٥]. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتّوبيخ و الإيذاء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنّه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ اي: الاختلاف، كانّ كلّ واحد في شقّ، اي: جانب. ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. قال: «الحكمان يشترطان إن شاءا فرّقا، و إن شاءا جمعا، و ليس لهما ان يفرّقا حتّى يستامراهما»[٦]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ فيعلم كيف يرفع الشّقاق و يوقع الوفاق.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: و احسنوا بهما إحساناً ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: و بصاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: الذّي قرب جواره ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد. ورد: «حدّ الجوار اربعون داراً من كلّ

١- علل الشّرايع ٢: ٥١٢، الباب: ٢٨٦، الحديث: ١، عن حسن بن عليّ عليهما السّلام عن النّبيّ ﷺ.
٢- القمّي ١: ١٣٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣- الكافي ٥: ٣٢٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٤و٥- مجمع البيان ٣-٤: ٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦- الكافي ٦: ١٤٦، الأحاديث: ١، ٢و٣، عن الصّادق و الكاظم عليهما السّلام.

جانب»[١]. «و إنّ حسن الجوار يزيد في الرّزق و العمر»[٢]. «و إنّه ليس كفّ الأذى، بل الصّبر على الأذى»[٣]. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾. قيل: من صحبكم و حصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن، كتزوّج و تعلّم و صناعة و سفر[٤]. ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر و الضّيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: العبيد و الإماء. و القمّي: يعني الأهل و الخادم[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبّراً يأنف عن أقاربه و جيرانه و أصحابه و لا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر عليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾. ورد: «ليس البخيل من أدّى الزّكاة المفروضة من ماله، و أعطى البائنة في قومه؛ إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكاة المفروضة من ماله، و لم يعط البائنة في قومه، و هو يبذّر فيما سوى ذلك»[٦].

أقول: البائنة: العطيّة. سمّيت بها لأنّها أبينت من المال.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من الغنى و العلم حيث ينبغي الإظهار. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: لهم ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾. وَضَعَ الظّاهرَ موضع المضمر إشعاراً بأنّ مَنْ هذا شأنه فهو كافر لنعمة اللّه، فله عذاب يهينه كما أهان النّعمة بالبخل و الإخفاء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾. شاركهم مع البخلاء في الذّمّ و الوعيد، لاشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه و ثوابه ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾. نبّه به على أنّ

١ـ الكافي ٢: ٦٦٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: المصدر: ٦٦٦، الحديث: ٣؛ و ٦٦٧، الحديث: ٧ و ٨، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٣ـ المصدر. ٦٦٧، الحديث: ٩، عن موسى بن جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٤ـ البيضاوي ٢: ٨٦؛ و الكشّاف ١: ٥٢٦
٥ـ القمّي ١: ١٣٨.
٦ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٤، الحديث: ١٤١، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله، و فيه: «النّائبة» بدل: «البائنة».

الشّيطان قرينهم يحملهم على ذلك و يزيّنه لهم، كقوله: "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ"[١].

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ يعني في طاعة الله. توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. وعيد لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. قال: «نزلت في أمّة محمّد ﷺ خاصّة؛ في كلّ قرن منهم إمام شاهد عليهم و محمّد ﷺ شاهد علينا»[٢].

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾. قال: «ختم على الافواه فلا تكلّم، و تكلّمت الايدي و شهدت الارجل، وأنطقت الجلود بما عملوا، فلا يكتمون الله حديثاً»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾: لاتقوموا إليها[٤] ﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ من نحو نوم او خمر ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾: حتّى تنتبهوا و تفيقوا. ورد: «لا تقم إلى الصّلاة متكاسلاً، و لا متناعساً، و لا متثاقلاً، فإنّها من خلال النّفاق، و قد نهى الله عزّوجلّ ان تقوموا إلى الصّلاة و انتم سكارى. قال: سكر النّوم»[٤]. و في رواية: «منه سكر النّوم»[٥]. و هي تفيد التّعميم لغير النّوم. و في أخرى: «يعني سكر النّوم يقول: بكم نعاس يمنعكم ان تعلموا ما تقولون في ركوعكم و سجودكم و تكبيركم، و ليس كما يصف كثير من النّاس، يزعمون انّ المؤمنين يسكرون من الشّراب، والمؤمن

١ـ الإسراء (١٧): ٢٧.
٢ـ الكافي ١: ١٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ، و فيه: «إمام منّا شاهد عليهم».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٤ـ الكافي ٣: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ، مع تفاوت يسير في العبارة.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٣، الحديث: ١٣٨٩، عن أبي جعفر ﷺ.

لايشرب مسكراً ولايسكر»[١] و في أُخرى: «انّ المراد به سكر الشّراب ثمّ نسختها تحريم الخمر»[٢].

اقول: لمّا كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرّجاً، كما سبق بيانه في سورة البقرة[٣]، و كان قوم من المسلمين يصلّون سكارى منها، قبل استقرار تحريمها، نزلت هذه الآية و خوطبوا بمثل هذا الخطاب، ثمّ لمّا ثبت تحريمها و استقرّ و صاروا ممّن لا ينبغي ان يخاطبوا بمثله؛ لانّ المؤمنين لا يسكرون من الخمر بعد ان حرّمت عليهم، جاز أن يقال: الآية منسوخة بتحريم الخمر. بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك، لا بمعنى جواز الصّلاة مع السّكر، ثمّ لمّا عمّ الحكم ساير ما يمنع من حضور القلب، جاز أن يفسّر بسكر النّوم و نحوه تارة، و ان يعمّ الحكم أخرى، فلا تنافي بين هذه الرّوايات.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾. قال: «الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد إلّا مجتازين، فإنّ الله يقول: "و لا جنباً إلّا عابري سبيل حتّى تغتسلوا"»[٤]

اقول: المستفاد من مجموع هذه الرّوايات انّ الله سبحانه اطلق ملفوظ الصّلاة ومقدّرها على معنيين: احدهما إقامة الصّلاة، بقرينة قوله "حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ"، و الآخر موضع الصّلاة، بقرينة قوله: "إلّا عابري سبيلٍ". و مثل هذا يسمّى في صناعة البلاغة بالاستخدام. و المفسّرون لمّا لم يتفطّنوا لهذه الدّقيقة وراموا حملهما على معنى واحد تكلّفوا في معنى الآية بما لا ينبغي.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾. كناية عن الحدث؛

١ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٣ـ ذيل الآية: ٢١٩.
٤ـ علل الشّرايع ١: ٢٨٨، الباب: ٢١٠، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٣، الحديث: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

إذ الغائط: المكان المنخفض من الارض. كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً يغيب فيه أشخاصهم عن الرّائي. ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. قال: «هو الجماع، و لكنّ الله ستير يحبّ السّتر، و لم يسمّ كما تسمّون»[١]. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ متعلّق بكلّ من الجمل الاربع، و يشمل عدم التّمكّن من استعماله؛ فإنّ الممنوع منه كالمفقود. ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: فتعمّدوا تراباً طاهراً. قال: «الصّعيد: الموضع المرتفع و الطّيب: الموضع الّذي ينحدر عنه الماء»[٢]. ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ «يعني بعض وجوهكم و بعض أيديكم، فإنّ الباء فيه للتّبعيض». كذا ورد[٣].

و ورد في صفة التّيمّم: «فضرب بيديه على الارض فنفضهما[٤]، ثمّ مسح على جبينه، ثمّ مسح كفّيه إحداهما على ظهر الأُخرى»[٥]. و في رواية: «التّيمّم ضربة للوجه و ضربة للكفّين»[٦]. و ينبغي حملها على الاولويّة. و ورد: «إنّه سواء من الوضوء و الجنابة و الحيض»[٧].

أقول: وزيد في المائدة «منه»[٨] اي من ذلك الصّعيد، فاستفيد منه اشتراط علوق التّراب بالكفّ، و عدم جواز التّيمّم بالحجر غير المغبّر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك يسّر الأمر عليكم ورخّص لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: حظّاً يسيراً من علم

١ـ الكافي ٥: ٥٥٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فلم يسمّ ...».
٢ـ معاني الأخبار: ٢٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نَفَضْتُ الثّوبَ و الشّجر أنفُضُهُ نفضاً: إذا حركته لينتفض. الصّحاح ٣: ١١٠٩ (نفض)
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٤، الحديث: ١٤٤؛ و الكافي ٣: ٦١، الحديث: ١؛ و ٦٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.
٦ـ التّهذيب ١: ٢١٠، الحديث: ٦٠٩، عن الرّضا عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٢١٢، الحديث: ٦١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الآية: ٦.

التّوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يستبدلونها بالهدى، بعد حصوله لهم بالمعجزات الدالّة على صدق محمّد ﷺ المبشّر[1] به في التّوراة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم فثقوا به و اكتفوا به عن غيره.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾: يميلونها عنها بتبديل كلمة مكان أخرى، كما حرّفوا في وصف محمّد ﷺ «أسْمَرَ رَبْعَة»[2] عن موضعه في التّوراة و وضعوا مكانه[3] «آدَمَ طُوال»[4]. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني[5]: واسمع منّا ندعو اعليك بلا سَمِعْتَ، أو اسمع، غير مجاب إلى ما تدعو إليه، كذا قيل[6]. ﴿وَرَاعِنَا﴾: أنظرنا نكلّمك او نفهم كلامك؛ يعنون به السّبّ. فإنّ «راعنا» سبٌّ في لغتهم. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها و صرفاً للكلام إلى مايشبه السّبّ حيث وضعوا «راعنا» المشابه لما يتسابّون به موضع «أنظرنا» و «غير مسمع» موضع «لا أسْمَعْتَ مكروهاً».

﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾: استهزاء به وسخرية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: و اعدل و اسدّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ

١ـ في «ب» و «ج»: «وانّه المبشّر».
٢ـ الأسمر: من شبه لونه لون الحنطة و الأدم: من اشتدّ سُمْرَته. و الرَّبْعَه: من ليس بطويل و لاقصير. «منه في الصّافي ١: ٤٥٦».
٣ـ في «ب»: «في مكانه».
٤ـ آدم، جمعه: الأدم كأحمر و حُمر، وهي في النّاس السُّمْرَةُ الشّديدة. النّهاية ١: ٣٢ (ادم) والطُّوال ـ بالضمّ ـ: الطويل. «منه في الصّافي ١: ٤٥٧».
٥ـ في «ب» و «ج»: «يعنون».
٦ـ البيضاوي ٢: ٩٠؛ و الكشّاف ١: ٥٣٠.

﴿وُجُوهًا﴾ قال «نطمسها عن الهدى»[١]. ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ قال: «في ضلالتها بحيث لا تفلح[٢] ابداً»[٣]. و الطّمس: إزالة الصّورة و محو التّخطيط. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نخزيهم بالمسخ ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكبائر فما سواها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ تفضّلاً عليه و إحساناً. قال: «لو انّ المؤمن خرج من الدّنيا و عليه مثل ذنوب اهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب. ثمّ قال: من قال لا إله إلاّ الله بإخلاص فهو بريء من الشّرك، و من خرج من الدّنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، ثمّ تلا هذه الآية "إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" من شيعتك و محبّيك يا عليّ»[٤]. و ورد: «إنّ ادنى ما يكون الإنسان به مشركاً أن ابتدع رأياً فاحبّ عليه أو أبغض»[٥]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام. و الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾. قال: «نزلت في اليهود و النّصارى، حيث قالوا: نحن ابناءالله و احبّاؤه، و قالوا: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً اونصارى»[٦].

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ لانّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان دون غيره ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ادنى ظلم. و هو الخيط الّذي في شقّ النّواة[٧]، يضرب به المثل في الحقارة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمهم انّهم ابناء الله و احبّاؤه و ازكياء عنده ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

١ و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ: يَفْلَحُ، ما أثبتناه من المصدر.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٩٥، الحديث: ٨٩٢، عن عليّ بن الحسين، عن ابيه، عن امير المؤمنين عليهم السلام
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام
٧ـ النّواة: إسم لخمسة دراهم و هو في الاصل: عَجَمةُ التّمرة. «النّهاية ٥: ١٣١ (نوا)؛ ولسان العرب ١٥: ٣٥٠ (نوى)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾. الجبت في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله. و الطّاغوت يطلق على الشيّطان و على كلّ باطل من معبود أوغيره. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لأجلهم وفيهم ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾. قال: «يقولون لأئمّة الضّلال و الدّعاة إلى النّار: هؤلاء اهدى من آل محمّد ﷺ»[1]. و القمّي: نزلت في اليهود حين سالهم مشركوا العرب: ادينا افضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم افضل[2].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ قال: «يعني الإمامة و الخلافة»[3]. ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾. قال: «نحن النّاس الّذين عنى الله»[4].

اقول: لعلّ التّخصيص لأجل انّ الدّنيا خلقت لهم، و الخلافة حقّهم، فلو كانت الأموال في ايديهم لانتفع بها سائر النّاس، و لو منعوا عن حقوقهم لمنع ساير النّاس؛ فكانّهم كلّ النّاس. و قد ورد: «نحن النّاس و شيعتنا اشباه النّاس و ساير النّاس نسناس»[5] و النّقير: النّقطة الّتي في وسط النّواة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. قال: «نحن النّاس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة»[6]. و في رواية: «النّاس: النّبيّ و آله»[7]. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «يعني جعل منهم الرّسل و الانبياء و الائمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم و ينكرونه في آل محمّد؟»[8]. وقال: «الكتاب: النّبوّة. و الحكمة: الفهم و القضاء. و الملك العظيم:

١ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٣، عن ابي جعفر عليه السلام
٢ـ القمّي ١: ١٤٠.
٣، ٤و٦ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ٢٦٤، الحديث: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ لكافي ٨: ٢٤٤، الحديث: ٣٣٩، عن عليّ بن الحسين، عن حسين بن علي عليهم السّلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

الطّاعة المفروضة»[١].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرض ولم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾. يعني إن لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. القمّي: الآيات: امير المؤمنين و الائمّة عليهم السّلام[٢].

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

سئل: ما ذنب الغير؟ فقال: «هي هي، و هي غيرها ثمّ مثّل بلبنة كسرت ثمّ ردّت[٣] في ملبنها»[٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمًا﴾: يعاقب على وفق حكمته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا تنسخه[٥] الشّمس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قال: «الخطاب للائمّة؛ أمر كلّ منهم ان يؤدّي إلى الإمام الّذي بعده و يوصي إليه»[٦]. ثمّ هي جارية في ساير الأمانات.

وفي رواية: «إنّها في كلّ من ائتمن أمانة من الأمانات، أمانات الله: أوامره و نواهيه، وأمانات عباده: فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال و غيره»[٧]. و ورد: «لا تنظروا إلى طول

١ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٣؛ و القمّي ١: ١٤٠، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٤٨، الحديث: ١٥٩ و ١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤١.
٣ـ في جميع النّسخ: «ردّه» وما اثبتناه من المصدر.
٤ـ الاحتجاج ٢: ١٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام. و اللَّبِنَة ـ بفتح اللّام و كسر الباء ـ الّتي يُبنى بها، وهو المضروب من الطّين مربّعاً. و المِلْبَن ـ بكسر الميم و فتح الباء ـ قالب اللّبن. لسان العرب ١٣: ٣٧٥ (لبن).
٥ـ في «الف»: «لا ينسخه».
٦ـ الكافي ١: ٢٧٦، الاحاديث ٢، ٣، ٤، ٥ و ٦، عن أبي الحسن الرّضا و ابي عبدالله عليهما السّلام؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣؛ ومعاني الأخبار: ١٠٧، باب: معنى الامانات الّتي ...، الحديث ١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

ركوع الرّجل و سجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ و لكن أنظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»[١]. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

قال: «إيّانا عنى»[٢]. يعني العدل الّذي في أيديكم. و في رواية «إذا ظهرتم»[٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. قال: «إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا»[٤]. و في حديث جابر: «لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله، فمن أُولوا الامر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر و ائمّة المسلمين من بعدي، اوّلهم علّي بن ابي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقراه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سَمِيّي محمّد وكنيّي[٥]، حجّة الله في أرضه و بقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض و مغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و اوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والّذي بعثني بالنّبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع النّاس بالشّمس، وإن تجلاّها[٦] سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله و مخزون علم الله، فاكتمه إلاّ عن

١ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٢ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٧، الحديث: ١٥٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «كنيتي».
٦ـ في المصدر: «تجلّلها» اي: تعلوها و تعمّها و لعلّه الانسب.

اهله»[١]. ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أيها المأمورون ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ﴾: فراجعوا فيه. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى محكم كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ «بالسؤال عنه في زمانه، و بالاخذ بسنّته، و المراجعة إلى من امر بالمراجعة إليه بعده، فإنّه[٢] ردّ إليه»[٣]. كذا ورد في تفسير الآية. و في رواية: «نزلت: فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الامر منكم»[٤]. و في أُخرى: «تلا هذه الآية هكذا: فإن خفتم تنازعاً في امر فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الامر منكم»[٥]. قال: «هكذا نزلت و كيف يأمرهم الله بطاعة ولاة الامر و يرخّص في منازعتهم، إنّما قيل ذلك للمأمورين الّذين قيل لهم: اطيعوا الله»[٦]. ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإنّ الإيمان يوجب ذلك. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ من تاويلكم بلا ردّ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾. القمّي: نزلت في الزّبير بن العوّام، نازع رجلاً من اليهود في حديقة، فقال الزّبير: نرضى بابن شيبة اليهوديّ، و قال اليهوديّ: نرضى بمحمّد. فانزل الله[٧]. و ورد: «أيّما رجل كان بينه و بين اخ مماراة في حقّ، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه فابى إلّا ان يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الّذين قال الله " الم تر " الآية»[٨].

وفي رواية: «من تحاكم إلى الطّاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه

١ـ كمال الدّين ١: ٢٥٣، الباب: ٢٣، الحديث: ٣.
٢ـ في «ب» و «ج»: «فإنّها».
٣ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٨٢ من خطبة: ١٢٥.
٤ـ القمّي ١: ١٤١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فرجعوه إلى الله».
٥و٦ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث، ٢١٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٧ـ القمّي ١: ١٤١، و فيه: «ترضى» بدل «نرضى» في موضعين.
٨ـ الكافي ٧: ٤١١، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ثابتاً؛ لأنّه أخذ بحكم الطّاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قيل: كيف يصنعان؟ قال: أُنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ، و علينا ردّ، والرّادّ علينا الرّادّ على الله، و هو على حدّ الشّرك بالله»[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾. القمّي: هم أعداء آل محمّد، جرت فيهم هذه الآية [2].

﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم؟ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: نالتهم من الله عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التّحاكم إلى غيرك و إظهار السّخط لحكمك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالتّحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾: تخفيفاً عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتّوسّط و لم نرد مخالفتك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشّرك و النّفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. قال: «فقد سبقت عليهم كلمة الشّقاء، و سبق لهم العذاب»[3]. ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾: خالياً بهم، فإنّ النّصيحة في السّرّ انجع[4]. ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يؤثّر فيهم، كتخويفهم بالقتل و الاستيصال إن ظهر نفاقهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. نبّه به على انّ الّذي لم يرض بحكمه كافر، و إن أظهر الإسلام. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنّفاق ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ مخلصين ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ بأن اعتذروا إليه حتّى انتصب لهم شفيعاً ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

١ـ الكافي ١: ٦٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٢ـ القمّي ١: ١٤٢.
٣ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ قد نجع فيه الخطاب والوعظ والدّواء، أي: دخل وأثّر. الصّحاح ٣: ١٢٨٨ (نجع).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم و اختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيقاً مّا حكمت به ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم. ورد: «لقد خاطب الله أمير المؤمنين في كتابه في قوله: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا" إلى قوله: "فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ". قال: فيما تعاقدوا عليه، لئن أمات الله محمّداً لا يردّوا[1] هذا الأمر في بني هاشم، ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً مّا قضيت عليهم من القتل اوالعفو و يسلّموا تسليماً»[2]. و القمّي: «جاؤوك يا عليّ. قال: هكذا نزلت»[3].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ قال «يعني اهل الخلاف»[4]. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: «في عليّ. قال: هكذا نزلت»[5]. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لايمانهم ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس و يفتح عليهم ابواب الغيب. فإنّ: «من عمل بما علم، ورّثه الله علم مالم يعلم»[6].

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: الّذين صدقوا في اقوالهم و افعالهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: المقتول انفسهم وابدانهم بالجهاد الاكبر و الاصغر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: الّذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

١ـ في المصدر: «الاّ يردّوا».
٢ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٤٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٥٦، الحديث: ١٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ـ البحار ٤٠: ١٢٨، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾. قال: «أعينونا بالورع، فإنّه من لقي الله ـ عزّوجلّ ـ منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إنّ الله يقول: "وَمَنْ يُطِعِ اللهَ" و تلا الآية، ثمّ قال: فمنّا النّبيّ و منّا الصّدّيق و الشّهداء و الصّالحون»[1]. و في رواية: «لقد ذكركم الله في كتابه فقال: " أُولٰئك مع الّذين أنعم الله " الآية، فرسول الله في الآية: النّبيّون، و نحن في هذا الموضع: الصّدّيقون و الشّهداء، و أنتم: الصّالحون، فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم الله»[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: تيقّظوا و استعدّوا للأعداء. والحِذْرُ: الحَذَر. قال: «خذوا أسلحتكم؛ سمّي الأسلحة حذراً لأنّ بها يتّقى المحذور»[3].
﴿فَٱنفِرُواْ﴾: فاخرجوا إلى الجهاد، و تأويله إلى الخيرات كلّها. ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرّقة؛ جمع ثُبَة. ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين كوكبة[4] واحدة و لا تتخاذلوا.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾. يحتمل اللاّزم و المتعدّي، و هم المنافقون. ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل و هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطّىء: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضراً. قال: «لو قال هذه الكلمة أهل الشّرق و الغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين بإقرارهم»[5].

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح و غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ تحسّراً ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي﴾: يا قوم ليتني ﴿كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. نبّه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم، و أنّهم إنّما تمنّوا مجرّد المال.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني:

١ـ الكافي ٢: ٧٨، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكوكبة: الجماعة. القاموس المحيط ١: ١٢٩ (الكوكب).
٥ـ القمّي ١: ١٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة. ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾. قال: «فوق كل بِرٍ برٌّ حتّى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ»[1].

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: و في سبيل المستضعفين وخلاصهم ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾. قيل: هم الّذين اسلموا بمكّة و صدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين اظهرهم يلقون منهم الاذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه[2]. و في رواية: «نحن أولئك»[3].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ عن القتال ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و اشتغلوا بما امرتم به. قيل: ذلك حين كانوا بمكّة، و كانوا يتمنّون ان يؤذن لهم فيه[4]. و ورد: «يعني كفّوا ألسنتكم»[5]. و قال: «أما ترضون أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزّكاة و تكفّوا و تدخلوا الجنّة»[6]. و في أخرى: «انتم و الله أهل هذه الآية»[7].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾: يخشون الكفّار ان يقتلوهم، كما يخشون الله ان ينزّل عليهم بأسه ﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ﴾. قال: «"كفّوا ايديكم" مع الحسن، "

١ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣١، عن رسول الله ﷺ.
٢ـ الكشّاف ١: ٥٤٣
٣ـ العيّاشي ١: ٢٥٧، الحديث: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٥٤٣
٥ـ الكافي ٢: ١١٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦و٧ـ الكافي ٨: ٢٧٩، ذيل الحديث: ٤٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُتبَ عَليْهمُ الْقتَالُ" مع الحسين، "إلى أجَلٍ قَريبٍ" : إلى خروج القائم، فإنّ معه الظفر»[1]. ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ سريع التقضّي ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾. و لا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾: في قصور مجصّصة او مرتفعة ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾: نعمة كخصب ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾: بليّة كقحط ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يطيّروا بك ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يبسط و يقبض حسب إرادته ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ فيعلموا انّ الله هو الباسط القابض، و افعاله كلّها صادرة عن حكمة و صواب.

﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ يا إنسان ﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾: من نعمة ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ تفضّلاً و امتناناً، فإنّ كلّ ما يأتي به العبد من عبادة فلا يكافي صغرى نعمة من اياديه. ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾: من بليّة ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾؛ لأنّها السّبب فيها لاستجلابها بالمعاصي، و هو لا ينافي قوله: "قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله"؛ فإنّ الكلّ من عنده إيجاداً و إيصالاً، غير أنّ الحسنة إحسان و امتحان، و السّيّئة مجازاة و انتقام. قال الله تعالى: "ما أصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبما كَسَبَتْ أيْديكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ"[2] قال: «كما انّ بادي النّعم من الله ـ عزّ وجلّ ـ نَحلَكُمُوه[3]، فكذلك الشرّ من انفسكم و إن جرى به قَدَرُه»[4]. و ورد: «إنّ "الْحَسَنات" في كتاب الله على وجهين: احدهما: الصّحّة و السّلامة و السّعة في الرّزق، و الآخر: الأفعال، كما قال: "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها"[5] و كذلك السّيّئات؛ فمنها الخوف و المرض و الشدّة، و منها الأفعال الّتي يعاقبون عليها»[6]. ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ

١ـ العيّاشي ١: ٢٥٨، ذيل الحديث: ١٩٥، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فإنّ معه النّصر والظفر».
٢ـ الشورى (٤٢): ٣٠.
٣ـ نَحلَهُ: أعطاه و وهبه من طيب نفس بلا توقّع عوض. مجمع البحرين ٥: ٤٧٨ (نحل)
٤ـ التّوحيد: ٣٦٨، الباب: ٢٠، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الأنعام (٦): ١٦٠.
٦ـ القمّي ١: ١٤٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ على ذلك، فما ينبغي لأحد أن يخرج من طاعتك.

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه في الحقيقة مبلّغ، و الآمر و النّاهي هو الله.

روي: انّه ﷺ قال: «من أحبّني فقد أحبّ الله و من أطاعني فقد أطاع الله. فقال المنافقون: لقد قارف الشّرك و هو ينهى عنه، ما يريد إلاّ ان نتّخذه ربّاً، كما اتّخذت النّصارى عيسى، فنزلت»[1]. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: اعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ و علينا الحساب.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا امرتهم بامر ﴿طَاعَةٌ﴾: أمرُنا طاعةٌ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: دبّروا ليلاً ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت أوخلاف ما قالت من القبول و ضمان الطّاعة. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾: يكفيك شرّهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتأمّلون معانيه و يتبصّرون ما فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: من كلام البشر، كما زعموه ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ من تناقض المعنى، و تفاوت النّظم، و خروج بعضه عن الفصاحة و عن مطابقته الواقع إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾: ممّا يوجب الامن اوالخوف ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ :افشوه. قيل: كان قوم من ضَعَفَة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ او اخبرهم الرّسول بما أوحي إليه من وعد بالظّفر أو تخويف من الكفرة اذاعوه، وكانت إذاعتهم مفسدة[2].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: ردّوا ذلك الامر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٣؛ و الكشّاف ١: ٥٤٦.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ و الكشّاف ١: ٥٤٧.

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ قيل: أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم[١]. قال: «يعني آل محمّد و هم الّذين يستبطون من القرآن و يعرفون الحلال والحرام و هم حجّة الله»[٢]. ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾. قال: «الرّحمة: رسول الله، و الفضل: عليّ بن ابي طالب»[٣]. و في رواية: «فضل الله: رسوله، و رحمته: الأئمّة عليهم السّلام»[٤]. ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بالكفر و الضّلال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ و هم أهل البصائر النّافذة.

﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إن تركوك وحدك ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ فتقدّم إلى الجهاد وإن لم يساعدك احد، فإنّ الله بنصرك، لا الجنود. قال: «إنّ الله كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلّف احداً من خلقه، كلّفه ان يخرج على النّاس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، و لم يكلّف هذا احداً من خلقه قبله ولا بعده، ثمّ تلا هذه الآية»[٥]. قيل: نزلت في بدر الصّغرى حين تثاقلت النّاس عن الخروج[٦]، كما سبق[٧].

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ ما عليك في شانهم إلاّ التّحريض. ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ و قد كفّ، بان بدا لابي سفيان و قال: هذا عام مُجْدِبٌ كما مرّ ذكره[٨]. ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: اشدّ عقوبة من كفّار قريش. تهديد و تقريع لمن لم يتّبعه.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾: راعى بها حقّ مسلم، إمّا بدفع شرّ عنه او جلب

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ والكشّاف ١: ٥٤٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٦، عن ابي الحسن الرّضا ﷺ، وفيه: «وهم الحجّة لله على خلقه».
٣ـ المصدر: ٢٦١، الحديث: ٢٠٩، عن موسى بن جعفر ﷺ.
٤ـ المصدر: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، وفيه: «ورحمته ولاية الائمّة عليهم السّلام».
٥ـ الكافي ٨: ٢٧٤، الحديث: ٤١٤، عن ابي عبدالله ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٣؛ والكشّاف ١: ٥٤٨.
٧و٨ـ في ذيل الآية: ١٧٣ من سورة آل عمران.

خير إليه، ابتغاء لوجه الله، و منها الدّعاء للمؤمن. ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾: ثواباً لها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ و هي ما كان خلاف ذلك، و منها الدّعاء على المؤمن. ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: نصيب من وزرها، مساوٍلها في القدر، فإنّ الكفْلَ: النّصيب و المثل. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾: مقتدراً و حفيظاً يعطي على قدر الحاجة. قال: «من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك؛ و من أمر بسوء، أو دلّ عليه، أو أشار به فهو شريك»[١]. و في رواية: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أُستجيب له و قال له المَلَكُ: و لك مثلاه، فذلك النّصيب»[٢].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. القمّي: السّلام و غيره من البرّ[٣]. و ورد: «إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، و يقول هو: يغفر الله لكم ويرحمكم. قال الله "وَإِذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ" الآية»[٤] و قال «السّلام تطوّع و الرّدّ فريضة»[٥]. «و من تمام التّحيّة للمقيم: المصافحة، و تمام التّسليم على المسافر: المعانقة»[٦]. و «الرّدّ بالأحسن في السّلام أن يضيف: "وَرَحمَةُ الله"، فإن قالها المسلّم اضاف: "وَبَرَكاتُهُ"، وهي النّهاية فيردّ بالمثل، و الأوّل عشر حسنات و الثّاني عشرون و الثّالث ثلاثون»[٧]. كذا ورد. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: تفرّقتم فيهم فرقتين، و لم تتّفقوا على كفرهم.

١ـ الخصال ١: ١٣٨، الحديث: ١٥٦، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٧٥.
٣ـ القمّي ١: ١٤٥.
٤ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث الطّويل أربعمأة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٤٤، باب التّسليم، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٦ـ المصدر: ٦٤٦، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٦٤٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

قال: «نزلت في قوم قدموا من مكّة و أظهروا الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة فاظهروا الشّرك، ثمّ سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم، لاختلافهم في إسلامهم و شركهم»[1]. ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾: ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾. قال: «إنّ لشياطين الإنس حيلة ومكراً و خدايع و وسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النّصرة[2] في دين الله الّذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله و أهل الحقّ في الشّكّ و الإنكار و التّكذيب، فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه: "ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء"»[3]. ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ و إن آمنوا ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هجرة صحيحة هي لله لا لغرض من أغراض الدّنيا ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الهجرة المستقيمة مع الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾. استثناء من قوله "فخذوهم واقتلوهم" أي: إلّا الّذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم، و يفارقون محاربتكم قال: «هو هلالُ بن عُوَيْمِ الأسْلَميّ[4]، واثق عن قومه رسول الله ﷺ وقال في موادعته: على أن لا تحيف يا محمّد من أتانا، ولا نحيف من أتاك[5]. فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في المصدر: «من النّظر».
٣ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٤ـ في المصدر: «هلال بن عُوَيمر السّلمي».
٥ـ في «الف» و «ح»: «لا نحيفُ يا محمّد من أتانا و لا تحيف من أتاك». و الحَيْفُ: الظّلم و الجور مجمع البيان ٥: ٤٢ (حيف).

اليهم».[١] ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: ضاقت. قال: «هو الضيّق»[٢]. ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في بني مُدْلِجٍ، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد حَصِرَتْ صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثمّ يدعوهم، فإن اجابوا و إلاّ قاتلهم»[٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بان قوّى قلوبهم، و بسط صدورهم وأزال الرّعب عنهم. ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ و لم يكفّوا عنكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرّضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام و الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما اذن لكم في اخذهم و قتلهم.

قال: «كانت السّيرة من رسول الله ﷺ الاّ يقاتل إلاّ من قاتله، و لا يحارب إلاّ من حاربه و أراده، و قد كان نزل في ذلك من الله "فإن اعتزلوكم" الآية. حتّى نزلت عليه سورة براءة و امر بقتل المشركين من اعتزله، و من لم يعتزله، إلاّ الّذين قد كان عاهدهم يوم فتح مكّة إلى مدّة»[٤] الحديث، ويأتي تمامه[٥].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في عُيَيْنَةِ بن حَصين الفزاريّ، اجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ و وادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرّض له، و كان منافقاً ملعوناً، و هو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الاحمق المطاع»[٦]. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الكفر، و إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾: عادوا إليها، و قلبوا فيها اقبح قلب ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: و لم يستسلموا لكم ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣٢٧، الحديث: ٥٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٨١ـ٢٨٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة التوبة.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٩، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ١٤٧.

ولم يكفّوا أيديهم عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: فاسروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكّنتم منهم ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حجّة واضحة في التّعرّض لهم بالقتل و السّبي، لظهور عداوتهم و كفرهم وغدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: و ما صحّ لمؤمن، و ليس من شانه ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حقّ ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ لأنّه في عرضة الخطاء. قال: «هو الرّجل يضرب و لا يتعمّد القتل، او رمى فاصاب رجلاً»[1]. و قال: «نزلت في عيّاش بن ابي ربيعة، أخي ابي جهل لأمّه، كان اسلم و قتل بعد إسلامه مسلماً و هو لم يعلم بإسلامه»[2]. ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ قال: «مقرّة قد بلغت الحنث»[3]. وسئل: كيف تعرف المؤمنة؟ قال: «على الفطرة»[4]. ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: مؤدّاة إلى اولياء المقتول. ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بالدّية. سمّى العفو عن الدّية صدقةً، حثّاً عليه و تنبيهاً على فضله. و ورد: «كلّ معروف صدقة»[5].

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾. قال «يلزم قاتله كفّارة لقتله»[6]. و ورد: «في رجل مسلم في أرض الشّرك، فقتله المسلمون، ثمّ علم به الإمام بعد. فقال: يعتق مكانه رقبة مومنة، و ذلك قول الله ـ عزّو جلّ ـ "فإن كان من قوم عدوّ لكم" الآية»[7]. قال: «و ليس عليه دية»[8]. ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾ كفرة ﴿بَيْنَكُمْ

١ـ العيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٠ عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «وهو لايعلم إسلامه».
٣ـ الكافي ٧: ٤٦٢، الحديث: ١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٦٣، الحديث: ٢٢٠، عن أبي الحسن عليه السلام.
٥ـ الخصال ١: ١٣٤، الحديث: ١٤٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١١٠، الحديث: ٣٧٣؛ والعيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٧؛ و ٢٦٣، الحديث ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال: «إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين فأفطر أو مرض في الشّهر الأوّل، فإنّ عليه أن يعيد الصّيام، و إن صام الشّهر الأوّل وصام من الشّهر الثّاني شيئاً، ثمّ عرض له ما له فيه عذر، فعليه أن يقضي»[1]. أقول: يعني يقضي ما بقي عليه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. قال: «فجزاؤه جهنّم إن جازاه»[2]. سئل: عن المؤمن، يقتل المؤمن متعمّداً، أله توبة؟ فقال: «إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدّنيا[3] فإنّ توبته أن يقاد منه، و إن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فاقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه، اعطاهم الدّية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، و اطعم ستّين مسكيناً، توبة إلى الله عزّ وجلّ»[4].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سافرتم للغزو ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: فاطلبوا بيان الأمر و ميّزوا بين الكافر و المؤمن. و على قراءة: "فتثبّتوا"[5]: توقّفوا و تأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل. و المعنيان متقاربان، يعني: لا تعجلوا في القتل لمن أظهر إسلامه ظنّاً منكم بأنّه لا حقيقة لذلك.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: الانقياد. و في قراءة الصّادق عليه السلام، يعني: لمن حيّاكم بتحيّة السّلام. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ و إنّما فعلت ذلك خوفاً من القتل ﴿تَبْتَغُونَ

۱ـ الكافي ٤: ۱۳۹، الحديث: ۷، عن أبي عبد الله عليه السلام.
۲ـ معاني الأخبار: ۳۸۰، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
۳ـ في المصدر: «من أمر الدنيا».
٤ـ الكافي ۷: ۲۷٦، الحديث: ۲، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ۳ـ٤: ۹٤.

﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ : تطلبون ماله الّذي هو حطام سريع الزّوال، و هو الّذي يبعثكم على العجلة و ترك التّثبّت. ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ : أوّل ما دخلتم في الإسلام و تفوّهتم بالشّهادتين فحقنت[1] بها دماؤكم و اموالكم من غير أن تعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم. ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدّين ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ .تاكيد لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

القمّي: نزلت في أسامة بن زيد حين بعثه رسول الله صلّى الله عليه و آله في خيل إلى بعض اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، و كان رجل من اليهود يقال له «مِرْداس» في بعض القرى، فلمّا احسّ بالخيل، جمع اهله و ماله و صار في ناحية الجبل، فاقبل يقول: اشهد ان لا إله الاّ الله، و اشهد انّ محمّداً رسول الله، فمرّ به أُسامة، فطعنه فقتله، فلمّا رجع إلى رسول الله اخبره بذلك، فقال: أفلا شققت[2] الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه قبلت، و لا ما كان في نفسه علمت، فحلف أُسامة ان لا يقاتل احداً شهد الشّهادتين، فتخلّف عن امير المؤمنين عليه السلام في حروبه»[3].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ : الاصحّاء ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. روي: «نزلت من دون استثناء في جماعة تخلّفوا يوم تبوك، فجاء عبدالله بن أُمّ مكتوم و كان أعمى، و هو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فنزل "غير أُولي الضّرر"»[4]، و ورد: «لقد خلّفتم في المدينة اقواماً ما سرتم مسيراً و لا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم، و هم الّذين صحّت نيّاتهم،

١ـ في «ب» و «ج»: «فحصنت».
٢ـ في المصدر: «فلا شققت».
٣ـ القمّي ١: ١٤٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٦ـ٩٧.

و نَصَحَتْ جُيُوبهم [١]، و هوت أفئدتهم إلى الجهاد، و قد منعهم من المسير ضررٌ أو غيره»[٢]. ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. روي: «أنّ الله فضّل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر»[٣].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾. يحتمل الماضي و المضارع. ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾: في أيّ شيء من أمر دينكم؟ ﴿ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: يستضعفنا أهل الشّرك بالله، في أرضنا و بلادنا، بكثرة عددهم و قوّتهم، و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتباع رسوله. ﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾: فتفارقوا من يمنعكم من الإيمان إلى قطر آخر، كما فعل المهاجرون إلى المدينة و الحبشة. ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾. قيل: نزلت في ناس من مكّة اسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة [٤]. و القمّي: نزلت فيمن اعتزل امير المؤمنين عليه السلام، و لم يقاتل معه. "مستضعفين" أي: لم نعلم مع مَنِ الحقّ، "ارض الله واسعة" أي: دين الله و كتاب الله واسع، فتنظروا فيه[٥].

اقول: هذا تأويل و ذاك تفسير. ورد: «لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه»[٦].

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ «يدفعون بها

١ـ رجل ناصح الجَيْب: لاغشّ فيه. نقيّ القلب. القاموس المحيط ١: ٢٦١؛ والصّحاح ١: ٤١١ (نصح).
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٨١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ مجمع البيان ٤ـ٣: ٩٧.
٤ـ البيضاوي ٢: ١١١.
٥ـ القمّي: ١: ١٤٩.
٦ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، من خطبة: ١٨٩.

الكفر». كذا ورد [1]. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال: «إلى الإيمان، لايستطيع أن يؤمن ولا يكفر؛ الصّبيان و من كان من الرّجال و النّساء على مثل عقول الصّبيان» [2]. و قال: «البلهاء في خدرها [3]، و الخادم، تقول لها: صلّي فتصلّي لا تدري إلاّ ما قلت لها، و الجليب [4] الّذي لا يدري إلاّ ما قلت له، و الكبير الفاني، و الصّغير» [5]. و في رواية: «لا يستطيعون حيلة إلى النّصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلاً إلى الحقّ، فيدخلون فيه؛ هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم الّتي نهى الله عنها، و لا ينالون [6] منازل الأبرار» [7].

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾: يفارق أهل الشّرك ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في منهاج دينه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾: متحوّلاً من الرّغام، و هو التّراب و مخلصاً من الضّلال. ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزّق و إظهار الدّين. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. روي: «لمّا نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو «جُنْدَب بن ضَمْرَة» و كان بمكّة، فقال: و الله ما أنا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوّة، و إنّي لعالم بالطّريق، و كان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: و الله لا أبيت بمكّة حتّى أخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتّى إذا بلغ التّنعيم مات، فنزلت» [8].

١ و ٢ـ الكافي ٢: ٤٠٤، الحديث: ٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الخِدْر ـ بالكسر ـ ستر أعدّ للجارية البكر في ناحية البيت، و الجمع: خُدُور. و جارية مُخَدَّرَةٌ: إذا الزمت الخدر. «مجمع البحرين ٣: ٢٨٣ ـ خدر» و في الحديث: «عليك بالبَلْهاء! قلت: و ما البَلْهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف». مجمع البحرين ٦: ٣٤٣ (بله).
٤ ـ الجليب: الّذي يجلب من بلد إلى آخر. «منه قدّه في الصّافي ١: ٤٥٥».
٥ ـ معاني الاخبار: ٢٠٣، الحديث: ١٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في «الف»: «لاينازلون منازل الابرار».
٧ ـ معاني الاخبار: ٢٠١، الحديث: ٥، عن ابي عبد الله عليه السلام.
٨ ـ المجمع ٣ ـ ٤: ١٠٠.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بتنصيف الرّباعيات. قيل: كأنّهم ألفوا الإتمام وكان مظنّة لأن يخطر ببالهم انّ عليهم نقصاناً في التّقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمأنّوا إليه[١]. قال: «التّقصير في السّفر واجب كوجوب التّمام في الحضر»[٢]. وفي رواية: «فرض المسافر ركعتان غير قصر»[٣]. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في انفسكم اودينكم، و هذا الشّرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فإنّ القصر ثابت في حال الامن ايضاً. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: ظاهر العداوة.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾: في اصحابك الضّاربين في الارض، الخائفين عدّوهم ان يغترّوهم ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ بان تؤمّهم ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: من اصحابك ﴿مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾: تحرّزهم و تيقّظهم ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ورد في بيان صلاة الخوف: «انّ طائفة تقوم بإزاء العدّو، و أُخرى خلف الإمام، يصلّي بهم ركعة، ثمّ يقومون فيَمْثُلُ[٤] الإمام قائماً حتّى يتمّ من خلفه صلاتهم وينصرفوا إلى العدوّ، فيجيء الطّائفة الأُولى، فيصلّي بهم الإمام ركعة[٥] الثّانية و يسلّم، ثمّ يقوم

١ـ البيضاوي ٢: ١١٣.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٨، الحديث: ١٢٦٦؛ و العيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الدرّ المنثور ٢: ٦٥٧؛ والعيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤و٢٥٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ مَثَلَ الرّجلُ يَمْثُلُ مُثُولاً: إذا انتصب قائماً. مجمع البحرين ٥: ٤٧١ (مثل).
٥ـ في «ج» و «ب»: «ركعته الثّانية».

من خلفه فيتمّون صلاتهم»[١]. ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها. ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ كيلا يهجم عليكم العدوّ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها و انتم محاربوا عدوّكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: ادعوا الله في هذه الأحوال، لعلّ الله ينصركم على عدوّكم ويظفركم بهم. ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: فإذا استقررتم في أوطانكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فاتمّوا الصّلاة الّتي اذن لكم في قصرها و تخفيفها حال السّفر و الخوف، و اتمّوا حدودها. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: «مفروضاً»[٢].

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: لا تضعفوا في طلبهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ ممّا ينالكم من الجراح منهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ ايضاً ممّا ينالهم من ذلك ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من إظهار الدّين و استحقاق الثّواب، فانتم اولى و احرى على حربهم و قتالهم، منهم على قتالكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره إيّاهم.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمـا رجع من وقعة أُحُد و دخل المدينة، نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك ان تخرج في اثر القوم، ولا يخرج معك إلاّ من به جراحة، فاقبلوا يضمدون[٣] جراحاتهم ويداوونها، فنزلت "ولا تهنوا" الآية؛ و قوله[٤] "إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله" إلى قوله "شهداء"؛ فخرجوا على ما بهم من

١ـ الكافي ٣: ٤٥٥، الحديث: ١ عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٢٥، الحديث: ٦٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٧٣، الحديث ٢٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ ضَمَدَ الجُرحَ يَضْمِدُهُ و يَضْمُدُهُ و ضَمَّدَه: شدّه بالضِّمادة و هي العصابة. القاموس المحيط ١: ٣٢١ (ضمد).
٤ـ عطفٌ على: «ولاتهنوا» أي: و نزلت «و لا تهنوا» الآية و نزلت: «إن يمسسكم» الآية.

الألم و الجراح [١].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾: بما عرّفك و اوحى به إليك. قال: «ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله و إلى الأئمّة عليهم السّلام، ثمّ تلا هذه الآية. قال: و هي جارية في الأوصياء» [٢]. ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾: لاجلهم و الذّبّ عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. القمّي ما ملخّصه: إنّ بني أُبَيْرِق: بشيراً و مبشّراً و بشراً ـ و كانوا منافقين ـ نقبوا على عمّ قَتَادَة بن النّعمان، فاخرجوا طعاماً و سيفاً و درعاً، فشكى قَتَادة ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال بنو أُبَيْرِق: هذا عمل لُبيد بن سَهْل، و كان لُبيد مؤمناً، فخرج عليهم بالسّيف و قال: اترمونني بالسَّرِق و انتم اولى به منّي؟ و انتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون الهجاء إلى قريش، فداروه؛ ثمّ جاء رجل من رهط بني أُبيرق ـ و كان منطيقاً بليغاً ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ قَتَادَة عمد إلى اهل بيت منّا، اهل شرف و حسب و نسب، فرماهم بالسَّرِق؛ فاغتمّ رسول الله وعاتب قَتادة عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة، و كان بدريّاً، فنزلت الآيات [٣].

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبّرون و يزوّرون باللّيل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾: من رمي البريء. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: محامياً عنهم يحميهم عن [٤] عذاب الله.

١ـ القمّي ١: ١٢٤ـ١٢٥.
٢ـ الكافي ١: ٢٦٧، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٥٠ـ١٥١.
٤ـ في «ب» و «ج»: «من عذاب الله».

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾: قبيحاً يسوء به غيره ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ بما يختصّ به، و لا يتعدّاه ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾. قال: «من أُعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة»[1]. ثمّ تلا الآية.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً﴾: ذنباً على غير عمد ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾: ذنباً تعمّده ﴿ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقّ، مع علمهم بالحال. و ليس القصد فيه إلى نفي همّهم بل إلى نفي تأثيره فيه. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ لانّ و باله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ﴾ فإنّ الله عاصمك و ناصرك ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾.

ورد: «إنّ أُناساً من رهط بشير الادنين قالوا: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ نكلّمه في صاحبنا و نعذره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا انزل الله. "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ"[2] الآية، اقبلت رهط بشير، فقالت: يا بشير استغفر الله وتب من الذّنب. فقال: والّذي احلف به ما سرقها إلّا لبيد، فنزلت "وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً"[3] الآية. ثمّ إنّ بشيراً كفر و لحق بمكّة. وانزل الله في النّفر الّذين اعذروا بشيراً و اتوا النّبيّ ليعذروه: "وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكَ" الآية. و نزل في بشير و هو بمكّة: "وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى"[4] الآية.»[5].

١ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٩٤، الحكمة: ١٣٥؛ والخصال ١: ٢٠٢، الحديث ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ النّساء (٤): ١٠٨.
٣ـ النّساء (٤): ١١٢.
٤ـ النّساء (٤): ١١٥.
٥ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد في تأويل "إذ يبيّتون" : «فلان وفلان والجرّاح»[١] . و في رواية : «المغيّرون الكلم عن مواضعه بعد فقد رسول الله ﷺ لإقامة أوَد[٢] باطلهم، كما فعلته اليهود والنّصارى من تغيير التّوراة والإنجيل»[٣] .

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال: «القرض»[٤] . ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بان يستمع[٥] من الرّجل كلاماً يبلغه، فتخبث نفسه[٦] ، فتلقاه، فتقول: سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه . ورد: «ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، و عدتك زوجتك، والإصلاح بين النّاس»[٧] . و ورد: «إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم»[٨] . ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ : يخالفه ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ : ظهر له الحقّ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : ما هم عليه من الدّين الحنيفيّ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ : نجعله والياً لما تولّى من الضّلال بان نخذله و نخلّي بينه و بين ما اختاره ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ . القمّي: نزلت في بشير[٩] كما مرّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ . كرّره لقصّة بشير او

١ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث ٥٢٥، عن ابي الحسن ؏. والجرّاح: هو أبو عُبَيْدَة الجرّاح، كما في المصدر.
٢ـ الأَوَد: العوج. أقام أوَدَهُ: أي عوّجه. مجمع البحرين ٣: ٩ (اود).
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٧١، عن أمير المؤمنين ؏.
٤ـ الكافي ٤: ٣٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ؏.
٥ـ في «الف» و «ج»: «بان تسمع».
٦ـ الخبث، ضدّ الطّيب، يقال: خَبُثَ الشّيء خُبْثاً ـ من باب قَرُبَ ـ و خباثةً: ضدّ طاب. مجمع البحرين ٢: ٢٥١ (خبث).
٧ـ الخصال ١: ٨٧، الحديث: ٢٠، عن أمير المؤمنين ؏ عن النّبيّ ﷺ.
٨ـ القمّيّ ١: ١٥٢، عن أمير المؤمنين ؏.
٩ـ القمّيّ ١: ١٥٢، عن أبي جعفر ؏.

للتّأكيد. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ قيل: يعني اللاّت والعزّى و منات الثّالثة الأُخرى و إساف و نائلة، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه و يسمّونه أُنثى بني فلان [١]. روي[٢]: «كان في كلّ واحدة منهنّ شيطانة أُنثى تتراءى للسَّدَنَة [٣]، وتكلّمهم، و ذلك من صنيع إبليس، وهو الشّيطان الّذي ذكره الله و لعنه» [٤]. ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ لانّه الّذي أمرهم بعبادتها و أغراهم عليها. والمَرِيدُ: الخارج عن الطّاعة.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: ابعده عن الخير ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشّيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: قُدِّرَ لي و فُرِضَ؛ قاله عداوة و بغضاً. روي: «في هذه الآية من بني آدم تسعة و تسعون في النّار و واحد في الجنّة» [٥]. و في رواية: «من كلّ ألف واحد لله وسايرهم للنّار و لإبليس» [٦].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحقّ ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الامانيّ الباطلة، كطول العمر، و ان لابعث ولا عقاب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾. قيل: كانوا يَشُقُّون آذانها إذا وَلَدَتْ خمسةَ أبطُنٍ والخامس ذَكَرٌ، و حرّموا على انفسهم الانتفاع بها [٧]. و في رواية: «ليقطّعنّ الأُذن من أصلها» [٨]. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾. قال: «يريد دين الله و أمره، و يؤيّده قوله سبحانه: "فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لاتَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ"» [٩]. و لعلّه يندرج فيه كلّ تغيير لخلق الله من دون إذن من الله،

١ـ البيضاوي ٢: ١١٧.
٢ـ في «ب»: «ورد مقطوعاً»؛ وفي «ج»: «ورد».
٣ـ السَّدَنَة جمع سادن ـ بكسر الدّال ـ: خادم الكعبة أو بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤. ٢٣٥ (سده)
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١١٢، عن أبي حمزة الثّمالي في تفسيره.
٥ و ٦ـ المصدر: ١١٣، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ الكشّاف ١: ٥٦٤.
٨ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة الرّوم(٣٠): ٣٠.

كفقئهم [١] عين الفحل الّذي طال مكثه عندهم و إعفائه عن الرّكوب، و خصاء العبيد و كلّ مثلة؛ ولا ينافيه التّفسير بالدّين والأمر، لأنّ ذلك كلّه داخل فيهما. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بان يؤثر طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إذ ضيّع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنّة بمكانه من النّار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ مالا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لاينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو إظهار النّفع فيما فيه الضّرر. و هذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان اوليائه.

ورد: «لمّا نزلت هذه الآية: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ" [٢]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثَوْر، فصرخ باعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه فَمَنْ لها؟ قام عفريت من الشّياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا. قال: لَسْتَ لها. فقام آخر، فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهُم و أُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فاذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفار. فقال: انت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة» [٣].

﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً و مهرباً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾. تاكيد بليغ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. القمّي: ليس ما تتمنّون أنتم ولا اهل الكتاب، يعني أن لاتعذّبوا باعمالكم [٤]. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

ورد: «إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسّقم، فإن لم يفعل

١ـ الفَقْءُ ـ بالهمزة ـ: الشّقّ، يقال: فقأت عينه أي: شققتها. مجمع البحرين ١. ٣٣٢ (فقا)
٢ـ آل عمران(٣): ١٣٥.
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٣٧٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ١٥٣، و فيه: «بافعالكم».

ذلك به ابتلاه بالحاجة. فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت، ليكافيه بذلك الذّنب»[1]

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾: لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: من يواليه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنه العذاب.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعضها ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من الثّواب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه له ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آتٍ بالحسنات. و ورد: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[2].

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الّتي هي دين الإسلام والمتّفق على صحّتها. يعني اقتدى بدينه وبسيرته و طريقته ﴿حَنِيفًا﴾: مايلاً عن سائر الأديان ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

قال: «لأنّه لم يرد أحداً و لم يسأل أحداً قطّ غير الله»[3]. و في رواية: «لكثرة سجوده على الأرض»[4]. و في أُخرى: «لكثرة صلاته على محمّد و أهل بيته»[5]. و في أُخرى: «لإطعامه الطّعام و صلاته باللّيل والنّاس نيام»[6].

و في أُخرى: «إنّ الخليل مشتقّ من الخلّة والخلّة إنّما معناها الفقر والفاقة؛ فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً، و إليه منقطعاً، و عن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً؛ و ذلك انّه لمّا أُريد قذفه في النّار فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال: بل حسبي الله و نعم الوكيل، إنّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلّا إليه، فسمّاه خليله أي: فقيره و محتاجه والمنقطع إليه عمّا سواه. قال: وإذا جُعل معنى ذلك من الخلّة، وهو أنّه

١ـ الكافي ٢: ٤٤٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٦، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٣ـ علل الشّرايع ١: ٣٤، الباب: ٣٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن عليّ بن محمّد العسكري عليهما السّلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

قد تحلّل معانيه، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله»[١].

أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لاشتراكها في معنى انقطاعه إلى الله واستغنائه عمّا سواه، وإنّه الموجب لخلّته إيّاه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وأمراً، مُلكاً وملكاً[٢]، فهو مستغن عن جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: ويسئلونك الفتوى، أي: تبيين الحكم ﴿فِي النِّسَاءِ﴾: في ميراثهنّ. قال: «سُئل النّبيّ ﷺ عن النّساء، مالهنّ من الميراث؟ فأنزل الله الرّبع والثّمن»[٣].

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبيّن لكم ماسألتم في شانهنّ ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: ويفتيكم ايضاً مايقرأ عليكم من القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾: لاتعطونهنّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث. قال: «كان أهل الجاهليّة لايورّثون الصّغير ولا المرأة، وكانوا يقولون: لانورّث إلّا من قاتل ودفع عن الحريم. فانزل الله آيات الفرايض الّتي في أوّل السّورة، وهو معنى قوله: "لاتؤتونهنّ ماكتب لهنّ"»[٤]. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ عن نكاحهنّ. القمّي: إنّ الرّجل كان في حجره اليتيمة، فتكون دميمة[٥] ساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرّجل أن يتزوّجها ولا يعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها ويمنعها النّكاح ويتربّص بها الموت ليرثها؛ فنهى الله عن ذلك[٦]

١ـ الاحتجاج ١: ١٩، عن حسن بن عليّ العسكري، عن ابي عبدالله، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٢ـ في «ب»: «ومُلكاً وملكاً».
٣ـ القمّي ١: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١١٨، عن ابي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٥ـ الدّميمة: القبيحة المنظر، يقال: دمّ الرجل دمامة: قبح منظره وصغر جسمه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دم).
٦ـ القمّي ١: ١٥٤

﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: ويفتيكم في المستضعفين ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾: من الصّبيان الصّغار أن تعطوا حقوقهم، فإنّ فيما يتلىٰ عليكم: "وآتوا اليتامىٰ أموالَهُمْ"[١] كما سبق[٢]. ﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾: ويفتيكم في أن تقوموا ﴿لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ في أمر النّساء واليتامى وغير ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾. وعد لمن آثر الخير في ذلك.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾: توقّعت لما ظهر لها من المخايل[٣] ﴿نُشُوزًا﴾: تجافياً عنها، وترفّعاً عن صحبتها، وكراهةً لها، ومنعاً لحقوقها ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾. قال: «هي المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها، فيقول لها: أُريد أن أُطلّقك، فتقول له: لا تفعل، إنّي أكره أن يشمت بي، ولكن أُنظر في ليلتي فاصنع بها ماشئت، وما كان سوى ذلك من شيء فهو لك، ودعني على حالتي، قال: هذا هو الصّلح»[٤]. ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ من الفرقة وسوء العشرة. ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾[٥] لكونها مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بإعراض الزوج عنها وتقصيره في حقّها، ولا الرّجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقّها على ماينبغي إذا كرهها أو أحبّ غيرها. القمّي: وأُحضرت الشّحّ، فمنها من اختارته، ومنها من لم تختره[٦]. ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النّشوز والإعراض ونقص الحقّ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال: «أن تسوّوا بينهنّ في المحبّة والمودّة

١ـ النّساء (٤): ٢.
٢ـ في تفسير الآية: ٢ من هذه السّورة.
٣ـ المخايل، جمع المخيلة، وهي مايوقع في الخيال، يعنى به الامارات. وخلتُ الشيءَ خيلاً ومَخيلةً: ظننتُهُ. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).
٤ـ الكافي ٦: ١٤٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل؛ لأنّ البخل في المال، وهو في مالٍ ومعروف مجمع البحرين ٢: ٣٧٩ (شحح).
٦ـ القمّي ١: ١٥٥، وفيه: «ما» بدل «من» في الموضعين.

بالقلب»[١]. وفي رواية: «التّسوية في كلّ الأمور من جميع الوجوه»[٢]. ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ كلّ الحرص فإنّ ذلك ليس إليكم، ولاتملكونه ولاتكلّفونه ولاتؤاخذون به. روي: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه ويقول: اللّهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلاتلمني فيما تملك ولاأملك»[٣]. ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ الّتي ليست ذات بعل ولا أيّماً[٤]. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه في مرضه، فيُطاف به بينهنّ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لايتوضّأ في بيت الأُخرى»[٥]. ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ماتفسدون من أُمورهنّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفرلكم مامضى.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ ببدل أو سلوٍ[٦]، ويرزقه من فضله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتعذّر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾. قال: «في هذه الآية قد جمع الله مايتواصى به المتواصون، من الاوّلين والآخرين، في خصلة واحدة، وهي التّقوى، وفيه جماع كلّ عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدّرجات العُلى»[٧]. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتضرّر

١ـ الكافي ٥: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ٢٧٩، الحديث: ٢٨٥؛ والقمّي ١: ١٥٥؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٣ـ المصدر؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧١٢.

٤ـ الأيّم، فيما يتعارفه أهل اللّسان: الّذي لازوج له، من الرّجال والنّساء. يقال: رجل أيّم، سواء كان تزوّج من قبل أو لم يتزوّج؛ والمرأة أيّم، أيضاً، بكراً كانت أو ثيّباً. وإنّما قيل للمرأة «أيّم» ولم يقل «أيمة»؛ لأنّ أكثر ذلك للنّساء، فهو كالمستعار. مجمع البحرين ٦: ١٦ (ايم)

٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السّلام.

٦ـ السّلوة والسُّلوة: رخاء العيش. يقال: هو في سلوة من العيش، أي: في نعمة ورفاهيّة ورغد. مجمع البحرين ١: ٢٢٣؛ ولسان العرب ١٤: ٣٩٦ (سلا)

٧ـ مصباح الشّريعة: ١٦٣، الباب: ٧٧، في الوصيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بكفرانكم وعصيانكم، كما لاينتفع بشكركم وتقواكم، وإنّما وصّاكم لرحمته لالحاجته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته، حُمِدَ أولم يُحْمَدْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلّ يدلّ بحاجته على غناه، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً للجميع، لايعزب عنه مثقال ذرّة فيهما.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفنكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ مكانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. روي: «لمّا نزلت هذه الآية ضرب النّبيّ ﷺ يده على ظهر سلمان ـ رضي الله عنه ـ وقال: هم، قوم هذا، يعني عجم الفرس»[١].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كمن يجاهد للغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فليطلب الثّوابين جميعاً من عندالله تعالى، وما باله يكتفي باخسّهما ويدع اشرفهما، على أنّه لوطلب الاشرف لم يخطئه الاخسّ. ورد: «من كانت الآخرة همّته، كفاه الله همّته[٢] من الدّنيا»[٣]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بالاغراض، فيجازي كلاًّ بنيّته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾: مواظبين على العدل، مجتهدين في إقامته ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحقّ، تقيمون شهادتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشّهادة على انفسكم بان تقرّوا عليها ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه اوالمشهود له[٤] ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلاتمتنعوا عن إقامة الشّهادة للغنيّ على الفقير، لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه، ولا عن إقامة الشّهادة للفقير على

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٢٢؛ والبيضاوي ٢: ١٢٢.
٢ ـ في «ب»: «همّه».
٣ ـ الخصال ١: ١٢٩، الباب: ٣، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «همّه» في الموضعين
٤ ـ في «الف»: «المشهود أو المشهود عليه».

الغنيّ، تهاوناً بالفقير و توقيراً للغنيّ، أو خشية منه، أو حشمة له ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: بالغنيّ والفقير وانظر لهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾: لأن تعدلوا عن الحقّ، من العدول؛ أو لأجل أن تعدلوا في الشّهادة، من العدل. نهى عن متابعة الهوى في إقامتها؛ كمراعاة صداقة، أو عداوة، أو وحشة، أو عصبيّة، أو غير ذلك. ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ قال: «تبدلوا الشّهادة»[١]. ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ قال: «تكتموها»[٢]. وفي رواية: «إن تلووا الأمر، أو تعرضوا عمّا أُمرتم به»[٣]. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بألسنتهم وظاهرهم ﴿آمِنُوا﴾ بقلوبكم وباطنكم ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [يعني محمّد ﷺ][٤] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [اي: القرآن][٥] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [اي: التّوراة والإنجيل، اوالجنس][٦] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ حتّى لم يبق فيهم من الإيمان شيء. قال: «نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله ﷺ في أوّل الأمر، ثمّ كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لامير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بامر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»[٧]. والقمّي: آمنوا إقراراً لاتصديقاً[٨].

١ و ٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤، ٥ و٦ ـ مابين المعقوفات من «ب».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٨١، الحديث: ٢٨٩؛ والكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ١٥٦.

في الموضعين. وفي رواية: «نزلت في ابن أبي سرح[1]، الّذي بعثه عثمان إلى مصر»[2].

﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ إلى الجنّة لأنّ بصائرهم عميت عن الحقّ، فلايتأتّى منهم الرّجوع إليه.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقد كتبها لاوليائه. القمّي: نزلت في بني أُميّة حيث حالفوا على ان لايردّوا الامر في بني هاشم[3].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿أَنْ﴾: انّه ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ ﴾. ورد في تفسيرها: «إذا سَمِعْتَ الرّجل يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع[4] في أهله، فقم من عنده ولاتقاعده»[5]. "انَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ" في الكفر، إن رضيتم به وإلاّ ففي الإثم، لقدرتكم على الإنكار او الإعراض. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ القاعدين والمقعود معهم ﴿فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾: ينتظرون وقوع امرٍ بكم ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾

١ـ هو عبدالله بن سعد بن ابي سرح، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وكان يكتب له، ثمّ ارتدّ مشركاً وسار إلى قريش بمكّة، فلمّا كان يوم فتح مكّة، امر رسول الله ﷺ بقتله اينما وجد، حتّى الحق استار الكعبة، ففرّ إلى عثمان بن عفّان فغيّبه حتى اتى به إلى رسول الله واسلم ثانياً وولاّه عثمان في زمانه مصر، سنة خمس وعشرين. وفتح إفريقيّة، فاعطاه عثمان جميع ما افاءالله على المسلمين من فتح إفريقيّة بالمغرب. وهو اخو عثمان من الرّضاع. واسوأ احواله خاتمته، حيث شهد صفّين مع معاوية، على ماقيل. «راجع: تنقيح المقال ١: ٢٨١».

٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٠، الحديث: ٢٨٧، عن الصادقين عليهما السلام، وفيه: «عبدالله بن ابي سَرْح».

٣ـ القمّي ١: ١٥٦، وفيه: «خالفوا نبيّهم على أن ...».

٤ـ وَقَعَ في النّاس وَقيعةً: اغتابهم. مجمع البحرين ٤: ٤٠٨ (وقع).

٥ـ الكافي ٢: ٣٧٧، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله ؑ؛ والعيّاشي ١: ٢٨١، الحديث: ٢٩٠، عن ابي الحسن الرّضا ؑ.

من الحرب ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ للكافرين ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء. ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن أخذلناهم عنكم، بتخييل ماصعفت به قلوبهم، وتوانينا[١] في مظاهرتهم، وكنّا عيوناً لكم حتّى انصرفوا عنكم وغلبتموهم، فاشركونا فيما أصبتم. سُمّي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، لخسّة حظّهم. ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالحقّ ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾. قال: «يعني لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجّة»[٢].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾. سبق تفسيره[٣]. ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾: متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ ليخالوهم مؤمنين ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لايفعل إلّا بحضرة من يرائيه. ورد: «من ذكر الله في السرّ، فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولايذكرونه في السرّ، فقال الله عزّوجلّ: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلايَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلاً"»[٤].

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾: مردّدين بين الإيمان والكفر؛ من الذّبذبة وهو جعل الشيء مضطرباً، وأصله: الذبّ بمعنى الطرد. ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾: يظهرون الإيمان كمايظهره المؤمنون، ولكن لايضمرونه كمايضمرون، ويضمرون الكفر كمايضمرونه[٥] الكافرون، ولكن لايظهرونه كمايظهرون. ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة، فإنّ موالاة الكافرين دليل النّفاق.

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾: في قعر جهنّم، فإنّ للنّار دركات

١ـ توانى في الأمر: ترفّق. مجمع البحرين ١: ٤٦٥ (ونا).
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠٤، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ٥
٣ـ ذيل الآية: ٩، من سورة البقرة.
٤ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ في «ب» و «ح»: «كمايضمره».

متداركة، بعضها تحت بعض، كما أنّ للجنّة درجات متدرّجة، بعضها فوق بعض.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾: وثقوا به وتمسّكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يريدون بطاعتهم إلّا وجهه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «لا يحبّ الله الشتم في الانتصار»[1].

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ قال: «فلا باس له ان ينتصر ممّن[2] ظلمه، بما يجوز الانتصار به في الدّين»[3]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ مع قدرتكم على الانتقام، من دون جهر بالسّوء من القول؛ وهو المقصود ذكره، وما قبله تمهيد له، ولذا رتّب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وهو حثّ للمظلوم على العفو، بعد ما رخّص له في الانتصار، حملاً على مكارم الاخلاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: ببعض الانبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ إلى الضّلالة. القمّي: هم الّذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا بامير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل آمنوا بجميعهم

١ و ٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «من».
٤ـ القمّي ١: ١٥٧.

﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾. روي: «إنّ كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: يامحمّد! إن كنت نبيّاً، فاتنا بكتاب من السّماء جملة، كما أتى موسى بالتّوراة جملة، فنزلت»[1]. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ وهو تعنّتهم وسؤالهم المستحيل ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: عبدوه ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: المعجزات الباهرات ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ لسعة رحمتنا ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجّة بيّنة تبين عن صدقه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ ليقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ على لسان موسى ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: باب حطّة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾: لاتتجاوزوا في يوم السّبت ماأُبيح لكم إلى ماحرّم عليكم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ يعني: فخالفوا ونقضوا، ففعلنا بهم مافعلنا بسبب نقضهم؛ و «ما» مزيدة للتّاكيد. ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلوم أوفي أكنّة، كماسبق تفسيره[2]. ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ يعني: نسبتها إلى الزّنا. ورد: «إنّ رضا النّاس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران عليهما السّلام إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف»[3].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يعنون رسول الله بزعمه.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٣.
٢ـ ذيل الآية: ٨٨ من سورة البقرة.
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٩١، المجلس الثاني والعشرون، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. قيل: إنّما ذمّهم بما دلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله، وقصدهم قتل نبيّه المؤيّد بالمعجزات القاهرة وبتجحجحهم[1] به، لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم[2]. وقد سبق ذكر هذه القصّة في آل عمران[3]. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾. قيل: قال بعضهم: كان كاذباً فقتلناه حقّاً، وتردّد آخرون، فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إنّ الله يرفعني إلى السّماء: رُفع إلى السّماء، وقال قوم: صُلب النّاسوت وصعد اللاّهوت[4]. ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. ردّ وإنكار لقتله. ورد: «إنّ لله بقاعاً في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول في قصّة عيسى بن مريم: «بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ»»[5]. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾. قال: «إنّه ينزل قبل يوم القيامة إلى الدّنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا غيره، إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام»[6]. وفي رواية: «ليؤمننّ بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابي»[7]. ورد: «ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السّلام حقّاً، من الأوّلين والآخرين»[8]. ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ قال: «يعني لحوم الإبل

١ـ تَجَحْجَحَ: تَحَيَّرَ. المعجم الوسيط ١: ١٠٧ (جحجح). وفي «ب»: «بتبجّحهم» وهي بمعناه.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٢٧ـ١٢٨.
٣ـ ذيل الآيات: ٣٥ إلى ٥٥.
٤ـ البيضاوي ٢: ١٢٨.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٧، ذيل الحديث: ٤؛ وعلل الشرايع ١: ١٣٣، الباب: ١١٣، ذيل الحديث ١٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٦ـ القمّي ١: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٧ـ١٣٨.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

والبقر والغنم»[١]. ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾. قيل: يعني ويؤمنون بالمقيمين، يعني الانبياء[٢]. وقيل: بل نصب بالمدح[٣]. ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «إنّي اوحيت إليك، كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده، فجمع له كلّ وحي»[٤]. ورد: «أُعطيت السّور الطّول مكان التّوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستّون سورة»[٥،٦]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

﴿وَرُسُلًا﴾: وارسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٤؛ والقمّي ١: ١٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٠؛ والتفسير الكبير ١١: ١٠٦؛ والبيضاوي ٢: ١٢٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٥، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٠١، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه: «الطوال» مكان «الطول».
٦ـ السّبع الطّول: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التّوبة؛ لأنّهما تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرّحمن الرّحيم. وإنّما سمّيت هذه السّور الطول؛ لأنّها أطول سور القرآن. وأمّا المثاني، فهي السورة التالية للسّبع الطول، وأولها سورة يونس، وآخرها النّحل. وإنّما سمّيت مثاني؛ لأنّها تثنّت الطول، أي: تلتها، فكان الطول هي المبادئ، والمثاني لها ثواني. وأمّا المأوون، فهي كلّ سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك، أو دوينه. وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون. وقيل: انّ المائين ما ولّي السّبع الطول، ثمّ المثاني بعدها، وهي الّتي يقصر عن المائين ويزيد على المفصّل. وسمّيت مثاني؛ لانّ المائين مباد لها. وأمّا المفصّل، فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمّد إلى النّبأ، ومتوسّطاته منه إلى الضّحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن. وسمّيت مفصّلاً؛ لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرّحمن الرّحيم. «راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ١٤؛ ومرآة العقول ١٢: ٤٨١ـ٤٨٢».

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. قال: «كان بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله عزّوجلّ: " ورُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ورُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ" يعني: لم يسمّ المستخفين، كما سمّي المستعلنين من الأنبياء»[1].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيقولوا: لولا ارسلت إلينا رسولاً، فينبّهنا ويعلّمنا مالم نكن نعلم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾. قيل: لمّا نزلت " إنّا أوْحَيْنا إلَيْكَ" قالوا: مانشهد لك بهذا، فنزلت[2]. ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ بانّك مستأهل له ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ لانّهم قدجمعوا[3] بين الضّلال والإضلال، ولانّ المضلّ يكون اغرق في الضّلال وأبعد من الانقلاع عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾ جمعوا بينهما ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾. ورد: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: إنّ الّذين كفروا وظلموا آل محمّد حقّهم»[4]. والقمّي: إنّ الصّادق عليه السلام قرأها هكذا[5].

١ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث ٣٠٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٠.
٣ـ في «ج»: «لانّهم جمعوا».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٧؛ والكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام وفي الكافي: «إنّ الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم».
٥ـ القمّي ١: ١٥٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: يكن الإيمان خيراً لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾. غلت اليهود في حطّ عيسى، حتّى رموه بأنّه ولد لغير رِشْدَةٍ[1]؛ والنّصارى في رفعه، حتّى اتّخذوه إلهاً. ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ يعني: تنزيهه عن الشّريك والصّاحبة والولد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: «روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى»[2]. وفي رواية: «مخلوقان اختارهما[3] واصطفاهما»[4]. ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ الآلهة ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: "ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُوني وأُمّي إلـهَيْنِ مِنْ دُونِ الله"[5]. ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التّثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾: يكن الانتهاء خيراً ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وحدة حقيقيّة، لا يتطرّق إليها نحو من أنحاء الكثرة والتّعدّد أصلاً ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾. تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كافٍ في ذلك، مستغنٍ عمّن يخلفه أو يعينه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ لأنّ عبوديّة الله شرف يباهى به، وإنّما المذلّة في عبوديّة غيره. روي: «إنّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لِمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبدالله. قال: إنّه ليس بعارٍ أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى. فنزلت»[6]. ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

١ـ يقال: هذا ولد رشدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضدّه: ولد زنْية. النّهاية ٢: ٢٢٥ (رشد).
٢ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؑ، وفيه: «هي روح الله مخلوقة ...».
٣ـ في «ب»: «خلقهما».
٤ـ التّوحيد: ١٧٢، الباب: ٢٧، الحديث: ٤، عن أبي جعفر ؑ.
٥ـ المائدة (٥): ١١٦.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٦؛ والبيضاوي ٢: ١٣١.

﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: وترفّع[1] عنها. والاستكبار دون الاستنكاف؛ وإنّما يستعمل حيث لا استحقاق، بخلاف التّكبّر، فإنّه قد يكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه. ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. قال: «البرهان: محمّد ﷺ، والنّور: عليّ عليه السلام، والصّراط المستقيم: عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: النّور: إمامة عليّ، والاعتصام: التّمسّك بولايته، و ولاية الأئمّة عليهم السّلام بعده[3].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ اي: في الكلالة، كما يدلّ عليه الجواب، وقد سبق تفسيرها[4]. روي: «إنّ جابر بن عبدالله كان مريضاً، فعاده رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت»[5]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ قال: «أُخت لأمّ وأب او أُخت لأب»[6]. ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ اي والمرء يرث أُخته جميع مالها إن كانت الأُخت هي الميتة. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ولا والد، لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولما ثبت أنّ الإخوة لا يرثون مع الأب. ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الضّمير لمن يرث بالأُخوة. ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا

١ـ في «ح»: «يترفّع».
٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٥٩.
٤ـ ذيل الآية: ١٢ من هذه السّورة.
٥ـ البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧٥٣.
٦ـ الكافي ٧: ١٠١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. قال: «إذا مات الرّجل وله أُخت، تأخذ نصف الميراث بالآية، كما تأخذ البنت لوكانت، والنّصف الباقي يردّ عليها بالرّحم، إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها؛ فإن كان موضع الأُخت أخ، أخذ الميراث كلّه بالآية، لقول الله تعالى "وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ" فإن كانت[1] أُختين أخذتا الثّلثين بالآية، والثّلث الباقي بالرّحم؛ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً "فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ" وذلك كلّه إذا لم يكن للميّت ولد وابوان أو زوجة»[2]. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾: كراهة ان تضلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قيل: هي آخر آية نزلت في الاحكام[3].

١ـ الكافي: «كانتا».
٢ـ القمّي ١: ١٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «إذا لم يكن للميّت ولد او ابوان او زوجة». وفي «الف» «... ولد وأبوان وزوجة».
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والكشّاف ١: ٥٨٩.

سورة المائدة

[مدنيّة، و هي مائة و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال: «اي: بالعهود» [2].

أقول: الإيفاء والوفاء بمعنًى. والعقد: العهد الموثّق، ويشمل هنا كلّ ما عقد الله على عباده وألزمه إيّاهم من الإيمان به، وبملائكته وكتبه و رسله واوصياء رسله، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإتيان بفرائضه و سننه، و رعاية حدوده و أوامره و نواهيه، وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من الأمانات والمعاملات الغير المحظورة.

و ورد: «إنّ رسول الله ﷺ عقد عليهم لعليّ صلوات الله عليه بالخلافة في عشرة [3] مواطن، ثمّ أنزل الله "يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود" الّتي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام» [4].

١ـ الزيادة من: «ب».
٢ـ القمّي ١: ١٦٠؛ والعيّاشي ١: ٢٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ب»: «عشر مواطن».
٤ـ القمّي ١: ١٦٠، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾. قيل: أُريد به الأزواج الثّمانية[١]. و ورد في تفسيرها: «الجنين في بطن أُمّه إذا أشعَرَ وَ أوبَرَ، فذكاته ذكاة أُمّه. قال: فذلك الّذي عنى الله به»[٢]. وفي رواية: «وإن لم يكن تاماً فلاتأكله»[٣].

اقول: لعلّ هذا أحد معانيها، فلاينافي عمومها، مع أنّه نصّ في حلّ الأُمّ.

سئل: عن أكل لحم الفيل والدّبّ والقرد فقال: «ليس هذا من "بهيمة الانعام" الّتي تؤكل»[٤].

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾. قيل: يعني أُحلّت لكم في حال امتناعكم من الصّيد وانتم محرمون، لئلاّ يتحرّج عليكم[٥].

اقول: و هو لا ينافي عموم حلّها ساير الاحوال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: لاتتهاونوا بحرمات الله ممّا جعله شعار الدّين وعلامته ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه. «نزلت حين أراد المسلمون قتل كافرٍ باغٍ في أشهر الحرم». كذا ورد[٦]. ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: ما أُهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: ماقلّد به الهدي من نعل وغيره، ليعلم أنّه هدي فلايتعرّض له. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: قاصدين لزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾: ان يثيبهم ويرضى عنهم. يعني لاتتعرّضوا لهم.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم ﴿فَٱصْطَادُواْ﴾ إن شئتم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولايحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: شدّة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٣٣. والمراد بها: المعز والضّأن والبقر والإبل، ذكَرُها و أُنثاها.
٢ـ الكافي ٦: ٢٣٤، الحديث: ١، عن احدهما عليهماالسّلام.
٣ـ المصدر، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٩٠، الحديث: ١٢، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه، عن عليّ عليهم السّلام.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٠٩؛ والكشّاف ١: ٥٩١.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٠.

﴿الْحَرَامِ﴾: لأن صدّوكم. يعني عام الحُدَيْبِيَة. ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ بالانتقام ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفّي والانتقام ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. بيان لما يتلى عليكم ﴿وَالْدَّمُ﴾ أي: المسفوح منه، لقوله: "أَوْ دَماً مَسْفُوحاً"[١]. قيل: كانوا في الجاهليّة يصبّونه في الأمعاء ويشوونها[٢]. ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وإن ذكّي. خصّه بالذكر دون الكلب و غيره، لاعتيادهم أكله دون غيره.

﴿وَمَا أُهِلَّ﴾: رفع الصّوتُ ﴿لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ﴾ كقولهم: باسم اللّات والعزّى عند ذبحه. قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر»[٣]. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ قال: «الّتي انخنقت باخناقها حتّى تموت»[٤]. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ قال: «الّتي مرضت و وقذها[٥] المرض، لم يكن بها حركة»[٦]. وفي رواية: «كانوا يشدّون ارجلها و يضربونها حتّى تموت»[٧]. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ قال: «الّتي تردّى من مكان مرتفع إلى أسفل فتموت»[٨]. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ قال: «الّتي تنطحها بهيمة أُخرى فتموت»[٩]. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فمات.

﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. قال: «يرجع إلى جميع ماتقدّم ذكره من المحرّمات سوى مالا يقبل الذّكاة من الخنزير والدّم»[١٠]. قال: «إنّ ادنى ما يُدْرَكُ به الذّكاةُ أن يدركه و هو يحرّك أُذُنَه أو ذَنَبَه أو يطرف عينيه»[١١]. وفي رواية: «إذا طرفت العين أو ركضت الرّجل أو تحرّكت

١ـ الانعام (٦): ١٤٥.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٤. شَوَى الماء: اسخنه. «القاموس المحيط ٤: ٣٥٢؛ وتاج العروس ١٠: ٢٠٤». شوى شيّاً اللّحمَ: عرّضه للنّار فنضج. المنجد في اللغة: ٤١٠ (شوى).

٣، ٤، ٦، ٨و٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن ابي جعفر الثّاني عليه السلام.

٥ـ الوَقْذُ في الاصل: الضّرب المُثْخِنُ والكسر. و وَقَذها المرض اي: كسرها وضَعّفها. النّهاية ٥. ٢١٢ (وقذ).

٧ـ القمّي ١: ١٦١.

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥٨، عن امير المؤمنين عليه السلام.

١١ـ المصدر ١٥٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «أن تُدْرِكَهُ يتحرّكُ أُذنه أو ذنبه أو تطرفُ عينه».

الذِّئْبُ، فكُلْ منه فقد أدركت ذكاته»[١]. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾. قال: «على حجر أو صنم، إلّا ما أُدرك ذكاته فيذكّى»[٢]. ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

قال: «كانوا في الجاهليّة يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويقتسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة؛ سبعة لها أنْصِباءٌ وثلاثة لا أنْصِباءَ لها، ثمّ ذكر أسماء القداح ثمّ قال: فكانوا يُجيلون السّهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من الّتي لا أنْصِباءَ لها أُلزم ثلث ثمن البعير، فلايزالون كذلك حتّى تقع السّهام الثّلاثة الّتي لاانصباء لها إلى ثلاثة منهم، فيلزمونهم ثمن البعير، ثمّ ينحرونه ويأكله السبّعة الّذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثّلاثة الّذين انقدوا[٣] ثمنه شيئاً. فلمّا جاء الإسلام حرّم الله ذلك فيما حرّم، فقال ـ عزّوجلّ ـ: "وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق" يعني حرام»[٤].

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: الآن ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه، وترجعوا منه إلي الشّرك. القمّي: ذلك لمّا نزلت ولاية اميرالمؤمنين عليه السلام[٥]. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ ان يظهروا على دين الاسلام ويردّوكم عن دينكم ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إن خالفتم امري ان تحلّ بكم عقوبتي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. قال: «الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فانزل الله: "اليوم اكملت لكم دينكم" قال:[٦] لا أُنْزِلُ بعد هذه فريضةً، قد اكملت لكم الفرائض»[٧].

١ـ الكافي ٦: ٢٣٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «نقدوا».
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧ـ ٢١٨، الحديث: ١٠٠٧، عن ابي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٦٢.
٦ـ في المصدر: «قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عزّوجلّ: لا أُنزل عليكم ...».
٧ـ الكافي ١: ٢٨٩، الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

اقول: وإنّما أُكملت الفرائض بالولاية، لأنّ النّبيّ ﷺ أنهى[1] جميع ما استودعه الله من العلم إلى أمير المؤمنين ثمّ إلى ذرّيّته الأوصياء عليهم السّلام، واحداً بعد واحد، فلمّا أقامهم مقامه وتمكّن النّاس من الرّجوع إليهم في حلالهم وحرامهم، واستمرّ ذلك بقيام واحد مقام آخر إلى يوم القيامة، كمل الدّين وتمّت النّعمة. وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السّلام[2]، والحمد لله على ذلك، وصلّى الله على محمّد و أهل بيته الأوصياء وسلّم.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾. متّصل بالمحرّمات، وما بينهما اعتراض، والمعنى: فمن اضطرّ إلى تناول شيء من هذه المحرّمات. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ قال: «غير متعمّد»[3]. ﴿لِإِثْمٍ﴾.

اقول: وذلك بأن يأكلها تلذّذاً او مجاوزاً حدّ الرّخصة. وهذا كقوله سبحانه: "غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ" و قد سبق تفسيرهما في سورة البقرة[4].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: مالم تستخبثه الطّباع السّليمة ولم تتنفّر عنه ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ اي: صيدهنّ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مؤدّبين لها. والمكلِّب: مؤدّب الجوارح ومُغْريها بالصّيد. قال: «هي الكلاب»[5]. قال: «فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل إلّا أن يدرك ذكاته»[6]. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: ممّا ألهمكم من طرق التّأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

١ـ الإنهاء: الإبلاغ والإعلام. يقال: أنهيتُ الأمر إلى الحاكم: أعلمتُه به. مجمع البحرين ١: ٤٢٦ (نهى).

٢ـ راجع. الكافي ١: ٢٩٠، الحديث: ٤؛ و ٢٨٩، الحديث: ٦؛ و ٢٢٢، الحديث: ٦؛ و ٢٢٣، باب انّ الائمّة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم.

٣ـ القمّيّ ١: ١٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ في ذيل الآية: ١٧٣.

٥ـ الكافي ٦: ٢٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ المصدر. ٢٠٥ الحديث: ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «إن أرسله صاحبه وسمّى، فليأكل كلّ ما أمسك عليه وإن قتل، وإن أكل فكُلْ ما بقي»[١]. و قال: «إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم اللهّ عليه فهو ذكاته»[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. قال: «إنّ المراد به الحبوب والبقول والفاكهة، غير الذّبايح الّتي يذبحونها، فإنّهم لايذكرون اسم الله خالصاً على ذبايحهم»[٣]. وفي رواية: «الذّبيحة بالاسم ولايؤمن عليها إلاّ أهل التّوحيد»[٤]. وفي أُخرى: «إذا شهدتموهم وقد سمّوا اسم الله فكلوا ذبايحهم، وإن لم تشهدوهم فلاتاكلوا، وإن أتاك رجل مسلم فأخبرك أنّهم سمّوا فكل»[٥].

وفي أُخرى: «لاتاكله ولا تتركه، تقول: إنّه حرام، ولكن تتركه تنزّهاً عنه، إنّ في آنيتهم الخمر ولحم الخنزير»[٦]. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلاعليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ يعني: وأُحلّ لكم نكاح المحصنات، يعني: العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال: «هنّ المسلمات»[٧]. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: «هنّ العفائف»[٨]. و ورد: «إنّها منسوخة بقوله تعالي: "وَلاتُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ"»[٩]. وفي رواية: «و بقوله: "وَلاتَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ"»[١٠]. وفي أُخرى:

١ـ الكافي ٦: ٢٠٥ الحديث. ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ١٦٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٦: ٢٣٩، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ٢٦٤، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٥، الحديث: ٢؛ والبرهان ١: ٤٤٩، الحديث: ١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٧٦، الحديث: ١٣١٣؛ والعيّاشي ١: ٢٩٦، الحديث: ٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام
٩ـ الكافي ٥: ٣٥٨، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الممتحنة (٦٠): ١٠.
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٦٢، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة البقرة (٢): ٢٢١.

«إنّها ناسخة لقوله: "وَلاتَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ"»[١]. ويؤيّده ما ورد: «إنّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها»[٢].

و ورد: إنّه سئل عن الرّجل المؤمن يتزوّج النّصرانيّة واليهوديّة. قال: «إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهوديّة والنّصرانيّة. فقيل له: يكون له فيها الهوى، قال: فإن فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير؛ واعلم انّ عليه في دينه غضاضة»[٣]. وفي رواية: «لايتزوّج الرّجل اليهوديّةَ والنّصرانيّةَ على المسلمة، ويتزوّج المسلمةَ على اليهوديّة والنّصرانيّة»[٤]. وفي أُخرى: «لاباس ان يتمتّع الرّجل باليهوديّة والنّصرانيّة وعنده حرّة»[٥]. ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ ﴿مُحۡصِنِينَ﴾: أعفّاء بالنّكاح ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: غير مجاهرين بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾: ولامسرين به. والخِدْنُ: الصّديق، يقع على الذّكر والأنثى.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. قال: «ترك العمل الّذي اقرّ به، من ذلك ان يترك الصّلاة من غير سقم ولاشغل»[٦]. وفي رواية: «ترك العمل حتّى يدعه أجمع»[٧]. وفي أُخرى: «الّذي لايعمل بما أمر الله ولايرضى به»[٨]. ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

١ـ الكافي ٥: ٣٥٧، الحديث: ٦، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الدّرّ المنثور ٣: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ٥: ٣٥٦، الحديث ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. والغضاضة: الذّلّة والمنقصة. مجمع البحرين ٤: ٢١٨ (غضض).
٤ـ المصدر: ٣٥٧، الحديث: ٤و٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٧: ٢٥٦، الحديث: ١١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٩٧، الحديث: ٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام.
٨ـ المصدر، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: «من النّوم»[1].

أقول: فوجوب الوضوء بغير حدث النّوم مستفاد من الأخبار، كوجوب الغسل بغير الجنابة.

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ .الوجه ما يواجه به. قال: «كلّ ما احاط به الشّعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء»[2].

أقول: ولمّا كانت اليد تطلق على ما تحت الزّند وعلى ما تحت المرفق وعلى ما تحت المنكب؛ بيّن الله سبحانه غاية المغسول منها، فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه إلى المرافق؛ وكذلك القول في الأرجل، فإنّها تطلق على القدم وعلى ماتحت الرّكبة وعلى ما يشمل الفخذين، والمرفق مجمع عظمي الذّراع والعضد، والكعب عظم مائل إلى الاستدارة واقع في ملتقى السّاق والقدم، ويعبّر عنه بالمفصل لمجاورته له.

ورد: إنّه سئل: أين الكعبان؟ قال: «ههنا، يعني المفصل دون عظم السّاق»[3].

وسئل: بم علم أنّ المسح ببعض الرّأس وبعض الرّجلين؟ فأجاب: «لمكان الباء»[4] يعني أنّها للتّبعيض. وسئل: "و أرجلكم" على الخفض هي أم على النّصب؟ فقال: «بل هي على الخفض»[5]. وقال: «فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه»[6].

﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾: فاغتسلوا. عطف على فاغسلوا، كقوله: "وَإِنْ

١ـ التّهذيب ١: ٧، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٨، الحديث: ٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ١: ٧٠ ـ ٧١، الحديث: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُنْتُمْ مَرْضى». قال: «تبدأ فتغسل كفّيك، ثمّ تفرغ بيمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك، ثمّ تمضمض واستنشق، ثمّ تغسل جسدك من لدن قرنك [١] إلى قدميك، ليس قبله ولا بعده وضوء، وكلّ شيء أمسسته الماء فقد أنقيته، ولو انّ رجلاً ارتمس في الماء ارتماسةً واحدةً أجزأه ذلك وإن لم يدلك جسده» [٢]. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾. قد سبق تفسير هذه الآية في سورة النّساء [٣].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بفرض الطّهارات ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الاحداث والذّنوب، فإنّ الطّهارة كفّارة للذّنوب، كما هي رافعة للاحداث ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بهذا التّطهير ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني عند إسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه عليكم. [٤] و ورد: «إنّ المراد به ما بيّن لهم في حجّة الوداع، من تحريم المحرّمات وكيفيّة الطّهارة وفرض الولاية وغير ذلك» [٥]. **أقول**: وهذا داخل في ذاك.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾. سبق تفسيره [٦]. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: شدّة عداوتهم و بغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا

١ ـ القَرْنُ: جانب الرأس. مجمع البحرين ٦: ٣٠٠ (قرن).
٢ ـ التّهذيب ١: ١٤٨، الحديث: ٤٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٤٣.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٦٨.
٥ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في سورة النّساء ذيل الآية: ١٣٥.

﴿تَعْدِلُوا﴾ فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لايحلّ، كمُثْلَة وقذف و قتل نساء وصِبْيَة ونقض عهد، تشفّياً مّا في قلوبكم. ﴿اعْدِلُوا﴾ في أوليائكم وأعدائكم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا﴾: يبطشوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. القمّي: يعني اهل مكّة من قبل فتحها، فكفّ ايديهم بالصّلح يوم الحديبيّة [١]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: كفيلاً اميناً شاهداً من كلّ سبط ينقّب عن احوال قومه ويفتّش عنها ويعرف مناقبهم. ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: ونصرتموهم وقوّيتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

قيل: أُمروا بعد هلاك فرعون بان يخرجوا إلى «اريحا» من أرض الشّام ويجاهدوا مع ساكنيها من الجبابرة ويستقرّوا فيها، وأمر موسى بان يأخذ من كلّ سبط نقيباً يكون كميلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختار النّقباء وأخذ الميثاق عليهم، فلمّا دنوا من أرضهم بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا أجراماً عظاماً وقوّة، فرجعوا فأخبروا موسى بذلك فامرهم ان يكتموا ذلك، فحدّثوا بذلك قومهم، إلاّ كالب بن يوفنّا من سبط يهودا ويوشع

١ـ القمّي ١: ١٦٣.

بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النّقباء [1] .

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ : طردناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ : لاتنفعل عن الآيات والنّذر ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ : تركوا نصيباً وافراً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ : خيانة أو فرقة خائنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي : منسوخة بقوله: "اُقْتُلُوا المُشْرِكينَ" [2].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ .

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كنعت محمّد ﷺ وآية الرّجم في التّوراة وبشارة عيسى باحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ ممّا تخفونه لايخبر به ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ : طرق السّلامة من العذاب ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ : انواع الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ : الإسلام ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ : فمن يمنع من قدرته و إرادته شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ : اشياع [3] ابنيه : عُزَيْر ومسيح

١ـ الكشّاف ١ : ٥٩٩؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤ : ١٧١ .

٢ـ القمّي ١ : ١٦٤ . والآية في سورة التّوبة (٩) : ٥ .

٣ـ في «ب»: «أتباع».

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ في الدّنيا بالقتل والأسر والمسخ، وفي الآخرة بالنّار أيّاماً معدودة كما زعمتم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ : يعاملكم معاملة ساير النّاس ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ ما يحتاج إلى البيان ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ : على فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ : كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلاتعتذروا. قال: «إنّ الأمم تجحد تادية رسالات رسلهم وتقول: "ما جاءنا من بشير ولا نذير"، والرّسل يستشهدون نبيّنا صلوات الله عليهم، فيقول نبيّنا لكلّ أمّة: "بلى قد جاءكم بشير و نذير"»[١]. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: «اي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم»[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام و إنزال المنّ والسّلوى وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: «يعني الشام»[٣]. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ان تكون مسكناً لكم. ورد: «إنّهم لم يدخلوها حتّى حرّمها عليهم وعلى ابنائهم، و إنّما دخلها ابناء الأبناء»[٤]. وفي رواية: «كتبها لهم ثمّ محاها»[٥]. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ : ولا ترجعوا مدبرين ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدّارين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ : شديدي البطش والباس والخلق، لايتاتّى

١ و٢ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٠٦، ذيل الحديث: ٧٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٧٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.

لنا مقاومتهم ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ قال: «هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهما ابنا عمّه»[1]. ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾: يخافون الله ويتّقونه ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمان والتّثبيت ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾: باب قريتهم، أي: باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ لتعسّر الكرّ عليهم في المضائق من عظم أجسامهم، ولأنّهم أجسام لاقلوب فيها. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ في نصرته على الجبّارين ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ به وبوعده.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾. قالوها استهانةً بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ لايدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾: يسيرون فيها متحيّرين لايرون طريقاً ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ لأنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم. قال: «إذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا: الرّحيل الرّحيل، الوحا الوحا[2]؛ فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشّمس، حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض: ديري بهم فلا يزالون[3] كذلك، حتّى إذا أسحروا وقارب الصّبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذاً أبنيتهم[4] ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم

١ـ العيّاشي ١: ٣٠٣، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الوَحا الوَحا ـ بالمدّ والقصر ـ أي: السّرعة السّرعة، وهو منصوب بفعل مضمر. مجمع البحرين ١: ٤٣٢ (وحا).

٣ـ في «ب»: «فلم يزالوا»؛ وفي «ج» والعيّاشي: «فلا يزالوا».

٤ـ في جميع النُّسخ: «تيهم»، ولعلّ الأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر. تاه يتيه تيهاً: إذا تحيّر وضلّ. النّهاية ١: ٢٠٣ (تيه).

وأخطأتم الطّريق، فلم يزالوا كذلك حتّى أذن اللّه لهم فدخلوها، وقد كان كتبها لهم»[١].

وورد: «مات هارون قبل موسى وماتا جميعاً في التّيه»[٢].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾: قابيل وهابيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصّدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾. القربان: ما يتقرّب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ لأنّه رضي بحكم اللّه وأخلص النّيّة لله وعمد إلى أحسن ما عنده، وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ لأنّه سخط حكم اللّه و لم يخلص النّيّة في قربانه و قصد إلى أخسّ ما عنده، وهو قابيل ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. توعّده بالقتل، لفرط حسده له على تقبّل قربانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني إنّما أتيت من قبل نفسك بترك التّقوى لا من قبلي. فيه إشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظّه؛ فإنّ ذلك ممّا يضرّه ولا ينفعه، وإنّ الطّاعة لاتقبل إلاّ من مؤمن تقيّ.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾: أن ترجع ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. لعلّ غرضه بالذّات أن لايكون ذلك له، لا أن يكون لأخيه. ورد: «من قتل مؤمناً أثبت اللّه على قاتله جميع الذّنوب، وبرىء المقتول منها، وذلك قول الله عزّو جلّ: "إنّي أُريد أن تبوأ" الآية»[٣].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ﴾: اتّسعت ﴿نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ديناً ودنياً، إذ بقي مدّة عمره مطروداً محزوناً نادماً. قال: «إنّ الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل وكان قابيل أكبر، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى

١ـ العيّاشي ١: ٣٠٥، الحديث: ٧٤؛ والبحار ١٣: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام، ذيل الآية: ١٣ من سورة القصص.
٣ـ ثواب الأعمال: ٥٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «من قتل مؤمناً متعمّداً».

بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فتقبّل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله»[١]. وفي رواية: «إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه قد تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك، فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل»[٢]. ورد: «فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حَجَرَيْن ثمّ اشدخه»[٣].

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ على قتله. قال: «فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به. فجاء غرابان فاقتتلا حتّى قتل أحدهما صاحبه ثمّ حفر الّذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها[٤] صاحبه. قال قابيل: "ياويلتى" الآية، فحفرله حفيرة فدفنه فيها، فصارت سنّة يدفنون الموتى»[٥].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. القمّي: لفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل ومعناها جار في النّاس كلّهم.[٦] ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أو بغير فساد فيها كالشّرك وقطع الطّريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهتكه حرمة الدّماء وتسنينه سنّة القتل وتجرئته النّاس عليه. قال: «واد في جهنّم لو قتل النّاسَ جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدةً كان فيه»[٧].

١ـ العيّاشي ١: ٣١٢، الحديث: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ١: ٢١٣، الباب: ٢٢، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والشَّدْخُ: الكسر في الشّيء الأجوف، يقال: شدختُ رأسهُ: كسرته. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (شدخ).
٤ـ في جميع النُّسخ: «فيه».
٥ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والمخالب جمع مِخْلَب بمنزلة الظّفر للإنسان. مجمع البحرين ٢: ٥٣ (خلب).
٦ـ القمّي ١: ١٦٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١٣، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾: ومن تسبّب لبقاء حياتها بعفو أو منع من القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلاك، فكأنّما فعل ذلك بالنّاس جميعاً. قال: «من انقذها من حرق أو غرق. قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى قال: ذاك تأويلها الأعظم»[١]. وفي رواية: «من أخرجها من ضلال إلى هدىً فكأنّما أحياها؛ ومن أخرجها من هدىً إلى ضلال فقد قتلها»[٢]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بعد ما كتبنا عليهم هذا التّشديد الوكيد كي يتحاموا عن أمثال هذه الجنايات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مجاوزون عن الحقّ. قال: «المسرفون هم الّذين يستحلّون المحارم و يسفكون الدّماء»[٣].

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ذلّ وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

«قدم قوم من بني ضبّة على رسول الله ﷺ مرضى، فبعثهم إلى إبل الصّدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها؛ فلمّا برأوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كان في الإبل وساقوا الإبل. فبعث إليهم عليّاً عليه السلام فأسرهم، فنزلت. فاختار رسول الله ﷺ القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف». كذا ورد.[٤] سئل: عن هذه الآية. فقال: «ذلك إلى الامام يفعل به ما شاء. قيل: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا ولكن نحو

١ - الكافي ٢: ٢١١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ - الكافي ٢: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ - مجمع البيان ٣ - ٤: ١٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - الكافي ٧: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الجناية»[1].

وفي رواية: «من قطع الطّريق فقتل وأخذ المال، قطّعت يده و رجله وصلّب، ومن قطع الطّريق فقتل ولم يأخذ المال، قتل. ومن قطع الطّريق وأخذ المال ولم يقتل، قطّعت يده و رجله. ومن قطع الطّريق و لم يأخذ مالاً و لم يقتل، نفي من الأرض»[2]. وسئل: كيف ينفى؟ فقال: «ينفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى مصر آخر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنّه منفيّ، فلاتجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولاتشاربوه، فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتّى تتمّ السّنة»[3]. وفي رواية: «إنّ معنى نفي المحارب إيداعه الحبس»[4]. وفي أخرى: «أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصّلب»[5]. و ورد: «من حمل السّلاح باللّيل فهو محارب إلاّ أن يكون رجلاً ليس من أهل الرّيبة»[6].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما تتوسّلون به إلى ثوابه والزّلفى منه. القمّي: تقرّبوا إليه بالإمام[7]. و ورد: «الأئمّة هم الوسيلة إلى اللّه»[8]. وفي رواية: «إنّها أعلى درجة في الجنّة»[9] ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظّاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالوصول إلى اللّه والفوز بكرامته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من صنوف الأموال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ

١ـ الكافي ٧: ٢٤٦، الحديث: ٥، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٤٧، الحديث: ١١، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٣ـ المصدر: الحديث: ٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣١٥، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ الكافي ٧: ٢٤٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبداللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ـ المصدر: ٢٤٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ١٦٨.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٨، الباب. ٣١، الحديث: ٢١٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٩ـ الكافي ٨: ٢٤، ذيل خطبة الوسيلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ انفسهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾. قال: «إنّهم أعداء عليّ عليه السلام»[1].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾. سئل: في كم يقطع السّارق؟ قال: «في ربع دينار»[2]. قال: «وتقطع الاربع أصابع ويترك الإبهام، يعتمد عليها في الصّلاة، ويغسل بها وجهه للصّلاة»[3]. و«إذا قطعت الرّجل ترك العقب، لم يقطع»[4]. وفي رواية: «إذا سرق قطعت يمينه، فإذا سرق مرّة أُخرى قطعت رجله اليسرى، ثمّ إذا سرق مرّة أُخرى سجن وترك رجله اليمنى، يمشي عليها إلى الغائط؛ ويده اليسرى، يأكل بها ويستنجي بها»[5]. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عقوبة منه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾: بعد سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ امره بردّ المال والتّفصّي عن التّبعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «في رجل سرق او شرب الخمر أو زنى، فلم يعلم ذلك منه، ولم يؤخذ، حتّى تاب و صلح وعرف منه امر جميل، لم يقم عليه الحدّ»[6]. وفي رواية: «من اخذ سارقاً فعفا عنه، فذاك له؛ فإذا رفع إلى الامام قطعه. فإن قال الّذي سرق منه: أنا اهب له، لم يدعه الإمام حتّى يقطعه. قال: وذلك قول اللّه تعالى "والحافظون لحدود الله"[7] فإذا انتهى الحدّ إلى الإمام، فليس لاحد ان

١- العيّاشي ١: ٣١٧، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- الكافي ٧: ٢٢٢، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- المصدر: ٢٢٥، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤- المصدر: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦- المصدر: ٢٥٠، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه «... ولم يؤخذ حتّى تاب وصلح؟ فقال: إذا صلح وعرف منه امر جميل، لم يقم عليه الحدّ».
٧- التّوبة (٩): ١١٢

يتركه»[1]

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني المنافقين.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ اي: قائلون له، أوسمّاعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: لجمع آخر من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾: لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّراً أو إفراطاً في البغضاء، يعني: مصغون لهم، قائلون كلامهم؛ او سمّاعون منك لاجلهم وللإنهاء إليهم. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ يميلونه عن مواضعه الّتي وضعه الله فيها، بتغييره وحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده أو إهماله. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أُوتيتم هذا المحرّف، فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل افتاكم محمّد بخلافه ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ قبول ما افتاكم به.

القمّي: نزلت في عبد الله بن أُبيّ، حيث مشت إليه بنو النَّضير فقالوا: سل محمّداً أن لاينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين بني قُرَيْظَة في القتل؛ وكان شرطهم مخالفاً للتّوراة. فقال ابن أُبيّ: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلاّ فلاترضوا به.[2] هذا ملخّص القصّة. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: اختباره ليفضح ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يعني في دفعها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾: هوان بإلزام الجزية على اليهود، واجلاء بني النّضير منهم، وإظهار كذبهم في كتمان الحقّ، وظهور كفر

١ ـ الكافي ٧: ٢٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ١٦٨ ـ ١٦٩.

المنافقين، وخوفهم جميعاً عن المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النّار.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. كرّره تاكيداً. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ اي: الحرام، من سَحَتَهُ إذا استأصله لانّه مسحوت البركة. قال: «هو الرّشاء في الحكم»[1]. وفي رواية: «ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرّشوة، وأجر الكاهن»[2]. وفي أخرى: «و للسّحت أنواع كثيرة»[3]. ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. تخيير[4] له ﷺ. قال: «إنّ الحاكم إذا أتاه أهل التّوراة و أهل الإنجيل يتحاكمون إليه، إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم»[5]. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾. تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به، والحال انّ الحكم منصوص عليه في الكتاب الّذي عندهم، وفيه تنبيه على أنّهم ماقصدوا بالتّحكيم معرفة الحقّ و إقامة الشّرع، و إنّما طلبوا به ما يكون اهون عليهم و إن لم يكن حكم الله في زعمهم. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، لإعراضهم عنه أوّلاً، و عمّا يوافقه ثانياً.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: بيان للحقّ ﴿وَنُورٌ﴾ يكشف ما استبهم من الاحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: انقادوا للّه. قيل: وصفهم بالإسلام لانّه دين الله.[6]

١ـ الكافي ٧: ٤٠٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ﷺ، وفيه: «والرشوة في الحكم».
٣ـ المصدر: ١٢٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ في «الف» و «ج»: «تخيّر».
٥ـ التّهذيب ٦: ٣٠٠، الحديث: ٨٣٩، عن ابي جعفر ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٩٨.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يحكمون لهم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: ويحكم بها الرّبّانيّون والأحبار. قال: «الرّبّانيّون هم الأئمّة دون الأنبياء، الّذين يربون النّاس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الرّبّانيّين»[1].

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾. قال: «ولم يقل بما حمّلوا منه»[2] وفي رواية: «فينا نزلت»[3].

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾. نهي للحكّام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويدا هنوا فيها. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: ولا تستبدلوا باحكامي الّتي انزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من رشوة اوجاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «من حكم بدرهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه كان من اهل هذه الآية»[4].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وفرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التّوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ يعني: تقتل بها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾: تفقابها ﴿وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ﴾: تجدع بها ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تصلم بها ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: تقلع بها ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص، اي: عفي عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ قال: «يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح و غيره»[5]. وفي رواية: «ما عفا عن العمد»[6]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: واتبعنا على آثار النّبيّين الّذين اسلموا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ

١ و٢ـ العيّاشي ١: ٣٢٣، ذيل الحديث: ١١٩، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٣ـ المصدر: ٣٢٢، الحديث: ١١٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٧: ٤٠٨، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيه: «في درهمين».
٥ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٨٠، الحديث: ٢٥١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ اي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: و رقيباً على سائر الكتب، يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحّة والثّبات ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اي: إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: شريعة. وهي الطّريقة إلى الماء، شبّه بها الدّين، لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الابديّة. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقاً واضحاً. قال: «الشّرعة والمنهاج: سبيل وسنّة؛ و أُمر كلّ نبيّ بالاخذ بالسّبيل والسّنّة. وكان من السّبيل والسّنّة الّتي امر الله بهما موسى، ان جعل عليهم السّبت»[١].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعة متّفقة، على دين واحد ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشّرائع المختلفة المناسبة لكلّ عصر، هل تعملون بها، مصدّقين بوجود الحكمة في اختلافها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها انتهازاً للفرصة، وحيازة لقصب السّبق والتّقدّم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾. وعد و وعيد للمبادرين والمقصّرين. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحقّ، والمبطل، والمبادر، والمقصّر.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. قال: «إنّما كرّر الامر بالحكم بينهم، لأنّهما حكمان امر بهما جميعاً؛ لأنّهم احتكموا إليه في زنا المحصن، ثمّ احتكموا إليه في قتل كان بينهم»[٢]. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾: يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. فيه تنبيه على انّ

١ـ الكافي ٢: ٢٩، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه: «في قتيل كان بينهم».

لهم ذنوباً كثيرةً، والتّولّي عن حكم الله مع عظمته واحد منها. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾. تسلية للنّبيّ ﷺ عن امتناع القوم من الإقرار بنبوّته؛ بأنّ أهل الإيمان قليل.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. إنكار على تولّيهم عن حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنّهم يعلمون ذلك. قال: «الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهليّة؛ فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾: لاتعتمدوا على الاستنصار بهم، متودّدين إليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنّصرة، ويدهم واحدة عليكم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: من استنصر بهم فهو كافر مثلهم.

ورد: «من تولّى آل محمّد، وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله ﷺ، فهو من آل محمّد بمنزلة آل محمّد، لاأنّه من القوم باعيانهم وإنّما هو منهم بتولّيه إليهم واتّباعه إيّاهم. وكذلك حكم الله في كتابه: "ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم"»[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الّذين ظلموا أنفسهم، والمؤمنين بموالاة الكفّار.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كابن أُبيّ وأضرابه ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: يعتذرون بأنّهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدّوائر، بان ينقلب الأمر ويكون الدّولة للكفّار. روي: «أنّ عبادة بن الصّامت قال لرسول الله ﷺ: إنّ لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، وإنّي أبرء إلى الله

١ـ الكافي ٧:٧، ٤٠٧، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ؏.
٢ـ العيّاشي ٢:٢٣١، الحديث: ٣٤، عن ابي عبدالله ؏، وفيه: «التولّيه» بدل: «بمنزلة».

ورسوله من ولايتهم و أوالي الله و رسوله. فقال ابن أُبيّ إنّي رجل أخاف الدّوائر، لاابرء من ولاية مواليّ، فنزلت»[1]. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسوله ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾. فيه إعزاز المؤمنين، وإذلال المشركين، وظهور الإسلام. ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾ أي: هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النّفاق والشّكّ في أمر الرّسول ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: اغلظ ايمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾. تعجباً من حال المنافقين وتبجّحاً بما منّ الله عليهم من الاخلاص ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾. إمّا من جملة[2] المقول أو من قول الله، وفيه معنى التعجّب كأنّه قيل: ما احبط أعمالهم! ما أخسرهم!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾. جوابه محذوف؛ يعني: فلن يضرّ دين الله شيئاً؛ فإنّ الله لايخلّي دينه من انصار يحمونه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: يحبّهم الله ويحبّونه. قد سبق معنى المحبّة من الله ومن العباد[3]. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: رحماء عليهم؛ من الذّلّ الّذي هو اللّين، لامن الذّلّ الّذي هو الهوان. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: غلاظ شداد عليهم. من عزّه إذا غلبه. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ فيما يأتون من الجهاد والطّاعة. قال: «هم أمير المؤمنين واصحابه، حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين»[4]. وقال عليه السلام يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلاها»[5]. والقمّي: نزلت في مهديّ الأمّة

١ـ البيضاوي ٢: ١٥٤.
٢ـ في «ب»: «من جهة».
٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٣١.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٠٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٥ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأصحابه.[١] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: جواد ﴿عَلِيمٌ﴾ بموضع جوده وعطائه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. قال في تفسيرها: «يعني اولى بكم أي: أحقّ بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم، "الله و رسوله والّذين آمنوا". يعني عليّاً و أولاده الائمّة عليهم السّلام إلى يوم القيامة ثمّ وصفهم الله عزّو جلّ، فقال: "الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون". وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظّهر، وقد صلّى ركعتين، وهو راكع، وعليه حلّة قيمتها الف دينار، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله أعطاه، وكان النّجاشيّ اهداها له. فجاء سائل فقال: السّلام عليك يا وليّ الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ تصدّق على مسكين. فطرح الحلّة إليه، وأومى بيده إليه أن احملها. فانزل الله عزّوجلّ فيه هذه الآية، وصيّر نعمة أولاده بنعمته. فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النّعمة مثله، فيتصدّقون وهم راكعون. والسّائل الّذي سال أمير المؤمنين من الملائكة، والّذين يسالون الائمّة من أولاده يكونون من الملائكة»[٢].

وفي رواية: «إنّه عليه السلام ناول السّائل الخاتم من إصبعه»[٣]. كما ياتي؛ وهي اشهر. وقد روته العامّة ايضاً[٤]. ولعلّه عليه السلام تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة، وأُخرى بالخاتم؛ والآية نزلت بعد الثّانية، فإنّ "يؤتون" يشعر بالتّكرار والتّجدّد، كما أنّه يشعر بفعل أولاده ايضاً.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: فإنّهم

١ ـ القمّي ١: ١٧٠.

٢ ـ الكافي ١: ٢٨٨، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ الخصال ٢: ٥٨٠، ذيل الحديث: ١ عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ ـ رجع. الدّرّ المنثور ٣: ١٠٦؛ والكشّاف ١: ٦٢٤؛ والبيضاوي ٢: ١٥٦؛ وإحقاق الحقّ ٢: ٣٩٩ و ٣: ٥٠٢؛ والغدير ١: ٢١٤.

الغالبون. وضع الظّاهر موضع المضمر، تنبيهاً على البرهان عليه، وكأنّه قيل: فإنّهم حزب الله وإنّ حزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنّه حزب الشّيطان. وأصل الحزب: القوم، يجتمعون لأمر حزبهم.

ورد: «إنّ رهطاً من اليهود أسلموا، فقالوا: يا نبيّ اللّه إنّ موسى أوصى إلى يوشع ابن نون، فمن وصيّك يا رسول الله، ومن وليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: "إنّما وليّكم الله". قال رسول الله ﷺ: قوموا. فقاموا فأتوا المسجد، فإذاً سائل خارج. فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذاالخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرّجل الّذي يصلّي. قال: على أيّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً. فكبّر النّبيّ ﷺ وكبّر أهل المسجد. فقال النّبيّ ﷺ: عليّ بن ابي طالب وليّكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن ابي طالب وليّاً. فأنزل الله تعالى: "ومن يتولّ الله" الآية»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾: تنكرون منّا وتعيبون ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن أمر الله، طلباً للرّياسة وحسداً على منزلة النّبوّة.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ المنقوم؟ يعني: إن كان ذلك شرّاً عندكم فأنا أُخبركم بشرّ منه. ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً ثابتاً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾. والمثوبة مختصّة بالخير، كالعقوبة

١ـ الأمالي (للصّدوق): ١٠٨، المجلس السّادس والعشرون، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالشّرّ؛ وضعت موضعها، كما في: "بَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليم"[١]. ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾: مسخهم ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾: ومن عبدالطّاغوت وهو الشّيطان. قيل: هم أصحاب العجل، كما أنّ القردة والخنازير أصحاب السّبت والمائدة[٢]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾. أُريد بالتّفضيل مطلق الزّيادة.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾: يخرجون من عندك كما دخلوا، لايؤثّر فيهم ما سمعوا منك. القمّي: نزلت في ابن أُبيّ[٣]. ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ من الكفر.

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ ﴾: المعصية ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾: تعدّي حدود الله ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾: الحرام، كالرّشوة ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ لَوْلَا ﴾: هلاّ ﴿ يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾: علماؤهم ﴿ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ ﴾ كالكذب وكلمة الشّرك، مثل قولهم: "عزير ابن الله"[٤]. ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾. قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي، ولم ينهاهم الرّبّانيّون والأحبار عن ذلك»[٥].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾. قال: «قالوا: قد فرغ من الأمر، فلايزيد ولاينقص»[٦] وفي رواية: «فليس يُحدث شيئاً. قال: ألم تسمع الله

١ـ آل عمران(٣): ٢١.
٢ـ الكشّاف ١: ٦٢٦.
٣ـ القمّي ١: ١٧٠.
٤ـ التّوبة(٩): ٣٠.
٥ـ الكافي ٥: ٥٧، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين ﷺ، وفيه: «لم ينههم».
٦ـ معاني الأخبار: ١٨، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله ﷺ.

يقول: «يمحو الله ما يشاء ويثبت»[1]. وقيل: غلّ اليد كناية عن البخل، وبسطها عن الجود.[2] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. دعاء عليهم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. القمّي: أي: يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البدا والمشيّة[3].

أقول: لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تقابل أسمائه سبحانه، وكناية عن غاية الجود؛ فإنّ الجواد في الغاية إنّما يعطي بيديه جميعاً.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: على طغيانهم وكفرهم، كما يزداد المريض مرضاً من تناول غذاء الأصحّاء.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكلماتهم مختلفة، وقلوبهم شتّى، فلا تقع بينهم موافقة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلّما ارادوا محاربةً غُلبوا. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد بمخالفة أمر الله، والاجتهاد في محو ذكر الرّسول من كتبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. قال: «فإنّ الإسلام يجبّ ما قبله»[4] وإن جلّ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بإقامة أحكامهما وإذاعة ما فيهما ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال: «يعني: الولاية»[5]. ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لوسّع عليهم أرزاقهم، وأُفيض عليهم بركات من السّماء والأرض. القمّي: من فوقهم

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨٢، الباب: ١٣، الحديث: ١. والآية في سورة الرّعد: (١٣): ٣٩.
٢ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٥٩.
٣ـ القمّي ١: ١٧١.
٤ـ راجع: عوالي اللّئالي ٢: ٥٤ و ٢٢٤؛ والجامع الصّغير (للسيوطي) ١: ١٢٣؛ وكنز العمّال ١: ٦٦ و ٧٥؛ ومسند أحمد بن حنبل ٤: ١٩٩، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي ١: ٣٣٠، الحديث: ١٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

المطر ومن تحت أرجلهم النبات.[١] ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ قد دخلوا في الإسلام ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ حيث أقاموا على الجحود والكفر. فيه معنى التعجّب، أي: ما أسوء عملهم!

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «في عليّ»[٢]. كذا نزلت. ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: إن تركت تبليغ ما أُنزل إليك في ولاية عليّ وكتمته، كنت كأنّك لم تبلّغ شيئاً من رسالات ربّك. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يمنعك من أن ينالوك بسوء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

وقال في حديث: «ثمّ نزلت الولاية وإنّما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي"[٣]. وكان كمال الدّين بولاية عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ. فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أُمّتي حديثوا عهد بالجاهليّة، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني. فأتتني عزيمة من الله بَتْلَةً[٤] أوعدني إن لم أُبلّغ أن يعذّبني. فنزلت: "يا أيّها الرّسول" الآية. فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: يا أيّها النّاس إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمّره الله ثمّ دعاه فأجابه، فأوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد إنّك قد بلّغت، ونصحت، وأدّيت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللّهمّ اشهد ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: يا معشر المسلمين هذا وليّكم من بعدي فليبلّغ

١ـ القمّي ١: ١٧١.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٢٣؛ والعيّاشي ١: ٣٣٢؛ والقمّي ١: ١٧١؛ وشواهد التنزيل ١: ١٨٨؛ والدّرّ المنثور ٣: ١١٧؛ والغدير ١: ٢١٦.
٣ـ المائدة (٥): ٣.
٤ـ بتلة: مقطوعة، من البتل وهو القطع. ومنه قوله: طلّقها بتّة بتلة. مجمع البحرين ٥: ٣١٦ (بتل).

الشّاهد منكم الغائب»[١] الحديث.

وفي رواية «فخرج رسول الله ﷺ من مكّة، يريد المدينة حتّى نزل منزلاً يقال له «غدير خمّ»، وقد علّم النّاس مناسكهم وأوعز إليهم وصيّته إذا نزل عليه هذه الآية: «يا أيّها الرّسول». فقام رسول الله فقال: تهديد و وعيد. فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، هل تعلمون من وليكم؟ قالوا: نعم، الله و رسوله. قال: ألستم تعلمون أنّي اولى بكم منكم بانفسكم؟ قالوا بلى. قال: اللّهمّ اشهد، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الاوّل، ويقول النّاس كذلك، ويقول: اللّهمّ اشهد؛ ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للنّاس بياض إبطيهما، ثمّ قال: الا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، واحبّ من احبّه، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد عليهم وانا من الشّاهدين»[٢]. و روت العامّة عن ابن عباس وجابر بن عبدالله: «إنّ الله أمر نبيّه أن ينصب عليّاً للنّاس، ويخبرهم بولايته، فتخوّف عليه السلام[٣] ان يقولوا: حابى[٤] ابن عمّه، وان يشقّ ذلك على جماعة من اصحابه، فنزلت هذه الآية، فاخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٥]. وقرئ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: على دين يعتدّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالتّصديق لما فيهما من البشارة بمحمّد ﷺ والإذعان لحكمه ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

١ـ الكافي ١: ٢٩٠ـ٢٩١، الحديث: ٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٧٣ـ١٧٤.
٣ـ في «ب»: «فتخوّف عليهم»
٤ـ حابَى الرّجل حِباءً: نَصَره واختصّه و مال إليه. «لسان العرب١٤: ١٦٣ـحبا». و في «ب»: «حامى» ـ بالميم ـ والانسب ما أثبتناه كما في المصدر.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٢ عن جابر بن عبدالله. والظّاهر انّ قوله: «و قُرئَ» زائد هنا لا معنى له، او حذفت الجملة الّتي كانت بعده فإنّها في المصدر هكذا: «و قُرِئَ: فما بَلَّغْتَ رِسالاتِه».

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[1]. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فلاتتأسف عليهم، فإنّ ضرر ذلك يرجع إليهم، لايتخطّاهم؛ وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ﴾ [منهم][2] ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سبق تفسيرها في سورة البقرة[3].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالتّوحيد والنبوّة والولاية ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليذكّروهم، وليبيّنوا لهم أمر دينهم، ويقفوهم على الأوامر والنّواهي ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من التّكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾. حكى الحال الماضية استحضاراً لها، واستفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على انّ ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظة على رؤوس الآي.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: ان لايصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الدّين ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحقّ ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرّة أخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «"وحسبوا الّا تكون فتنة"، حيث كان النّبيّ بين اظهرهم، "فعموا وصمّوا" حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله "ثمّ تاب الله عليهم"، حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام "ثمّ عموا وصمّوا" إلى السّاعة»[4].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

١ـ العيّاشي ١: ٣٣٤، الحديث: ١٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من: «ب» و «ح».
٣ـ في ذيل الآية: ٦٢
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. وضع الظّاهر موضع المضمر، تسجيلاً على انّ الشّرك ظلم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. قيل: القائلون بذلك جمهور النّصارى، يقولون: ثلاثة أقانيم جوهر واحد؛ أب وابن و روح القدس إله واحد، ولايقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة، وإن كان يلزمهم ذلك، لأنّهم يقولون: الابن إله والأب إله و روح القدس إله؛ والابن ليس هو الأب[1]. و ورد: «امّا المسيح فعصوه عظّموه في انفسهم حتّى زعموا انّه إله وانّه ابن الله؛ وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة؛ وطائفة منهم قالوا: هو الله»[2] ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ و هو الله وحده لاشريك له ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من دام على كفره ولم ينقلع عنه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾. فيه تعجيب من إصرارهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فإن احيا الله الموتى على يده فقد احيا العصا على يد موسى وجعلها حيّة تسعى، وهو اعجب؛ وإن خلَقَه من غير اب فقد خلَقَ آدم من غير اب وأُمّ، وهو اغرب. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدّقت بكلمات ربّها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قال: «معناه انّهما كانا يتغوّطان»[3]. وفي رواية: «يعني انّ من أكل الطّعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النّصارى لابن مريم»[4]. ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحقّ وتأمّله. و "ثمّ" لتفاوت مّا بين العجبين؛ يعني انّ بياننا

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٢٨

٢ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ٤٦، ذيل الحديث ١٠.

٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.

للآيات عجيب، وإعراضهم عنها أعجب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يعتقدون.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ غلوّاً باطلاً ولا ترفعوا عيسى من حدّ النّبوّة إلى حدّ الألوهيّة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾. هم أئمّتهم في النّصرانيّة الّذين كانوا في الضّلال قبل مبعث النّبيّ ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ممّن تابعهم على التّثليث ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ لمّا بعث رسول الله ﷺ حين كذّبوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: «أمّا داود فإنّه لعن أهل أيلة [1] لمّا اعتدوا في سبتهم، وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ البسهم اللّعنة مثل الرّداء ومثل المِنْطَقَة [2] على الحَقْوَيْن فمسخهم الله قردة. وأمّا عيسى فإنّه لعن الّذين أُنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك [3]. فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ عذّب من كفر بعدما اكل من المائدة عذاباً لا تعذّبه احداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السّبت. فصاروا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل» [4]. وفي رواية: «الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى» [5]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر أو لا ينتهون عنه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾. القمّي: كانوا ياكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور

---

١ ـ أيْلَة ـ بالفتح ـ مدينة على ساحل بحر القُلْزُم ممّا يلي الشّام. معجم البلدان ١: ٢٩٢.

٢ ـ المِنْطَقَة: ما يشدّ به الوسط، و شقّة تلبسها المرأة و تشدّ و سطها ثمّ ترسل أعلاها على أسفلها إلى الرّكبة والأسفل إلى الأرض. «مجمع البحرين ٥: ٢٣٩ ـ نطق» والحَقْوُ: موضع شدّ الإزار، و هو الخاصرة، ثمّ توسّعوا حتّى سمّوا الإزار الّذي يشدّ على العورة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).

٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٦.

٥ ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ويأتون النّساء أيّام حيضهنّ[١]. و ورد: «لمّا وقع التّقصير في بني إسرائيل، جعل الرّجل منهم يرى أخاه في الذّنب فينهاه فلا ينتهي، فلايمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه، حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن حيث يقول: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٢].

وفي رواية: «أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولايجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم أنِسُوا بهم»[٣]. وفي أُخرى: «سئل عن قوم من الشّيعة، يدخلون في أعمال السّلطان، ويعملون لهم ويَجْبُون لهم[٤]، ويوالونهم. قال: ليس هم من الشّيعة ولكنّهم من أُولئك ثمّ قرأ: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٥].

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يوالونهم ويصادقونهم ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لبئس زادهم إلى الآخرة ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. قال: «يتولّون الملوك الجبّارين، ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم»[٦].

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فإنّ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لشدّة

١ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ ثواب الأعمال: ٣١١، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٣٥، الحديث: ١٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم»
٤ـ في المصدر: «و يحبونهم»، يقال: جَبَيْتُ الخراج جِبايَةً و جَبَوْتُه جِباوَةً: جمعته. مجمع البحرين ١: ٨٠ (جبا).
٥ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

شكيمتهم[١]، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتّباع الهوى، و ركونهم إلى التّقليد، وبعدهم عن التّحقيق، وتمرّنهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم إيّاهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ للين جانبهم، و رقّة قلوبهم، وقلّة حرصهم على الدّنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: رؤساء في الدّين والعلم ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحقّ إذا فهموه و يتواضعون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ﴾: من الّذين شهدوا بأنّه حقّ. قال: «أُولئك كانوا بين عيسى و محمّد، ينتظرون مجيء محمّد»[٢].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّـٰلِحِينَ﴾. استفهام إنكار و استبعاد.

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ عن اعتقاد و إخلاص، كما دلّ عليه قوله: "ممّا عرفوا من الحقّ" والقول إذا اقترن بالمعرفة، كمل الإيمان. ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

القمّي: إنّ النّجاشي مَلِكَ الحبشة بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً من القسّيسين، فقال لهم: أُنظروا إلى كلامه، و إلى مقعده، و مشربه، و مصلاّه. فلمّا وافوا المدينة، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، و قرأ عليهم القرآن: "إذْ قالَ اللّهُ يـا عيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتي عَلَيْكَ وَعَلىٰ والِدَتِكَ" إلى قوله "سِحْرٌ مُبِينٌ"[٣]

١ ـ يقال: فلان شديد الشّكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد، لما فيه من الصّلابة والصّعوبة على العدوّ و غيره. مجمع البحرين ٦: ٩٩ (شكم).

٢ـ العيّاشي ١: ٣٣٦، ذيل الحديث: ١٦٢، عن أبي عبدالله ﵇.

٣ـ المائدة (٥): ١١٠. في كلّ النّسخ و كذا المصدر: «وَإِذْ قالَ اللّه» بزيادة «و» و هو زائد ليس في القرآن.

فلمّا سمعوا ذلك من رسول الله، بكوا و آمنوا و رجعوا إلى النّجاشي، و أخبروا خبر رسول الله، و قرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النّجاشي، وبكى القسّيسون وأسلم النّجاشي، ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة، يريد النّبيّ ﷺ، فلمّا عبرالبحر توفّي. فانزل الله على رسوله "لتجدنّ أشدّ النّاس" إلى قوله "وذلك جزاء المحسنين"[١].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا ﴾: لا تمنعوا انفسكم ﴿طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما طاب منه و لذّ ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عمّا حدّ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾: مباحاً لذيذاً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾. قال: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال و عثمان بن مظعون؛ فأمّا أمير المؤمنين فحلف ان لاينام باللّيل أبدا؛ وامّا بلال فإنّه حلف ان لا يفطر بالنّهار أبداً؛ وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف ان لاينكح أبدا. فدخلت امراة عثمان على عايشة، وكانت امراة جميلة. فقالت عايشة: مالي أراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن أتزيّن؟ فوالله ما قربني زوجي منذ كذا و كذا، فإنّه قد ترهّب، ولبس المُسُوح[٢]، وزهد في الدّنيا. فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عايشة بذلك. فخرج فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على انفسهم الطّيّبات؟ إنّي انام باللّيل، وانكح، وافطر بالنّهار؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي. فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله: "لايؤاخذكم الله" الآية»[٣].

أقول: ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب بأس على صاحبه، نظيره قوله سبحانه:

١ـ القمّي ١: ١٧٩.
٢ـ المُسُوح جمع المِسْح: البَلاس، وهو كساء معروف. مجمع البحرين ٢: ٤١٤ (مسح).
٣ـ القمّي ١: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

" يـا أيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مـا أحَلَّ اللّـهُ لكَ " [١] الآيتين. وقد ورد: «القرآن كلّه تقريع، وباطنه تقريب» [٢].

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾: بما يبدو من غير قصد. قال: «هو قول الرّجل: لاوالله وبلى والله ولا يعقد على شيء» [٣]. ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾: بما وثّقتم الأيمان عليه، بالقصد والنّيّة؛ يعني: إذا حنثتم ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾. قال: «الأوسط: الخلّ والزّيت، والتّمر، والخبز، تشبعهم به مرّة واحدة؛ والكسوة: ثوب واحد» [٤]. وفي رواية: «ثوب يواري به عورته» [٥]. وفي أخرى: «مُدّ من حنطة لكلّ مسكين، والكسوة: ثوبان» [٦].

أقول: ينبغي حمله على ما إذا أشبعه المُدّ وعلى ما إذا لم يواره الواحد.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ قال: «إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله، فهو ممّن لايجد» [٧]. ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ قال: «متتابعات لايفصل بينهنّ» [٨]. ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ أي: حلفتم وحنثتم ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ عن بذلها لكلّ أمر، وعن الحنث بعد الوقوع، وعن ترك التّكفير مع الحنث ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. ورد: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فأتى ذلك، فهو كفّارة يمينه» [٩]. وقال:

١ـ التّحريم (٦٦): ١.

٢ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، باب معنى قول الأنبياء، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٤٥٤، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ المصدر: ٤٥٣، الحديث: ٤و٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

٨ـ الكافي ٤: ١٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

«لايمين لولد مع والده ولا للمرأة مع زوجها»[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. قال: «لمّا نزلت، قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال: كلّ ما تقومر عليه، حتّى الكعاب والجوز. قيل: فما الأنصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتم. قيل: فما الأزلام؟ قال: قداحهم الّتي يستقسمون بها»[٢].

وورد: «إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: "يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا"[٣]. فلمّا نزلت هذه الآية، احسّ القوم بتحريمها، علموا انّ الإثم مّا ينبغي اجتنابه، ولا يحمل الله عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: "ومنافع للنّاس". ثمّ انزل الله آية أُخرى: "إنّما الخمر والميسر" الآية فكانت هذه الآية اشدّ من الأُولى واغلظ في التّحريم، ثمّ ثلّث بآية أُخرى، فكانت اغلظ من الآية الأُولى والثّانية و اشدّ، فقال: "إنّما يريد الشّيطان ان يوقع بينكم العدواة والبغضاء" الآية؛ فامر باجتنابها وفسّر عللها الّتي لها ومن اجلها حرّمها؛ ثمّ بيّن الله تعالى تحريمها، وكشفه في الآية الرّابعة مع ما دلّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدّمة بقوله تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"[٤]. وقال في الأُولى: "فيهما إثم" وقال في الرّابعة: "والإثم"؛ فخبّر انّ الإثم في الخمر و غيرها و انّه حرام. و ذلك انّ الله تعالى إذا اراد ان يفترض فريضة، انزلها

١ـ الخصال ٢: ٦٢١، ذيل الحديث اربعمائة، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٢ـ١٢٣، الحديث: ٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ البقرة (٢): ٢١٩.
٤ـ الأعراف (٧): ٣٣.

شيئاً بعد شيء، حتّى يوطّن النّاس أنفسهم عليها، ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها؛ وكان ذلك على وجه التّدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقلّ لنفارهم منها»[١].

وفي رواية: «ولو حمل عليهم جملة[٢] واحدة، لقطع بهم دون الدّين. قال: ليس أحد أرفق من الله، ومِنْ رفقه أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة»[٣] وورد: «كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[٤]. وقال: «ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر؛ إنّ أحدهم ليدع الصّلاة الفريضة، ويثبُ على أُمّه، وأُخته، وابنته، وهو لايعقل»[٥]. وقال: «إنّه شرّ مِنْ ترك الصّلاة لأنّه يصير في حال لايعرف معها ربّه»[٦]. وقال: «شارب الخمر كعابد الوثن»[٧]. وقال: «من شرب الخمر فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد في الرّابعة فاقتلوه»[٨]. إلى غير ذلك من الأخبار في ذمّها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عمّا نهيا عنه، أو عن مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ قال: «من الحلال»[٩]. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾

١ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا، مرسلاً.
٢ـ في جميع النُّسَخ: «حملة» وما أثبتناه من المصدر.
٣ـ الكافي ٦: ٣٩٥، الحديث: ٣، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ المصدر: ٤٠٩، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٤٠٣، الحديث: ٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ـ المصدر: ٤٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عوالي اللّئالي ٢: ١٤٨؛ والكشّاف ١: ٦٤٢؛ و الجامع الصّغير ٢: ٣٩؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٧٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ الكافي ٧: ٢١٨، الحديث: ٢، ٣ و ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤٠، في تفسير أهل البيت عليهم السّلام.

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. القمّي: لمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتّشديد في أمرهما، قالوا: يا رسول اللّه، قتل أصحابنا، وهم يشربون الخمر، أفيضرّهم ذلك بعد ما ماتوا؟ فانزل الله هذه الآية. فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر. والجناح هو الإثم، و هو على من شربها بعد التّحريم[1].

أقول: فمعنى الآية: انّ الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها، إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتّقوى والعمل الصّالح، فلا جناح عليهم في شربها. و لمّا كان لكلّ من الإيمان والتّقوى درجات و منازل كما ورد[2]، جاز ان يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدّرجات والمنازل. و قد بسطنا الكلام فيه في الصّافي والوافي[3].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ يعني في حال إحرامكم. قال: «حشر لرسول الله ﷺ في عمرة الحديبيّة الوحوش، حتّى نالتها أيديهم و رماحهم»[4]. و قال: «الّذي تناله الايدي، فراخ الطّير، و صغار الوحش والبيض؛ والّذي تناله الرّماح، الكبار من الصّيد»[5]. ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾: ليتميّز الخائف لقوّة إيمانه بالغيب، من غير الخائف لضعف إيمانه به. ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾: محرمون. قال: «إذا احرمتَ فاتّق قتل الدّوابّ كلّها إلاّ الافعي والعقرب والفارة»[6]. قال: «والكلب العقور والسّبع

١- القمّي ١: ١٨١.
٢- الكافي ٢: ٤٢، الحديث: ١و٢؛ ومصباح الشّريعة: ٣٨، الباب: ١٧، في التّقوى، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣- راجع: الصّافي ٢: ٨٤-٨٥؛ و الوافي ٤: ١٢٩.
٤- الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «حَشَرتْ لرسول الله».
٥- مجمع البيان ٣-٤: ٢٤٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦- الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

إذا أراداك فاقتلهما، فإن لم يريداك فلا تردهما، و كذا الحيّة والأسود الغَدِر [1] فاقتله على كلّ حال، وارم الغرابَ رمياً، والحِدَأةَ [2] على ظهر بعيرك» [3]. وفي رواية: «يقتل المحرم الزّنبور، والنّسْر، والأسود الغدر، والذّئب، وما خاف أن يعدو عليه» [4].

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. قال في تفسيرها: «في الظّبي شاة، وفي حمار وحش بقرة، وفي النّعامة جزور، وفي البقرة بقرة» [5].

﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ قال: «ذو عدل» [6]. وقال: «العدل رسول الله ﷺ، والإمام من بعده. ثمّ قال: هذا ممّا أخطأت به الكتّاب» [7]. وفي رواية: «يعني رجلاً واحداً» [8].

أقول: يعني أنّ رسم الألف في "ذوا عدل" من تصرّف نسّاخ القرآن، والصّواب عدم نسخها، و ذلك لأنّه يفيد أنّ الحاكم إثنان، والحال أنّه واحد، وهو الرّسول ﷺ في زمانه، ثمّ كلّ إمام في زمانه على سبيل البدل. و قرئ: ذو عدل أيضاً، [9] كما هو الصّواب. وفي رواية: «العدل رسول الله ﷺ والإمام من بعده، وهو ذو عدل فإذا علمت ما حكم به رسول الله ﷺ والإمام عليه السلام، فحسبك ولا تسأل عنه» [10].

١ـ الأسود: العظيم من الحيّات. «لسان العرب ٣: ٢٢٦ ـ سود». الغَدْر: ضدّ الوفاء بالعهد. لسان العرب ٥: ٨ (غدر).

٢ـ الحِدَأة ـ كعِنَبة ـ طائر خبيث. مجمع البحرين ١: ٩٦ (حدا).

٣ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الكافي ٤: ٣٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٥: ٣٤١، الحديث: ١١٨٠ و ١١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٧ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و ٣٩٧، الحديث: ٥ عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٣٤٤، ذيل الحديث: ١٩٧، عنه عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ٣٤٤، الحديث: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

١٠ـ التّهذيب ٦: ٣١٤، الحديث: ٨٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾. قال: «من وجب عليه فداء صيد أصابه وهو محرم، فإن كان حاجاً، نحر هديه الّذي يجب عليه بمنى؛ و إن كان معتمراً، نحر بمكّة قبالة الكعبة»[١]. ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾. قال: «في النّعامة وحمار الوحش بدنة، ثمّ إطعام ستّين مسكيناً، لكلّ مدٌّ، ثمّ صيام ثمانية عشر يوماً، وفي البقرة بقرة، ثمّ إطعام ثلاثين [مسكيناً][٢]، ثمّ صيام تسعة أيّام. وفي الظّبي شاة، ثمّ إطعام عشرة مساكين، ثمّ صيام ثلاثة أيّام». كذا ورد.[٣] وفي رواية: «يقوّم الصّيد قيمة، ثمّ تفضّ تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً؛ فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً»[٤]. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾: هذا الجزاء ليذوق ثقل فعله، و سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ يعني: الدّفعة الأولى. ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾. قال: «إذا أصاب المحرم الصّيد خطأ، فعليه الكفّارة؛ فإن اصابه ثانية خطأ، فعليه الكفّارة ابداً إذا كان خطأ؛ فإن اصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة؛ فإن اصابه ثانية متعمّداً، فهو ممّن ينتقم الله منه، ولم يكن عليه الكفّارة»[٥].

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾: و لسيّارتكم يتزوّدونه قديداً ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾. قال: «لا بأس ان يصيد المحرم السّمك و يأكل مالحه و طريّه و يتزوّد، ثمّ تلا الآية. قال: و فصل ما بينهما: كلّ طير يكون في الآجام يبيض في البرّ و يفرخ في البرّ فهو من صيد البرّ؛ و ما كان من صيد

١ـ الكافي ٤: ٣٨٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الزيادة من المصدر.
٣ـ الكافي ٤: ٣٨٥، الحديث: ١ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٧، الحديث: ٢٠٨، عن زين العابدين عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٥: ٣٧٣، الحديث: ١٢٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

البرّ يكون في البرّ و يبيض في البحر، فهو من صيد البحر»[١]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ لمعايشهم ومكاسبهم، يستقيم به أُمور دينهم و دنياهم، يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضّعيف، و يربح عنده التّجار باجتماعهم عنده من ساير الاطراف، و يغفر بقصده للمذنب، و يفوز حاجّه بالمثوبات. قال: «من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدّنيا والآخرة، إصابه»[٢]. وفي رواية: «ما دامت الكعبة قائمة و يحجّ النّاس إليها لم يهلكوا، فإذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا»[٣]. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾. سبق تفسيرها[٤]. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: إذا اطّلعتم على ما في الحجّ و مناسكه من الحِكَم، علمتم انّ الله يعلم الأشياء جميعاً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعيد و وعد لمن هتك محارمه و لمن حافظ عليها. ورد: «قال الله تعالىٰ: من اذنب ذنباً، صغيراً أو كبيراً، وهو يعلم انّ لي ان أُعذّبه وان أعفو عنه، عفوت عنه»[٥].

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. تشديد في إيجاب القيام بما أمر به. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ إنساناً كان، اوعملاً، اومالاً، اوغير ذلك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإنّ العبرة بالجودة والرّداءة، لا الكثرة والقلّة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

١ـ الكافي ٤: ٣٩٢، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يريد شيئاً للدّنيا والآخرة».
٣ـ القمّي ١: ١٨٧؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٧.
٤ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة المائدة.
٥ـ التّوحيد: ٤١٠، الباب: ٦٣، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ في تحرّي[1] الخبيث و إن كثر، و آثروا الطّيب و إن قلّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ قال: «عن اشياء لم تبد لكم»[2]. ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾. قال: «لمّا نزل فرض الحجّ، قيل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فاعرض عنه، حتّى عاد مرّتين او ثلاثاً؛ فقال رسول الله ﷺ: ويحك و ما يؤمّنك ان اقول نعم! والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم، فإذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم، و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[3].

وفي رواية: «إنّ عمر آذى و ابكى إحدى قرابة رسول الله ﷺ وقال لها: إنّ قرابتك من رسول الله ﷺ لاتنفعك شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: ما بال اقوام يزعمون انّ قرابتي لاتنفع، لوقد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم[4] لايسالني اليوم احد من ابوه[5] إلاّ اخبرته. فقام إليه رجل فقال: من ابي يا رسول الله؟ فقال: ابوك غير الّذي تدعى له، ابوك فلان بن فلان. فقام آخر فقال: من ابي؟ فقال: ابوك الّذي تدعى له. ثمّ قال رسول الله ﷺ: ما بال الّذي يزعم انّ قرابتي لا تنفع لا يسالني عن ابيه، فقام إليه عمر فقال له: اعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله، اعف عنّي عفى الله عنك. فانزل الله: "يا ايّها الّذين آمنوا

١ـ التّحرّي: القصد والاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. مجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).
٢ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٥٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «في احوجكم».
٥ـ في المصدر: «من ابواه».

لاتسألوا» الآية»[1].

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾: عن مسائلكم الّتي سلفت، فلا تعودوا إلى مثلها، أولا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلّف بها وكفّ عن ذكرها. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ حيث لم يأتمروا و جحدوا.

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: ماشرع الله ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾. قال: «إنّ أهل الجاهليّة إذا ولدت النّاقة خمسة أبطن خامسها أُنثى، بحروا أُذنها أي: شقّوه وحرّموها على النّساء، فإذا ماتت حلّت؛ و إذا ولدت عشراً جعلوها سائبة، لايستحلّون ظهرها ولا أكلها و ربّما تسيّب[2] بنذر، و إذا ولدت ولدين في بطن واحد، أو الشّاة ولدت في السّابع ذكراً و أُنثى في بطن واحد، قالوا: وصلت اخاها، فلم تذبح ولم تؤكل، وحرّموا ولدي الشّاة على النّساء حتّى يموت احدهما، فيحلّ. والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، أو نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حميَ ظهره، فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء، فأنزل الله عزّوجلّ: إنّه لم يحرّم شيئاً من ذلك»[3]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إليه ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنّ ذلك افتراء و كذب. يعني: الأتباع الّذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم، الّذين يمنعهم حبّ الرّياسة من الاعتراف به.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾. بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التّقليد وأن لاسند لهم سواه.

١ـ القمّي ١: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ سيّبتُ الدّابة. تركتُها تسيبُ حيث تشاء. كان الرّجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. مجمع البحرين ٢: ٨٤ (سيب).

٣ـ معاني الأخبار: ١٤٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: أو حسبهم ولو كانوا جهلة ضالّين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها و الزموا صلاحها. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾. قيل: نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة ويتمنّون إيمانهم[١]. والقمّي: أصلحوا أنفسكم ولا تتبعوا عورات النّاس ولا تذكروهم، فإنّه لا يضركم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين[٢]، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر، فإذا رايت دنياً مؤثرةً وشحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً و إعجاب كلّ ذي راي برايه، فعليك بخُوَيْصّة[٣] نفسك و ذر عوامّهم»[٤].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين: على أنّ احداً لا يؤاخذ بذنب غيره.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الإشهاد الّذي شرع بينكم فيما أُمرتم به ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: إذا شارفه و حضرت اماراته ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾. فيه تنبيه على انّ الوصيّة ممّا لا يتهاون فيه. ﴿ٱثْنَانِ﴾: شهادة اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «مسلمان»[٥].

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: «من أهل الكتاب فإن لم تجدوا فمن المجوس، لانّ رسول الله ﷺ سنّ في المجوس سنّة أهل الكتاب في الجزية؛ و ذلك إذا مات الرّجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين»[٦].

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: قاربكم

١ـ البيضاوي ٢: ١٧٢.
٢ـ القمّي ١: ١٨٨ ـ ١٨٩.
٣ـ الخُوَيْصّة: تصغير الخاصّة.
٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٥٤. عن رسول الله ﷺ، و فيه: «و ذر النّاس و عوامهم».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

الأجل ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفونهما ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ لتغليظ اليمين بشرف الوقت، ولأنّه وقت اجتماع النّاس ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: الآخران ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ قال: «إن ارتاب وليّ الميّت في شهادتهما»[1]. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾: عوضاً من الدّنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المُقْسَمُ له ﴿ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ الّتي أمر بإقامتها ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ أي: إن كتمنا.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: فإن اطّلع وحصل العلم ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾ أي: الآخرَيْن ﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ قال: «شهدا بالباطل»[2]. وفي رواية: «حلفا على كذب»[3]. ﴿فَآخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾. قال: «فليس له أن ينقض شهادتهما حتّى يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشّاهدين الأوّلين»[4]. ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: الّذين جُنِيَ عليهم؛ أراد بهم الورثة. قال: «يعني من أولياء المدّعي»[5]. ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: الأحقّان بالشّهادة لقرابتهما ومعرفتهما ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قال: «يحلفان بالله أنّهما أحقّ بهذه الدّعوى منهما، و أنّهما قد كذبا فيما حلفا بالله»[6].

﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق. سمّيت شهادة، لوقوعها موقعها، كما في اللّعان. ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: وما تجاوزنا فيها الحقّ ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «فإذا فعل ذلك، نقض شهادة الأوّلَيْن و جازت شهادة الآخرَيْن»[7].

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أقرب ﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: على نحو ما تحمّلوها من غير تحريف ولا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾ أي: تردّ اليمين على المدّعين ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة؛ جمع اليمين ليعمّ الشّهود

١، ٢و٤ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣، ٥و٦ـ الكافي ٧: ٥، ذيل الحديث: ٧، مرفوعة عليّ بن إبراهيم.

٧ـ المصدر: ٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

كلّهم.

ورد: «إنّ تميم الدّاري كان في سفر، وكان معه نصرانيّان، فاعتلّ علّة شديدة، فلمّا حضره الموت دفع ما كان معه إليهما ليوصلاه إلى ورثته، فأخذا منه آنية وقلادة وأوصلا سائره إلى الورثة، فقالوا: افتقدنا أفضل شيء كان معه، آنية منقوشة مكلّلة بالجوهر وقلادة. فقالا: ما دفع إلينا فقد أدّينا إليكم. فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب عليهما اليمين فحلفا، فخلّى عنهما؛ ثمّ ظهرت الآنية والقلادة عليهما، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فانتظر الحكم من الله، فنزلت، فأمر رسول الله ﷺ أولياء تميم الدّاري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فحلفوا فأخذ رسول الله ﷺ القلادة والآنية من النّصرانيّين وردّهما على أولياء تميم»[1]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ سمع إجابة وقبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾. قيل: السّؤال توبيخ، و لذلك وكلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم، و لجاوا إليه في الانتقام منهم[2]. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. قال: «يقولون: لاعلم لنا بسواك، وقال: القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب»[3]. وفي رواية: «إنّ لهذا تأويلاً، يقول: "ماذا أجبتم" في أوصيائكم الّذين خلّفتموهم على أممكم؟ فيقولون: "لا علم لنا" بما فعلوا من بعدنا»[4].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: في جميع أحوالك على سواء ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

١ـ الكافي ٧: ٥ـ٦، الحديث: ٧، مرفوعة.
٢ـ راجع: الكشّاف ١: ٦٥٢.
٣ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٣٣٨، الحديث: ٥٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ . قد سبق تفسيره في آل عمران[١] . ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ قال: «ألهموا»[٢] و قد مرّ وجه تسميتهم بذلك[٣] . ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ . قيل: أي بحسب الحكمة والإرادة، لا بحسب القدرة[٤] . و وردت مقطوعاً[٥] قراءتها: «"هل تستطيع ربَّك" بالخطاب، يعني: هل تستطيع أن تدعو ربّك»[٦] . ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ . المائدة: الخِوانُ إذا كان عليه الطّعام. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من هذا السّؤال ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ . تمهيد عذر و بيان لما دعاهم إلى السّؤال ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادّعاء النّبوّة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الّذين لم يحضروها.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ . ورد: «إنّ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ

١ـ ذيل الآية: ٤٩.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٥٢.
٤ـ البيضاوي ٢: ١٧٥.
٥ـ الحديث المقطوع هو ما جاء عن التّابعين و من في حكمهم كالتّابع المصاحب للإمام. الدّراية. ٤٦
٦ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢٢، عن يحيى الحلبي.

سلوا الله ما شئتم يعطكموه[1]، فصاموا ثلاثين، فلمّا فرغوا قالوا: إنّا لو عملنا لأحد من النّاس فقضينا عمله لأطْعَمَنا طعاماً، و إنّا صمنا وجُعنا فادع الله ان ينزّل علينا مائدة من السّماء. فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها؛ عليها سبعة أرْغِفَة[2] وسبعة أحواتٍ[3]، حتّى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس كما أكل اولهم»[4].

و في رواية: «نزلت المائدة خبزاً و لحماً، و ذلك انّهم سألوا عيسى طعاماً لاينفد ياكلون [منه][5]. فقيل لهم: فإنّا مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفّعوا، فإن فعلتم ذلك عذّبتكم[6]. فقال: فما مضى يومهم حتّي خبأوا[7] و رفّعوا و خانوا»[8]. وفي رواية: «كانت المائدة تنزل عليهم، فيجتمعون عليها وياكلون منها ثمّ ترفع[9]. فقال كبراؤهم ومترفوهم: لاندع سَفِلَتَنا ياكلون منها، فرفع الله المائدة ببغيهم، ومسخوا قردة وخنازير»[10].

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾. قال: «إنّه لم يقله وسيقوله. إنّ الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان»[11]. ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن

١ـ في المصدر: «ثمّ اسألوا الله ما شئتم يُعطيكم».
٢ـ الأرغِفَة جمع الرَّغيف: الخُبْزَة. مجمع البحرين ٥: ٦٤ (رغف).
٣ـ في نسخة «الف» و «ب». «و سبعة حوان»وفي «ج»: «وسبعة اخوان». ولعلّ الاصحّ ما اثبتناه كما في المصدر. والحوان: مايؤكل عليه، معرّب. المصباح المنير ١: ٢٢٤ (خون).
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ الزّيادة من: «ب» و«ج». و في المصدر: «ياكلون منها».
٦ـ في المصدر: «عذّبتم».
٧ـ الخَبْء: التّقيّة والاستتار. يقال: خَبَأْتُ الشّيء خَبْأً سترته: مجمع البحرين ١: ١١٩ (خبا).
٨ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٩ـ في المصدر: «ترتفع».
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٧.
١١ـ العيّاشي ١: ٣٥١، الحديث: ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! توبيخ للكفرة وتبكيت لهم. والقمّي: إنّ النّصارى زعموا أنّ عيسى قال لهم: إنّي و أُمّي إلـهين من دون الله فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النّصارى وبين عيسى فيقول له: "ءانت قلت للنّاس" الآية" [١]. ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: انزّهك تنزيهاً من ان يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾: ما لا يحقّ لي ان اقوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾: تعلم ما أُخفيه ولا اعلم ما تخفيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيباً مطّلعاً، امنعهم من ان يقولوا ذلك و يعتقدوه ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرّفع إليك ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ﴾: المراقب لاحوالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع مراقب له.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ﴾ تملكهم و تطّلع على جرائمهم ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: القادر القويّ على الثّواب والعقاب، الّذي لايثيب ولا يعاقب إلاّ عن حكمة و صواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾. فيه دلالة على انّ عيسى عليه السلام لم يقل ذلك. قال: «إنّه يدعى يوم القيامة الملائكة والنّبيين [٢] والائمّة عليهم السّلام، فيسأل واحد واحد عمّا انتهى إليه من ربّه، و ما بلّغ إلى من أمر بتبليغه إليه، فيحتجّون بحجّتهم، فيقبل الله عذرهم و يجيز حجّتهم، ثمّ يقول الله عزّوجلّ: "هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم"». كذا ورد. [٣] ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ

١ـ القمّي ١: ١٩٠ ـ ١٩١.
٢ـ كذا في النُّسَخ و الصّواب: «النّبيّون» بالرّفع.
٣ـ القمّي ١: ١٩١ ـ ١٩٣، عن ابي جعفر عليه السلام. والحديث مفصّل لخّصه قدّس سرّه.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . قال : «كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، و إنّما [١] يؤخذ من أمر رسول اللّه ﷺ بآخره، وكان من آخر ما نزل إليه سورة المائدة، نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء» [٢] .

١ـ في المصدر : «و إنّما كان يؤخذ» .

٢ـ العيّاشي ١ : ٢٨٨ ، الحديث : ٢ ، عن أمير المؤمنين ﷺ .

سورة الأنعام

[مكيّة، و هي مائة و خمس و ستّون آية] [1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ . وصف نفسه بما نبّه به على انّه المستحقّ للحمد، حُمِدَ اولم يُحْمَد ليكون حجّة على العادلين [به] [2] . ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ : انشاهما. والفرق بين الخلق والجعل، انّ الخلق فيه معنى التّقدير؛ والجعلَ فيه معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء. ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني: انّه خلَقَ ما لا يقدر عليه احد سواه، ثمّ هُم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى "ثُمَّ" : استبعاد عدولهم بعد هذا الوضوح.

«والآية ردّ على ثلاثة أصناف: فـ" خلق السّماوات والأرض" ردّ على الدّهريّة، الّذين قالوا: إنّ الاشياء لابَدْوَلها وهي قائمة؛ و "جعل الظّلمات والنّور" ردّ على الثّنويّة، الّذين قالوا: إنّ النّور والظّلمة هما المدبّران؛ و "ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون" ردّ على مشركي العرب، الّذين قالوا: «إنّ أوثاننا آلهة». كذا ورد [3].

1 و 2ـ ما بين المعقوفات من نسخة «ب».

3ـ الاحتجاج 1: 25، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي: ابتدأ خلقكم منه ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾: كتب وقدّر أجلاً لموتكم محتوماً ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لموتكم أيضاً، يؤخّر بالدّعاء والصّدقة وصلة الرّحم وغيرها، و يقدّم بأضدادها، وفيه سرّ البداء. قال: «الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله و حتَمَهُ، والمسمّى هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء و يؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تاخير»[١]. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾: تشكّون. استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنّه خالقهم و خالق أصولهم، و محييهم إلى آجالهم، و مُوقفهم في الاجل، بين الخوف والرّجاء[٢] بعد قضائه المحتوم و قَدَرِه النّافذ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «كذلك هو في كلّ مكان»[٣].

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾: بما جاء به محمّد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: عند نزول العذاب بهم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾: من اهل زمان ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: اعطيناهم من البسطة في الاجسام، والسّعة في الاموال ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾: ما لم نعطكم. و في الكلام التفات. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾: المطر ﴿ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ فعاشوا في الخِصْب ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم، فنقدر ان نفعل ذلك بكم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾. و لم يقتصر[٤] بهم على

١ـ القمّي ١: ١٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ: «و بين الخوف والرّجاء» بزيادة «و» والظّاهر أنّها زائدة؛ إلاّ أن يكون عطفاً على قوله: موقفهم أي: بعد ما ثبت أنّه موقفهم في الاجل و موقفهم بين الخوف والرّجاء.
٣ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ب» و«ج»: «و لَمْ نَقْتَصِر بهم».

الرّؤية، لئلاّ يقولوا: سُكِّرَتْ أبصارُنا. ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ لعظمِ عنادهم و قسوة قلوبهم.

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ ﴾ قال: «يعني: يصدّقه[1] و نشاهده، بل يكون نبيّاً دونه»[2]. ﴿ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾: لحقّ إهلاكهم، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لا يُمهَلون بعد نزوله، طرفةَ عين.

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ لمثّلناه رجلاً، كما مثّل جبرئيل في صورة دحيةٍ[3]؛ فإنّ القوّة البشريّة لاتقوىٰ علىٰ رؤية المَلَك في صورته. ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾: و لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: ما هذا إلّا بشر مثلنا، وكذّبوه كما كذّبوك.

ورد: «إنّه قيل لرسول الله ﷺ: لو كنت نبيّاً لكان معك مَلَكٌ يصدّقك و نشاهده؛ بل لو أراد الله ان يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا مَلَكاً لا بشراً مثلنا، فنزلت هذه الآية؛ فقال ﷺ للقائل: المَلَكُ لم يشاهده حواسُّكم، لأنّه من جنس هذا الهواء لاعيانَ منه، ولو شاهدتموه، بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا مَلَكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه، لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق المَلَك، و انّ ما يقوله حقّ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به انّه معجزة، و انّ ذلك شهادة من الله بالصّدق له، ولو ظهر لكم مَلَكٌ وظهر على يده ما يعجز عنه البشر، لم يكن في ذلك ما يدلّكم انّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتّى يصير ذلك

١ـ اي: يُصَدِّقُ المَلَكُ النّبيَّ و نُشاهدُ المَلَكَ. و في «ب»: «نُصَدِّقُه».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام، مع تفاوت.
٣ـ اي: دِحيَةُ الكَلْبي.

معجزاً، الا ترون انّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز، لانّ لها اجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فالله تعالى سهّل عليكم الأمر وجعله مثلكم بحيث يقوم عليكم حجّته[1]، وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لا حجّة فيه»[2].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾. تسلية للرّسول ﷺ على ما يرى من قومه. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فاحاط بهم الّذي يستهزؤون به من العذاب.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ قال: «انظروا في القرآن و اخبار الانبياء»[3].

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. سؤال تبكيت[4]. ﴿قُل لِّلَّهِ﴾. تقرير لهم، اي: هو للّه لا خلاف بيني و بينكم في ذلك، ولا تقدرون ان تضيفوا شيئاً منه إلى غيره. ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾: اوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته والعلم بتوحيده، بنصب الحجج و إنزال الكتب والإمهال على الكفر والذّنوب، لتدارك ما فُرّط. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قرناً بعد قرن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لانّ إبطال الفطرة اداهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: ولله ما تمكّن و حلّ فيهما، ولا يخفى عليه شيء. ذكر في الاوّل السّماوات والأرض، المشتملتين على الامكنة

١ـ في المصدر: «و جعله بحيث تقوم عليكم حجته».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧ و ٣٠، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ١٩٤، والكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت
٤ـ التّبكيت: التّقريع والتّوبيخ. يقال: يا فاسق اما استحييت اما خفت اللّه. و يقال: بكّته بالحجّة إذا غلبه. مجمع البحرين ٢: ١٩٢ (بكت).

جميعاً، و ثانياً الليل والنهار، المشتملين على الأزمنة جميعاً، ليعمّ الموجودات التي تندرج تحت الظّرفين.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: مبدعهما بقدرته من غير احتذاء مثال[1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: يرزُق ولا يُرزَق. يعني: انّ المنافع كلّها من عنده، ولايجوز عليه الانتفاع. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ اي: و قيل لي: ولا تكوننّ، او عطف على "قُلْ".

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. قطع لاطماعهم بالكلّيّة، وتعريض لهم بانّهم عُصاة مستوجبون للعذاب. قال: «ما ترك رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتّى نزلت سورة الفتح، فلم يَعُدْ إلى ذلك الكلام»[2].

﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني: العذاب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ وتفضّل عليه. ورد: «والّذي نفسي بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا انت يا رسول الله؟! قال: ولا انا، إلّا ان يتغمّدني الله برحمة منه و فضل»[3]. ﴿ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: ببليّة، كمرض و فقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾: فلا قادر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة، كصحّة و غنىً ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقدر على إدامته و إزالته.

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: اعظم شهادة و اصدق ﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: قل: الله الّذي غير خاف انّه أكبر شيءٍ شهادة، هوالّذي يشهد لي بالنّبوّة.

١ـ احتذى مثاله: اقتدى به. الصّحاح ٦: ٢٣١١ (حذا).

٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٠، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٨٠، عن النّبي ﷺ.

«وإنّما جاز إطلاق الشّيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التّعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء». كذا ورد[1]. ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾. قيل: يعني: و أنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة[2]. و ورد: «و من بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد ﷺ فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ»[3]. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾. تقرير مع إنكار و استبعاد. ﴿ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ بما تشهدون ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ به.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحليته[4] ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ بحلاهم؛ و قد سبق تفسيره[5]. ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عندالله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ كان كذّبوا القرآن والمعجزات و سمّوها سحراً. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ قال: «هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله، و شكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، و نقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير؛ فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: "أُنظر كيف كذبوا على أنفسهم"»[6].

١ـ الكافي ١: ٨٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله ﷺ؛ و ٨٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ راجع: الكشّاف ٢: ١٠.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ الحِلْيَة ـ بالكسر ـ الخلقه والصّورة والصّفة. «و حلية الإنسان: ما يُرىٰ من لونه و ظاهره و هيئته» القاموس المحيط ٤: ٣٢١ (الحلي).
٥ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١٤٦.
٦ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين ﷺ.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ قال: «يعني معذرتهم»[1]. ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: «يعنون بولاية عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: إنّ الآية في قدريّة هذه الأمّة ومجوسهم الّذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم ولهم[3].

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الشّركاء.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: اغطية ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنع عن استماعه. كناية عن نبوّ قلوبهم واسماعهم عن قبوله. ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التّقليد فيهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾: يخاصمونك ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. الأساطير: الأباطيل، وأصل السّطر بمعنى الخطّ.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾. القمّي: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويمنعون قريشاً عنه[4]. ﴿ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾: ويباعدونه ولا يؤمنون به ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: إنّ ضررهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾. جوابه محذوف، يعني: لرأيت امراً فظيعاً. القمّي: نزلت في بني أميّة[5]. ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾. تمنّوا ان يرجعوا إلى الدّنيا. ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ قال: «إنّهم ملعونون في الأصل»[6].

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ ﴾ أي: الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي ١: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ١: ١٩٦.
٦ ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه، أو الوقوف بمعنى الاطّلاع. ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ﴾. تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث. ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾: و ما أعمالها إلّا لعب و لهو، يلهي النّاس ويشغلهم عمّا يعقّب منفعةً دائمةً و لذّةً حقيقيّةً، وهي جواب قولهم: "إن هي إلّا حياتنا الدّنيا". ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لخلوصها و دوام لذّاتها ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. ضمن الجحود معنى التّكذيب فعدّاه بالباء. قال: «بلى والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب، ولكنّها مخفّفة؛ " لا يكذبونك ": لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك»[1]. وفي رواية: «لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك»[2]. و في أُخرى: «لا يستطيعون إبطال قولك»[3]. يعني: أنّه من أكذبه: إذا وجده كاذباً؛ و على التّشديد يكون المعنى: لايكذّبونك اعتقاداً بقلوبهم. و روي: «انّ رسول الله ﷺ لقي أباجهل فصافحه[4]، فقيل له في ذلك، فقال: والله إنّي لاعلم انّه صادق، ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف؛ فنزلت»[5].

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

١ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ في المصدر: فصافَحَهُ أبو جهل.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٩٤.

﴿مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ قيل: أي لمواعيده من قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ"[١]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من قصصهم وما كابَدُوا[٢] من قومهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم و شقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك و عن الإيمان بما جئت به.

قال: «كان رسول الله ﷺ يحبّ إسلام الحارث بن نوفل بن عبد مناف، دعاه وجهد به ان يُسلم، فغلب عليه الشّقاء، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فانزل الله هذه الآية»[٣].

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مَنْفَذاً تنفذ فيه إلى جوف الارض ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مصعداً تصعد به إلى السّماء ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾: فتطلع لهم آية من الارض او تنزل آية من السّماء يؤمنون بها، و جوابه محذوف، اي: فافعل. والجملة جواب الشّرط الأوّل، والغرض بيان حرصه البالغ على إيمان قومه، و إنّه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنّه لايقدر، نظيره "فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَك"[٤]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾ بان تاتيهم آية يخضعوا لها. ورد: «إنّ الله قد قضى الفُرْقة والاختلاف على هذه الأُمّة، فلو شاءالله لجمعهم على الهدىٰ حتّى لايختلف إثنان من هذه الأُمّة، ولا ينازع[٥] في شيء من امره؛ ولا يجحد المفضولُ لذي الفضل فضْلَه»[٦]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمَعْنيُّ النّاس[٧].

١ـ الكشّاف ٢: ١٥ والآية في سورة الصّافّات (٣٧): ١٧١ و ١٧٢.
٢ـ الكَبَدُ ـ بالتّحريك ـ: الشّدّة والمشقّة، من المكابدة للشّيء، و هي تحمّل المشاقّ في شيء. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).
٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه: «... الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله ﷺ ان يسلم، فغلب عليه الشّقاء ...».
٤ـ الكهف (١٨): ٦.
٥ـ في «الف» و «ج»: «ولا تنازع».
٦ـ كمال الدّين ١: ٢٦٤، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١٠، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ القمّي ١: ١٩٨ و فيه: «والمعنى للنّاس».

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾: يتفهّمون و يتدبّرون ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيحكم فيهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فحينئذٍ يسمعون[١]؛ يعني: أنّ الّذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى؛ لايسمعون حتّى يرجعوا إلى الله بعد البعث.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؟ يعني: ممّا اقترحوه. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ يخضعوا لها ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنّه قادر و أنّ حكمته لاتقتضي ذلك. والقمّي: لايعلمون أنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا[٢]. ورد: «سيريكم في آخر الزمان آيات؛ منها دابّة الأرض والدّجّال و نزول عيسى و طلوع الشّمس من مغربها»[٣].

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾: خلق مثلكم محفوظة احوالها، مقدّرة ارزاقها، مكتوبة آجالها. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾: «القرآن». كذا ورد[٤]. ﴿ مِن شَىْءٍ ﴾: شيئاً من التّفريط، لانّ «فرط» لايتعدّى بنفسه وقدعدّي بـ«في». ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾. ورد: «ايُّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين، جعل من نَعَم الجنّة»[٥]. و ورد: «سبع سنين»[٦]. وفي معناه - ممّا يدلّ على حشر الحيوانات - أخبار كثيرة[٧].

١ - في نسخة «الف» و «ب»: «يستمعون».
٢ - القمّي ١: ١٩٨، وفيه: «ليهلكوا».
٣ - المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦١، الخطبة: ١٨؛ وعيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٦، الباب: ٢٠، الحديث: ١.
٥ - من لايحضره الفقيه ٢: ١٩١ الحديث: ٨٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث حجج يجعل من نعم الجنّة».
٦ - المصدر، الحديث: ٨٧٣.
٧ - الخصال ١: ٢٠٤، الحديث: ١٩ و ٢٠؛ وثواب الاعمال: ٧٥، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٢٤٨، ذيل الآية: ١٧٦ من سورة الأعراف.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ ﴾ قال: «عن الهدى»[١]. ﴿وَبُكْمٌ﴾ قال: «لا يتكلّمون بخير»[٢]. ﴿ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ قال: «ظلمات الكفر»[٣]. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾: يخذله فيضلّ، لأنّه ليس من أهل الهدى. قال: «نزلت في الّذين كذّبوا الأوصياء»[٤]. ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾: ارايت انفسكم، بمعنى: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدّنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يعني: القيامة مَنْ تدعون؟ ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ تبكيت لهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ بانّ الاصنام آلهة.

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾: بل تخصّون الله بالدّعاء دون الآلهة. ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: ما تدعون إلى كشفه ﴿ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾: و تتركون آلهتكم لما ركز في العقول انّه القادر على كشف الضرّ دون غيره، أولا تذكرونها من شدّة الامر و هَوْله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ يعني: الرّسل، فكذّبوهم. ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾: بالشّدّة والفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾: والمرض و نقصان الانفس والاموال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: لكي يتضرّعوا و يتذلّلوا و يتوبوا عن ذنوبهم.

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يعني: لم يتضرّعوا و لم يكن لهم عذر في ذلك إلاّ قساوة قلوبهم و إعجابهم باعمالهم.

قال: «لو انّ النّاس حين تنزل بهم النِّقَم و تزول عنهم النِّعَمْ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم و وَلَهٍ من قلوبهم، لَرَدَّ عليهم كلَّ شاردٍ و أصلح لهم كُلَّ فاسد»[٥].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساء والضّرّاء: تركوا الاتّعاظ به ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

١، ٢و٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ المصدر: ١٩٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٥٧، الخطبة: ١٧٨.

أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الصّحّة والتّوسعة في الرّزق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ من الخير والنِّعَم، واشتغلوا بالنِّعَم [١] عن المنعم. ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾: مفاجاة من حيث لايشعرون ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾: آيسون من النّجاة والرّحمة، متحسّرون.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ ﴾ اي: آخرهُم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ على إهلاك أعدائه و إعلاء كلمته، فإنّ تخليص اهل الأرض من سوء عقائد الكفّار وقبيح اعمال الفجّار نعمة جليلة يحقّ ان يحمد عليها. قال: «إذا رايت الله تعالى يعطي على المعاصي فإنّ ذلك استدراج منه، ثمّ تلا هذه الآية» [٢]. وفي رواية: «فلمّا نسوا ما ذكّروا به من ولاية عليّ عليه السلام وقد أُمروا بها "فتحنا عليهم ابواب كلّ شيء": دولتهم في الدّنيا و ما بسط لهم فيها؛ "اخذناهم بغتة" يعني بذلك: قيام القائم، حتّى كانّهم لم يكن لهم سلطان قطّ» [٣]. وقال: «نزلت في ولد العبّاس» [٤].

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ ﴾ بان يُصِمَّكم و يُعْمِيكم ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ بان يُغَطِّيَ عليها ما يُذهبُ عقلكم و يَسْلُبُ تمييزكم. قال: «إن أخذ الله منكم الهدى» [٥]. ﴿ مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ قال: «يُعرِضُون» [٦].

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً ﴾: من غير مقدّمة و ظهور امارة ﴿ أَوۡ جَهۡرَةً ﴾ تتقدّمه [٧] امارة. قابَلَ البغتةَ بالجَهْرَة لما في البغتة من معنى الخُفْيَة. ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ ﴾

١ـ في «الف» و «ج»: «بالنّعمة».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ القمّي ١: ٢٠٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعترضون».
٧ـ في «الف»: «يتقدّمه».

هلاك تعذيب و سخط ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾. القمّي: نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، و أصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه. يعني: لايصيبكم إلّا الجهد والضرّ في الدّنيا، فامّا العذاب الأليم الّذي فيه الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظّالمين[1]. و في رواية: «يؤاخذ بني أميّة بغتة و بني العبّاس جهرة»[2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾. ورد في القدسيّ: «إنّما خزائني[3] إذا اردت شيئاً أن اقول له: كن، فيكون»[4]. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الّذي اختصّ الله بعلمه، وإنّما اعلم منه ما يعلّمني الله ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة، اقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ فيما أنبّئكم به ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. تبرأ من دعوى الألوهيّة والملكيّة، و ادّعى النّبوّة الّتي هي من كمالات البشر، ردّاً لاستبعادهم دعواه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ قال: «من لايعلم و من يعلم»[5] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: «و انذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى ربّهم، ترغّبهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافع مشفّع»[6].

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: يعبدونه على الدّوام ﴿يُرِيدُونَ

١ـ القمّي ١: ٢٠١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ح»: «خزانتي».
٤ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٠٤، عن أهل البيت عليهم السّلام؛ والقمّي ١: ٢٠١.
٦ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَجْهَهُۥ﴾ : يبتغون مرضاته مخلصين له. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ . جواب النّفي. ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . جواب النّهي. القمّي: كان سبب نزولها: أنّه كان بالمدينة قومٌ فُقَراء مؤمنون يُسَمَّون أصحاب الصُّفَّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صُفَّةٍ يأوُون إليها، وكان يتعاهدهم بنفسه، و ربّما يحمل إليهم ما يأكلون. وكانوا يختلفون إليه فيقرّبهم و يقعد معهم ويونسهم، و كان إذا جاء الأغنياء والمُتْرَفون من أصحابه، ينكرون عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فنزلت[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ : مثلُ ذلك الفتن، و هو اختلاف أحوال النّاس في أُمور الدّنيا. ﴿فَتَنَّا﴾ : ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في أمر الدّين، فقدّمنا هؤلاء الفقراء على أشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ ؟! أي: هؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتّوفيق لما يسعدهم دوننا و نحن الأكابر والرّؤساء وهم المساكين والضّعفاء. و هو إنكار لأن يخُصّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحقّ والسّبق إلى الخير، كقولهم: "لو كان خيراً ما سبقونا إليه"[٢]. واللاّم للعاقبة. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ .

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ . قال: «إنّها نزلت في التّائبين»[٣]. قيل: جاءه قوم فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يردّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فنزلت»[٤] و يؤيّده تمام الآية. و روي: «أنّها نزلت في الّذين نهى الله عن طردهم، و كان النّبيّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسّلام و قال: الحمد لله

١ـ القمّي ١: ٢٠٢.
٢ـ الأحقاف (٤٦): ١١.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، عن أنس بن مالك.

الّذي جعل في أُمّتي من امرني ان ابدأهم بالسّلام»[1]. ﴿أَنَّهُ﴾ بدل من الرّحمة، وعلى الكسر استيناف، يفسّرها ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ بالتّدارك ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المصرّين منهم والاوّابين.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صرفتُ و زجرتُ عنه بما نصب لي من الادلّة و انزل عليّ من الآيات في امر التّوحيد. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾. تاكيد لقطع اطماعهم، و إشارة إلى الموجب للنّهي و علّة الامتناع من متابعتهم بانّ ما هم عليه هوىً و ليس بهدىً، و تنبيه لمن تحرّى الحقّ على ان يتّبع الحجّة ولا يقلّد. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: على حجّة واضحة من معرفته و إنّه لا معبود سواه ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ حيث اشركتم به غيرَهُ ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني العذاب الّذي استعجلوه بقولهم: ائتنا بالّذي تعدنا[2]. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في التّعجيل والتّاخير ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ في كلّ ما يقضي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: لاهلكتكم عاجلاً، غضباً لربّي، و انقطع ما بيني و بينكم. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. في معنى استدراك كانّه قال: ولكنّ الامر إلى الله، و هو اعلم بمن ينبغي أن يؤخذ أو يمهل.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنه، إن كان جمعَ المَفتَح ـ بفتح الميم ـ بمعنى المخزن، أو مفاتيحه إن كان جمعَ المِفتَح ـ بكسر الميم ـ بمعنى المفتاح، اي: ما يتوصّل به إلى

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٧، عن عكرمة.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٩١.

٣ـ و قُرِئَ. «يَقُصُّ الحَقَّ» اي: يَتْبعُهُ فيما يَحكُمُ به و يُقَدِّرُهُ من قولهمْ: قصَّ أثرَه. راجع: الصّافي ٢: ١٢٥. جوامع الجامع ١: ٣٨٣.

المَغيبات. ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فيُظْهِرُها على ما اقتضته حكمته ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال: «من ورقة من شجرة»[١]. و في رواية: «الورقة: السّقط، والحبّة: الولد، و ظلمات الارض: الارحام، والرّطب: ما يحيى من النّاس، واليابس: ما يغيض[٢]، و كلّ ذلك في إمام مبين»[٣]. و في أُخرى: «الورقة: السّقط يسقط من بطن أُمّه من قبل ان يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن أُمّه إذا أهلّ و سقط من قبل الولادة، والرّطب: المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل ان يتمّ خلقها و قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التّامّ، والكتاب المبين: الإمام المبين»[٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: يَقْبِضُ ارواحكم عن التّصرف بالنّوم كما يَقْبِضُها بالموت ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: ما كسبتم من الاعمال ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ينبّهكم من نومكم في النّهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لتستوفوا آجالكم. قال: «هو الموت»[٥] يعني بلوغه. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: المقتدر المستعلي عليهم ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يحفظونكم ويحفظون اعمالكم، يذبّون عنكم مردةَ الشّياطين وهوامّ[٦] الارض وساير الآفات، ويكتبون ما تفعلون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٢٦، ذيل الحديث: ١٤٨٦، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ في الكافي: «مايقبض». والصّحيح ما اثبتناه كما في جميع النّسخ والصّافي والعيّاشي. والغيض: السّقط الّذي لم يتمّ خلقه. القاموس المحيط ٢: ٣٥٢ (غيض).
٣ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩؛ والعيّاشي ١: ٣٦١، الحديث: ٢٨؛ ومعاني الاخبار ٢١٥، باب معنى الورقة و ...، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦١ـ ٣٦٢، الحديث: ٢٩، عن ابي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الهوامّ جمع الهامّة كدوابّ و دابّة: المخوف من الاحناش كالحيّة و نحوها. مجمع البحرين ٦: ١٨٩ (همم).

ملك الموت وأعوانه، وقد سبق بيانه في سورة النّساء [١]. ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾: لايقصّرون بالتّواني والتّأخير.

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾: إلى حكمه و جزائه ﴿ مَوْلَاهُمُ ﴾ الّذي يتولّى أمرهم ﴿ الْحَقِّ ﴾: العدل الّذي لايحكم إلّا بالحقّ ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾: يومئذ لاحكم لغيره ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ قال: «يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر» [٢]. الحديث. وقد مرّ في سورة البقرة [٣].

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾: من شدائدهما، استعيرت الظّلمة للشدّة لمشاركتهما في الهول و إبطال الإبصار، فقيل لليوم الشّديد: يوم مُظْلمٌ. ﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا ﴾ بالسنتكم ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ في انفسكم ﴿ لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة.

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال: «هو الدّخان والصّيحة» [٤]. ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «هو الخسف» [٥]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾: يَخْلِطكم فِرَقاً مختلفي الأهواء. قال: «هو الاختلاف في الدّين، وطعن بعضكم على بعض» [٦]. ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: «هو ان يقتل بعضكم بعضاً ـ قال: ـ وكلّ هذا في أهل القبلة» [٧]. ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾. وفي رواية: «"من فوقكم": من السّلاطين الظَّلَمَة؛ و "من تحت ارجلكم": العبيد

١ـ لم يسبق منه في سورة النّساء بيان لذلك إلّا قوله: «يحتمل الماضي والمضارع» عند قوله تعالى: (توفّيهم الملائكة) (الآية: ٩٧). لعلّه ـ قدّس سرّه ـ اراد ما بيّنه في ذيل تلك الآية من سورة النّساء في الصّافي ١: ٤٥١ـ٤٥٣.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٨؛ وبحار الأنوار ٧: ٢٥٤.

٣ـ ذيل الآية: ٢٠٢.

٤، ٥، ٦ و ٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

السّوء ومن لا خير فيه؛ "أو يلبسكم شيعاً" : يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة؛ "و يذيق بعضكم بأس بعضٍ" : هو سوء الجِوار»[١] . و ورد: «سألت ربّي ان لايُظهِر على أُمّتي أهل دين غيرهم فاعطاني، و سألته ان لايهلكهم جوعاً فاعطاني، وسألته ان لايجمعهم على ضلال فاعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني»[٢] .

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ قيل: بالقرآن[٣]، و قيل: بالعذاب[٤]. ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾: الصّدق، أو الواقع لابدّ أن ينزل ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾: بحفيظ.

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ ﴾: وقت استقرار و وقوع ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ عند وقوعه.

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالتّكذيب والاستهزاء بها والطّعن فيها ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾: فلا تجالسهم وقم من عندهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾.

قال: «هو الكلام في الله والجدال في القرآن، قال: و منه القصّاص»[٥] .

و ورد: «ليس لك أن تقعد مع من شئت، لانّ الله يقول "و إذا رايت"»[٦]. الآية.

وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، ثمّ تلا هذه الآية»[٧] .

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ النّهي ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اي: معهم؛ نبّه بالإظهار على ظلمهم.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤ : ٣١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «على ضلالة» بدل: على ضلال.
٣ـ المصدر: ٣١٦ والبيضاوي ٢ : ١٩٢.
٤ـ البيضاوي ٢ : ١٩٢.
٥ـ العيّاشي ١ : ٣٦٢، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ علل الشّرايع ٢ : ٦٠٥، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨٠، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٧ـ القمّي ١ : ٢٠٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: و ما يَلزَمُ المتّقين الّذين يجالسونهم ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: ممّا يُحاسَبون عليه من قبايح أعمالهم و أقوالهم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾: ولكن عليهم أن يُذكِّروهم ذكرى، و يمنعوهم عن الخوض ويظهروا كراهته ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يجتنبون ذلك حياءاً أو كراهة لمساءتهم.

قال: «لمّا نزل "فلا تقعد بعد الذكرى" قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم؟ فلا ندخل إذاً المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام. فانزل الله هذه الآية، أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا»[1].

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: سخروا به، أو بنوا امره على التشهّي، أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب و لهو؛ والمعنى: اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم و اقوالهم. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فَألهَتْهُمْ عن العقبىٰ ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مخافة ان تُسْلَمَ إلى الهلاك و ترهن بسوء عملها؛ و اصل البَسْلِ: المنع. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: و إن تَفْدِ كلّ فداء؛ والعدل: الفدية، لانّها تعادل المفديّ. ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ اي: سلّموا إلى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة و عقايدهم الزائفة ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بين ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم، و نار تشتعل بابدانهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾: أنعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: لايقدر على نفعنا وضرّنا ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: و نرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ له ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ كالّذي ذهب به مردة الجنّ في المَهامه[2]؛ من

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤ : ٣١٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ المهامه جمع المَهْمَه والمَهْمَهَة: المفازة البعيدة والبلد المُقفِر. القاموس المحيط ٤ : ٢٩٤ (مه)

هَوىٰ: إذا ذهب. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: متحيراً ضالاً عن الطّريق ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾: لهذا المستهوى رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾: إلى الطّريق المستوي، أو إلى أن يهدوه الطّريقَ المستوي ﴿ٱئْتِنَا﴾. يقولون له: ائتنا و قد اعتسف التّيه تابعاً للجنّ لا يُجيبهم ولا يأتيهم؛ و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب: أنّ الجنّ تستهوي الإنسان كذلك. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الّذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده و ما سواه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ اي: أُمرنا للإسلام و لإقامة الصّلاة والتّقوى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾. قيل: اي: قوله الحقّ يوم يقول؛ واليوم: بمعنى الحين. يعني: أنّه الخالق للسّماوات والارض، و قوله الحقّ نافذ في الكائنات؛ او "يوم" معطوف على السّماوات، و "قوله الحقّ" مبتدأ و خبر، او فاعل "يكون"، اي: حين يُكوِّنُ الاشياءَ و يُحْدثُها ويقول لقضائه: كن فيكون قولُه الحقّ، اي: قضائه[1]. وله وجوه أُخر من التّفسير. ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ كقوله: "وَالْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰه"[2]. روي: «انّ الصُّورَ قرن التقمه إسرافيل فينفخ فيه، و انّ فيه بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه»[3]. و وصف بالسّعة والضّيق؛ يعني انّ احد طرفيه واسع والآخر ضيق. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ و هذا كالفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى

۱ـ البيضاوي ۲: ۱۹٤.
۲ـ الحجّ (۲۲): ٥٦.
۳ـ راجع: الدّرّ المنثور ۳: ۲۹۸؛ و سنن التّرمذي ٤: ٤۲؛ و روح البيان ۳: ٥۳؛ ومسند احمد بن حنبل ۲: ۱٦۲، ۱۹۲؛ و تفسير القرآن العظيم، (لابن كثير) ۲: ۱٥۱.

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: ربوبيّتها. قال: «كَشَطَ[1] الله له عن الأرضين حتّى رآهنّ و ما تحتهنّ، و عن السّماوات حتّى رآهنّ و ما فيهنّ من الملائكة و حملة العرش»[2]. ورد: «إنّه فعل ذلك بالنّبيّ والائمّة عليهم السّلام ايضاً»[3]. ﴿ وَلِيَكُونَ ﴾: ليراه و ليكون ﴿مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾: اظلم عليه و ستره بظلامه ﴿ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ على سبيل الإنكار والاستدلال؛ لانّه كان طالبه[4] في حداثة سنّه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾: مبتدءاً في الطّلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾. استعجز نفسه و استعان بربّه.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ورد: «إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة و صنف يعبد القمر وصنف يعبد الشّمس، و ذلك حين خرج من السَّرَب[5] الّذي أُخفي فيه، " فلمّا جنّ عليه اللّيل " رأى الزّهرة " قال هذا ربّي " على الإنكار والاستخبار، " فلمّا افل " الكوكب " قال

١ـ كَشَطَ، اي: كشف. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (كشط).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٢٢، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ القمّي ١: ٢٠٥، عن ابي عبدالله عليه السلام و فيه: «و فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله و امير المؤمنين عليه السلام».

٤ـ في «ب» و «ج»: «لانّه كان طالباً».

٥ـ السَّرَبُ ـ بالتّحريك ـ جُحْرُ الوحشيّ والحفير تحت الارض والقناة الّتي يدخل منها الماء الحائط القاموس المحيط ١: ٨٤ (سرب). و لعلّ المراد الغار الّذي وضعته امّه فيه و أخفته فيه من النّمروديّة ثلاث عشرة سنة. راجع: القمّي ١: ٢٠٧.

لا أُحبّ الآفلين» ، لانّ الأُفول من صفات المُحْدَث لا من صفات القديم؛ «فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي» على الإنكار والاستخبار؛ «فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ» يقول: لكنت من القوم الضّالّين [1]. و في رواية: «أي: ناسياً للميثاق» [2]. قال: «فلمّا أصبح «ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر» من الزّهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار. «فلمّا أفلت» قال للأصناف الثّلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس: «يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي» الآية. وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السّماوات والأرض، وكان ما احتجّ به على قومه ما ألهمه الله و آتاه؛ كما قال الله: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ» [3].

و في رواية: «فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورأى ضوءها و قد أضاءت الدّنيا لطلوعها، «قال: هذا ربّي هذا أكبر وأحسن، فلمّا تحرّكت و زالت، كَشَطَ الله له عن السّماوات حتّى رأى العرش ومن عليه، و أراه الله ملكوت السّماوات والأرض، فعند ذلك «قال: يا قوم إنّي بريء»» [4]. و في أُخرى: «و لم يكن ذلك من إبراهيم شركاً وإنّما كان في طلب ربّه؛ و هو من غيره شرك» [5].

﴿ وَحَاجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾: و خاصموه في التّوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾: في وحدانيّته ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: لا أخاف

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، و فيه: «لأكوننّ من القوم الضّالّين، يقول: لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضّالّين».
٢ـ لاحظ: العيّاشي ١: ٣٦٤، الحديث: ٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، والآية في الأنعام(٦): ٨٣.
٤ـ القمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كَشَفَ» بدل «كَشَطَ».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٥، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

معبوداتكم قطّ؛ لانّها لا قدرة لها على ضرّ أو نفع ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ ان يصيبني بمكروه، وكانّه جواب لتخويفهم إيّاه من جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميّزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ ولا يضرّ شيئاً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾: حجة؛ يعني و ما لكم تنكرون عليّ الامن في موضع الامن ولاتنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف. ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾: الموحّدون أو المشركون ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ قال: «ولم يخلطوا»[١]. ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. ورد: «إنّه من تمام قول إبراهيم عليه السلام»[٢]. و روي: «لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس و قالوا: يا رسول الله و أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: إنّه ليس الّذي تعنون، الم تسمعوا إلى ما قال العبد الصّالح "يا بُنَيَّ لا تُشرِكْ باللّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ"»[٣]. و في رواية: «إنّ الظّلم: الضّلال فما فوقه»[٤]. وفي أُخرى: «الشّك»[٥]. وفي أُخرى: «آمنوا بما جاء به محمّد ﷺ من الولاية و لم يخلطوها بولاية فلان وفلان»[٦].

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: أرشدناه إليها و علّمناه إيّاها ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه و خفضه ﴿عَلِيمٞ﴾ بحال من يرفعه و يخفضه.

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٢٧، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ المصدر، عن ابن مسعود. والآية في لقمان (٣١): ١٣.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٨؛ والكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾ يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾. ورد: «والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قِبَلِ النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[١]. و في رواية: «وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ ﷺ من قِبَلِ أُمّنا فاطمة عليها السّلام»[٢] ﴿ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ مع علوّ شانهم ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يريد به الجنس ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ اي: الحكمة، او الحكم بين النّاس ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا ﴾ اي: بالنّبوّة، او الثّلاثة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني قريشاً ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ قال: «قوماً يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويذكرون الله كثيراً»[٣].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ ﴾. يريد الانبياء المقدّم ذكرهم. ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ الهاء للوقف. ورد: «لا طريق للاكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الاصحّ. قال الله لاعزّ خلقه محمّد ﷺ: "أُولئك الّذين هدى الله فبهديهم اقتده"؛ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لَنَدَبَ أنبياءَه و أولياءه إليه»[٤]. وفي

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٧، الحديث: ٥٢؛ والمحاسن ١: ١٥٦، الباب: ٢٣، الحديث: ٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٨٤، الباب: ٧، ذيل الحديث الطّويل: ٩، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام
٣ـ المحاسن ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، في الاقتداء، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «أحسن الهدى هدى الأنبياء»[١]. ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على التّبليغ؛ و هذا من جملة ما أمر بالاقتداء بالأنبياء ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ تذكيراً[٢] و عظةً.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: و ما عرفوه حقّ معرفته، و ما عظّموه حقّ عظمته، وما وصفوه بما هو أهل ان يوصف به من الرّحمة والإنعام على عباده واللّطف بهم. ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي و بعثة الرّسل، و ذلك من جلائل نعمته و عظائم رحمته و لطفه. القمّي: و هم قريش واليهود[٣]. ورد: «إنّ الله لايوصف، و كيف يوصف و قد قال الله في كتابه: "و ما قدروا الله حقّ قدره" فلا يوصف بقدر إلّا كان اعظم من ذلك»[٤]. و يأتي فيه حديث آخر في الزّمر إن شاءالله[٥]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. الزموا بما لابدّ لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعضٍ وإخفاء بعض، وجعْلِها ورقاتٍ متفرّقة ليتمكّنوا ممّا حاولوه. قال: «كانوا يكتبونه في القراطيس، ثمّ يبدون ما شاؤوا ويخفون ما شاؤوا»[٦]. والقمّي: يخفون يعني من اخبار رسول الله ﷺ[٧]. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ اي: انزله الله. قيل: امره بان يجيب عنهم إشعاراً بانّ الجواب متعيّن لايمكن غيره، وتنبيهاً على انّهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب[٨]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. القمّي: يعني ما خاضوا فيه من التّكذيب[٩].

١ـ القمّي ١: ٢٩١، عن النّبيّ ﷺ، ذيل الآية: ٤٢ من سورة التّوبة.
٢ـ في «الف»: «تذكرة».
٣، ٧ و ٩ـ القمّي ١: ٢١٠.
٤ـ الكافي ١: ١٠٣، الحديث: ١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ ذيل الآية: ٦٧.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٢: ١٩٨.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: كثير النفع والفائدة ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: الكتب الّتي قبله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني مكّة؛ سمّيت بها لأنّه دُحيت الأرض من تحتها، فكأنّها تولّدت منها. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾: أهل الشّرق والغرب ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فإنّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النّظر والتّدبّر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة؛ وتخصيص الصّلاة لأنّها عماد الدّين.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾. قال: «نزلت في ابن أبي سرح الّذي كان عثمان استعمله على مصر، و هو ممّن كان رسول الله ﷺ هدر دمه و كان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أُنزل "إنّ الله عزيز حكيم"[1] كتب: إنّ الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله ﷺ: دعها فإنّ الله عليم حكيم، و كان يقول للمنافقين: إنّي أقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ»[2]. وفي رواية: «كان أخا عثمان من الرّضاعة، وكان له خطّ حسن. قال: فارتدّ كافراً وكان من الطّلقاء»[3]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾: شدائده، من غَمَرَهُ الماءُ: إذا غشيه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض أرواحهم كالمتقاضي المسلّط ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ قال: «العطش يوم القيامة»[4]. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾: لا تؤمنون بها.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ عن أموالكم و أولادكم و أوثانكم و لباسكم. وفي رواية:

١ـ البقرة (٢): ٢٠٩، ٢٢٠و٢٦٠؛ الأنفال (٨): ١٠؛ التّوبة (٩): ٧١؛ لقمان (٣١): ٢٧.

٢ـ الكافي ٨: ٢٠١، الحديث: ٢٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام. و قوله ﷺ: «دعها» أي أتركها كما نزلت ولا تغيّرها فإنّه و إن كان قولك: «إنّ الله عليم حكيم» حقّاً ولكن لايجوز تغيير ما نزّل من القرآن

٣ـ القمّي ١: ٢١٠، عن أبي عبدالله ﷺ.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر ﷺ.

«عُراة»[١]. ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة الّتي ولدتم عليها ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾: ما ملّكناكم في الدّنيا فشُغلتُمْ به عن الآخرة ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾: شركاء الله في ربوبيّتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: ما بينكم؛ وعلى الرّفع: تقطّع وَصْلُكم وتشتّت جمعكم. والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاع وبطل ﴿ مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾. ورد: «نزلت هذه الآية في معاوية و بني أميّة، وشركاؤهم ائمتهم "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُم" يعني المودّة»[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنّبات والشّجر ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾: ما ينمو من الحيوان والنّبات ممّا لا ينمو، كالنّطفة والحبّ ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنّبات. ورد: «الحَبّ: طينة المؤمنين؛ القى الله عليها محبّته، والنّوىٰ: طينة الكافرين الّذين نـأوا عن كلّ خير، والحيّ الّذي يخرج من الميّت: هوالمؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ هوالكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن»[٣]. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الّذي يحقّ له العبادة ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾: تُصرَفُون عنه إلى غيره.

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾: شاقُّ عمود الصّبح عن ظلمة اللّيل ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ يسكن فيه الخلق، كما قال "لِتَسْكُنُوا فيه"[٤]. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ على أدوار مختلفة يحسب بها الاوقات ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الّذي قهرهما و سيّرهما على الوجه الخاصّ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾: في ظلمات

١ـ الخرائج والجرائح ١: ٩١، الحديث: ١٥٠، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ٢١١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه. «وشركاؤهم وائمّتهم».
٣ـ الكافي ٢: ٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ يونس (١٠): ٦٧؛ القصص (٢٨): ٧٣؛ الغافر (٤٠): ٦١.

اللّيل في البرّ والبحر، أو في مشتبهات الطّرق أو الأُمور. القمّي: النّجوم: آل محمّد ﷺ[1]. ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ ﴾: بيّناها فصلاً، فصلاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنّهم منتفعون به.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ و هو آدم ﷺ ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾. ورد: «المستقرّ: من استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه ابداً، والمستودع: الّذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم»[2]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. ذكر هنا "يفقهون" لأنّه غامض، و هناك "يعلمون" لأنّه ظاهر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: نبتاً غضّاً اخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ قد ركب بعضه على بعض، و هو السّنبل. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾: اعذاق؛ جمع قِنْو. ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة من المتناول ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾: بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم، و بعضها غير متشابه ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾: ثمر كلّ واحد ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثَمَرَه، كيف يكون صغيراً حقيراً لايكاد ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾: و إلى حال نضجه، أو إلى نضيجه، كيف يعود ضخماً ذا نفع و لذّة؛ مصدرُ يَنَعتِ الثَّمَرَةُ: إذا ادركت، او جمع يانع. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾: الملائكة، جعلوهم انداداً لله فعبدوهم، وقالوا: إنّهم بنات الله؛ سمّاهم جنّاً لاختفائهم. و نحوه: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً"[3]، او أُريد بالجنّ: الشّياطين، لأنّهم اطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الاوثان بتسويلهم، أو قالوا: إنّ الله خالق الخير و إبليس خالق الشرّ. ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾: و قد خلقهم، أي: و قد

١ـ القمّي ١: ٢١١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧١، الحديث: ٦٩، عن ابي جعفر ﷺ.
٣ـ الصّافّات (٣٧): ١٥٨.

علموا انّ الله خالقهم دون الجنّ، و ليس من يخلق كمن لايخلق. ﴿ وَخَرَقُوا لَهُۥ ﴾: واختلقوا لله ﴿ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، و اهل الكتابيْن: عُزيْرٌ ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: [يقولون][١].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ قال: «اي: هو مبدعهما و منشؤهما بعلمه ابتداءاً لا من شيء ولا على مثال سبق»[٢]. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ ﴾ يكون منها الولد ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو غنيّ عن كلّ شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ورد: «افعال العباد مخلوقة خلْقَ تقدير لا خلْقَ تكوين والله خالق كلّ شيء ولا نقول بالجبر والتّفويض»[٣]. ﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فإنّ من استجمع هذه الصّفات استحقّ العبادة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ مدبّر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: «لا تحيط به الاوهام»[٤]. ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾. قال: «يحيط بها»[٥]. و في رواية: «إنّما عنىٰ إحاطةَ الْوَهْمِ، كما يقال: فلان بصير بالشّعْر وفلان بصير بالفقه؛ الله اعظم من أن يُرىٰ بالعين»[٦]. و في اُخرى: «اوهام القلوب ادقّ من أبصار العيون، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف ابصارالعيون»[٧]. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: «النّافذ في الأشياء». كذا ورد[٨]. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ قال: «الّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته»[٩].

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ ﴾. البصيرة للقلب كالبصر للبدن. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقّ

١ـ الزّيادة من «ب».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الخصال: ٦٠٨، ذيل الحديث: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام. و فيه: «ولا يقول».
٤و٥ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١١٢، الباب: ٨، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ١١٣، الحديث: ١٢، عن ابي جعفر الثّاني عليه السلام.
٨و٩ـ الكافي ١: ١٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

و آمن به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ابصر؛ لانّ نفعه لها ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحقّ و ضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و إنّما انا منذر، والله هو الحفيظ عليكم، يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: ننقلها من حال إلى حال، بإجراء المعنى الدّائر في المعاني المتعاقبة. ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ صرفنا؛ واللاّم للعاقبة؛ والدّرس: القراءة والتّعلّم. القمّي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به تتعلّمه من علماء اليهود و تدرسه [١]. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. اللام هنا على اصله، لانّ التّبيين مقصود التّصريف؛ والضّمير للآيات بإعتبار المعنى.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بالتّديّن به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. اعتراض. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾. قال: «ولو شاءالله ان يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لايعصيه احد، لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه امرهم ونهاهم وامتحنهم و أعطاهم ماله عليهم به الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثّواب والعقاب» [٢]. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقوم بأمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدون، بما فيها من القبايح ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

قال: «كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّارُ إله

١ـ القمّي ١: ٢١٢.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٤٦، في تفسير أهل البيت عليهم السّلام.

المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون»[١]. وفي رواية: «أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقيل: لا، و كيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله»[٢]. وفي أُخرى: «و إيّاكم و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[٣].

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ في الخير والشرّ[٤] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو قادر عليها، يُظهر منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرتي و إرادتي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكسر الهمزة[٥] وبفتحها[٦]. قيل: "لا" مزيدة[٧]، و قيل: إنّها بمعنى لعلّها، كما في قراءة أُبيّ[٨].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن الحقّ فلا يفقهونه. قال: «نُكس قلوبهم فجعل أعلاها أسفلها فلم تقبل خيراً أبداً»[٩]. ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ قال: «فلا يبصرون الهدى»[١٠]. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بما أُنزل من الآيات. والقمّي: «يعني في الذرّ والميثاق»[١١].

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ اي: يضلّون.

١ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في جميع النسخ: «يسبّوا الكفّار» وما اثبتناه من المصدر.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٤، الحديث: ٨٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٧، ذيل الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «في الخير والشرّ بعد اختيارهم ودخولهم فيه».
٥ـ في «ج»: «بكسر الهمزة واضح، وبفتحها».
٦ـ اي: بكسر همزة "أنّها" و فتحها فالمعنى على الفتح: انا اعلم انّها إذا جاءت لايؤمنون بها و انتم لاتدرون بذالك؛ و على الكسر يكون الكلام قد تمّ قبله، والمعنى: و ما يشعركم ما يكون منهم، ثمّ اخبرهم بعلمه فيهم، فقال: إنّها إذا جاءت لايؤمنون بها البتّة. «راجع. الصافي ٢: ١٤٨؛ وجوامع الجامع ١: ٤٠٣».
٧و٨ـ البيضاوي ٢: ٢٠٣؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ٣٤٨ـ٣٤٩.
٩ و ١٠ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في بعض العبارات.
١١ـ القمّي ١: ٢١٣.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ : عياناً، كما اقترحوا فقالوا: "لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائكَةُ" [١] "فَأْتُوا بِآبَائِنَا" [٢] "أَوْ تَأْتِي بِاللّهِ والْمَلائكةِ قَبِيلاً" [٣]. ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ : و كما جعلنا لك عدواً ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ سبقك ﴿ عَدُوًّا ﴾. قال: «ما بعث الله نبياً إلاّ و في أُمّته شيطانان يؤذيانه و يضلاّن النّاس بعده» [٤]. ثمّ ذكر أسماء أعداء أُولي العزم اثنتين اثنتين. ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ : مردتهما ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ : الاباطيل المموّهة من زخرفه إذا زيّنه. قال: «من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ، فأُولئك شياطين الإنس والجنّ» [٥]. و في رواية: «الإنس على ثلاثة أجزاء فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، و جزء عليهم الحساب والعذاب، و جزء وجوههم وجوه الآدميّين و قلوبهم قلوب الشّياطين» [٦]. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ ﴾ : تميل ﴿ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لانفسهم ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾ : و ليكتسبوا ﴿ مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ من الآثام.

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾؟! يعني قل لهم: أفغيرالله اطلب من يحكم بيني وبينكم، ويفصل الحقّ منّا من المبطل؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾ : القرآن ﴿ مُفَصَّلًا ﴾ : مبيّناً فيه الحقّ والباطل، بحيث ينفي التّخليط والالتباس ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ :

١ـ الفرقان (٢٥): ٢١.
٢ـ الدّخان (٤٤): ٣٦.
٣ـ الإسراء (١٧): ٩٢.
٤ـ القمّي: ٢١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ١٥٤، الحديث: ١٩٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

التّوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ لتصديق ما عندهم إيّاه، و لتصديقه ما عندهم، مع انّه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلّم به من الحجّة بلغت الغاية أخباره و احكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ في الاخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الاقضية والاحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بما هو اصدق و أعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لانّ الاكثر في الغالب يتّبعون الاهواء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون عن تخمين وتقليد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ اي: اعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. مسبّب عن إنكار اتباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال و يحلّون الحرام، و ذلك انّهم قالوا للمسلمين: اتاكلون ممّا قتلتم انتم ولا تاكلون ممّا قتل ربّكم؟! فقيل: كلوا ممّا ذكر اسم الله على ذبحه خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره، او مات حتف انفه. ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّ الايمان بها يقتضي استباحة ما احلّه الله و اجتنابَ ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ بقوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ"[1] الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحقّ إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما يعلن و ما يسرّ. القمّي: الظّاهر من الإثم:

١ـ المائدة (٥): ٣

المعاصي، والباطن: الشرك والشكّ في القلب[1]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾: يعملون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ورد: «إنّه سئل عن مجوسيّ قال: بسم الله وذبح. قال: كُلْ. فقيل: مسلم ذبح ولم يسمّ. فقال: لا تأكل. ثمّ تلا هذه الآية»[2]. وفي رواية: «في ذبيحة النّاصب واليهوديّ والنّصرانيّ قال: لا تأكل ذبيحته حتّى تسمعه يذكر اسم الله عليه، ثمّ تلا هذه الآية»[3]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من الكفّار ﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ يعني مَثَلُ من هداه الله وانقذه من الضّلال، وجعل له حجّةً يهتدي بنورها، كمن صفته البقاء في الضّلالة لا يفارقها بحال. قال: «"ميتاً": لا يعرف شيئاً، و"نوراً يمشي به في النّاس": إماماً يؤتمّ به "كمن مثله في الظّلمات": الّذي لا يعرف الإمام»[4]. وفي رواية: «كان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وحياته حين فرّق الله بينهما بكلمته»[5]. وورد: «إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر وابي جهل»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ اي: كما جعلنا في مكّة. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لانّ وباله يحيق بهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ذلك.

١ـ القمّي ١: ٢١٥.
٢ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٨، الحديث: ٢٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ٥، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٥٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ﴾ يعني الاكابر: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾. روي: «انّ اباجهل قال: زاحمَنْا بني عبد مناف في الشّرف حتّى إذا صرنا كَفرَسَيْ رهان، قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه؛ والله لا نرضى به ولا نتّبعه ابداً إلّا ان يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت»[1]. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ذلّ و حقارة بعد كبرهم ﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ فيتّسع له و يفسح فيه مجاله[2]. ورد: «لمّا نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصّدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، فينشرح صدره و ينفسح. قالوا: فهل لذلك امارة يعرف بها؟ فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دارالغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[3]. ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾. قال: «قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه و يبصر، والحَرَجُ هو المُلْتَامُ الّذي لامنفذ له يسمع به ولا يبصر منه»[4]. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾. مبالغة في ضيق صدره، بتشبيهه بمن يُزاول مالا يقدر عليه؛ و هو مَثَلٌ فيما لا يستطاع. ورد: «إنّ القلب ليتجلجل[5] في الجوف يطلب الحقّ فإذا اصابه اطمانّ وقرّ، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

اقول: يتخلخل بالخائين المعجمتين اوالجيمين اي: يتحرّك.

و ورد: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: «من يرد الله ان يهديه بإيمانه في الدّنيا و إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة؛ يشرح صدره للتّسليم لِلّه والثّقة به والسّكون إلى ما وعده

١ـ راجع: البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٢ـ في «الف»: «ويفسح فيه لامحالة».
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٦٣، في رواية صحيحة.
٤ـ معاني الأخبار: ١٤٥، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ﷺ.
٥ـ في «الف»: «ليتخلخل».
٦ـ الكافي ٢: ٤٢١، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله ﷺ.

من ثوابه، حتّى يطمئنّ إليه؛ و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدّنيا، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبُه، حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السّماء»[١].

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «الرّجس: الشكّ»[٢].

﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾. قيل: يعني طريقه و عادته في التّوفيق والخذلان[٣]. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مطّرداً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: للّذين تذكّروا و عرفوا الحقّ، دارُالله، أو دار السّلامة من كلّ آفة وبليّة. القمّي: يعني في الجنّة؛ والسّلام: الأمان والعافية والسّرور[٤]. و يأتي فيه حديث في يونس إن شاءالله[٥]. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه؛ يوصلهم إليها لا محالة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: مولاهم و محبّهم[٦]. القمّي: أي: أولى بهم[٧]. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾: نقول يا معشر الشّياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أضللتم منهم كثيراً. القمّي: كلّ من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم[٨]. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: الّذين اتّبعوهم و أطاعوهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بالشّياطين، حيث دلّوهم على الشّهوات وما يوصل إليها، وانتفع الشّياطينُ بالإنس، حيث أطاعوهم و حصّلوا مرادهم. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني القيامة ﴿قَالَ﴾: قال الله لهم: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مُقامكم

١ـ التّوحيد: ٢٤٢، الباب: ٣٥، الحديث: ٤؛ ومعاني الأخبار ١٤٥، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيهما: «بإيمانه في الدّنيا إلى جنّته» من دون «و».
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٧، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٤ـ القمّي ١: ٢١٦.
٥ـ ذيل الآية: ٢٥.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الأنسب بالسّياق: «مُواليهم و محبّهم».
٧و٨ـ القمّي ١: ٢١٦.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: نكل بعضهم إلى بعض ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ قال: «ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، و ذلك قوله عزّوجلّ: "وكذلك نولّي" الآية»[1].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾؟ ورد: «سئل: هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله عزّوجلّ، فقتلوه»[2]. و ورد: «إنّ الله عزّوجلّ ارسل محمّداً ﷺ إلى الجنّ والإنس»[3]. ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ بالجرم والعصيان ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرّسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾: لان لم يكن ﴿رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لم ينبّهوا برسول.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلّفين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده و عن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ يترحّم عليهم بالتّكليف، ليُعَرِّضهُم للمنافع العظيمة الّتي لايحسن إيصالهم إليها إلّا بالاستحقاق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم، او على حالكم الّتي انتم عليها[4] ﴿إِنِّي عَامِلٌۖ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ

١ ـ الكافي ٢: ٣٣٤، الحديث: ١٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٢، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١.

٣ ـ المصدر ١: ٥٦، الباب: ٦، الحديث: ٢١، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩

عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ : أيّنا يكون له العاقبة الحسنى الّتي خلق الله لها هذه الدّار. والتّهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد، و تسجيل للمأمور بأنّه لا يأتي منه إلاّ الشرّ. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ ﴾ يعني مشركي العرب ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ : ممّا خلق الله ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير أن يؤمروا به ﴿ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ : أصنامهم الّتي أشركوها في أموالهم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . روي: «أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرثٍ و نتاجٍ لله ويصرفونه إلى الضّيفان والمساكين، و شيئاً منهما لآلهتهم و ينفقون على سَدَنَتِها ويذبحون عندها، ثمّ إن رأوا ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم، واعتلّوا لذلك بأنّ الله غنيّ»[١] . و ورد: «كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: الله غنيّ، و إذا انخرق الماء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يسدّوه، وإذا انخرق من الّذي للأصنام في الّذي لله سدّوه، و قالوا: الله غنيّ»[٢] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد[٣]؛ خيفة العَيْلَة أو العار، أو بالنّحر لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشّياطين أو السَّدَنَة ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ : ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ : و ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ .

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ﴾ . إشارة إلى ما جعل لآلهتهم . ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ : حرام

١ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤ : ٣٧٠، عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٣ـ وأدَ بنته يئدُها: دفنها حيّةً. القاموس المحيط ١ : ٣٥٥ (وأد).

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجّة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ القمّي: يعني البَحيرةَ والسّائبة والوَصيلَةَ والْحامَ [1]. ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذّبح والنّحر. و قيل: لا يَحجّون عليها ولا يُلَبُّون على ظهورها [2]. ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: فعلوا ذلك كلّه على جهة الافتراء على الله ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾. القمّي: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الانعام، على النّساء، فإذا كان ميّتاً يأكله الرّجال والنّساء [3]. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: جزاءَ وَصفِهمُ الكَذبَ على الله في التّحريم والتّحليل، من قوله: "تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذا حَلالٌ و هٰذا حَرامٌ" [4]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفّة عقلهم و جهلهم بانّ الله رازق اولادهم لاهُمْ. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر و نحوها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: مُلقيات على وجه الارض ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: اكل ذلك، اي: ثمره الّذي يؤكل، في اللّون والطّعم والحجم والرّائحة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ بعض افرادهما في الطّعم واللّون والحجم ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ولا يتشابه بعضها ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: «افتح الفَمَ بالْحاء» [5].

١ـ القمّي ١: ٢١٧.
٢ـ البيضاوي ٢: ٢١٠؛ والكشّاف ٢: ٥٥. و اشار إليه في مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٢.
٣ـ القمّي ١: ٢١٨.
٤ـ النّحل (١٦): ١١٦.
٥ـ قرب الإسناد: ٣٦٨، الحديث: ١٣١٦، عن الرّضا عليه السلام.

ورد: «إنّه غير الزكاة، الضِّغْثُ[1] من السّنبل بعد الضِّغْث، والكفّ من التّمر بعد الكفّ»[2]. وفي رواية: «في الزّرع حقّان: حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه؛ أمّا الّذي تؤخذ به فالعُشْر و نصف العُشْر، و امّا الّذي تعطيه فقول الله عزّوجلّ: "وآتوا حقّه يوم حَصاده" يعني من حَصْدِكَ الشّيء بعد الشّيء»[3]. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في التّصدّق. ورد: «من الإسراف في الحَصاد والجِداد[4] أن يتصدّق الرّجل بكفّيه جميعاً»[5]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: و انشا من الانعام ما تحمل الاثقال، وما يُنْسَجُ من وبَره و صوفه و شَعْرِه الفرشُ. ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ منها ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في تحريم شيء منها من عند انفسكم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾. الزّوج: ما معه آخر من جنسه، و قد يقال لمجموعهما ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: «الاهليّ والوحشيّ الجَبَليّ». كذا ورد في الجميع[6]. ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: الاهليّ والجبليّ ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: ذكر الضّأن و ذكر المَعْز ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: ام أنثييهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: او ما حملته إناث الجنسين؛ ذكراً كان او أنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾: بامر معلوم يدلّ على انّ الله حرّم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التّحريم عليه.

١ـ الضِّغْثُ ـ بالكسر ـ: قبضة حشيش مختلطة الرّطب باليابس. القاموس المحيط ١: ١٧٥ (ضغث).

٢ـ القمّي ١: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٣: ٥٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الجَداد ـ بالفتح والكسر ـ صرام النّخل و هو قطع ثمرتها. مجمع البحرين ٣: ٢٢ (جدد)

٥ـ الكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ـ القمّي ١: ٢١٩.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾: «البخاتيّ والعراب»[1]. كذا ورد[2]. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾: الأهليّ والجبليّ. ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ كما مرّ. قيل: كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارةً، و إناثها تارةً و أولادها كيف كانت تارةً، زاعمين انّ الله تعالى حرّمها[3]، فردّ الله عليهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حاضرين شاهدين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: حين وصّاكم بهذا التّحريم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾: طعاماً محرّماً ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾. فيه إيذان بانّ التّحريم إنّما يثبت بالوحي لا بالهوى. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: مصبوباً، كالدّم في العروق، لا كالكبد والطّحال، اوالمختلط باللّحم لايمكن تخليصه منه. ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: قذر ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. سمّى ما ذبح على اسم الصّنم فسقاً لتوغّله[4] في الفسق. ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه باكله. قد سبق تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة[5].

فإن قيل: لِمَ خصّ هذه الاربعة هنا بذكر التّحريم مع انّ غيرها محرّم ايضاً، فإنّه سبحانه ذكر في المائدة[6] تحريمَ المُنْخَنِقَة والمَوْقُوذَة والمُتَرَدِّيَة و غيرها، وقد ورد الاخبار

١ـ البُخْتُ ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة، الواحدُ بُخْتيّ مثل روم و روميّ، والجمع بَخاتيّ. والابل العراب: خلاف البُختيّ. القاموس المحيط ١: ١٤٨؛ ومجمع البحرين ٢: ١٩١ (بخت)؛ ومجمع البحرين ٢: ١١٩ (عرب).

٢ـ القمّي ١: ٢١٩.

٣ـ البيضاوي ٢: ٢١١.

٤ـ وَغَلَ في الشّيء: دخل و توارىٰ، او بَعُدَ و ذهب. و اوغَلَ في البلاد والعلم: ذهب و بالغ و ابعد. القاموس المحيط ٤: ٦٧ (وغل).

٥ـ ذيل الآية: ٧٣

٦ـ الآية: ٣.

الصّحيحة بتحريم كلّ ذي مخلب من الطّير و كلّ ذي ناب من الوحش[١]، وما لا قشر له من السّمك[٢] إلى غير ذلك. قلنا: أمّا المذكورات في المائدة فكلّها يقع عليه اسم الميتة، فتكون في حكمها، فأجمل هاهنا وفصّل هناك؛ و أمّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحرمة، فخصّ هذه الأربعة بالتّحريم تعظيماً لحرمتها، و بيّن تحريم ما عداها رسول الله ﷺ. و ورد: «إنّه ممّا يعاف عنه تَقَزُّزاً»[٣]، يعني تنزّهاً. والقمّي: إنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب و حرّمت على أنفسها، فلا دلالة فيها على عدم تحريم غير ما فيها[٤].

أقول: هذا لا يساعده الأخبار المعصوميّة؛ كما يظهر لمن تتبّع لها؛ و كذا ما قيل: إنّ هذه السّورة مكّيّة، والمائدة مدنيّة، فيجوز أن يكون غير ما في هذه الآية إنّما حُرّمَ فيما بعد[٥].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ من دابّة أو طير ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: الثُّرُوبَ[٦] و شُحومَ الكُلى[٧] ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الألية ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الأخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ لا يُعَجِّلُ بالعقوبة ﴿وَلَا

١ـ الكافي ٦: ٢٤٥، الحديث: ٢ و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢١٩، الأحاديث: ١ و٥ إلى ٩.
٣ـ أُشير إليه في العيّاشي ١: ٣٨٢، الحديث: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢١٩.
٥ـ راجع: مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧٨.
٦ـ الثَّرْبُ: شَحْمٌ رقيق يَغْشَى الكَرِش والأمعاء، والجمع: ثُرُوب و أثْرُب. القاموس المحيط ١: ٤٢ (ثرب).
٧ـ الكُلى ـ بضمّ الكاف والقصر ـ جمع الكُلْيَة والكُلْوَة و هي من الأحشاء معروفة. مجمع البحرين ١: ٣٦٢ (كلا).

﴿يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فلا تغترّوا بإمهاله، فإنّه لا يُرَدّ إذا جاء وقته.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾: فتظهروه لنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾. [قال: «الحجّة البالغة الّتي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه»][1]. ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾: احضروهم ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ يعني: قُدْوَتهم فيه، استحضرهم ليلزمهم الحجّة ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدّقهم فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾. لمّا اوجب ترك الشّرك والإحسان إلى الوالدين، فقد حرّم الشّرك والإساءة إليهما؛ لانّ إيجاب الشّيء نهي عن ضدّه، فيصحّ ان يقع تفصيلاً لما حرّم. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾. وضعه موضع النّهي عن الإساءة للدّلالة على انّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف. القمّي: الوالدين[2]: رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السّلام[3]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: من اجل فقر، او من خشية فقر؛ لقوله: "خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ"[4]. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كبائر الذّنوب، أو الزّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «ما ظهر: نكاح

١ـ ما بين المعقوفتين من «ج» و «ب». والحديث في البرهان ١: ٥٦٠، الحديث. ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، نقلاً عن العلاّمة الحلّي في الكشكول.

٢ـ في «ب» و «ج»: «الوالدان».

٣ـ القمّي ١: ٢٢٠.

٤ـ الإسراء (١٧): ٣١

امـرأة الأب، و مـا بطن: الزّنا»[١]. و في رواية: «مـا ظهـر هو الزّنا، ومـا بطن: المُخالّة»[٢]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَود[٣] و قتل المرتدّ و رجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالخصلة الّتي هي احسن ما يفعل بماله، كحفظه و تثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوّته. قال: «انقطاع يُتْمِ اليتيم: الاحتلام وهو أشدّه، و إن احتلم ولم يؤنس منه رشد و كان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله»[٤] و في رواية: «إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الاربع عشرة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم؛ كتبت عليه السيّئات و كتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلّا ان يكون ضعيفاً او سفيهاً»[٥]. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتّسوية ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما يسعها ولا يعسر عليها؛ اعتراض فيه تنبيه على تعسّر الإيفاء، وانّ ماوراء الوسع فيه معفوّ. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل و تادية احكام الشّرع. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون به. ورد: «هذه الآيات المحكمات الّتي لم يَنْسَخْهُنَّ شيءٌ شيّعها سبعون الف ملك: "قل تعالوا أتل" الآيات»[٦].

١ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٤، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٢، عن ابي جعفر عليه السلام. و فيه: «و مـا بطن هو المُخالّة» والمَخالّة ـ من خالّهُ مُخالّةً و خلالاً ـ المصادقة. «القاموس المحيط ٣: ٣١٨ ـ خلّ» و لعلّ المراد بها المصادقة بين الاجنبيّين.
٣ ـ القَوَدُ ـ بالتّحريك ـ: القصاص. مجمع البحرين ٣: ١٣٢ (قود).
٤ ـ التّهذيب ٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر، الحديث: ٧٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «سفيهاً و ضعيفاً».
٦ ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾. قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السّورة، فإنّه التّوحيد والنّبوّة والشّريعة[1]. ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾. عن النّبيّ ﷺ: «أنا الصّراط المستقيم الّذي أمركم باتّباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ وُلْدي من صلبه أئمّة يهدون إلى الحقّ[2] و به يعدلون»[3]. و في رواية: «يعني ولاية عليّ والأوصياء "فاتّبعوه"، يعني عليّاً "ولا تتبعوا السّبل" ولاية فلان و فلان، "فتفرّق بكم عن سبيله"، يعني سبيل عليّ عليه السلام»[4]. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الضّلال والتّفرّق عن الحقّ.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ "ثمّ" للتّراخي في الإخبار. ﴿تَمَامًا﴾ للكرامة والنّعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾: أحسن القيام به ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النّفع ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ أَن تَقُولُوا ﴾: انزلناه كراهة ان تقولوا: ﴿ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: اليهود والنّصارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ ﴾: اعرض، أو صدّ ﴿ عَنْهَا﴾ فضلّ واضلّ. ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ قال: «هل ينتظر المنافقون والمشركون»[5]. ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال: «فيعا ينوهم»[6]. ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ قال: «أمر ربّك»[7]. ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

١ ـ البيضاوي ٢: ٢١٤.

٢ ـ في «الف» و «ج»: «يهدون بالحقّ»، وفي «ب»: «يدعون بالحقّ» وما أثبتناه من المصدر.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٧٨ ـ ٧٩. و فيه: «أنا صراط الله المستقيم».

٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥، ٦ و ٧ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال: «هي العذاب في دار الدّنيا، كما عذّب الأُمم السّالفة والقرون الخالية»[١]. ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ كان المعنى: انّه لاينفع الإيمان حينئذ نفساً غيرَ مُقدِّمة إيمانها، غيرَ كاسبة في إيمانها خيراً. قال: «"من قبل" يعني من قبل ان تجيء هذه الآية، وهذه الآية: طلوع الشّمس من مغربها»[٢]. و في رواية: «طلوع الشّمس من المغرب، وخروج الدّجّال والدّخان، والرّجل يكون مصراً ولم يعمل عمل الإيمان، ثمّ تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه»[٣]. "او كسبت في إيمانها خيراً". قال: «المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً»[٤]. و في رواية: «"من قبل" يعني في الميثاق، "أو كسبت في إيمانها خيراً" قال: الإقرار بالانبياء والاوصياء وامير المؤمنين عليه السلام خاصّة؛ لاينفع إيمانها لانّها سلبت»[٥] و في اُخرى: «الآيات: هم الائمّة عليهم السّلام، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانها»[٦].

﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾. وعيد لهم و تهديد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ ﴾: بدّوه، فآمنوا ببعض و كفروا ببعض وافترقوا فيه؛ وعلى قراءة: "فارَقُوا"، كما نسب إلى امير المؤمنين عليه السلام[٧] اي: باينوا. ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾: فِرقاً يُشيّعُ كلُّ فرقة إماماً ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٨، عن الصّادقين عليهما السّلام. و فيه: «و خروج الدّابّة والدّجّال والرّجل يكون مُصراً».
٤ـ المصدر: ٣٨٥، الحديث: ١٣٠، عن احدهما عليهما السّلام. مع اختلاف يسير.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ كمال الدّين: ٣٣٦، الباب: ٣٣، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٨٨.

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾. قال: «هم اهل الضّلال و أصحاب الشّبهات والبدع من هذه الأُمّة»[١].

والقمّي: فارقوا امير المؤمنين عليه السلام و صاروا احزاباً[٢].

و في الحديث المشهور: «ستفترق أُمّتي على ثلاث و سبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدةً، و هي الّتي تتّبع وصيّي عليّاً»[٣].

﴿ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ فضلاً من الله تعالى. قال: «لمّا نزلت "من جاء بالحسنة فله خير منها"[٤] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ربّ زدني فانزل الله: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"»[٥].

اقول: هذا اقلّ ما وُعِدَ من الاضعاف، و قد جاء الوعد بسبعين، و بسبعمائة، وبغير حساب. و ورد في هذه الآية: «هي للمسلمين عامّة»[٦]. قال: «قد قال الله: "يُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كثيرةً"[٧]، فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله لهم حسناتهم، لكلّ حسنة، سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، و يزيد الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه اضعافاً كثيرةً، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير»[٨].

﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ عدلاً من الله؛ وقد ذكرنا سرّ ذلك في الصّافي والوافي[٩]. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص الثّواب و زيادة العقاب.

١ ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٢٢.
٣ـ الخصال ٢: ٥٨٥. من غير تعرّض بالذّيل: «و هي الّتي ...».
٤ ـ القصص (٢٨): ٨٤.
٥ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩ ذيل الآية: ٢٤٥ من سورة البقرة؛ ومعاني الاخبار: ٣٩٨، الحديث: ٥٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ البقرة (٢): ٢٤٥.
٨ـ الكافي ٢: ٢٧، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ راجع: الصّافي ٢: ٧١٦؛ والوافي ٥: ١٠٢١ باب الهمّ بالسّيّئة او الحسنة.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا ﴾: هداني ديناً ﴿قِيَمًا﴾: قياماً. وصف بالمصدر مبالغةً. ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾. سبق تفسيره[1]. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾: عبادتي و قرباني[2] ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾: وما أنا عليه في حياتي و أموت عليه من الإيمان والطّاعة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: خالصة له.

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾: لا اشرك فيها غيره. ورد في حديث ذكر فيه: «إبراهيم عليه السلام دينه ديني و ديني دينه، و سنّته سنّتي و سنّتي سنّته، و فضلي فضله وأنا افضل منه»[3].

﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: «لانّه اول من اجاب في الذّرّ». كما ورد[4].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فاشركه في عبادتي؟! و هو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم. ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: والحال انّ كلّ ما سواه مربوب مثلي لايصلح للرّبوبيّة.

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾: لا تَحمِلُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ اُخرىٰ. جواب عن قولهم: «اِتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ»[5]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾. قيل: يخلف بعضكم بعضاً، كلّما مضى قَرْنٌ خلفهُم قَرْنٌ، أو خلفاء الله في ارضه تتصرّفون فيها[6]. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

١ـ لاحظ: البقرة ذيل الآية: ١٣٥، و آل عمران ذيل الآية: ٩٥، والنّساء ذيل الآية: ١٢٥.

٢ـ القُرْبان ـ على وزن فُعْلان ـ من القُرْب كالفرقان من الفرق: ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البرّ. «مجمع البحرين ٢: ١٤١ ـ قرب» و في نسخة «ب» و «ج»: «قُرْباتي» جمع القُرْبَة: ما يتقرّب به إلى الله تعالىٰ.

٣ـ العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ١ و ١٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ العنكبوت (٢٩): ١٢.

٦ـ البيضاوي ٢: ٢١٧؛ وروح المعاني ٨: ٧١.

دَرَجَٰتٖ ﴾ في الشّرف والغنى والعقل و غير ذلك ﴿ لِّيَبۡلُوَكُمۡ ﴾: ليختبركم ﴿ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ من الجاه والمال، كيف تشكرون نعمه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ لمن كفر نعمه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ لمن قام بشكرها. ورد: «إنّ سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً، شيّعها سبعون ألف ملكٍ، فعظّموها و بجّلوها، فإنّ اسم الله فيها في سبعين موضعاً»[1].

١ـ ثواب الأعمال: ١٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و بَجِّلُوها اي: وَقِّروها وعظّموها مجمع البحرين ٢: ٣١٧ (بجل).

سورة الأعراف

[مكيّة، و هي مائتان و ستّ آيات] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓصٓ﴾. مضى الكلام في تاويله في اول سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾: ضيق من تبليغه. قيل: كان النّبيّ ﷺ يخاف تكذيب قومه، فكان يضيق صدره في الاداء ولا ينبسط له، فامّنه الله سبحانه بهذه الآية. [2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: شياطين الجنّ والإنس، فيحملوكم على الأهواء والبدع ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾: بائتين، كقوم لوط ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: او قائلين نصف النّهار؛ من القيلولة كقوم شعيب، يعني اخذهم في غفلة منهم و أمنٍ و في وقتَي دعة و استراحة.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكشّاف ٢: ٨٦.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: ما كانوا يدّعونه من دينهم، أو دعائهم و استغاثتهم ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: إلّا اعترافهم ببطلانه و بظلمهم فيما كانوا عليه، و تحسّرهم على ما كان منهم.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني الأمم عن قبول الرّسالة و إجابتهم الرّسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الأنبياء عن تادية ما حمّلوا من الرّسالة. ورد في حديث: «فيقام الرّسل فيُسألون عن تادية الرّسالات الّتي حمّلوها إلى أُممهم، فيخبرون أنّهم قد أدّوا ذلك إلى أممهم، و يُسأل الأمم فيجحدون، كما قال الله: "فلنسالنّ" الآية، فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فيستشهد الرّسول ﷺ، فيشهد بصدق الرّسل ويكذب من جحدها من الأمم، فيقول لكلّ أُمّة منهم: "قد جاءكم بشير ونذير، والله على كلّ شيء قدير"[١] اي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم، بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم، و لذلك قال الله لنبيّه: "فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً"؛[٢] فلا يستطيعون ردّ شهادته؛ خوفاً من ان يختم الله على افواههم، وان يشهد عليهم جوارحهم بما فعلوا»[٣].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرّسل والمرْسَل إليهم ما كان منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين باحوالهم الظّاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنهم و عن افعالهم و عن احوالهم؛ والغرض من السّؤال: التّوبيخ والتّقرير عليهم، و ازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم، وغمّ المعاقَبين بإظهار قبائحهم.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ اي: وزن الاعمال والتّميُّز[٤] بين راجحها و خفيفها ﴿فَمَن

١ـ المائدة (٥): ١٩.
٢ـ النّساء (٤): ٤١.
٣ـ راجع: الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن امير المؤمنين ﷺ، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «ب» و «ج»: التّمييز.

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: حسناته؛ جمع موزون، أو ما يوزن به حسناته، جمع ميزان.
﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. ورد: إنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ: "و نضع الموازين القسط ليوم القيامة" قال: «هم الأنبياء والأوصياء».[1] و في رواية: «نحن الموازين القسط»[2].

اقول: و ذلك لانّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشّيء؛ فميزان النّاس ليوم القيامة: ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله، لتجزى كلّ نفس بما كسبت؛ و ليس ذلك إلاّ الانبياء والاوصياء، إذ بهم وباتّباع شرائعهم و اقتفاء آثارهم و ترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس و قدر حسناتهم و سيّئاتهم؛ فميزان كلّ أُمّة هو نبيّ تلك الأُمّة و وصيّ نبيّها والشّريعة الّتي اتى بها؛ فمن ثقلت حسناته و كثرت، فأُولئك هم المفلحون، ومن خفّت و قلّت حسناته، فأُولئك الّذين خسروا انفسهم، أي: ضيّعوا فطرتهم بسبب ظلمهم عليها، بتكذيبهم الانبياء والاوصياء. و تمام تحقيق هذا المقام يطلب من رسالتنا الموسومة بميزان القيامة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكّنّاكم مِنْ سُكناها وزرعها والتّصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ تعيشون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾. قال: «امّا "خلقناكم"، فنطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ لحماً، و امّا "صوّرناكم"، فالعين والانف والأُذنين والفم واليدين

١ـ معاني الاخبار: ٣١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكلمات المكنونة: ١٥٨، عنهم عليهم السّلام.

والرِّجْلَين؛ صوّر هذا و نحوه، ثمّ جعل الدّميم والوسيم [١] والجسيم والطّويل والقصير وأشباه هذا»[٢].

اقول: الاقتصار على بيان الخلق والتّصوير لبني آدم في الحديث، لا ينافي شمول الآية لآدم، فإنّه خلقه طيناً غير مصوّر ثمّ صوّره، فلاينافي الحديث تمام الآية.

﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ اي: بعد خلق آدم و تصويره ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ اي: ان تسجد. تزاد «لا» في مثله لتاكيد معنى الفعل الّذي دخلت عليه، نظيره: «لِئَلَّا يَعْلَمَ»[٣]، و فيه تنبيه على انّ الموبّخ عليه، ترك السّجود؛ على انّ الممنوع عن الشّيء مضطرّ إلى خلافه، فكأنّه قيل: ما اضطرّك ان لا تسجد. ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾. قال: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار و خلقته من طين، فلو قاس الجوهر الّذي خلق منه آدم، بالنّار؛ كان ذلك اكثر نوراً و ضياءً من النّار»[٤]. و في رواية: «ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار، عرف فضل ما بين النّورين و صفاء أحدهما على الآخر»[٥]. و في أُخرى: «كذب إبليس؛ ما خلقه الله تعالى إلاّ من طين؛ قال الله عزّوجلّ: «الّذي جعل لكم من الشّجر الاخضر ناراً»[٦] قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة، والشّجرة اصلها من طين»[٧].

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾: من المنزلة الّتي انت عليها في السّماء و زمرة الملائكة ﴿ فَمَا

١ـ الدّميم: القبيح المنظر، والوسيم: الحسن الوجه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دهم). الصّحاح ٥: ٢٠٥١ (وسم).

٢ـ القمّي ١: ٢٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، و ليس فيه: «الجسيم».

٣ـ الحديد (٥٧): ٢٩.

٤ـ الكافي ١: ٥٨، الحديث: ١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ المصدر، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ يونس (١٠): ٨٠.

٧ـ القمّي ٢: ٢٤٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

يَكُونُ لَكَ ﴾: فما يصحّ لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ و تعصي، فإنّها مكان الخاشع المطيع؛ وفيه تنبيه على أنّ التكبّر لايليق بأهل الجنّة. ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ فإنّ من تكبّر وَضَعَهُ الله.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة، فلا تُمتني ولا تُعَجِّلْ عقوبتي.

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾. أجابه الله إلى ما سأله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما سأله من غايته، لأنّ الله تعالى يقول في موضع آخر: "فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"[١] و هو النّفخة الأولى و يوم البعث، والقيامة هو النّفخة الثّانية. و ورد: «يموت إبليس ما بين النّفخة الأولى والثّانية»[٢]. و في رواية: «انظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا»[٣]. وفي إسعافه[٤] إليه، ابتلاء العباد و تعريضهم للثّواب بمخالفته.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾: فبسبب إغوائك إيّاي، و هو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغيّ، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، فإنّه لمّا أمره الله بالسّجود حملته الأنَفَةُ على معصيته. ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: لاجتهدنّ في إغوائهم حتّى يَفْسُدوا بسببي كما فسدت بسببهم، بأن أترصّد لهم على طريق الإسلام كما يترصّد القطّاع على الطّريق ليَقْطَعَهُ على المارّة. ورد: «الصّراط هنا: عليّ عليه السلام»[٥]. وفي رواية: «يا زرارة[٦] إنّما عمد لك ولأصحابك، فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم»[٧].

١ـ الحجر (١٥): ٣٧و٣٨؛ و صٓ (٣٨): ٨٠ و٨١.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٦ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «يازرارة».
٧ـ الكافي ٨: ١٤٥، الحديث: ١١٨ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «إنّما صَمَدَلك».

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم ﴾ من الجهات الاربع جُمَع ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ قال: «معناه أُهَوِّن عليهم أمر الآخرة»[١]. ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ قال: «آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم»[٢]. ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ قال: «أُفْسِدُ عليهم أمرَ دينهم؛ بتزيين الضَّلالة و تحسين الشّبهة»[٣]. ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ قال: «بتحبيب اللّذّات إليهم وتغليب الشّهوات على قلوبهم»[٤]. ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾: مطيعين. قاله تظنّناً؛ لقوله سبحانه: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ»[٥]. ورد: «إنّه استوجب من الله ان اعطاه ما اعطاه بركعتين ركعهما في السّماء في اربعة آلاف سنة»[٦].

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا ﴾: مذموماً، من ذأمَه: إذا ذمّه. ﴿ مَّدۡحُورٗاۖ ﴾: مطروداً ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ ﴾. اللاّم فيه لتوطية القسم؛ و جوابه: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ أي: منك و منهم.

ورد ما معناه إنّه قال: «فكيف و انت العدل الّذي لا تجور، فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من امر الدّنيا ما شئت، أُعطك. فاوّل ما سال البقاء، ثمّ تسلّطه على ولد آدم، ثمّ أن يجريه فيهم مجرى الدّم، ثمّ ان لا يُولَدَ لهم ولد إلاّ ولد له إثنان، ثمّ أن يراهم ولا يرونه و يتصوّر لهم في كلّ صورة شاء، ثمّ أن يجعل صدورهم اوطاناً له و لذرّيّته؛ فاعطاه الله ذلك كلّه، فعند ذلك قال: «فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصينَ»[٧] «ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ» الآية»[٨].[٩]

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢، ٣و٤ ـ مجمع البيان٣ـ٤: ٤٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ ـ سبأ (٣٤): ٢٠.
٦ ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ ص (٣٨). ٨٢ و٨٣.
٨ـ الأعراف (٧): ١٧
٩ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

سبق تفسيرها في سورة البقرة[1].

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾: اوهمهما النّصحية لهما؛ و هي في الاصل: الصّوت الخفيّ. ﴿ لِيُبْدِىَ لَهُمَا ﴾: ليظهر لهما ﴿ مَا وُۥرِىَ ﴾: غطّي ﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَ ٰتِهِمَا ﴾: عوراتهما. قيل: و كانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر[2]. ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾.

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾: اقسم لهما ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾. قال: «قال إنّكما إن اكلتما من هذه الشّجرة الّتي نها كما الله عنها، صرتما ملكين و بقيتما في الجنّة ابداً، وإن لم تاكلا منها، اخرجكما من الجنّة؛ و حلف لهما انّه لهما ناصح، فقبل آدم قوله»[3].

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾: فنزلهما إلى الاكل منها. نبّه به على انّه اهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة؛ فإنّ التّدلية: إرسال الشّيء من اعلى إلى اسفل. ﴿ بِغُرُورٍ ﴾: بما غرّهما به من القسم؛ فإنّهما ظنّا انّ احداً لا يحلف بالله كاذباً.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ ٰتُهُمَا ﴾ قال: «سقط عنهما ما البسهما الله من لباس الجنّة، و اقبلا يستتران من ورق الجنّة»[4]. ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾: و اخذا يرقعان و يلزقان ورقة فوق ورقة ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

١ ـ ذيل الآية: ٣٥.

٢ ـ البيضاوي ٣: ٦.

٣ و ٤ ـ القمّي ١: ٢٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .سبق تفسيرها مع تمام القصّة[1] .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ و يغنيكم عن خصف الورق ﴿ وَرِيشًا ﴾ تتجمّلون به. والرّيش ما يتجمّل به، مأخوذ من ريش الطّائر، فإنّه لباسه وزينته. ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: خشية الله. قال: «فأمّا اللّباس: فالثّياب الّتي تلبسون؛ وأمّا الرّياش: فالمال والمتاع[2]؛ و أمّا لباس التّقوىٰ: فالعفاف؛ إنّ العفيف لا تبدوله عورة وإن كان عارياً من الثّياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثّياب»[3]. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ قال: «يقول: والعفاف خير»[4]. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: إنزال اللّباس ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدّالّة على فضله و رحمته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعرفون نعمته، أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: لا يمتحننّكم، بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾. أُسند النّزع إليه للتّسبّب. ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾. تعليل للنّهي، وتأكيد للتّحذير من فتنته، و «قبيله»: جنوده. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما بينهم من التّناسب.

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾: فَعلَةً متناهية في القبح، كعبادة الاصنام، والايتمام بأئمّة الجور ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال: «هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا، و شُرْب الخمر،

١ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٣٦.
٢ـ في «ب» و «ج»: «فالمتاع و المال».
٣و ٤ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أو شيء[1] من هذه المحارم؟ فقيل: لا؛ ثمّ قال: إنّ هذا في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم؛ فردّ الله ذلك عليهم، فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة»[2].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: نحو القبلة، أو توجّهوا إلى عبادته مستقيمين، غير عادلين إلى غيرها ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كلّ وقت سجود، أو في كلّ مكان سجود، و هو الصّلاة. قال: «هذه في القبلة»[3]. و في رواية: «مساجد محدثة، فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام»[4]. و في أُخرى: «عند كلّ مسجد، يعني: الأئمّة عليهم السّلام»[5].

﴿وَادْعُوهُ﴾: واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطّاعة، فإنّ إليه مصيركم.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم ابتداءً ﴿تَعُودُونَ﴾ بإعادته. قال: «يعني: خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً، و شقيّاً و سعيداً؛ و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضالّ»[6].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بأن وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إذ لم يقبلوا الهدىٰ.

قال: «هم القَدَريّة الّذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّهم قادرون على الهُدىٰ والضّلال، و ذلك إليهم، إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا؛ و هم مجوس هذه الأُمّة، و كذب أعداء الله المشيّة والقدرة لله، كما بدأهم يعودون؛ مَنْ خَلَقَهُ شقيّاً يوم خلقه،

١ـ في «الف» و «ج» و العيّاشي: «أو شيء».
٢ـ الكافي ١: ٣٧٣، الحديث: ٩ «مصمراً»؛ والعيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٥، عن العبد الصّالح عليه السلام.
٣ـ التّهذيب ٢: ٤٣، الحديث: ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «هذه القبلة».
٤ـ المصدر، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

كذلك يعود إليه شقياً، و من خلقه سعيداً يوم خلقه، كذلك يعود إليه سعيداً»[١]. قال رسول الله ﷺ: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه، والسّعيد من سعد في بطن أُمّه»[٢].

﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال: «يعني أئمّةً دون أئمّة الحقّ»[٣]. و﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: «خذوا ثيابكم الّتي تتزيّنون بها للصّلاة في الجمعات والأعياد»[٤]. و في رواية: «من ذلك، التّمشّط عند كلّ صلاة»[٥]. وفي أُخرى: «الغسل عند لقاء كلّ إمام»[٦]. ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ ما طاب لكم ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ بالإفراط والإتلاف، وبالتّعدّي إلى الحرام، و بتحريم الحلال وغير ذلك. قيل: لقد جمع الله الطّبّ في نصف آية[٧].

أقول: و هو ناظر إلى الإفراط في الأكل.

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾. قال: «من سأل النّاس شيئاً، وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين»[٨].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ من الثّياب و سائر ما يتجمّل به ﴿ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ من الارض، كالقطن والكتّان والابريسم والصّوف والجواهر ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

١ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٢٧.
٣ـ علل الشرايع ٢: ٦١٠، الباب ٣٨٥، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعني: أئمّة الجور».
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٧٥، الحديث: ٣١٩، عن الرّضا عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٤١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ التّهذيب ٦: ١١٠، الحديث: ١٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ البيضاوي ٣: ٨.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٤، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

المستلذّات من المآكل والمشارب؛ و هو إنكار لتحريم هذه الأشياء. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «المغصوبين عليها»[1]. ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال: «بلا غصب»[2]. ورد: «إنّ المتّقين حازوا عاجلَ الخير و آجلَه؛ شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم، أباحهم الله في الدّنيا ما كفاهم به وأغناهم؛ ثمّ تلا هذه الآية»[3]. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: «يعني: الزّنا المعلن، ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة»[4]. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «يعني: ما نكح من أزواج الآباء، لأنّ النّاس كانوا قبل ان يبعث النّبيّ ﷺ إذا كان الرّجل له زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أُمّه، فحرّم الله ذلك»[5].

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ قال: «هي الخمر بعينها، و قد قال الله في موضع آخر: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"[6] فامّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، و إثمهما كبير»[7]. ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قال: «هي الزّنا سرّاً»[8].

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: ما لم يدلّ عليه برهان ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: تتقوّلوا و تفتروا. ورد: «لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم»[9]. وفي رواية: «من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السّماوات والأرض»[10].

١ و٢ ـ الكافي ١: ٤٠٩، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ الأمالي (للمفيد): ٢٦٣، المجلس الحادي والثلاثون، ذيل الحديث: ٣، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه: «أباحهم الله من الدّنيا ما كفاهم و به أغناهم».

٤، ٥و٧ ـ الكافي ٦: ٤٠٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن ابي الحسن الكاظم عليه السلام.

٦ ـ البقرة (٢): ٢١٩.

٨ ـ العيّاشي ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن ابي الحسن الكاظم عليه السلام.

٩ ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث: ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٦، الباب: ٣١، الحديث: ١٧٣، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾. قال: «هو الّذي سُمّيَ لِملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. قال: «تعدّ السّنين، ثمّ تعدّ الشّهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ النّفس، "فإذا جاء أجلهم"» الآية[٢].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ضمّت «ما» إلى «إن» الشّرطيّة تاكيداً لمعنى الشّرط. ﴿ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾: من جنسكم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى ﴾ التّكذيب منكم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: تقوّل عليه ما لم يقله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: او كذّب ما قاله ﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: ممّا كتب لهم من الارزاق والآجال ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾. "حتّى" غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إيّاه؛ اي: إلى وقت وفاتهم، و هي الّتي يُبتدأ بعدها الكلام. والمراد بالرّسل هنا: ملك الموت و اعوانه. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآلهة الّتي تعبدونها ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾: غابوا عنّا ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ اي: قال الله تعالى لهم يوم القيامة. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ الّتي ضلّت بالاقتداء بها ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾: تداركوا و تلاحقوا في النّار. قال: «برئ بعضهم من بعض، و لعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم ان يَحُجَّ ـ اي: يَغْلِبَ[٣] بعضاً رَجاءَ الفَلْج[٤]،

١ـ العيّاشي ١: ٣٥٤، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ـ الكافي ٣: ٢٦٢، الحديث: ٤٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «تعدّ الساعات، ثمّ تعدّ النفس».

٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «اي يغلب».

٤ـ الفَلْجُ: الظفر و الفوز. مجمع البحرين ٢: ٣٢٣ (فلج).

فَيَفْلِتُوا[1] من عظيم ما نزل بهم، و ليس بأوان بلوىً ولا اختبارٍ ولا قبول معذرة ولات حين نجاة»[2]. ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ منزلةً، و هي الأتباع والسَفْلة ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ منزلةً اي: لأجلهم، إذ الخطاب مع الله لا معهم، و هم القادة والرؤساء. قال: «يعني ائمّة الجور»[3]. ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ﴾ مضاعفاً؛ لانّهم ضلّوا وأضلّوا ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ امّا القادة فبكفرهم و تضليلهم؛ و امّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ مخاطبين لهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾. عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للأتباع: "لكلٍّ ضعفٌ" اي: فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا، و إنّا و إيّاكم متساوون في الضّلال و استحقاق الضِّعْف ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ شماتةً بهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ اي: عن الإيمان بها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ لادعيتهم و اعمالهم و لنزول البركة عليهم و لصعود ارواحهم، إذا ماتوا. ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾: لا يدخلونها حتّى يكونَ ما لا يكونُ ابداً. من وُلُوج الجمل - الّذي لا يلج إلّا في باب واسع - في ثَقْبِ الإبرة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾: فراش ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾: أغْطِيَةٌ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾: ما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم؛ والجملة اعتراض للترغيب. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

١ـ الإفلات: التّخلّص من الشيء. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).
٢ ـ الكافي ٢: ٣١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ على إخوانهم في الدّنيا فسَلِمَتْ قُلوبُهم وطَهُرَت من الحقْد و الحسد و الشَّحْناء[١] ؛ و لم يكن منهم إلاّ التّراحم والتّعاطف والتّوادد. ورد: «العداوة تُنْزَع منهم، يعني: من المؤمنين في الجنّة»[٢].

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة، دُعي بالنّبيّ ﷺ و بامير المؤمنين والائمّة عليهم السّلام فينصبون للنّاس؛ فإذا رأتهم شيعتهم، قالو: "الحمد لله الّذي هدانا لهذا". يعني: هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين و الائمة من ولده عليهم السّلام»[٣].

﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاهتدينا بإرشادهم. يقولون ذلك؛ اغتباطاً وتَبجُّحاً[٤]، إذ صار علمُ يقينهم في الدّنيا عينَ يقينهم في الآخرة. ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إذا رأوها ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

روي: «ما من احد إلاّ و له منزل في الجنّة و منزل في النّار؛ فامّا الكافر فيرث المؤمنَ منزله من النّار، و المؤمن يرث الكافرَ منزله من الجنّة؛ فذلك قوله تعالى "أُورثتموها بما كنتم تعملون"»[٥].

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾؟ قالوه تَبجُّحاً بحالهم و شماتةً باصحاب النّار و تحسّراً لهم، وإنّما لم يقل: «ما وَعَدَكُمْ» كما قال: «ما وَعَدَنا»، لانّ ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصاً وَعْدُه بهم، كالبعث و الحساب و نعيم الجنّة لاهلها. ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

١ـ الشَّحْناء: العداوة والبغضاء. مجمع البحرين ٦: ٢٧١ (شحن).
٢ـ القمّي ١: ٢٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ البَجَح ـ بالتّحريك ـ: الفَرَح. مجمع البحرين ٢: ٣٤١ (بجح).
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢٠، عن النّبيّ ﷺ.

بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغاً و ميلاً عمّا هو عليه ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾. قال: «المؤذّن امير المؤمنين عليه السلام يؤذّن اذاناً يسمع الخلايق»[1].

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الفريقين، او بين الجنّة و النّار. ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾. أعراف الحجاب أي: أعاليه: رجال من الموحّدين العارفين المعروفين. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من اهل الجنّة و النّار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بعلامتهم الّتي اعلمهم الله بها، لأنّهم من المتوسّمين اهل الفراسة. قال: «الأعراف كُثْبانٌ[2] بين الجنّة و النّار، يوقف عليها كلّ نبيّ و كلّ خليفة نبيٍ مع المذنبين من اهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون إلى الجنّة»[3] الحديث.

و في رواية: «نحن على الأعراف نعرف انصارنا بسيماهم، و نحن الأعراف الّذين لايُعْرَفُ الله عزّوجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يوقفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط»[4]. و في لفظ آخر: «نوقف بين الجنّة و النّار، فلا يدخل الجنّة إلاّ من عَرَفَنا و عَرَفْناه، و لايدخل النّار إلاّ من أَنْكَرَنا و أَنْكَرْناه»[5]. و في رواية: «إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الأعمال، و إنّهم لكما قال الله»[6]. و زيد في أُخرى: «فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن ادخلهم الجنّة فبرحمته»[7].

١ـ القمّي ١: ٢٣١؛ و الكافي ١: ٤٢٦، عن ابي الحسن عليه السلام.
٢ـ الكُثْبان جمع كثيب: التَلّ من الرّمل. القاموس المحيط ١: ١٢٦ (كثب).
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢٣؛ و جوامع الجامع ١: ٤٣٨ـ٤٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٣١ ما يقرب منه.
٤ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث: ٩، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يُعَرِّفنا الله» بدل: «يوقفنا الله».
٥ـ بصائر الدّرجات: ٤٩٧، الباب: ١٦، الحديث: ٦، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٤٠٨، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٣٨١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين: لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرّجال الّذين على الاعراف، و كلاهما أصحاب الأعراف كما دلّ عليه الحديث الأوّل.

﴿ وَنَادَوْا ﴾ قال:[١] يعني: و نادى أصحاب الأعراف الّذين كانوا عليه مع الأئمّة عليهم السّلام، من مذنبي شيعتهم الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: الّذين سبقوا إليها، وذلك حين يقول لهم الأئمّة عليهم السّلام: أُنظروا إلى إخوانكم في الجنّة، قد سبقوا إليها بلاحساب. ﴿ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ ان يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النّبيّ ﷺ والإمام عليه السلام.

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اي: في النّار. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «قالوا: ربّنا عائذاً بك ان لاتجعلنا»[٢].

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ ﴾ يعني: الائمّة عليهم السّلام ﴿ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ من رؤساء الكفّار ﴿ قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ في الدّنيا ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن الحقّ.

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ من تتمّة قول الائمّة عليهم السّلام للرّجال، و الإشارة إلى شيعتهم الّذين كانوا معهم على الاعراف، الّذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدّنيا، و يحلفون انّ الله لايدخلهم الجنّة. ﴿ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ «اي: فالتفتوا إلى أصحابهم و قالوا لهم: "ادخلوا الجنّة" الآية». كذا ورد في تفسير هذه الآيات[٣].

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ اي: صبّوه؛

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ قوله: «قال» زائد؛ او كان قائله المصنّف لا الإمام المعصوم عليه السلام كما يظهر من الصّافي فراجع.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أن تجعلنا».

٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وذلك لانّ الجنّة فوق النّار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة و الفواكه ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرّموا ما شاؤوا و استحلّوا ما شاؤوا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ قال: «نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا. و قال: إنّما يجازي من نسيه و نسي لقاء يومه بأن ينسيهم انفسهم، كما قال الله تعالى: "ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فانساهم انفسهم"»[1]. و في رواية: «يعني بالنّسيان أنّه لم يُثِبْهُمْ كما يثيب اولياءه، الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به و برسوله[2] ﷺ و خافوه في الغيب. قال: و قد يقول العرب في باب النّسيان: قد نَسِيَنا فُلانٌ فلا يَذْكُرُنا. أي: أنّه لا يأمر لهم بخير ولا يَذْكُرُهُم به»[3]. ﴿وَمَا كَانُوا﴾: وكما كانوا ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤل إليه امره؛ من تبيُّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد و الوعيد. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾. القمّي: ذلك في قيام القائم عليه السلام ويوم القيامة.[4] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه ترك النّاسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: قد تبيّن انّهم جاؤوا بالحقّ.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدّنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف اعمارهم في الكفر ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

١ـ التّوحيد. ١٦٠، الباب: ١٦، الحديث: ١، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام. والآية في الحشر (٥٩): ١٩.
٢ـ في «ب» و «ج» و المصدر: «برسله».
٣ـ التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٣٥.

بطل فلم ينفعهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾. قال: «ولو شاء ان يخلقها في اقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الأناةَ [1] و المداراةَ مثالاً لأُمنائه، وإيجاباً للحجّة على خلقه»[2]. و في رواية: «كان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّوجلّ خلقها في ستّة ايّام، ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة»[3].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال: «يعني استوى تدبيره و علا أمره»[4]. و في رواية: «استولى على ما دقّ و جلّ»[5]. وفي أُخرى: «استوى على كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه»[6]. و في أُخرى: «استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء»[7]. وفي أُخرى: «استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب»[8].

أقول: المستفاد من هذه الرّوايات، انّ المراد بالعرش، مجموع الأشياء، كما ورد في اخبار أُخر ايضاً، و من الثّلاث الاخيرة بالفاظها، انّ المراد بالاستواء، استواء النّسبة، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ«على» تارةً، كالاستيلاء و الاشراف و نحوهما، لموافقة لفظ القرآن. فيصير المعنى: استوى نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً على الكلّ، واتى بلفظة «من» تارةً، تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب و البعد، وبلفظة «في» تارةً،

١ـ الاناة ـ كقناة ـ: الرّفق. مجمع البحرين ١: ٣٦٠ (انا).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّوحيد: ٣٢٠، الباب: ٤٩، الحديث: ٢، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ١٥٧، عن ابي الحسن عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ١٢٧، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٣١٥، الباب: ٤٨، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ١٢٨، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه.

ففي الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها. وفيها إشارة إلى معيّته القيّوميّة، و اتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء، على الوجه الّذي لاينافي احديّته و قدس جلاله؛ و إلى إفاضة رحمته العامّة على الجميع على نسبة واحدة، و إحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد، وقربه من كلّ شيء على نهج سواء. وامّا اختلاف المقرّبين كالأنبياء و الأولياء مع المبعدين كالشّياطين و الكفّار في القرب والبعد، فليس ذلك من قبَله سبحانه؛ بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾: يغطيه به ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾: يعقّبه سريعاً كالطّالب له، لايفصل بينهما شيء. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾: عالم الأجسام ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: عالم الارواح ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة و تعظّم بالفردانيّة في الرّبوبيّة.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ فإنّ الإخفاء اقرب إلى الإخلاص ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أُمروا به في الدّعا و غيره. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان في غزاة، فاشرف على وادٍ فجعل النّاس يهلّلون و يكبّرون و يرفعون اصواتهم، فقال ﷺ: يا أيّها النّاس اربَعُوا [1] على أنفسكم أما إنّكم لاتدعونَ اصمَّ و لاغائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً، إنّه معكم» [2]. و عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: «الاعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم» [3].

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الانبياء وشرع الاحكام. قال: «إنّ الارض كانت فاسدةً فاصلحها الله عزّوجلّ بنبيّه، فقال: "ولا

١ـ إربَعْ على نفسك: ارفق بنفسك و كفّ و تمكّث. مجمع البحرين ٤: ٣٣١ (ربع).
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢٩.
٣ـ مصباح الشّريعة: ٥٨، الباب: ٢٥، في آفة القرّاء، عن النّبيّ ﷺ.

تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها»»[1]. والقمّي: أصلحها برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام[2]. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من الردّ لقصور أعمالكم و عدم استحقاقكم ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابته؛ تفضّلاً و إحساناً لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ترجيح للطّمع و تنبيه على ما يتوصّل به إلى الإجابة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا﴾. جمعُ بشير. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾: قدّام رحمته؛ يعني: المطَر، فإنّ الصبا تُثير السّحاب، و الشّمال تجمعه، و الجنوب تجلبه، و الدّبور تفرّقه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حمَلتْ ﴿سَحَابًا﴾: سحائب ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لإحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداث[3] أحياءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنّ من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التُّربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره و تيسيره. عبّر به من كثرة النّبات و حسنه و غزارة نفعه، بقرينة المقابلة. ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾ كالحَرَّة[4] والسَّبِخَة[5] ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلاً عديم النّفع ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نردّدها و نكرّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله، فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مَثلٌ لمن تدبّر الآيات و انتفع بها، و لمن لم يرفع إليها رأساً و لم يتأثّر بها.[6] و القمّي: مثل للأئمّة عليهم السّلام يخرج علمهم بإذن ربّهم، و لأعدائهم لايخرج

۱ـ الكافي ۸: ۵۸، الحديث: ۲۰، عن ابي جعفر عليه السلام.
۲ـ القمّي ۱: ۲۳٦
۳ـ الأجداث جمع جَدَث ـ بالتّحريك ـ: القبر. القاموس المحيط ۱: ۱٦۹ (جدث).
٤ـ الحَرَّة: أرض ذات حجارة نَخرة سُود. القاموس المحيط ۲: ۷ (حر).
۵ـ السَّبَخَة ـ محرّكة ومسكّنة ـ: أرض ذات نزّ وملح. القاموس المحيط ۱: ۲۷۰ (سبخ).
٦ـ البيضاوي ۳: ۱۳ ـ ۱٤.

علمهم إلّا كدراً فاسداً[١].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: الأشراف ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾. إنكار؛ و ذلك انّهم تعجّبوا من إرسال البشر ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: موعظة منه ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسانه ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ و هم من آمن به ﴿فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾: عَمي القلوب غيرَ متبصّرين، و اصله عميين، و يأتي تمام القصّة في سورة هود إن شاء الله[٢].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. هم قبيلة من العرب سمّوا باسم ابيهم الاكبر[٣]، و يعنى بالاخ: الواحد منهم، كقولهم: «يا اخا العرب» للواحد منهم. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عذاب الله.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ إذ فارقت دين قومك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾: مأمون في

١ـ القمّي ١: ٢٣٦، و فيه: «إلّا كذباً فاسداً».
٢ـ الآيات: ٢٥ إلى ٤٩.
٣ـ و هو «هودُ بن شالَخَ بن اَرْفَخْشَذَ بن سام بن نوح». راجع: جوامع الجامع ١: ٤٤٥.

تادية الرّسالة لا أكْذبُ و لا أُغيّرُ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾. في إجابة الأنبياء عليهم السّلام الكَفَرَةَ عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، و الإعراض عن مقابلتهم بمثلها، مع علمهم بأنّهم أضلُّ الخلق و أسفَهُهُم أدب حسن؛ وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء و يدارونهم.

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ اي: خلّفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قامةً وقوّةً. ورد: «كانوا كالنّخل الطُّوال، و كان الرّجل منهم ينحو الجبل[1] بيده فيهدم منه قطعة»[2]. ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ بالشكر. ورد: «اعظم آلاء الله على خلقه ولايتنا»[3]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: "افلا تتّقون"[4] ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب؛ من الارتجاس، و هو الاضطراب ﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: في اشياء ما هي إلّا اسماء ليس تحتها مسمّيات لأنكم سمّيتموها آلهة، و معنى الإلهيّة فيها معدوم؛ نظيره: "ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِه مِنْ شيءٍ".[5] ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: من حجّة و لو استحقّت للعبادة لكان استحقاقها بإنزال آية من الله و نصب حجّة منه ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول

١ـ ينحو الجبل: يقصده. القاموس المحيط ٤: ٣٩٦ (نحو).
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٣٧ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بيديه».
٣ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الآية: ٦٥ من نفس السّورة.
٥ـ العنكبوت(٢٩): ٤٢.

العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾. استأصلناهم؛ و كان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها مطرهم، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، كما يأتي في مواضع أُخر.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾. هم قبيلة أُخرى من العرب سمّوا باسم جدّهم[1]. ورد: «هي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر؛ صغيرة»[2]. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة ظاهرة الدّلالة على صحّة نبوّتي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾. أضافها إلى الله، لأنّها خلقت بلا واسطة، ولذلك كانت آية. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾. روي: «أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً، لأنّ السّقوف و الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[3]. ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: و لا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أنفوا من اتباعه ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: للّذين استذلّوهم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. قالوه استهزاءً ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾. أسند العقر إلى جميعهم و إن لم يعقرها إلّا بعضهم، لأنّه كان

١ـ و هو «ثمودُ بن عابر بن إرَم بن سام بن نوح». انظر: جوامع الجامع ١: ٤٤٧.
٢ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٤٠.

برضاهم. ﴿وَعَتَوْا﴾: تولّوا عاتين ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ على لسان صالح: "فذروها تأكل في أرض الله". ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة؛ و في سورة هود: "و أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ"[١] و في الحِجْر: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةَ"[٢] و لعلّها كانت من مباديها. القمّي: فبعث الله عليهم صيحة و زلزلة فهلكوا[٣]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين ميّتين لا يتحركون؛ يقال: النّاس جثّمٌ، أي: قعودٌ لا حَراك بهم، وأصل الجُثُوم: اللّزوم في المكان.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. قاله متحسّراً على ما فاته من إيمانهم، متحزّناً لهم بعد ما أبصرهم موتىٰ صرْعىٰ.

ورد: «إنّه بُعِثَ إلى قومه و هو ابن ستّ عشرة سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لايجيبونه إلى خير، و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله. فقال لهم: إن شئتم فاسألوني حتّى أسألَ إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم؛ فقد سئمتكم وسئمتموني[٤]. فقالوا: قد أنصفت. فدعا[٥] كُلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء؛ فنحّوا بسطهم وفرشهم و ثيابهم، و تمرّغوا على التّراب[٦]، و طرحوا التّراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لنفتضحنّ[٧]، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح أُدعها، فدعاها، فلم

١ـ الآية: ٦٧.
٢ـ الآية: ٧٣ و ٨٤.
٣ـ القمّي ١: ٢٣٢.
٤ـ اي: مللتكم ومللتموني.
٥ـ في «ب» و «ح»: «فدعاها».
٦ـ تَمرَّغ في التّراب: تَقلّب. القاموس المحيط ٣: ١١٦ (مرغ).
٧ـ في المصدر: «لنفضحنّ».

تجبه. قال: فاسالوني حتّى أدعو إلهي يُجيبكم السّاعة، فقالوا: أُدع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعة ناقةً حمراء شَقْراء وبْراء عُشَراء بين جنبيها ميل[1]. فقال لهم: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ و يهون على ربّي تعالى، فسأل الله ذلك، فانصدع الجبل صدعاً[2] كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المَخاض، ثمّ لم يفجاهم[3] إلاّ رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصّدع، فما استمّت رقبتها حتّى اجترّت[4]، ثمّ خرج ساير جسدها ثمّ استوت قائمةً على الأرض فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك، أُدع لنا يخرج لنا فَصيلَها[5]؛ فسأل الله ذلك، فرمت به، فدبّ[6] حولها. فقال لهم: يا قوم أبَقيَ شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون بك. قال: فرجعوا؛ فلم يبلغ السّبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة و ستّون رجلاً، وقالوا: سِحْرٌ و كِذْبٌ. قالوا: فانتهوا إلى الجميع، فقال السّتّة: حقّ، وقال الجميع: كِذْبٌ و سِحْرٌ، فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من السّتّة واحد، فكان فيمن عقرها»[7].

و ورد: «إنّ الله أوحى إلى صالح: قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه النّاقة من الماء شِرْبَ[8] يوم و لكم شِرْبَ يوم، فكانت النّاقة إذا كان يوم شِرْبِها شَرِبَتْ ذلك اليوم الماء

١ـ شَقْراء أي: شديد الحمرة، وبْراء أي: كثيرالوبر، عُشَراءأي: أتى على حملها عشرة أشهر. و قوله: «بين جنبيها ميل» أي: يكون عرضها قدر ميلٍ. «انظر: مرآة العقول٢٦: ٤٧٨».
٢ـ أي: انشقّ الجبل شقاً.
٣ـ أي: لم يظهر لهم فجاة شيء إلاّ رأسها.
٤ـ الاجترار هو ما يفعله بعض الدّوابّ من إخراجها ما في بطنها مضغةً و ابتلاعه ثانياً.
٥ـ فَصيلُ النّاقة: ولدها إذا فُصِلَ عن أمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).
٦ـ دَبَّ يَدِبُّ دبّاً: مشى على هيئته. القاموس المحيط ١: ٦٧ (دبّ).
٧ـ الكافي ٨: ١٨٥ ـ ١٨٦، الحديث: ٢١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله، مع الاختصار
٨ـ الشِّرْبُ ـ بالكسر ـ الحظّ والنّصيب من الماء. مجمع البحرين ٢: ٨٧ (شرب).

فيحلبونها، فلا يبقى صغير و لا كبير إلّا شَرِبَ من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم فَشَرِبُوا منه ذلك اليوم و لم تشرب النّاقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاءالله، ثمّ إنّهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه النّاقة و استريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم و لنا شرب يوم، فجعلوا جُعْلاً لرجل احمر، أشقر، ازرق، ولد زناً لايعرف له اب، يقال له قدّار، شقيٌّ من الأشقياء مشؤم عليهم؛ فقتلها و هرب فَصيلُها، و اقتسموا لحمها فيما بينهم، فأوحى الله إلى صالح قل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم، و إن هم لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث، فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين، فقال: يا قوم إنّكم تصبحون و وجوهكم مصفرّة و اليوم الثّاني محمرّة و الثّالث مسودّة، فجاءهم ما قاله لهم فلم يتوبوا و لم يرجعوا، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسْماعَهم وفلقت قلوبَهم و صدعت اكبادَهم»[١]. هذا ملخّص القصّة.

﴿وَلُوطًا﴾: و ارسلنا لوطاً. ورد: «انّه كان ابن خالة إبراهيم، و كانت سارة امرأة إبراهيم أُخته، خرجوا من بلاد نمرود إلى أن نزل إبراهيم باعلى الشّامات وخلّف لوطاً بادناها»[٢]. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. مِنْ أتى المرأة: إذا غشيها. ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتّى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد. ورد: «إنّ إبليس أتى شبّانهم في صورة حسنة فيها تانيث، عليه ثياب حسنة، فامرهم ان يقعوا

١ـ الكافي ٨: ١٨٧ ـ ١٨٩، الحديث: ٢١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والكافي ٨: ٣٧١ ـ ٣٧٣، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

به فلمّا وقعوا به التّذوّه، ثمّ ذهب عنهم و أحال بعضهم على بعض»[1].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الخبائث.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ المختصّين به من الهلاك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنّها كانت تسرّ[2] الكفر وتُوالي أهْلَ القرية ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: من الّذين غَبَرُوا في ديارهم، اي: بقوا فيها فهلكوا.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾: نوعاً من المطر عجيباً، و هي امطار حجارة من سجّيل؛ كما يأتي في موضع آخر[3]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ورد: «إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، و كان نازلاً فيهم و لم يكن منهم، يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش و يحثّهم على الطّاعة، فلم يجيبوه و لم يطيعوه، و كانوا لا يتطهّرون من الجنابة، بُخَلاء اشحّاء على الطّعام؛ فاعقبهم البخل الدّاء الّذي لادواء له في فروجهم، و ذلك أنّهم كانوا على طريق السيّارة إلى الشّام و مصر، و كان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضّيف فضحوه، وإنّما فعلوا ذلك لتنكل النّازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك، فاوردهم البخل هذا الدّاء، حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجُعْلَ، و كان لوط سخيّاً كريماً يقرى الضّيف إذا نزل بهم[4]، فنهوه عن ذلك فقالوا: لاتقري ضيفاناً تَنَزَّلُ بك[5]، فإنّك إن فعلت فضحنا ضيفك، وكان لوط إذا نزل به الضّيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، و ذلك

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٨، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٣؛ والكافي ٥: ٥٤٤، الحديث: ٤، عن احدهما عليهما السّلام.

٢ـ في «ب»: «تستر».

٣ـ أُنظر: سورة هود (١١): ٨٢، و الحجر (١٥): ٧٤.

٤ـ كذا في جميع النُّسَخ و الصّافي و لعلّ الصّواب: «إذا نزل به» كما في المصدر.

٥ـ في المصدر: «لاتقرين ضيفاً جاء ينزل بك».

أنّه لم يكن له عشيرة فيهم»[١].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: و أرسلنا إليهم. قيل: هم أولاد "مدين بن إبراهيم" و شعيب منهم؛ سُمّوا باسم جدّهم و سمّيت به قريتهم[٢]. القمّي: هي على طريق الشّام[٣]. و ورد: «إنّها لاتكمل أربعين بيتاً»[٤]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة شاهدة بصحّة نبوّتي؛ و هي غير مذكورة في القرآن، و لم نجدها في شيء من الأخبار. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: و لاتنقصوهم حقوقهم؛ جيء بالاشياء للتّعميم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر و الحيف ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد ما أصلح فيها الأنبياء وأتباعهم؛ بإقامة الشّرايع والسّنن ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانيّة و حسن الأُحدوثة وما تطلبونه من الرّبح، لأنّ النّاس إذا عرفوا منكم النَّصَفَةَ و الأمانة رغبوا في مُتاجَرَتِكم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: بكلّ منهج من مناهج الدّين مقتدين بالشّيطان في قوله: "لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقيمَ"[٥]. ﴿تُوعِدُونَ﴾: تتوعّدون ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾. قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتننّكم عن دينكم؛ كما كان يفعل قريش بمكّة[٦]. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً؛ يعني: تصفونها للنّاس بأنّها سبيل مُعْوَجَّة غير مستقيمة بإلقاء

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٤٥، عن أبي جعفر عليه السلام. و الظّاهر انّ قوله في ذيل الحديث: «و ذلك إنّه ...» كلام المصنّف و ليس في المصدر.
٢ـ في «الف»: «و سمّيهم به»
٣ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٤ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الأعراف (٧): ١٦
٦ـ البيضاوي ٣: ١٨؛ والكشّاف ٢: ٩٤.

الشّه، لتصدّوهم عن سلوكها و الدّخول فيها. ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: من افسد قبلكم من الأمم كقوم نوح و هود و صالح ولوط، و كانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: بين الفريقين بأن ينصر المُحقّ على المبطل، و هذا وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ إذ لا معقّب لحكمه و لا حيف فيه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ على تغليب الجماعة على الواحد، و ذلك لانّ شعيباً لم يكن على ملّتهم قطّ. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ اي: كيف نعود فيها و نحن كارهون لها.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ اي: فيما دعوناكم إليه ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بالبيان و البرهان ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا ومنْعَنا الالطافَ، بان يعلم انّه لاينفع فينا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: احاط علمه بعواقب الأمور و مكنوناتها ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في ان يثبّتنا على الإيمان، ويوفّقنا لازدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أُحكم بيننا، فإنّ الفتّاحَ: القاضي، والفُتاحة: الحكومة. أو أظهر أمرنا حتّى ينكشف ما بيننا و بينهم، و يتميّز المحقّ من المطل؛ من فَتَحَ المشكل: إذا بيّنه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: أشرافهم قالوه لمن دونهم يثبّطونهم عن الإيمان ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ و تركتم دينكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة. و في سورة هود "وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

الصَّيْحَةُ»[١] . ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ : خامدين .

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ أي : اسْتُؤْصِلوا[٢] كأن لم يقيموا بها ؛ والمَغْنَى : المَنْزِل[٣] . ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ دون أتباع شعيب ، فإنّهم الرّابحون . و في هذا الابتداء و التّكرير تسفيه لراي الملأ وردّ لمقالتهم و مبالَغة في ذلك .

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ : أحزَنُ ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ : قوم ليسوا بأهلٍ للحزَن عليهم ، لكفرهم واستحقاقهم العذابَ النّازلَ بهم .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ : بالبُؤسِ و الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ : الضُّرُّ و المرض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ : لكي يتضرّعوا و يتوبوا ويتذلّلوا .

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ اي : رفعنا ما كانوا فيه من البلاء و المحنة ، و وضعنا مكانه الرّخاء و العافية ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾ اي : كثُروا و نَمَوْا في أنفسهم و أموالهم ، من قولهم : عفا النّبات اي : كثُرَ و منه : إعفاء اللّحىٰ[٤] .

﴿ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ أبطرَتهمُ النّعمة ، فتركوا شكر اللهِ ونسوا ذكر الله ، و قالوا : هذه عادة الدّهر ، يُعاقِبُ في النّاس بين الضّرّاء و السّرّاء ، و قد مسّ آباءَنا نحوُ ذلك ، فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه ؛ فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم كذلك . ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ : فجأةً ، عِبرَةً لمن كان بعدَهم ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنّ العذاب نازل بهم إلّا بعد حلوله .

١ ـ لآية . ٩٤

٢ ـ استأصَل لشيءَ : قطعه من اصله . مجمع البحرين ٥ : ٣٠٦ (اصل) .

٣ ـ اي . المنزل الذي غَنِيَ به اهله ، اي : اقاموا ثُمَّ ظَعَنُوا .

٤ ـ للّحى جمع اللّحْيَة . و في الحديث عن رسول الله ﷺ : «... و أعْفُوا اللّحىٰ» (معاني الاخبار ٢٩١) ئي : وَفّروها و كثّروها . مجمع البحرين ١ : ٣٠٠ (عفا) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ : ولو انّهم ﴿ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : لوسّعنا عليهم الخيرات و يسّرناها لهم من كلّ جانب، بإنزال المطر و إخراج النّبات و غير ذلك. ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذّبون لنبيّنا ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ : عذابنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ : وقت بيات ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾ : ضحوة النّهار؛ و هو في الاصل اسم لضوء الشّمس إذا أشرقت و ارتفعت. ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ : يشتغلون بما لاينفعهم.

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾. مكر الله استعارة لاستدراجه العبدَ و اخذه من حيث لايحتسب. قال: «المكر من الله: العذاب»[1]. ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. فيه تنبيه على ما يجب أن يكون العبد عليه من الخوف لعقاب الله و اجتناب المعصية.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ اي: أو لم يبيّنْ، و لذا عدّيَ باللاّم. ﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ يخلفون مَنْ خلا قبلهم في ديارهم ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ ﴾ : انّه لو نشاء ﴿ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ : بجزاء ذنوبهم، كما اصبنا مَنْ قبلهم ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. مستأنف، يعني: و نحن نطبع ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تفهّمٍ و اعتبارٍ.

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾ : بعض انبائها ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: «في الذرّ، حين كانوا في أصلاب الرّجال و ارحام النّساء». كما ورد[2]، و يأتي في سورة يونس[3]. قال: «إنّ الله خلق من أحبَّ من طينة الجنّة، و خلق من أبغضَ من طينة النّار، ثمّ بعثهم في الظّلال. قيل: و ايّ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ و ٣٦٧.

٢ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦؛ والقمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ في ذيل الآية: ٧٤

شيء الظّلال؟ قال: الم تر إلى ظلّك في الشّمس شيء و ليس بشيء، ثمّ بعث منهم النّبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله، و هو قوله: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله"[١]. ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيّين، فاقرّ بعضهم و انكر بعض[٢]، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فاقرّ بها والله من احبّ و انكرها من ابغض؛ و هو قوله: "ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل"[٣] ثمّ قال: كان التّكذيب ثمّ»[٤]. و في رواية: «فمنهم من اقرّ بلسانه و لم يؤمن بقلبه»[٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: وإنّه علمنا أكثرهم خارجين عن الطّاعة. قال: «إنّها نزلت في الشّاك»[٦]. وفي رواية: «إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، و إنّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا، و لو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم، حيث يقول: "وما وجدنا لاكثرهم من عهد" الآية»[٧]. وعن ابي ذرّ: «والله ما صدق احد ممّن أخذ ميثاقه فوفى بعهد الله غيرُ أهل بيت نبيّهم وعصابة قليلة من شيعتهم، و ذلك قول الله: "وما وجدنا" الآية»[٨].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: بالمعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾. وهو لقب لمن ملك مصر. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: بان كفروا بها مكان الإيمان الّذي هو من حقّها لوضوحها ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

١ـ الزّخرف (٤٣): ٨٧.
٢ـ في «الف»: «و انكر بعضهم».
٣ـ يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ٣، عن ابي جعفر عليه السلام؛ و العيّاشي ٢: ١٢٦ ـ ١٢٧، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ١؛ و العيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٦٠، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام
٧ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٥٩.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾: بان لا اقول كما قرئ به، فوضع «علىٰ» مكان الباء، كقولهم: «رميت على القوس». ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾: فخلّهم حتّى يرجعوا معي إلى الارض المقدّسة الّتي هي وطن آبائهم، و كان قد استعبدهم و استخدمهم في الأعمال الشاقّة.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ أمرُهُ لايُشكُّ في انّه ثعبان، و هو الحيّة العظيمة. قال: «و كان له شعبتان قد وقع إحداهما في الارض و الأُخرى في اعلى قبّة فرعون، و كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً، فنظر فرعون إلى جوفه و هو يلتهب نيراناً، فاهوى إليه فأحدث [1] وصاح: يا موسى خذها» [2].

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾: بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشّمس. «و كان موسى آدَمَ شديدَ الأُدْمَة» فيما يُروىٰ [3].

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾: اخّرهما و اصدرهما عنك، حتّى ترى رايك فيهما وتُدبّرَ أمرهما. ورد: «لم يكن في جلسائه يومئذ ولدُ سِفاحٍ، [4] و لو كان لامربقتلهما، قال: وكذلك نحن لايسرع إلينا [5] إلاّ كلّ خبيث الولادة». [6] ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

١ـ أحدَثَ فلان: تَغَوَّط. اقرب الموارد ١: ١٦٩ (حدث).

٢ـ العيّاشي ٢: ٢٤ ذيل الحديث: ٦١، مرفوعة.

٣ـ تفسير أبي السّعود ٣: ٢٥٨؛ و الكشّاف ٢: ١٠٢؛ والبيضاوي ٣: ٢١.

٤ ـ السِّفاح ـ بالكسر ـ: الزّنا و الفجور. مجمع البحرين ٢: ٣٧٢ (سفح).

٥ـ في المصدر: «لاينزع إلينا».

٦ـ العيّاشي ٢: ٢٤، الحديث: ٦٢، عن يونس بن ظبيان.

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾. خيّروه مراعاةً للادب، ولكن كانت رغبتهم في ان يُلقُوا قبله، فنبّهوا عليه بتغيير النّظم إلى ما هو ابلغ.

﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾ كرماً و تسامحاً و قلّةَ مبالاةٍ بهم، و ثقةً بما كان بصدده من التّاييد الإلهيّ. ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ بان خيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه بالحِيَلِ والشَّعْوَذَة[1]. ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾: و ارهبوهم إرهاباً شديداً، كأنّهم طلبوا رَهْبَتَهم ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ في فنّه. روي: «انّهم ألقَوا حِبالاً غِلاظاً وخُشُباً طِوالاً كأنّها حيّاتٌ، مَلَأت الوادي و ركب بعضها بعضاً»[2].

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فالقاها فصارت حيّةً عظيمةً ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾: ما يزوّرونه؛ من الإفك، و هو الصّرف و قلب الشّيء عن وجهه.

روي: «انّها لمّا تلقّفت حبالَهم و عِصِيَّهم و ابتلعتها باسرها، اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم، ثمّ اخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السّحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالُنا و عصيُّنا»[3].

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾: فحصل و ثبت لظهور أمره ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من السّحر و المعارضة.

١ ـ الشَّعْوذة: خفّةٌ في اليد و أُخذٌ كالسّحر يُرى الشّيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. القاموس المحيط ٣٦٨:١

٢و٣ ـ البيضاوي ٣: ٢٢.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾: صاروا أذلاّء منهزمين.

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾: و خرّوا سجداً، كانّما ألقاهم ملْقٍ لشدّة خرورهم، و لعلّ الحقّ بهرَهم [1] و اضطرّهم إلى السّجود، بحيث لم يبق لهم تمالك؛ ليَنكسر فرعون بالذّين أراد بهم كسر موسى، و ينقلب الأمر عليه.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أبدلُوا من الاوّل، لئلاّ يتوهّم أنّهم أرادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: إنّ هذا الصّنيعَ لحيلة احتلْتُموها انتم و موسى في مصر قبل ان تخرجوا منها إلى هذه الصّحراء، و تواطأتم على ذلك ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ يعني: القِبْطَ، و تخلّص لكم ولبني إسرائيل؛ و كان هذا الكلام من فرعون تَمْويهاً على النّاس لئلاّ يتّبعوا السّحرةَ في الإيمان. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وعيد مجمل يفصّله ما بعده:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ اي: من كلّ شِقٍّ طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم و تنكيلاً لامثالكم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ اي: لانبالي بالموت و القتل، لانقلابنا إلى لقاء ربّنا و رحمته.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾: و ما تُنْكِر منّا و تَعيبُ إلاّ الإيمان بآيات الله، و هو أصل كلّ خير.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾: افِضْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ واسعاً كثيراً يَغمرنا كما يُفْرَغُ الماءُ ﴿وَتَوَفَّنَا

١ ـ البَهْرُ: الغلبة. القاموس المحيط ١: ٣٩٢ (بهر).

مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتغيير النّاس عليك و دعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: معبوداتك. القمّي: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الرّبوبيّة.[1] و عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّه قرأ: "وَيَذَرَكَ وَإِلٰهَتَكَ"»[2] يعني: عبادتك. و قيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً، و أمرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه؛ و لذلك قال: "أنا ربّكم الأعلى".[3] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ كما كنّا نفعل من قبل، ليعلم أنّا على ما كنّا عليه من القهر و الغلبة، و أنّ غلبة موسى لا أثر لها في مُلكنا ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: غالبون، و إنّهم مقهورون [مغلوبون][4] تحت أيدينا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة بقتل الأبناء ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته. والقمّي: قبل المجيء بقتل الأولاد، و بعده لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى.[5] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكرٍ و كفرانٍ و طاعةٍ و عصيانٍ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالجدوب، لقلّة الأمطار و المياه؛ و السَّنَةُ غلبت على عام القحط، لكثرة ما يُذكَرُ عنه و يُورّخ به، ثمّ اشتقّ منها، فقيل: أَسْنَتَ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ـ٢٣٧.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ٢٣؛ و الكشّاف ٢: ١٠٥. و الآية في النّازعات (٧٩): ٢٤.
٤ـ الزيادة من «ب».
٥ـ القمّي ١: ٢٣٧.

القَومُ: إذا أقحطوا. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لكي يتنبّهوا على انّ ذلك بشؤم كفرهم و معاصيهم فيتّعظوا، و ليرقّ قلوبهم بالشّدايد، فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ من الخِصْب و السَّعة ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾: لاجلنا ونحن مستحقّوها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ و بلاء ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾: يتشأّموا بهم و يقولوا: ما أصابتنا إلاّ بشؤمهم. القمّي: الحسنة هنا: الصّحّة والسّلامة والأمن والسَّعَة؛ و السّيّئة هنا: الجوع و الخوف و المرض[1]. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ اي: سبب خيرهم و شرّهم عنده، و هو حكمه و مشيّته، كما قال: "قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِالله"[2] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لتموّه علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. أرادوا انّهم مصرّون على تكذيبه و إن اتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم و غشيهم. قال: «هو طوفان الماء والطّاعون»[3]. ﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾. قيل: هي كبار القِرْدان[4] و قيل: صغار الجَراد[5]. ﴿وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾: مبيَّنات. لايشكل انّها آيات الله و نقمته، أو منفصلات، بين كلّ آيتين منها مدّة لامتحان احوالهم ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: العذاب ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٢ـ النّساء (٤): ٧٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٥، الحديث: ٦٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ـ الكشّاف ١: ٥٠٣؛ و البيضاوي ٣: ٢٤.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾.
﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾.

قال: «لمّا سجد السّحرة و آمن به النّاس، قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فانزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب دورهم و مساكنهم حتّى خرجوا إلى البرّيّة و ضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: أُدع ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى أُخلّي عن[1] بني إسرائيل واصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطّوفان، و همّ فرعون ان يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى و ازال ملكك، فقبل منه و لم يخلّ عن بني إسرائيل، فانزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجَرادَ، فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت و الشّجر، حتّى كادت[2] تجرّد شَعْرَهم و لحيتَهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً و قال: يا موسى أُدع ربّك ان يكفّ عنّا الجَراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل و اصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجَراد، فلم يدعه هامان ان يخلّي عن بني إسرائيل، فانزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القُمّلَ، فذهبت زروعهم واصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففتُ عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القُمّل و قال: اوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فارسل الله عليهم بعد ذلك الضّفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من ادبارهم و آذانهم و آنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: أُدع الله يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا ابوا ان يخلّوا عن

١ـ في «الف»: «من بني إسرائيل».
٢ـ في «لف» و «ح»: «كانت».

بني إسرائيل حوّل الله ماء النّيل دماً، فكان القِبْطي يراه دماً و الإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً و إذا شربه القِبْطي يشربه [١] دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي، فكان إذا صبّه في فم القبطي يحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدّم غدروا و لم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرّجز، و هو الثّلج، و لم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله، فـ "قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك، لئن كشفت عنّا" الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرائيل" فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام و خرج موسى من مصر، واجتمع إليه مَنْ كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل، فقد استجمعوا إليه؛ فجزع فرعون و بعث في المدائن حاشرين، و خرج في طلب موسى» [٢].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني: بني اسرائيل، كان يستضعفهم فرعون و قومه بالاستعباد و ذبح الابناء. ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ يعني: أرض مصر و الشّام، ملّكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة و العَمالقة و تمكّنوا في نواحيها. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخِصْب و العيش ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ومضت عليهم، و اتّصلت بالإنجاز عدته إيّاهم بالنّصر و التّمكين، و هي قوله عزّوجلّ: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا" إلى قوله: "مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [٣]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بسبب صبرهم على الشّدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: و خرّبنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ

١ـ في المصدر: «كان دماً».
٢ـ القمّي ١: ٢٣٧ـ٢٣٨؛ و في مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٨ـ٤٦٩ ما يقرب منه عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القصص (٢٨): ٥ و ٦.

﴿وَقَوْمُهُ﴾ من القصور و العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنّات، أو ما كانوا يرفعون من البنيان.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بعد مهلك فرعون ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾: صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾: مدمّر مكسّر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: إنّ الله يهْدِم دينهم الّذي هم عليه، و يحْطِم أصنامهم هذه و يجعلها رُضاضاً ﴿وَبَاطِلٌ﴾: مضمحلّ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها لا ينتفعون بها، و إن قصدوا بها التّقرّب إلى الله عزّوجلّ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: أطلب لكم معبوداً؟ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: و الحال انّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: و اذكروا صنيعه بكم في هذا الوقت ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يكلّفونكم شدّة العذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قد سبق تفسيرها في سورة البقرة.[1] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب ان يُصلَح من أمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: و لا تطع من دعاك إلى الإفساد و لاتسلُك طريقته.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: لوقتنا الّذي وقّتنا له وحدّدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة، كما يُكلّم الملائكة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى

١ـ في ذيل الآية: ٥١.

﴿ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ لمّا تجلّيت عليه ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر له عظمتُه و تعرّض له اقتدارُه و أمرُه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكاً مُفتّتاً[1] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشيّاً عليه من هول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ تعظيماً لما رأىٰ ﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال: «لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّاً[2] رجع إلى قومه فأخبرهم بذلك، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعتَه، فاختار منهم سبعين، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح[3] الجبل و صعد إلى الطّور، و سأل الله أن يكلّمه و يُسمعَهم كلامَه. فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذي سمعناه كلامُ الله، حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا و عتوا، بعث الله عليهم صاعقةً، فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا؛ فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه؛ فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك؛ فتخبرنا كيف هو؟! ونعرفه حقّ معرفته؛ فقال: يا قوم، إنّ الله لا يُرى بالأبصار و لا كيفيّة له، و إنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه؛ فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله؛ فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سَلْني ما سألوك فلن أُؤاخذك

١ـ الدَّكُّ: الدقّ و الهدْمُ «القاموس المحيط ٣: ٣١١ـ دك» و الفتّ. الدقّ و الكسر بالأصابع و الشقّ في الصّخرة. «القاموس المحيط ١: ١٥٩ـ فت». و «دكّاً» في الآية مصدرٌ بمعنى مفعول.

٢ـ قرّبهُ نجيّاً أي: مناجياً و هو مصدر كالصّهيل و النّهيق يقع على الواحد و الجماعة. مجمع البحرين ١: ٤٠٨ (نجا).

٣ـ سَفْحُ الجبَلِ: أسفله حيث يسفح فيه الماء. مجمع البحرين ٢: ٣٧٣ (سفح).

بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ" و هو يهوي "فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ" بآية من آياته، "جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ" يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" منهم بأنّك لاتُرى»[١].

و في رواية: «فقال الله تبارك و تعالى: لن تراني في الدّنيا حتّى تموت فتراني في الآخرة، و لكن إن أردتَ أن تراني في الدّنيا "فَانْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ" الآية»[٢]. و ورد: «لمّا صعد إلى الجبل فتحت أبواب السّماء و أقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العُمُد[٣] وفي رأسها النّور، يمرّون به فوجاً بعد فوج، يقولون: يابن عمران اثبت فقد سألت أمراً عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله»[٤]. وفي رواية: «إنّ الملائكة أُمرت أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق و الرّعد و الرّيح و الصّواعق، فكلّ ما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع[٥] رأسه فيسأل أفيكم ربّي؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يابن عمران»[٦]. و في رواية: «إنّه لمّا سأل ربّه ما سأل، أمَرَ واحداً من الكروبيّين[٧] فتجلّى للجبل و جعله دكّاً»[٨].

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: إخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الّذين في زمانك ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِي﴾ يعني: أسفارَ التّوراة ﴿وَبِكَلَـٰمِي﴾: وبتكليمي إيّاك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ـ٢٠١، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العُمُد ـ بضمّ العين و الميم و فتحهما ـ جمع العَمُود
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٦، الحديث: ٧٢، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «فلمّا صعد موسى على الجبل»
٥ ـ في «الف» و «ج»: «فرفع».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٧، الحديث: ٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكروبيّون ـ مخفّفة الرّاء ـ سادة الملائكة و المقرّبون منهم. مجمع البحرين ٢: ١٥٩ (كرب)
٨ ـ السّرائر: ٤٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «رجلاً» بدل: «واحداً».

الرّسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. روي: «انّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة و إعطاء التّوراة يوم النّحر»[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾. ورد: «أنزلها عليه و فيها تبيان كلّ شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم السّاعة. قال: و هي عندنا»[2]. و ورد: «إنّ الألواح كانت من زَبَرْجَدَة من الجنّة»[3]. و في رواية: «كانت من زُمُرُّدٍ أخضر»[4]. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ و عزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: باحسن ما فيها، كالصّبر و العفو بالإضافة إلى الانتقام و الاقتصاص، و هو مثل قوله تعالى: "وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ"[5] و قوله: "فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"[6] ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لامر الله، الخارجة عن طاعة الله لتعتبروا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالطّبع على قلوبهم، فلايتفكّرون فيها ولايعتبرون بها. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لانهماكهم في الهوى. ورد: «إذا عظّمَتْ أُمّتي الدّنيا نُزِعَتْ عنها هيبةُ الإسلام و إذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حُرِمَتْ بَرَكَةَ الوحي»[7]. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ القمّي: إذا رأوا الإيمان و الصّدق والوفاء والعمل الصّالح لايتّخذوه سبيلاً، و إن يروا الشّرك و الزّنا و المعاصي يأخذوا بها و يعملوا بها[8]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٧.
٢ و٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٨، الحديث: ٧٧؛ وبصائر الدّرجات: ١٤٠، الباب: ١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٦ ـ الزّمر (٣٩): ٥٥ و ١٨.
٧ ـ فيض القدير ١: ٤٠٤.
٨ ـ القمّي ١: ٢٤٠

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لاينتفعون بها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه للميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: خالياً من الرّوح ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: صوت البقر. قد سبق قصّة العجل في سورة البقرة[١]. و ورد: «إنّ فيما ناجىٰ موسىٰ ربّه[٢] أن قال: يا ربّ هذا السّامريّ صنع العجل، فالخوار من صنعه؟! فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفحّص عنها»[٣]. وفي رواية: «قال: يا ربّ، و مَنْ أخارَ الصنَم؟ فقال الله يا موسى انا أخرتُه، فقال موسى: إن هي إلاّ فتنتك»[٤]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: واضعين الأشياء غيرَ مواضعها، فلم يكن اتّخاذ العجل بدعا منهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾. كناية عن اشتداد نَدَمهم، فإنّ النّادم المتحسّر يَعَضُّ يَدَه غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها. ﴿وَرَأَوْا﴾: و علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ باتّخاذ العجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، او حزيناً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؟ يقال: عَجِلَ عن الأمر: إذا تركه غيرَ تامّ، و أعْجَلَه عنه غيره، و يُضَمَّن معنى سَبَقَ فيقال: عَجِلَ الامر. و المعنى: اتركتم أمر ربكم غير تامّ؟ والأمر: انتظار موسى حافظين لعهده ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: طرحها من شدّة الغضب لله، و فرط الضّجر حميّةً للدّين. ورد:

١ ـ في ذيل الآية: ٥١.
٢ ـ في «ب»: «ناجىٰ ربّه موسى» و في المصدر: «ناجَى اللهَ موسى».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٩، الحديث: ٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ المصدر الحديث: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

«إنّ منها ما تكسّر و منها ما بقي و منها ما ارتفع»[1].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾. قال: «و ذلك لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، و كان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب»[2]. ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾. قال: «ولم يقل: يابن أبي، لانّ بني الأب إذا كانت أمّهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلاّ من عصمه الله منهم، و إنّما تستبعد العدواة بين بني أمٍّ واحدة»[3]. و ورد: «إنّه كان أخاه لأبيه وأمّه»[4]. قيل: و كان أكبر من موسى بثلاث سنين و كان حَمُولاً[5] ليناً، و لذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل. [6] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: قهروني و اتّخذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفّهم بالإنذار و الوعظ. ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾: و قاربوا قتلي لشدّة إنكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمَوْجِدَة عليّ[7] و نسبة التقصير إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قيل: هو ما أُمروا به من قتل أنفسهم و خروجهم من ديارهم و الجزية. [8] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. افتراؤهم قولهم: «هذا إلٰهكُمْ وَإلٰهُ مُوسىٰ». [9] ورد: «إنّه تلا هذه الآية، فقال: فلا ترى صاحبَ بدعة إلاّ ذليلاً، و لا مفترياً على الله و على رسوله و أهل بيته

١ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٢٧، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ حَمَلَ عنه: حَلُمَ فهو حَمُولٌ: ذو حِلْمٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٧٢ (حمل).
٦ـ البيضاوي ٣: ٢٨.
٧ـ وَجَدَ عليه ـ يَجِدُ وَجْداً وجِدَةً و مَوْجِدَةً ـ غضب. «القاموس المحيط ١: ٣٥٦ ـ وجد». و في «ب» «بالمؤاخذة عليّ».
٨ـ البيضاوي ٣: ٢٨؛ و الكشّاف ٢: ١١٩.
٩ـ طه (٢٠): ٨٨.

صلّى الله عليهم إلّا ذليلاً»[١] .

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا ﴾ : و عملوا بمقتضى الإيمان ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ : من بعد التوبة ﴿ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ . عبّر عن سكون الغضب بالسّكوت تنبيهاً على انّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والآمر له به، و المُغْري عليه، و هذا من البلاغة في الكلام. ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ التي القاها ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى ﴾ : بيان و دلالة لما يحتاج إليه من امر الدّين ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ : نعمة و منفعة ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ المعاصي .

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ : من قومه؛ من باب الحذف و الإيصال. ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ . سبقت قصّتهم[٢]. ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ . تمنّىٰ هلاكهم و هلاكه قبل ان يَرىٰ ما رأىٰ. ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾؟ من التّجاسر على طلب الرّؤية .

ورد: «إنّ السّبعين لمّا صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رايت الله سبحانه فارناه كما رايته؛ فقال: إنّي لم اره؛ فقالوا: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً"[٣]، فاخذتهم الصّاعقة و احترقوا عن آخرهم و بقي موسى وحيداً؛ فقال: يا ربّ اخترتُ سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئتُ بهم و ارجع وحدي، فكيف يصدّقني قومي بما اخبرتهم به؟ فـ"لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيّايَ أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا"؟ فاحياهم الله بعد موتهم»[٤]. ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ : ابتلاؤك حين اسمعتَهم كلامك حتّى طمعوا في الرّؤية. ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا ﴾ : القائم بامرنا

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ في ذيل الآية: ١٤٣ من نفس السّورة.
٣ـ البقرة (٢): ٥٥.
٤ـ التّوحيد: ٤٢٤، الباب: ٦٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر السيّئة و تبدلها بالحسنة.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حُسْنَ معيشةٍ وتوفيقَ طاعةٍ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك؛ من هاد يهود: إذا رجَعَ. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدّنيا؛ فما من مسلم و لا كافر و لا مطيع و لا عاص إلاّ و هو متقلّب في نعمتي، أو في الدّنيا و الآخرة، إلاّ انّ قوماً لم يدخلوها لضلالهم. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأثبتها و أُوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك و المعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾. قال: «الرّسول: الّذي يظهر له المَلَكُ فيكلّمه، والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، و ربّما اجتمعت النّبوّة و الرّسالة لواحد»[1]. ﴿الْأُمِّيَّ﴾ قال: «المنسوب إلى أُمّ القُرى و هي مكّة»[2] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ قال: «يعني: اليهودَ و النّصارى»[3]. ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ قال: «صفة محمّد واسمه»[4]. ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾.

قال: «لمّا أُنزلت التّوراة على موسى بشّر بمحمّد ﷺ فلم تزل الانبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح فبشّر به»[5]. و ورد: «إنّ يهودياً قال له: إنّي قرات نَعْتَك في التّوراة محمّدبن عبدالله، مولده بمكّة و مهاجره بطيبة، ليس بفظٍّ و لاغليظ و لا سَخّاب،[6] ولامُترَنِّنٍ[7] بالفحش و لا قول الخَنا، و انا اشهد ان لاإله إلاّالله و انّك رسول الله؛ هذا

١ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ و ٤ـ العيّاشي ٢: ٣١، الحديث: ٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ السَّخّاب صيغة مبالغة من السَّخَب و هو شدّة الصّوت، من تساخب القوم: إذا تصايحوا و تضاربوا مجمع البحرين ٢: ٨١ (سخب).
٧ـ المُترَنِّن ـ بنونين ـ من الرَّنَّة ـ بالفتح و التّشديد ـ: الصّوت. والخَنا ـ مقصور ـ: الفحش من القول مجمع البحرين ٦: ٢٥٨ (رنن).

مالي فاحكم فيه بما انزل الله»[١]. ﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾. قال: «هو قول الله عزّوجلّ يخبر عن عيسى: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"»[٢]. ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: و يخفّف عنهم ما كُلّفوا به من التّكاليف الشّاقّة. واصل الاصْر: الثِّقْل.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾: و عظّموه بالتّقوية و الذّبّ عنه. واصل التّعزير: المنع. ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ قيل: هو القرآن[٣]. وورد: «النّور في هذا الموضع عليّ و الائمّة عليهم السّلام»[٤]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: ما أُنزِلَ عليه و على مَنْ تقدّمه من الرّسل ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى العلم اللّدنّي الموصل إلى محبّة الله و ولايته، فإنّه لايحصل إلاّ بالايمان و اتّباع النّبيّ ﷺ و مَنْ أمرَ النّبيُّ باتّباعه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ بينهم. قال: «هم اهل الإسلام»[٥]. و في رواية: «إنّ هذه الأُمّة قوم من وراء الصّين لم يغيّروا و لم يبدّلوا ليس لاحدهم مال دون صاحبه، يُمْطَرُون باللّيل و يُضْحَوْن بالنّهار و يَزْرَعُون، لايصل إليهم منّا احدٌ و لا منهم إلينا، و هم على الحقّ»[٦]. و في أُخرى: «إنّهم يخرجون مع قائم آل

١ ـ امالي (الصّدوق): ٣٧٦، المجلس الحادي والسبعون، الحديث: ٦، عن امير المؤمنين ؏.
٢ ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن ابي جعفر ؏. و الآية في الصّفّ (٦١): ٦.
٣ ـ البيضاوي ٣: ٣٠؛ و الكشّاف ٢: ١٢٢.
٤ ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ؏، وفيه: «عليّ أمير المؤمنين».
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢، الحديث: ٨٩، عن ابي عبدالله ؏.
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٨٩، عن ابي جعفر ؏.

محمّد عليهم السّلام»[1].

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾: و صيّرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض؛ والاسباط: وُلْدُ الاولاد، وهم في وُلْدِ يعقوب بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التّيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ اي: فضرب فانبَجَسَتْ؛ و في حذفه إشارة إلى انّه لم يتوقّف في الامتثال. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ سِبْط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ ليَقيهم حرَّ الشّمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيْتَ المقْدسِ ﴿ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾. سبق تفسير هذه الآيات في سورة البقرة[2].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾: و اسأل اليهود؛ سؤال تقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم حدود الله ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها و ما وقع باهلها ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبةً منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصّيد يوم السّبت و قد نُهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمْرَ السَّبْت، مصدر سَبَتَتِ اليَهُودُ إذا عظَّمَتْ سبْتَها، بالتّجرّد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على وجه الماء؛ من شَرَعَ عليه: إذا دنا منه و اشرف. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٩، مروياً عن اصحابنا.

٢ـ في ذيل الآية: ٥٩.

ورد: «إنّهم توصّلوا إلى حيلة ليُحِلُّوا بها ما حرّم الله؛ فخدّوا أخاديد [1] تؤدّي إلى حياض يتهيّأ للحيتان الدّخول فيها من تلك الأخاديد و لايتهيّأ لها الخروج، فجاءت يوم السّبت جاريةً على أمان لها فدخلت الأخاديدَ و حَصَلَت [2] في الحياض و الغُدْران [3]، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها إلى اللُّجج [4] لتأمن من صائدها [5] فلم تقدر، وبقيت ليلها [6] في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد، و كانوا يأخذونها يوم الأحَد و يقولون: ما اُصطدْنا في السّبت إنّما اصطدنا في الأحد؛ و كذب أعداء الله، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السّبت» [7].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك استيصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لتماديهم في العصيان ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ يعني: موعظتنا لإنهاءِ [8] عذرٍ إلى الله، حتّى لاينسب إلى تفريط في النّهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لايحصل إلّا بالهلاك.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا تَركَ النّاسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما ذكّرهم به الواعظون ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ أخاديدَ جمع اُخدود: شقق في الارض مستطيل. و خَدَّ الارضَ: شقّها. مجمع البحرين ٣: ٤٢ (خدد).

٢ـ حَصَلَ الشّيء: ثَبَتَ و بقي. و الحاصل من كلّ شيءٍ: ما بقي و ثَبَتَ. القاموس المحيط ٣: ٣٦٨ (حصل).

٣ـ الغُدْران جمع الغَدير: القطعة من الماء يغادرها السّيل أي: يتركها. القاموس المحيط ٢: ١٠٣ (غدر).

٤ـ اللُّجَجُ: جمع اللُّجّ: معظم الماء. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (لجج).

٥ـ في المصدر و نسخة «الف»: «لتأمن صائدها».

٦ـ في المصدر: «و أبقيت ليلتها».

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٨ـ٢٦٩.

٨ـ أنهَى الرّجلُ الشّيء إنهاءً: ابلغه. القاموس المحيط ٤: ٤٠٠ (نها).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبّروا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾. قال: «عن قبول الزّجر عمّا نُهُوا عنه»[١]. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مُبعَّدين عن الخير»[٢].

ورد: «إنّ الواعظين خرجوا من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء؛ فنزلوا قريباً منها، فلمّا أصبحوا غدَوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مُصْمَتٌ، فدقّوه فلم يُجابوا و لم يَسْمَعُوا منها حِسَّ أحدٍ، فوضعوا سُلَّماً على سُورِ المدينة، ثمّ أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة، فنظر فإذاً هو بالقوم قردةً يَتَعاوَوْن[٣]، لها أذناب؛ فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال فَعَرَفَتِ القردةُ أنسابَها من الإنس، ولم يَعْرِفِ الإنسُ أنسابَها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهاكم؟»[٤].

و ورد: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا و أمَرُوا فنجَوا، و صنف ائتمروا ولم يأمُروا فمسخوا ذرّاً، و صنف لم يأتمروا و لم يأمروا فهلكوا»[٥].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلَم[٦]؛ تَفعّل من الإيذان، معناه عَزَمَ، فإنّ العازم على الأمر يُؤْذِنُ نَفْسَه به ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليُسلِّطنّ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يكلّفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالقتل و الإذلال و ضربِ الجزية. قيل: بعث الله عليهم بعد سليمان بخت النّصر، فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم و سبي نسائهم و ذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم، و كانوا يُؤدُّونَها إلى المجوس، حتّى بعث الله محمّداً ﷺ ففعل ما فعل، و ضرب عليهم الجزية، فلا تزال مضروبةً إلى آخر الدّهر. وفي

١ و ٢- تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٩، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٣- العُواء: صوت السّباع و كأنّه بالذّئب و الكلب أخصّ. يُقال: عَوىَ يَعْوِي عُواءً. النّهاية ٤: ٣٢٤ (عوا).
٤- العيّاشي ٢: ٣٣-٣٤، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و القمّي ١: ٢٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- الكافي ٨: ١٥٨، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦- في «ب»: «تأذّن: تفعّل».

رواية: «إنّ المَعْنِيّ بهم اُمّة محمّد ﷺ»[1]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدّنيا ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب و آمن.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: و فَرَّقْناهم فيها بحيث لايكاد يخلو بلد من فِرْقَة منهم. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مُنحطُّون عن الصّلاح ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنِّعَمِ و النِّقَمِ و المِنَحِ و المِحَنِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتنبهون[2] فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سَوْءٍ؛ و هو بالتّسكين شايع في الشّرّ، وبالتّحريك في الخير، والمراد به: الّذين كانوا في عصر النّبيّ ﷺ ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التّوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: حُطامَ هذا الشّيء الادنىٰ، يعني: الدّنيا. قيل: هو ما كانوا ياخذون من الرّشا في الحُكم، و على تحريف الكَلِم للتّسهيل على العامّة.[3] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذُنا اللهُ بذلك و يتجاوز عنه. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: يرجون المغفرة، و هم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؟ يعني: الميثاق في التّوارة بان لايكذبوا على الله و لايُضيفوا إليه إلاّ ما انزله. ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾: و قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك.

ورد: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: ان لا يقولوا حتّى يعلموا، و لا يردّوا مالم يعلموا، قال عزّوجلّ: "الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ" و قال: "بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بعلمه"»[4]. ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٩٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «يتنَهَّون».
٣ـ الكشّاف ٢: ١٢٨.
٤ـ الكافي ١: ٤٣، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية الثّانية في يونس (١٠): ٣٩.

﴿يَتَّقُونَ﴾ محارمَ الله ممّا [1] يأخذ هؤلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و أشياعهم» [2].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: قلعناه و رفعناه؛ و أصله: الجَذبُ. ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، و هي كلّ ما أظلّ. ﴿وَظَنُّوا﴾: و تيقّنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأنّ الجبل لا يَثْبُتُ في الجوّ، و لأنّهم كانوا يوعدون به. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾: «بعزم من قلوبكم و أبدانكم». كذا ورد [3]. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: «لمّا نزل التّوراة لم يَقبَلُوه، فرفع الله عليهم طور سَيْناء، فقال لهم موسى: إن لم تَقبَلُوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه و طأطؤا رؤوسهم» [4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أخرج من أصلابهم نسلَهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني: نَثَرَ حقايقَهم بين يدي علمه فاستنطق الحقايقَ بالسنة قابليّات جواهرِها و السُنِ استعدادتِ ذواتِها. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ اي: و نصب لهم دلائل ربوبيّته، و ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتّى صاروا بمنزلة الإشهاد؛ على طريقة التّمثيل، نظير ذلك قوله عزّوجلّ: «إنّما قولُنا لشيءٍ إذا أردناهُ أنْ نَقولَ لهُ كُنْ فَيَكُونُ» [5] و قوله جلّ و علا: «فَقالَ لَها وَ لِلأرضِ ائتِيا طَوعاً أوكَرهاً قالَتا أتَيْنا طائعينَ» [6].

١ـ في «ب»: «بما يأخذ».
٢ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٣٧، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ النّحل (١٦): ٤٠.
٦ـ فصّلت (٤١): ١١.

ورد: «اخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ، فعرّفهم نفسه وأراهم صُنْعَه، ولولا ذلك لم يَعْرِفْ أحدٌ ربَّه»[١]. وفي رواية: سُئِلَ: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[٢]. وفي أُخرى: سُئِلَ: مُعَايَنَةً كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يَدْرِ أحدٌ مَنْ خالقُه ورازقُه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾»[٣].

وورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نَثَرَهُم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والائمّة عليهم السّلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلمَ والدّينَ، ثمّ قال للملائكة[٤]: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي، وهم المسؤولون؛ ثمّ قال لبني آدم: أَقِرُّوا لله بالرّبوبيّة، ولهؤلاء النّفر بالولاية والطّاعة؛ فقالوا: نعم ربّنا أقررنا. فقال الله للملائكة: أشهدوا، فقال الملائكة: شهدنا»[٥].

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «على أن لا تقولوا غداً»[٦]. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني: آباءهم المؤسّسين اساس الشّرك.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن التّقليد واتّباع الباطل.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ هو بَلْعَمُ بنُ باعُورا من بني إسرائيل أُوتي علمَ بعضِ كتب الله. قال: «الأصل فيه بَلْعَمُ، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مُؤْثِرٍ هواه على

١- التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢- الكافي ٢: ١٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في يونس (١٠): ٧٤.
٤- في «الف»: «الملائكة».
٥و٦- الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

هدى الله من أهل القبلة» [1] . ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ بان كفر بها و نبذها وراءظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ : فلحقه الشيطان و ادركه و صار قريناً له ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ : من الضالّين.

قال: «أُعْطِيَ بَلْعَمُ بنُ باعورا الاسمَ الأعظمَ و كان يدعو به فيستجيب له [2] ، فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب [3] موسى و أصحابه، قال فرعون لبَلْعَم: أُدع الله على موسى و أصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارتُه فاقبل يضربها، فانطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني، اتريد ان اجيء معك لتدعو على نبّي الله و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، و هو قوله: "فَانْسَلَخَ مِنْها"» [4] .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ بتلك الآيات و ملازمتها إلى منازل الابرار من العلماء ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ : مال إلى الدنيا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثار الدّنيا و استرضاء قومه، و اعرض عن مقتضى الآيات مَحَطَطْنَاه. ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ في أخسّ احواله ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد و الزجر؛ مِنَ الحَمْلَة ﴿يَلْهَثْ﴾ : يخرج لسانه بالتنفّس الشّديد ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ : دائم اللّهث، بخلاف ساير الحَيَوان، فإنّه إذا هُيّجَ و حُرّكَ لَهَثَ و إلاّ لم يَلْهَثْ. والمعنى: إنْ وعظته فهو ضالّ، و إن لم تعظْهُ فهو ضالّ. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ المذكورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتّعظون و يحذرون [5] مثل عاقبته.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ : مَثَلُ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤ : ٥٠٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في المصدر: «فيستجاب له».
٣ـ في «الف»: «إلىٰ طلب موسى».
٤ـ القمّي ١ : ٢٤٨ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٥ ـ في «الف» و«ج»: «فيحذرون».

لاغيرهم.

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ .الإفراد فيه لاعتبار اللّفظ، والجمع في نظيره [١] لاعتبار المعنى؛ تنبيه على أنّ المهتدين كواحدٍ لاتّحاد طريقهم بخلاف الضالّين. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ : خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: «طبع الله عليها فلا تعقل»[٢]. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ قال: «عليها غطاء عن الهدى»[٣]. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ قال: «جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى»[٤] ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه و الإبصار للاعتبار، و الاستماع للتّدبّر، وفي انّ مشاعرهم و قواهم متوجّهةٌ إلى اسباب التّعيّش، مقصورةٌ عليها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإنّها تُدْرِكُ ما يمكن لها ان تُدْرِكَ من المنافع و المضارّ، و تجتهد في جذبها و دفعها غاية جهدها، و هم ليسوا كذلك، بل اكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النّار. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ : الكاملون في الغفلة. ورد: «إنّ الله ركّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوةٍ، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، و ركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غَلَبَ عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوتُه عقلَه فهو شرّ من البهائم»[٥].

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التي هي احسن الاسماء، لتضمّنها معانيَ هي احسن المعاني ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ : فَسَمُّوهُ بتلك الاسماء. سُئِلَ: عن الاسم، فقال: «صفة لموصوفٍ»[٦]. و في رواية: «إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله؛ و هو قول الله: "ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها"»[٧].

١ـ المراد بنظيره هو قوله تعالىٰ: «وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».
٢، ٣ و ٤ـ القمّي ١: ٢٤٩، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه: «فَلَنْ يَسْمَعُوا الْهُدىٰ».
٥ـ علل الشّرايع ١: ٤، الباب: ٦، الحديث: ١، عن ابي عبدالله، عن امير المؤمنين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ١: ١١٣، الحديث: ٣، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٤٢، الحديث: ١١٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾: يعدلون بها عمّا هي عليه، فيُسَمُّون بها أصنامَهم أو يصفون الله َبما لايليق به، و يُسَمُّونَه بما لايجوز تسميتُه به. قال: «و له الأسماء الحسنى الّتي لايسمّى بها غيره، و هي الّتي وصفها في الكتاب، فقال: "فادعوه بها و ذروا الّذين يلحدون في أسمائه" جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، و يكفر به و هو يظنّ انّه يحسن، و لذلك قال: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ"[1] فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غيرَ مواضعها»[2]. ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال: «هم الائمة»[3]. و في رواية علويّة: «والّذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأُمّةُ على ثلاثٍ و سبعينَ فِرقَةً، كلُّها في النّار إلاّ فِرقَة "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا" الآية؛ فهذه الّتي تنجو من هذه الأُمّة»[4]. و في أُخرى نبويّة: «هذه لكم و قد أُعطِيَ قومُ موسى مثلَها»[5]. و ورد: «إنَّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزلَ عيسى بن مريم»[6].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: سَنَستَدنِيهِم[7] قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتّى يقعوا فيه بغتةً؛ و أصل الاستدراج: الاستصعاد، أو الاستنزال درجةً بعد درجةٍ. ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما يُراد بهم، و ذلك ان يتواتر عليهم النِّعَمُ فيظنّوا انّه لطف من الله بهم، فيزدادوا بَطَراً و انهماكاً في الغيّ حتّى يحقَّ عليهم كلمةُ العذاب. قال: «هو العبد يذنب الذنب فتُجَدَّدُ له النّعمةُ، تُلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار عن ذلك

١ـ يوسف (١٢): ١٠٦.
٢ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، ذيل الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٢، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «لتفرقن».
٥و٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٠٣.
٧ـ في «الف» و «ب»: «سنستدنيهم».

الذّنب»[١]. و في رواية: «إذا أراد الله بعبد خيراً فـأذنب ذنباً أتبعـه بنقمة و يذكّره الاستغفارَ، و إذا أراد الله بعبد شرّاً فـأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لِيُنسيه الاستغفار و يتمادىٰ بهـا، و هو قـول الله عزّوجلّ: "سنستـدرجـهم من حيث لايعلمـون" بالنّعم عند المعاصي»[٢].

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾: و أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لايُدفع بشيء؛ إنّما سمّاه كيداً لانّ ظاهرَه إحسانٌ و باطنَه خذلانٌ.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ اي: جنون. روي: «انّها نزلت حين حذّرهم بأسَ الله، فنسبوه إلى الجنون»[٣]. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ نظرَ اعتبار ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: في باطنهما وارواحهما ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ممّا يقع عليه اسمُ الشّيء من اجناس خلقه الّتي لايمكن حصرها، لتدلّهم على كمال قدرة صانعها و وحدة مُبدعها و عظَمِ شان مالكها ومتولّي امرها، ليَظهَرَ لهم صحّةُ ما يدعوهم إليه. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾: و انّه عَسىٰ ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: و اقتراب آجالهم و توقّع حلولها، فيسارعوا إلى طلب الحقّ والتوجّه إلى ما يُنجيهم، قبل مُغافصة[٤] الموت و نزول العذاب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به. و المعنى: و لعلّ أجَلَهُم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الإيمان بالقرآن، و ماذا ينتظرون بعد وضوحه؟! فإن لم يؤمنوا به فبايّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ القمّي: يكِلُه إلى

١ـ الكافي ٢: ٤٥٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله ؑ.
٢ـ المصدر، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ؑ.
٣ـ الدّرّ المنثور ٣: ٦١٨؛ و البيضاوي ٣: ٣٦، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ غافصه: فاجأه و أخذه على غرة. القاموس المحيط ٢: ٣٢٢ (غفص).

نفسه [1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة و هي من الأسماء الغالبة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟: متى إرساؤها؟ أي: إثباتها و استقرارها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ استأثر به، لم يُطْلِعْ عليه ملكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾: لايظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني: انّ الخفاء بها مستمرّ على غيره إلى وقت وقوعها؛ واللّام للتّوقيت. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عظمت على اهلها من الملائكة و الثّقلين لهولها وشدّتها. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فَجأةً على غفلة. روي: «انّ السّاعة تهيج بالنّاس والرّجلُ يُصلح حوضَه، و الرّجلُ يَسقي ماشيته، و الرّجل يقوّم سلعَتَه في سوقه، والرّجل يَخفضُ ميزانَه و يرفعُه» [2].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ قيل: اي: عالم بها، و اصله: كانّك احفيت بالسّؤال حتّى علمتَها، اي: استقصيتَ و الحفْتَ. [3] ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لانّه من علم الغيب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ انّه المختصّ بالعلم بها. القمّي: إنّ قريشاً بعثت قوماً إلى نَجْران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسالونها رسولَ الله ﷺ، و كان فيها: سَلُوا محمّداً ـ ﷺ ـ متى تقوم السّاعة؟ فإن ادّعى علمَ ذلك فهو كاذب، فإنّ قيام السّاعة لم يُطْلِعِ اللهُ عليه ملكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سالوه نزلت [4].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جلْبَ نفعٍ و لا دفْعَ ضررٍ، و هو إظهار للعبوديّة، و التّبرّي عن ادّعاء العلم بالغيوب. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من ذلك، فيُلهمُني إيّاه ويوفّقني له ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال:

١ـ القمّي ١: ٢٤٩.
٢و٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٩.

«يعني الفقر»[١]. القمّي: كنت أختار لنفسي الصحّة و السّلامة.[٢] ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها ﴿زَوْجَهَا﴾: حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها و يطمئنّ إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خفّ عليها ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرّت بالحمل ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: ولداً سويّاً بريئاً من الآفة ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: «هما آدم وحوّاء، و إنّما كان شركهما شرك طاعة و ليس شرك عبادة»[٣]. وفي رواية: «جعل صنفا الذّكر و الأنثى من اولادهما لله سبحانه شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّوجلّ. قال الله تعالى: "فتعالى الله عمّا يشركون"»[٤].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني الاصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾.

الخطاب إمّا للمسلمين و«هم» ضمير المشركين، و إمّا للمشركين و«هم» ضمير الشّركاء[٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ اي: تعبدونهم و تسمّونهم آلهة من دونه سبحانه

١ـ معاني الاخبار: ١٧٢، باب معنى السّوء، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٠.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٥ـ فمعنى على الاوّل: إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لايجيبوكم، و على الثّاني: إن تدعوا الاصنام إلى ان يهدوكم لايتّبعوكم إلى مرادكم و لايجيبوكم كما يجيبكم الله «منه في الصّافي ٢: ٢٦٠».

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مسخّرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ في مهمّاتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّهم آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم و شركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: فلا تُمهِلُوني، فإنّي لاأبالي بكم لوثوقي على ولاية الله و حفظه.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾: ناصري و حافظي ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: ينصرهم و يحفظهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُشبِهُونَ النّاظرين إليك، لانّهم صوّروا[1] بصورة مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهه. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: خذ ما عفا لك من افعال النّاس و اخلاقهم و ما يأتي منهم من غير كُلْفَة و تَسهُّلٍ، و لاتطلب ما يشقّ عليهم و لاتُداقّهم، واقبَلِ المَيْسورَ منهم؛ و نحوُهُ: «يسِّرُوا و لاتُعَسِّرُوا»[2]؛ من العفو الّذي هو ضدّ الجَهْد.

قال: «إنّ الله أدّب رسوله ﷺ بذلك، اي: خُذْ منهم ما ظهر و ما تيسّر، قال: والعَفْوُ: الوَسَطُ»[3].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال و الحميد من الاخلاق ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: و لا تُمارِ السّفهاءَ و لاتُكافِهمْ بمثل سَفَهِهِم.

روي: «لمّا نزلت هذه الآية سأل رسُول الله ﷺ جبرئيلَ عن ذلك. فقال: لاأدري

١ـ اي: صَوَّرُوا اصنامَهُم.

٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١. مرويّاً عن المعصوم ؏.

٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله ؏.

حتّى أسال العالمَ؛ ثمّ أتاه فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، و تصل من قطعك»[١]. و في رواية: «أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها»[٢]. و في أخرى: «إنّ الله أمره بمداراة النّاس»[٣].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: ينخسنّك منه نخسٌ في القلب يوسوسك على خلاف ما أُمرتَ به، كاعتراء غضب؛ شبّه وسوسته للنّاس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرز السّائق ما يسوقه. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. روي: لمّا نزلت الآية السّابقة قال النّبيّ ﷺ: «كيف يا ربّ و الغضب»[٤]. فنزلت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لمّة منه، كأنّها طافت بهم ودارت حولهم و لم تقدر أن تؤثّر فيهم ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما امر الله به و نهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ مواقع الخطأ و مكائد الشّيطان، فيتحرّزون عنها. قال: «هو العبد يهمّ بالذّنب ثمّ يتذكّر فيمسك»[٥].

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾: و إخوان الشّياطين، يعني: الّذين لم يتّقوا ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ بالتّزيين و الحمل عليه ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لا يُمسكون عن إغوائهم حتّى يُصرّوا ولا يرجعوا فيهلكوا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلاّ جمعتها تقوّلاً من عند نفسك كساير ما تقرأ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ للقلوب، بها تبصر الحقّ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١٢.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٥٦، الباب: ٢٦، الحديث ٩٠.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١٢.
٥ـ الكافي ٢: ٤٣٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قيل: نزلت في الصّلاة، كانوا يتكلّمون فيها فأُمِروا باستماع قراءة الإمام و الإنصات له[١]. و ورد: «إن كنتَ خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الأولتين و أنصت لقراءته و لا تقرأنّ شيئاً في الأخيرتين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول للمؤمنين: "وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرآنُ" يعني في الفريضة خلف الإمام "فَاسْتَمِعُوا لَهُ" الآية و الأخيرتان تبعٌ للأولتين»[٢]. و في رواية: «يجب الإنصات للقرآن في الصّلاة و في غيرها، و إذا قُرِئَ عندك القرآنُ وجب عليك الإنصات و الاستماع»[٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾. عامّ في كلّ ذكر ﴿تَضَرُّعًا﴾ قال: «يعني مستكيناً»[٤]. ﴿وَخِيفَةً﴾ قال: «يعني خوفاً من عذابه»[٥]. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: «يعني من القراءة»[٦]. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ قال: «يعني بالغداة و العشي»[٧].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله اللاّهين عنه. قيل: لأنّ الذّكر في النّفس ودون الجهر، الّذين يعبّر عنهما بالسّرّ، أدخَلُ في الإخلاص و أبعَدُ من الرّياء وأقربُ إلى القبول.[٨] و ورد: «لا يكتُبُ الملَكُ إلاّ ما يَسْمَعُ، و قال الله عزّوجلّ: و "اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفةً" فلا يعلم ثواب ذلك الذّكر في نفس الرّجل غيرُ الله لعظمته»[٩]. و في رواية: «قال الله من ذكرني سرّاً ذكرته علانيةً»[١٠]. و في رواية علويّة[١١]: «من ذكر الله في السّرّ فقد ذكَرَ الله كثيراً إنّ المنافقين كانوا يذكرون

١ـ البيضاوي ٣: ٤٠.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٥٦، الحديث: ١١٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ إلى ٧ـ المصدر، الحديث: ١٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ١: ٤٩٣.
٩ـ الكافي ٢: ٥٠٢، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السلام.
١٠ـ المصدر، ٥٠١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ في «ب» و «ج»: «وفي أُخرى».

الله علانيةً و لايذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: "يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَلِيلاً"»[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ القمّي: يعني الأنبياء و الرّسل و الائمّة عليهم السّلام[٢]. وقيل: الملائكة[٣]. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: و ينزّهونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾: و يخصّونه بالعبادة و التّذلّل، لايشركون به غيرَه. هنا اوّل سَجَدات القرآن. ورد: «إذا قرأ ابن آدم السّجدةَ، فسجد اعتزل الشّيطان يبكي و يقول: يا ويله أُمِرَ هذا بالسّجود فَسَجَدَ فله الجنّة، و أُمِرْتُ بالسّجود فعصيتُ فلي النّارُ»[٤].

١ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و الآية في النّساء: ١٤٢.

٢ـ القمّي ١: ٢٥٤.

٣ـ الكشّاف ٢: ١٤٠؛ و البيضاوي ٣: ٤٠.

٤ـ البيضاوي ٣: ٤٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

سورة الأنفال

[مدنيّة إلاّ من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكيّة. و آياتها ٧٥، نزلت بعد البقرة][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾: عن حكمها، و هي غنائم خاصّة، و النَّفْلُ: الزّيادة على الشّيء، سمّيت به الغنيمة لأنّها عطيّة من الله و فضل، و في قراءتهم عليهم السّلام: «يسالونك الأنفال»[2] يعني ان تعطيهم. ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾: مختصّة بهما، يضعانها حيث شاءا. قال: «الانفال كلّ ما أُخِذَ من دار الحرب بغير قتال، و كلّ ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ايضاً، والأَرَضُونَ الموات و الآجام و بطُون الاودية و قطائعُ الملوك و ميراث من لا وارث له؛ و هي للّه و لرسوله و لمن قام مقامَه بعدَه»[3]. و في رواية: «و كلّ ارض لا ربّ لها والمعادن»[4].

القمّي: نزلت ببدر حيث قاتل بعضهم، و أقام عند خيمة النّبيّ ﷺ آخرون،

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١٧، عن السجّاد والباقر والصّادق عليهم السّلام.

٣ـ جوامع الجامع ٢: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ٢: ٤٨، الحديث: ١١، عن ابي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لئلاّ يعرىٰ موضعُه فيميل عليه خيلُ المشركين، فخاف المقيمون ان لا يُعْطَوا من الغنائم شيئاً؛ لأنّها كانت قليلةً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا عنها[١]. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجَرة ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال الّتي بينكم، بالمواساة والمساعَدَة فيما رزقكم الله، و تسليم أمره إلى الله و الرّسول ﷺ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فَزِعَتْ لذكره استعظاماً له و هيبةً من جلاله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: ازدادوا بها يقيناً وطمأنينةَ نفسٍ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: و إليه يفوّضون أمورَهم فيما يخافون و يرجون.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنّهم حقّقوا الإيمان بضمّ مكارم الاخلاق ومحاسن افعال الجوارح إليه ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: كرامةٌ و علوُّ منزلةٍ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فَرَطَ منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أعدّ لهم في الجنّة. القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وابي ذرّ وسلمان والمقداد[٢].

و ورد «إنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، ثمّ بيّن عليه السلام ذلك، ثمّ قال: و لو كان كلّه واحداً لازيادةَ فيه و لانقصانَ لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوت النِّعَمُ فيه و لاستوى النّاسُ و بطل التّفضيل، و لكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّةَ، و بالزّيادة في الإيمان تَفاضَلَ المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنّقصان دخل المفرّطون النّار»[٣].

١ـ القمّي ١: ٢٥٤ـ ٢٥٥.
٢ـ لقمّي ١: ٢٥٥.
٣ـ الكافي ٢: ٣٤ و ٣٧، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ قال: «فالله ناصرك كما أخرجك»[١]. و قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثلُ حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب[٢].

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ ﴾: في إيثارك الجهادَ إظهاراً للحقّ على تلقّي العير و أخذ المال الكثير ﴿ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ أنّهم يُنصَرُون أين ما توجّهوا، بإعلام الرّسول ﷺ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ يعني يكرهون القتال كراهةَ مَنْ يُساق إلى الموت و هو يشاهد أسبابَه، و كان ذلك لقلّة عددهم و عدم تأهُّبهم للقتال.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾. القمّي ما ملخّصه: انّ عيرَ قريش خرجت إلى الشّام فيها خزائنهم، فأمر النّبيّ ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم انّ الله قد وعده إحدى الطّائفتين: إمّا العيرَ أو قريش[٣] أن يَظْفَرَ بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً بلغ أباسفيان ذلك و كان في العِير، فخاف خوفاً شديداً، و بعث إلى قريش فأخبرهم بذلك، و طلب منهم الخروج والمنع عن العير، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطّريق و مرّوا مسرعين، و نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره انّ العير قد أفلتت، و انّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال و وعده النّصر، فأخبر به رسول الله ﷺ أصحابه، فجزعوا من ذلك و خافوا خوفاً شديداً، إذ لم يتهيّؤوا للحرب؛ فقال رسول الله ﷺ أشيروا عليّ! فقام أبوبكر فقال: يارسول الله إنّها قريش و خُيَلاؤها[٤] ما آمنت منذ كفرت، و لا ذَلَّتْ منذ عَزَّتْ، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فجلس. فقال: أشيروا عليّ! فقام

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٢١ في حديث أبي حمزة.
٢ ـ البيضاوي ٣: ٤١؛ و الكشّاف ٢: ١٤٣.
٣ ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «قُرَيْشاً».
٤ ـ الخُيَلاء ـ بضمّ الخاء و فتح الياء ـ: الكبر. القاموس المحيط ٣: ٣٨٣ (خال).

عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس. ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خُيَلاؤُها، و قد آمنّا بك و صدّقناك و شهدنا انّ ما جئت به حقّ من عندالله، ولو امرتنا ان نخوض جَمْرَ الغَضا و شوكَ الهَراس[1] لَخُضْنا معك، و لا نقول لك ما قالت بنواسرائيل لموسى: "إذْهَبْ أنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتلا إنّا هاهُنا قاعدُونَ"[2] و لكنّا نقول: اذهب أنت و ربّك إنّا معكما مقاتلون، فجزاه النّبيّ خيراً، ثمّ جلس. ثمّ قال: اشيروا عليّ! فقام سعدبن مُعاذ فقال: بابي انت و أُمّي يا رسول الله! كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على امر قد أُمِرْتَ بغيره. قال: نعم. قال: بابي انت و أُمّي يا رسول الله! قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا انّ ما جئت به حقّ من عندالله، فمُرْنا بما شئتَ، و خذ من اموالنا ما شئت. ثمّ قال: والله لو أمرتنا ان نخوض هذا البحر لخضنا معك، إلى ان قال: و لكن نعدّ لك الرّواحل و تلقى عدوّنا، فإنّا صُبُرٌ عند اللّقاء، انجادٌ[3] في الحرب، و إنّا لنرجو ان يُقِرَّ الله عينيك بنا. فقال رسول الله ﷺ: كانّي بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع ابي جهل و عُتْبَة و شَيْبَة، فإنّ الله وعدني إحدى الطّائفتين و لن يُخلف الله الميعاد. فنزلت الآية "كَما أخرَجَكَ" إلى قوله: "وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" فامر بالرّحيل حتّى نزل ماء بدر و اقبلت قريش[4].

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: ذات الحدّة ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني العير، فإنّه لم يكن فيها إلاّ اربعون فارساً، و لذلك يتمنّونها و يكرهون ملاقاة قريش لكثرة عددهم

١ـ الجمر: النّار، القطعة الملتهبة. و الغضا: شجر من الأثل خشبه من اصلب الخشب و جَمْرُهُ يبقى زماناً طويلاً لا يطفئ. و الهراس: شجر كثير الشّوك. والشوك: مايخرج من النّبات شبيهاً بالإبر «راجع. مصباح المنير: ١٠٨؛ والمنجد في اللّغة: ٥٥٤، ٨٦٢، ٤٠٩».

٢ـ المائدة (٥): ٢٤.

٣ـ النّجدة: الشّدة و الشّجاعة و رجلٌ نجدٌ و نَجُدٌ: شديد البأس و منه حديث عليّ عليه السلام: «امّا بنوهاشم فانجادٌ امجادٌ» اي: اشدّاءُ شُجْعان. النّهاية ٥: ١٨ (نجد).

٤ـ القمّي ١: ٢٥٦ـ٢٦٠.

وعُدَّتهم. قال: «ذات الشّوكة: الّتي فيها القتال»[١]. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: باوليائه ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ و يستاصلهم. و المعنى: أنّكم تريدون مالاً، و أن لاتلقوا مكروهاً، والله يريد إعلاء الدّين و إظهار الحقّ، و ما يحصل لكم به فوز الدّارين.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ فَعَلَ ما فَعَلَ، و ليس بتكرير، لانّ الاوّل لبيان مرادالله و تفاوت ما بينه و بين مرادهم، والثّاني لبيان الدّاعي إلى حمل الرّسول ﷺ على اختيار ذات الشّوكة و نصره عليها. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لمّا علمتم ان لا محيص عن القتال مع قلّتكم و كثرة عدوّكم. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين و قلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهمّ انجزلي ما وعدتني، اللّهمّ إن تُهلكْ هذه العصابةُ لاتُعبَدُ في الأرض، فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه حتّى سقط رداؤه عن منكبَيْه فنزلت»[٢]. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متّبعين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني الامداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارةً لكم بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: و لا تاثير للإمداد و الإعداد و إنّما هي وسائط و روابط ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: امناً من الله بإزالة الرّعب عن قلوبكم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الحدث و الخبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الجنابة، و ذلك لانّه احتلم بعضهم و غلب المشركون على الماء.

القمّي: فلمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألْقيَ على أصحابه النّعاسُ حتّى ناموا، وانزل الله عليهم السّماء، و كانوا في موضع لايثبت فيه القدم فلبّد الأرضَ حتّى ثبتت

١ـ العيّاشي ٢: ٤٩، الحديث: ٢٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

أقدامُهم، و كان المطر على قريش مثلَ العَزالى [١]، و كان على أصحاب رسول الله ﷺ رَذاذاً [٢] بقدر ما يُلَبِّدُ الارضَ [٣]، و خافت قريش خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات [٤]. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله تعالى بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ حتّى لاتسُوخَ [٥] في الرّمل، او بالربط على القلوب حتّى يثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم و تثبيتهم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشارة لهم و بتكثير سوادهم و محاربة اعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: اعاليها التي هي المَذابحُ، او الرّؤوس. ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال: «اطراف الاصابع» [٦]. اي: جُزّوا رقابهم واقطعوا اطرافهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: كانوا في شِقٍّ خلاف شِقِّهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. الخطاب فيه مع الكفّار على طريقة الالتفات، يعني: ذوقوا ما عجّل لكم من القتل و الاسر مع ما اجّل لكم في الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾: كثيراً بحيث يُرى لكثرتهم كأنّهم يَزْحَفُون، أي: يَدِبُّون. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بالانهزام.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لان يكُرّ بعد الفرّ، يُخيّلُ عدوّه انه

١ـ العزالي جمع العَزْلاء: مصبّ الماء من الرّاوية و نحوها. «القاموس المحيط ٤: ١٥ ـ عزل» و هنا إشارة إلى شدّة وقع المطر
٢ـ الرَّذاذ: المطر الضعيف. القاموس المحيط ١: ٣٦٧ (رذاذ).
٣ـ لَبَّدَ المطرُ الارض: رَشَّها. المنجد في اللّغة: ٧١٠ (لبد).
٤ـ القمّي ١: ٢٦١.
٥ـ ساخت قوائمه في الارض: دخلت فيها و غابت. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (سوخ).
٦ـ القمّي ١: ٢٦٧، عن أبي عبدالله ؑ.

مُنْهَزِمٍ؛ و هو من مكائد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو مُنحازاً إلى فئة اُخرى من المسلمين ليستعين بهم من غير هزيمة ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. «فمن انهزم حتّى يجوز صفّ أصحابه فقد باء». كذا ورد[١].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوّتكم؛ يعني: إن افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بان انزل الملائكة و القى الرّعبَ في قلوبهم و قوّى قلوبكم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ انت يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ حيث أثّرت الرَّمْيَةُ ذلك الأثرَ العظيمَ.

روي: «انّ قريشاً لمّا جاءت بخيَلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارْمِهم بها. فقال لعليّ عليه السلام: اعطني قبضة من حَصْباء[٢] الوادي، فاعطاه فرمى بها في وجوههم و قال: شاهَت الوُجُوهُ، فلم يبق مشرك إلّا شُغِلَ بعينَيْه فانهزموا، و رَدَفَهُمُ المؤمنون يَقْتُلُونهم و يأسِرُونَهم، ثمّ لمّا انصرفوا اقبلوا على التّفاخر، فيقول الرّجل: قَتَلْتُ وأسَرْتُ، فنزلت»[٣].

اثبت الرّمي لرسول الله صلى الله عليه وآله لانّه وُجِدَ منه صورةً، و نفاه عنه معنىً، لانّ أثَرَهُ الّذي لا يدخل في قدرة البشر فِعْلُ الله سبحانه، فكانّه فاعِلُ الرَّمْيَة على الحقيقة، وكانّها لم تُوجَدْ من الرّسول.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾: ولِيُنْعِمَ عليهم نعمةً عظيمةً بالنّصر و الغنيمة ومشاهدةِ الآيات فَعَلَ ما فَعَلَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم و دعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم واحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الغرض ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني انّ المقصود إبلاء المؤمنين و توهين كيد الكافرين.

١ـ العيّاشي ٢: ٥١، الحديث: ٣١، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ـ الحَصْباء: الحَصىٰ. القاموس المحيط ١: ٥٧ (حصب).

٣ـ تفسير أبي السّعود ٤: ١٣؛ وروح المعاني ٩: ١٨٤؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٣٩.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾. قيل: خطاب لأهل مكّة على سبيل التهكّم[١].
ورد: «إنّ أبا جهل قال: اللّهمّ ربّنا ديننا القديم و دين محمّد الحديث، فأيّ الدّينين كان أحبّ إليك و أرضى عندك فانصر أهله اليوم»[٢]. ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمّنه سلامة الدّارين ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصره ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: عن الرّسول ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن و المواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن الحقّ ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لاخير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ ولم ينتفعوا به ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لعنادهم. قال: «نزلت في بني عبدالدّار، لم يكن أسلم منهم غير مُصْعَب بن عُمَيْر و حليف لهم يقال له: سُوَيْط»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطّاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الرّسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قال: «نزلت في ولاية عليّ عليه السلام»[٤]. والقمّي: الحياة: الجنّة[٥].
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ القمّي: يحول بينه و بين ما يريد[٦]. و في رواية: «يحول بين المؤمن و معصيته أن تقوده إلى النّار، و بين الكافر و بين طاعته أن يستكمل بها الإيمان. قال: واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها»[٧]. و في أُخرى: «يحول بينه و بين

١ـ البيضاوي ٣: ٤٥؛ و الكشّاف ٢: ١٥٠. والتَّهَكُّمُ: الاستهزاء. القاموس المحيط ٤: ١٩٣ (هكم).
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣١.
٣ـ المصدر: ٥٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «سُوَيْبِط»، وفي جوامع الجامع ٢: ١٢٠. «سُوَيْد بن حَرْمَلة».
٤ـ الكافي ٨: ٢٤٨، الحديث: ٣٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ـ القمّي ١: ٢٧١.
٧ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

أن يعلم انّ الباطل حقّ»[1]. ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ بل يعمّهم و غيرهم، كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر و افتراق الكلمة و ظهور البدَع. قال: «أصابت النّاس فتنة بعد ما قبض الله نبيّه ﷺ حتّى تركوا عليّاً عليه السلام و بايعوا غيره، و هي الفتنة الّتي فُتنوا بها، و قد أمرهم رسول الله ﷺ باتّباع عليّ والاوصياء من آل محمّد عليهم السّلام»[2]. و ورد: لمّا نزلت قال النّبيّ ﷺ: «من ظلم عليّاً عليه السلام مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي و نبوّة الأنبياء قبلي»[3]. والقمّي: نزلت في طلحة والزّبير، لمّا حاربوا امير المؤمنين عليه السلام و ظلموه[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «لَتُصيبَنَّ»[5]. باللام دون لا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾. قال: «نزلت في قريش خاصّة»[6].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ انّكم تخونون. قال: «خيانةُ الله و الرّسول معصيتُهما، و أمّا خيانة الأمانة فكلّ إنسان مامون على ما افترض الله عليه»[7].

وقال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المنذر»[8]. فلفظ الآية عامّ و معناها خاصّ.

١ـ التّوحيد: ٣٥٨، الباب: ٥٨، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٤. عن ابن عبّاس.
٤ـ القمّي ١: ٢٧١، و فيه: «لمّا حاربا».
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٢. عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٧١
٧ـ القمّي ١: ٢٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.

«وذلك أنّ رسول الله ﷺ حاصَرَ يهودَ بني قُرَيْظَةَ إحدى وعشرين ليلةً فسألوه الصّلح على ما صالح عليه بني النَّضير أن يسيروا إلى أذْرُعات و أريحا من أرض الشّام، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكم سَعْد بن مُعاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة و كان مناصحاً لهم، لأنّ عياله و ماله و ولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فقالوا: ما ترى يا أبا لبالة! أننزل على حكم سعد؟ فأشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل فأخبره بذلك. قال أبولبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي خنتُ الله و رسولَه ﷺ فنزلت، فشدّ رأسه على سارية[1] من سواري المسجد و قال: والله لاأذوق طعاماً و لاشراباً حتّى أموت أو يتوبَ اللهُ عليّ. فمكث سبعة أيّام لايذوق فيها طعاماً و لاشراباً حتّى خرّ مغشياً عليه، ثمّ تاب اللهُ عليه فقال: لاوالله لاأحُلُّ نفسي حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الّذي يَحُلُّني، فجاءه فَحلَّه بيده، فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي الّتي أصبت فيها الذّنب، و أن أنخلع من مالي، فقال النّبيّ ﷺ: يجزيك الثّلث أن تَصَدَّقَ به»[2].

القمّي: و نزلت مع الآية الّتي في سورة التّوبة: "وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ"[3] الّتي نزلت في أبي لبابة[4].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمَنْ آثر رضا الله عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: هدايةً في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ و الباطل ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

١ـ السّارية: الأُسْطُوانة. القاموس المحيط ٤: ٣٤٣ (سرى)
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ الآية: ١٠٢.
٤ـ القمّي ١: ٢٧٢

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشاً. ذكّره ذلك ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالحبس ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بردّ مكرهم و مجازاتهم عليه ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

قال: «إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس إلى دار النَّدْوَة[1] ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله ﷺ، فإذا شيخ قائم بالباب، و إذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: ادخلوني معكم. قالوا: و من أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من مُضَر[2] ولي راي أُشير به عليكم. فدخلوا و جلسوا و تشاوروا و هو جالس، و أجمعوا أمرهم على أن يُخْرِجُوه. فقال: هذا ليس[3] لكم براي إن أخرجتموه أجْلَبَ عليكم النّاسَ فقاتلوكم. قالوا: صدقت ماهذا براي، ثمّ تشاوروا فاجمعوا أمرهم على أن يوثقُوه. قال: هذا ليس بالرّاي إن فعلتم هذا و محمّدٌ رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم و خَدَمَكم، و ما ينفع أحدهم إذا فارقه أخوه و ابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فاجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهرٍ فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

والقمّي ذكر ما يقرب منه مع زيادات، ثمّ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ و أخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار النَّدْوَة يدبّرون عليك، و أنزل عليه في ذلك: "و إذْ يَمْكُرُ بكَ" الآية. فلمّا أمسى جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبولهب: لاأدَعُكم أن تدخلوا عليه باللّيل، فإنّ في الدّار صبياناً و نساءً و لاتأمن أن تقع بهم يدٌ خاطئة فنَحْرُسُهُ اللّيلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ و أمر رسول الله

١ ـ هي بمكّة أحدثها «قُصَيّ بن كلاب» لمّا تملّك مكّة، و هي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة معجم البلدان ٥: ١٨٦ و ٢٧٩.

٢ ـ في المصدر: «بني مُضَر» و هي من القبائل العربيّة العدنانيّة منسوبة إلى مُضَر بن نزار.

٣ ـ في «ج»: «ليس هذا».

٤ ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

أن يفرش له، و قال لعلّي عليه السلام: افدني بنفسك! قال: نعم يا رسول الله. قال: نَمْ على فراشي و التحفْ بِبُرْدَتي. و جاء جبرئيل فاخذ بيد رسول الله فاخرجه على قريش و هم نيام و هو يقرأ عليهم: «وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ»[١] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثَوْر؛ و هو جبل على طريق منى له سَنامٌ كسَنام الثّور، فدخل الغارَ و كان من امره ما كان. فلمّا اصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة و قصدوا الفِراش، فوثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شانكم؟ قالوا له: اين محمّد؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم. فاقبلوا يضربونه[٢] و يقولون: انت تَخْدَعُنا منذ اللّيلة، فتفرّقوا في الجبال. و كان فيهم رجل من خُزاعَة يقال له: ابوكُرْز، يَقْفُو الآثارَ، فقالوا: يا اباكرز! اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه قدم محمّد والله إنّها لأُخْتُ القدم الّتي في المقام، وكان أبوبكر استقبل رسولَ الله صلى الله عليه وآله فردّه معه، فقال ابوكرز: و هذه قدم ابن ابي قحافة او ابيه، ثمّ قال: و هاهنا عَبَرَ ابنُ ابي قحافة، فما زال بهم حتّى اوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جاوزوا[٣] هذا المكان، إمّا ان يكونوا صعدوا السّماء او دخلوا تحت الارض. و بعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، و جاء فارس من الملائكة حتّى وقف على باب الغار ثمّ قال: ما في الغار احد فتفرّقوا في الشّعاب و صرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ اذن له في الهجرة[٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾. قيل: قائله

١ـ يس (٣٦): ٩.

٢ـ في المصدر: «يضربون اباالهب».

٣ـ في «الف» و «ج»: «ماجازوا» و في المصدر: «ماجاوزا هذا المكان إمّا ان يكونا صعدا إلى السّماء او دخلا تحت الأرض».

٤ـ القمّي ١: ٢٧٥ـ٢٧٦.

النّضرُ بنُ الحارث بن كَلَدَة، و أُسرَ يوم بدر، فقتله النّبيّ ﷺ صبْراً [١] بيد عليّ عليه السلام. و إنّما قاله صلفاً [٢]، و هذا غاية مكابرتهم و فرط عنادهم، إذ لو استطاعوا ذلك فما مَنَعَهُمْ أن يشاؤوا و قد تَحدّاهُم و قَرَّعَهُم [٣] بالعجز عشر سنين، ثمّ قارَعَهُم بالسّيف فلم يعارضوا سواه؛ مع فرط حرصهم على قَهْرِه و غَلَبَته [٤].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سطَّرَهُ الأوّلون من القصص. قيل: قاله النّضر أيضاً، و ذلك أنّه جاء بحديث رُستَم و اسفنديار من بلاد فارس و زعم أنّ هذا هو مثل ذاك [٥].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ «قاله الحارث بن عَمْرو الفهريّ حيث سمع النّبيّ ﷺ ذكر كلاماً في فضل عليّ عليه السلام فنزلت: "و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم" الآية؛ فقال له النّبيّ ﷺ: يابن عمرو إمّا تبتَ و إمّا رحلتَ؟ فدعا براحلته فركبها، فلمّا صار بظهر المدينة أتته جَنْدَلَة [٦] فرضّت هامته [٧]، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به [٨]». كذا ورد [٩]. و في رواية: «قاله النّعمان بن الحارث الفهريّ

١ـ قُتِلَ فُلانٌ صبراً: حُبِسَ على القتل حتّى يُقْتَلَ. الصّحاح ٢: ٧٠٦ (صبر).
٢ـ الصَّلَفُ ـ بالتّحريك ـ ... التّكلّم بما يكْرَهُهُ صاحبك و التّمدُّحُ بما ليس عندك أو مجاوَزَة قدر الظَّرف والادعاء فوق ذلك تكبُّراً. القاموس المحيط ٣: ١٦٨ (صلف).
٣ـ قَرَّعَ القومَ: أقْلَقَهُم و التّقريع: التّعنيف والتّثريب. القاموس المحيط ٣: ٧٠ (قرع).
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٤٨ وجوامع الجامع ٢: ١٧.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٧.
٦ـ الجَنْدَل ـ كجعفر ـ ما يُقِلُّهُ الرّجلُ من الحجارة. القاموس المحيط ٣: ٣٦٣ (جندل).
٧ـ الرَّضُّ: الدَّق و الجَرْش. و في المصدر: «رَضَخَتْ» أي: كسرت. و الهامَةُ: الرّأس. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣ و ٤: ١٩٥ (رضّ ـ هام).
٨ـ إشارة إلى قوله تعالىٰ: "وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنيدٍ" إبراهيم (١٤): ١٥.
٩ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي بصير.

لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير»[١]. و القمّي: قاله أبوجهل لمّا سمع النّبيّ ﷺ يقول: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدّنيا، و أجرّ المُلْكَ إليكم، فاجيبوني إلى ما ادعوكم إليه؛ تَمْلكوا بها العربَ و تدِنْ[٢] لكم بها العجمُ، و تكونوا ملوكاً في الجنّة، فحسده أبوجهل و قال: "اللّهمّ إن كان هذا" ... الآية، ثمّ قال: غفرانك اللّهمّ[٣].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

القمّي: نزلت حين قال ابوجهل: غفرانك اللّهمّ[٤].

اقول: و هو بيان لموجب إمهالهم و التّوقّف في إجابة دعائهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإنّهم ألجاوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، لمّا همّوا بقتله و أحصرُوا عام الحديبيّة. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال: «اولياء المسجد الحرام»[٥]. و في رواية: «يعني اولياء البيت، يعني المشركين»[٦].

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ قال: «حيثما كانوا اولى به من المشركين»[٧]. قيل: و هو ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت و الحرم[٨]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ان لا ولاية لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: «التّصفير و التّصفيق»[٩].

أقول: يعني: وَضَعُوا الصّفير و الصّفْقَ باليدين موضعَ الصّلاة.

روي: «انّ النّبيّ ﷺ كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدّار

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٢، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ـ تَدِنْ: تذلّ. و في «ب»و«ج» و المصدر: «تدين».
٣ـ القمّي ١: ٢٧٦.
٤ـ المصدر: ٢٧٧.
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٩، عن ابي جعفر ﷺ.
٦و٧ـ العيّاشي ٢: ٥٥، الحديث: ٤٦، عن ابي عبدالله ﷺ.
٨ـ البيضاوي ٣: ٤٩.
٩ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ﷺ. التّصفير: التّصويت بالشّفتين. والتّصفيق: التصويت باليدين بضرب باطن الرّاحة على باطن الأخرى. مجمع البحرين ٥: ٢٠٢ (صفق).

عن يمينه فيُصَفّران، و رجلان عن يساره فيُصَفّقان بأيديهما، فيُخَلّطان عليه صلاته، فقتلهم الله جميعاً ببدر»[1]. والقمّي: هذه الآية معطوفة على قوله: «و إذ يمكر بك الّذين كفروا» فإنّ قريشاً لمّا همّوا بقتله خرجوا إلى المسجد يصفّرون و يصفّقون و يطوفون بالبيت، فنزلت[2]. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾. القمّي: نزلت في قريش، فإنّهم لمّا اُخبِرُوا بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، أخرجوا أموالهم و حملوا و انفقوا و خرجوا إلى محاربته ببدر فقُتِلُوا و صاروا إلى النّار، و كان ما انفقوا حسرةً عليهم[3]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن و الصّالح من الفاسد ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجمعه و يضمّ بعضه إلى بعض ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كلّه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران.

ورد: «إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين اراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيّئة فإنّما هو من اجل ذلك المِزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة المؤمن، فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من اجل ذلك المِزاج ـ او لفظ هذا معناه ـ قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ النّاصب سنخَ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره و عنصره مع جميع أعماله الصّالحة و يردّه إلى المؤمن، و ينزع الله من المؤمن سنخَ النّاصب و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع اعماله السيّئة الرّديّة

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٠.
٢ـ القمّي ١: ٢٧٥.
٣ـ المصدر: ٢٧٧.

و يردّه إلى النّاصب؛ عدلاً منه جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه و يقول للنّاصب: لاظلم عليك؛ هذه الأعمال الخبيثة من طينك و مزاجك و أنت أولى بها، و هذه الأعمال الصّالحة من طين المؤمن و مزاجه و هو أولى بها، "لاظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسابِ"[١]، ثمّ تلا: "اَلْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ"[٢] الآية. و قرأ: "والّذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطّيّب" الآية»[٣].

﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الّذين تحزّبوا على الأنبياء بالتّدمير، كما جرى على أهل بدر، فليتوقّعوا مثل ذلك.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لايوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ ويضمحلّ عنهم الأديان الباطلة. قال: «لم يجيء تأويلُ هذه الآية [بعدُ][٤] ولوقد قام قائمنا بعدُ سيَرىٰ مَنْ يُدْرِكُه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنَّ دين محمّد ﷺ ما بلغ اللّيل حتّى لايكون مشرك[٥] على ظهر الارض، كما قال الله: "يَعْبُدُونَنِي لايُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً"»[٦]. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ و لم ينتهوا ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم فثقوا به و لاتبالوا بمعاداتهم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: «هي والله الإفادةُ يوماً بيوم»[٧].

١ـ غافر (٤٠): ١٧.
٢ـ نور (٢٤): ٢٦.
٣ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٨ـ٦٠٩، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام بالمضمون.
٤ـ الظّاهر أنّ ما بين المعقوفتين زايد و ليس في المصدر و لا في الصّافي.
٥ـ في «الف» و «ج»: «شرك».
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٣؛ و العيّاشي ٢: ٥٦، الحديث: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في النّور (٢٤) ٥٥.
٧ـ الكافي ١: ٥٤٤، الحديث. ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: يعني استفادة المال من أيّ جهة كانت.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

قال: «نحن والله عنى بذي القربى الّذين قرنهم الله برسوله ﷺ قال: ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً، أكرم الله نبيّه و أكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي النّاس»[١]. و قال: «خمس الله للإمام و خمس الرّسول للإمام وخمس ذوي القربى لقرابة الرّسول و الإمام، واليتامى يتامى آل الرّسول، و المساكين منهم و أبناء السّبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم»[٢].

﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخُمُسَ من الغنيمة يجب التّقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾: و بما أنزلنا ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: على محمّد ﷺ من الآيات و الملائكة و النّصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فإنّه فرّق فيه بين الحقّ و الباطل. ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون و الكفّار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير و الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من المدينة؛ بدل من "يَوْمَ الفُرقان"، العُدوة ـ مثلّثةً ـ: شطّ الوادي. ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البُعْدىٰ من المدينة؛ تانيث الأقصىٰ. القمّي: يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، و رسول الله ﷺ نزل بالعدوة الشّاميّة[٣]. ﴿وَالرَّكْبُ﴾ قال: «يعني اباسفيان و اصحابه»[٤]. والقمّي: يعني العيرَ الّتي أفلَتَت[٥]. والتّفسيران متّحدان. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العيرَ بالسّاحل. والفائدة في ذكر هذه المواطن؛ الإخبار عن الحالة الدّالّة على قوّة المشركين وضعف المسلمين، و انّ غلبتَهم على مثل هذه الحال أمرٌ إلهيّ لايتيسّر إلّا بحوله و قوّته؛

١ـ التّهذيب ٤: ١٢٦، الحديث: ٣٦٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٢ـ المصدر: ١٢٥، الحديث: ٣٦١، عن أحدهما عليهما السّلام.
٣و٥ـ القمّي ١: ٢٧٨. وأفْلَتَتْ: تَخلَّصَتْ. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).
٤ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٦٩، عن أبي عبدالله ﷺ.

و ذلك أنّ العدوة القصوى كان فيها الماء و لاماء بالعدوة الدّنيا، و كانت رَخْواً تَسوح[١] فيها الأرجُلُ، و كانت العيرُ وراء ظهورهم مع كَثْرَة عددهم، فكانت الحمايةُ دونَها تُضاعِفُ حَمِيَّتَهُم، و تحمِلُهُم على أن لا يَبْرَحُوا[٢] مواطنهم، و يَبْذُلُوا نهايةَ نَجْدَتِهم[٣]، و فيه تصوير ما دبّر الله من أمر وقعة بدر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يعني لو تواعدتم أنتم و هم على موعد للقتال، ثمّ علمتم حالكم و حالهم لخالف بعضكم بعضاً، ثَبَّطَكُم[٤] قلّتكم عن الوفاء بالموعد، وثَبَّطَهُم ما في قلوبهم من الرّعب، فلم يتّفق لكم من الوفاء ما وفّقه الله. ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: كان واجباً أن يفعل من إعزاز دينه و إعلاءِ كلمته و نصرِ أوليائه وقهرِ أعدائه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: ليَصْدُرَ كفرُ مَنْ كَفَرَ وإيمانُ من آمن عن وضوحِ بيّنةٍ عاينها و قيامِ حجّةٍ شاهدها. قال: «يعلم من بَقِيَ أنّ الله نَصَرَه»[٥].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يدبّر أُموركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ لتخبر به أصحابك، فيكون تثبيتاً لهم و تشجيعاً على عدوّهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال، و تفرّقت آراؤكم بين الثّبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: انعم بالسّلامة من الفشَلِ والتّنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

قال: «كان إبليس يوم بدر يُقلِّل المسلمين في أعين الكفّار، و يكثّر الكفّارَ في أعين النّاس، فشدّ عليه جبرئيل بالسّيف فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل إنّي

١ـ في جميع النُّسَخ: «يسوخ».
٢ـ بَرِحَ من مكانه بَراحاً: زالَ عنه و صار في البَراح. مجمع البحرين ٢: ٣٤٢ (برح).
٣ـ النَّجْدة ـ بفتح النّون فالسّكون ـ: الشّجاعة. مجمع البحرين ٣: ١٤٩ (نجد).
٤ـ ثَبَّطَهُ عن الأمر: عوّقه و بطّأ به عنه، و عَلَى الأمر: وقفه عليه. القاموس المحيط ٢: ٣٦٥ (ثبط)
٥ـ القمّي ١: ٢٧٨.

مُؤَجَّل، حتّى وقع في البحر يخاف أن يُقْطَعَ بعضُ أطرافه»[1].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ و تثبيتاً لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتّى قال قائلهم: ما هم إلاّ أَكَلَةُ رأْسٍ، لو بعثنا عليهم عبيدَنا لأخذوهم باليد. و إنّما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللِّقاء، ثمّ كثّرهُمْ فيها بعد اللّقاء لتَفجَأهُمُ الكَثْرَةُ، فَيهابُوا و تَفُلَّ[2] شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حُسْبانهم، و هذا من عظايم آيات تلك الواقعة و عجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر و إن كان قد يرى الكثيرَ قليلاً و القليلَ كثيراً لكن لا على هذا الوجه و لا إلى هذا الحدّ. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعةً كافرةً او باغيةً. واللّقاءُ ممّا غلب في القتال. ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم و لاتفرُّوا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب؛ داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفَرُون بالنُّصرة والمَثُوبة فيه. تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لايَشْغَلَه شيء عن ذكر الله[3] تعالى، و أن يلتجئ إليه عند الشّدائد، و يُقْبِلَ عليه بشراشره فارغَ البال، واثقاً بأنّ لطفَه لاينفكّ عنه في شيء من الاحوال.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف الآراء، كما فعلتم ببدر و أُحد. ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: فتضعفوا عن قتال عدوكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دَولَتُكم. شبّهت الدّولة بالرّيح في نفوذ أمرها و هُبُوبِها. يقال: هَبَّتْ رِيحُ فلانٍ: إذا نَفَذَ أمرُه. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

١ـ الكافي ٨: ٢٧٧، الحديث: ٤١٩، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ في «الف» و «ب»: «تقل». و الفَلُّ: الكسر و الضّرب، يُقال: فَلَّهُ فانفلَّ، اي: كسره فانكسر، وفَلَلْتُ الجيشَ: هزمتُه. الصّحاح ٥: ١٧٩٣؛ والنّهاية ٣: ٤٧٢ (فلل).
٣ـ في «الف»: «من ذكر الله».

مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني أهلَ مكّة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَرًا﴾: فخراً و أشراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ليُثنوا عليهم بالشّجاعة والسّماحة، و ذلك انّهم لمّا بلغوا جُحْفَة[١] وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعُوا فقد سلمَتْ عيرُكم، فابى ابوجهل و قال: حتّى نَقْدَمَ بدراً. نَشْرَبُ بها الخمورَ و تَعْزِفُ[٢] علينا القيان[٣] و نُطعمُ بها من حضرَنا من العرب. فذلك بَطَرُهُمْ ورئاؤهم، فَوافَوْها فَسُقُوا كاسَ الحِمامِ[٤] مكانَ الخمرِ و ناحت النّوائحُ مكانَ القيانِ، فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالَهم بَطِرينَ مُرائينَ. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: تلاقتا ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى وبطل كيدُه، و عاد ما خُيِّلَ إليهم انّه مجيرُهم سببَ هلاكهم ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني جنودَ الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ ان يصيبني مكروهاً ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

القمّي: جاء إبليس عليه اللّعنة إلى قريش في صورة سُراقَةَ بن مالك فقال لهم: انا جارٌ لكم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه، و جاء بشياطينه يُهَوِّلُ[٥] بهم على أصحاب رسول الله ﷺ و يخيّل إليهم و يفزعهم، و اقبلت قريش يَقْدُمُها إبليس معه الرّاية، فنظر

١ـ الجُحْفَةُ ميقات أهل الشّام، كانت قرية جامعة على اثنين و ثمانين ميلاً من مكّة و كانت تسمّى مَهْيَعة القاموس المحيط ٣: ١٢٥ (جحف).

٢ـ العزْف. اللّعب بالمعارف و هي الدّفوف و غيرُها ممّا يُضْرَب بها. مجمع البحرين ٥: ٩٩ (عزف)

٣ـ القيانُ جمع القَيْنَة: الإماء المغنّيات. مجمع البحرين ٦: ٣٠١ (قين).

٤ـ الحِمام ـ ككتابٍ ـ: قَضاءُ الموت و قَدَرُه. القاموس المحيط ٤: ١٠١ (حم).

٥ـ هوَّلَ على الرّجل: حَمَلَ عليه. أقرب الموارد ٢: ١٤١ (هول).

إليه رسول الله ﷺ فقال: غُضّوا أبصاركم و عَضُّوا على النَّواجذ[١] و لاتَسُلُّوا[٢] سيفاً حتّى آذنَ لكم، ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: يا ربّ إنْ تَهْلِكْ هذه العصابَةُ لَمْ تُعْبَدْ وإن شئتَ لاتُعبد لاتُعبد، ثمّ أصابه الغَشْيُ فَسُرِيَ عنه[٣] و هو يَسْلُتُ[٤] العَرَقَ عن وجهه و هو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألفٍ من الملائكة مردفين، فنظروا فإذاً بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ و قائلٌ يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ! أَقْدِمْ حَيْزُومُ[٥]! و سمعوا قعقعةَ السّلاح من الجوّ، و نظر إبليس إلى جبرئيل فراجع و رمى باللّواء، فأخذ مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاج[٦] بمَجامعِ ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفت[٧] في أعضاد النّاس، فرَكَلَهُ إبليسُ رَكْلَةً[٨] في صدره و "قال إنّي بريء منكم" الآية و هو قوله تعالى: "وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم و قال لاغالب لكم اليوم من النّاس" الآية[٩].

١ـ النّواجذ جمع ناجذ: أقصى الأضراس و هي أربعة. والنَّجْذُ: شدَّةُ العضّ بها: و عَضَّ عَلى ناجذه: بَلَغَ أشُدَّه «القاموس المحيط ١: ٣٧٣». و في جميع النُّسخ: «النّواجد» بالدّال المهملة، والصّوابَ ما أثبتناه.

٢ـ السَّلُّ: انتزاعك الشّيءَ و إخراجُه برفقٍ و سَلُّ السّيف: إخراجُه من الغمد. مجمع البحرين ٥: ٣٩٨ (سلل).

٣ـ سُرِيَ عَنْهُ: زال عنه و انكشف. المنجد في اللّغة: ٣٣٢ (سرى).

٤ـ أصل السَّلْت: القَطْعُ. يقال: سَلَتَت الخضابَ عَنْ يَدِها: إذا مَسَحَتْهُ و ألْقَتْهُ النّهاية. ٢: ٣٨٧ (سلت).

٥ـ في «القاموس المحيط ٤: ٩٧»: الحَيْزومُ: فَرَسُ جبرئيلَ: و في «النّهاية ١: ٤٦٧ و ٤: ٢٦» : «أقدم حَيْزُومُ» هو أمرٌ بالإقدام و هو التّقدّم في الحرب. و الإقدامُ: الشّجاعة. و في «البحار ١٩: ٢٦٤»: أراد أقْدِمْ يا حيزومُ. فحذف حرف النّداء.

٦ـ نُبَيْه و مُنَبِّه ابنا الحجّاج كانا من المستهزئين لرسول الله ﷺ و الطّعن عليه، و كانا يلقيانه فيقولا له: أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا من هو أسَنُّ منكَ و أيسرُ. فقُتِلَ مُنَبِّه في غزوة البدر، قتله عليّ بن أبي طالب (راجع: الكامل في التّاريخ ٢: ٧١).

٧ـ فَتَّ الشّيءَ: دقّه و كسره، و فَتَّ في عَضُدِه: كسر قُوَّتَه و فرَّق عنه أعوانَهُ. أقرب الموارد ٢: ٨٩٩ (فتّ).

٨ـ الرَّكْلُ: الضّرب برِجْلٍ واحدةٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٩٧ (ركل).

٩ـ القمّي ١: ٢٦٦

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: الشاكّون في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون المسلمين؛ أي: اغترّوا بدينهم حتّى تعرّضوا بقلّتهم[1] لقتال جمّ غفير ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. جواب لهم.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾: ولو رأيت، فإنّ «لو» تجعل المضارعَ ماضياً عكس «إن». ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ببدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبلَ منهم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: و ما أدبرَ. ورد: «إنّما أراد: و أستاهَهم، إنّ الله كريم يكنّي»[2]. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: و يقولون: «ذوقوا». قيل: كانت معهم مقامعُ من حديدٍ كلّما ضَرَبُوا التهبت النّارُ منها[3].

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون؛ و دأبُهم: عادتُهم وعملهم الّذي دَأبُوا فيه، أي: داوَمُوا عليه. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى ما حلَّ بهم. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء؛ كتغيير[4] قريش حالَهم في صلة الرّحم، و الكفَّ عن تعرّض الآيات و الرّسل بمعاداة رسول الله ﷺ و من تبعه منهم، والسّعي في إراقة دمائهم، و التّكذيب بالآيات و الاستهزاء بها إلى غير ذلك ممّا أحدثوه بعد المبعث. ورد: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً: لا يُنْعِمُ[5] على العبد بنعمة فيسلُبُهاإيّاه حتّى يُحدثَ العبدُ ذنباً يستحقّ بذلك النِّقْمَةَ»[6]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

١ـ في «ب» و «ج»: «مع قلّتهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧١، مرفوعاً.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٣؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٧٨.
٤ـ في «الف»: «كتغيّر».
٥ـ في المصدر: «الاّ ينعمَ».
٦ـ الكافي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾. كرّره للتأكيد و زيادة بيان لكفران النِّعَم، و بيان للأخذ بالذّنوب.
﴿ وَكُلٌّ ﴾ من غَرْقَىٰ آلِ فرعون و قتلىٰ قريش ﴿ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴾ انفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. اصرّوا على الكفر و رسخوا فيه، فلا يُتوقَّعُ منهم إيمان. قال: «نزلت: في بني أُميّة، فهم اشرّ خلق الله، هم الّذين كفروا في بطن القرآن»[1].

﴿ الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾.
﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾: تُصادِفَنَّهم و تظفَرَنَّ بهم ﴿ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾: فَفرِّقْ عن محارَبَتِكَ، ونكِّلْ عنها بقتلهم و النّكاية[2] فيهم ﴿ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾: مَنْ وراءهم من الكفرة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ ﴾ مُعاهِدين ﴿ خِيَانَةً ﴾: نَقْضَ عهدٍ بامارات تلوح لك ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾: فاطْرَحْ إليهم عهدهم ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾: على طريقٍ مقتصدٍ مُسْتوٍ في العداوة، بان تُخبِرَهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً، يَتَبَيَّنُ لهم انّك قطعت ما بينك و ما بينهم، و لاتَبْدَأْهُم بالقتال و هم على توهّم بقاء العهد؛ فيكون ذلك خيانةً. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾: فاتُوا من ان يُظفَرَ بهم ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾: لايَفُوتُون و لايجدون طالبَهم عاجزاً من إدراكهم.

﴿ وَأَعِدُّوا ﴾ ايّها المؤمنون ﴿ لَهُم ﴾: للكفّار ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾: من كلّ ما

١ـ القمّي ١: ٢٧٩؛ و العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام و فيهما: «هُمْ شرُّ خلق الله».
٢ـ نكيتُ في العدوّ نكاية: إذا أكثرتَ فيهم الجراح القتل. مجمع البحرين ١: ٤٢١ (نكا).

يَتَقوّىٰ به في الحرب. قال: «القوّة: الرّمي»[١]. و في رواية: «سيف و تُرْس»[٢]. و في أُخرى: «منه الخضاب بالسّواد»[٣]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. الرِّباطُ اسم للخيل الّتي تُرْبَطُ في سبيل الله. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفّار مكّة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفَرة ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لاتعرفونهم باعيانهم، لانّهم يصلّون و يصومون ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لانّه المُطّلِع على الاسرار ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل او نقص الثّواب.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: مالوا إلى الصّلح و الاستسلام ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ و عاهد معهم؛ و تانيث الضّمير لحملها على نقيضها الّذي هي الحرب. سئل: ما السّلم؟ قال: «الدّخول في امرنا»[٤]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ و لاتخف من خديعتهم و مكرهم، فإنّ الله عاصمك و كافيك منهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في الصّلح بان يقصدوا به دفع اصحابك عن[٥] القتال؛ حتّى يَقْوىٰ أمْرُهم، فيَبْدَؤُكم به من غير استعدادٍ منكم. قال: «إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش»[٦]. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: «هم الانصار و هم الأوسُ و الخَزْرَجُ، كان بينهما حرب شديد و عداوة في الجاهليّة، فالّف الله بين قلوبهم و نصر بهم نبيّه»[٧]. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥٥؛ و الكافي ٥: ٥٠، الحديث: ١٢، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٦، الحديث: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٥: ٧٠، الحديث: ٢٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «ألف»: «من القتال».
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالاسلام بقدرته البالغة، فإنّه مالك القلوب يقلّبها كيف يشاء ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالغْ في حثّهم ﴿عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. وَعَدَهُمْ بأنّهم إن صبروا غَلَبُوا عَشَرَةَ أمثالهم بتأييد الله، بسبب انّ الكفّارَ جَهَلَةٌ بالله واليوم الآخر، يُقاتلون على غير احتساب ثوابٍ، و لايَثبُتون ثَباتَ المؤمنين الرّاجين لعوالي الدّرجات.

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. هذه الآية ناسخةٌ لما قبلها. قال: «نسخ الرّجلان العشرة»[1]. و ورد: «من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ من الزّحف، و من فرّ من ثلاثة رجالٍ في القتال من الزّحف فلم يفرّ»[2].

قيل: كان فيهم قلّة اوّلاً، فاُمروا بذلك، ثمّ لمّا كثُروا خفّف عنهم[3].

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يُكثِرَ القتلَ و يبالغ فيه، حتّى يَذِلَّ الكفرُ و يقلَّ حزبُه و يَعِزَّ الاسلامُ و يستولي اهلُه؛ من أثخنَهُ المرضُ: إذا أثقلَهُ. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حُطامَها باخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: يريد لكم ثواب الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب أولياءَه على أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بحال كلٍّ منهما.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا قتل جماعةً من أسرىٰ رؤساء قريش ببدر خافت الانصارُ ان يقتل الاُسارىٰ كُلّهم، فقاموا إليه و قالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين و أسرنا سبعين، وهم قومك و أُساراك هَبْهُمْ لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله

١ـ الكافي ٥: ٦٩، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ العيّاشي ٢: ٦٨، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ٣: ٥٦

عليهم: "ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض" الآية[١].

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكم منه سبق إثباته في اللّوح المحفوظ بإباحة الغنائم لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ اباح لكم ما اخذتم. ورد: «إنّه لمّا نزلت هذه الآيةُ أطلق لهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا الفداء و يُطلقوهم، و شرط أن يُقتَلَ منهم في عامٍ قابلٍ بعدد من أخذوا منهم الفداءَ، فرضُوا منه بذلك»[٢]. و قد مضت القصّة في آل عمران[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوصَ عقيدةٍ و صحّةَ نيّةٍ في الايمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في العبّاس و عقيل و نوفل»[٤]. و ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ أُتي بمال دراهم، فقال: يا عبّاس ابسُطْ رداءَكَ و خذ من هذا المال طَرَفاً، فبسط رداءه فأخذ منه طائفةً، ثمّ قال رسول الله ﷺ: هذا من الّذي قال الله: "إنْ يعلمِ الله" الآية»[٥].

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾: نقضَ ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِن قَبْلُ﴾ القمّي: و إن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله فيك من قبل[٦]. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فَأَمْكَنَكَ منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانةَ فسيُمْكِنُ منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾: فارقوا اوطانهم و قومهم حبّاً لله و لرسوله، و هم

١ـ القمّي ١: ٢٧٠.
٢ـ المصدر: ٢٧٠ و ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ١٦٥.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٢، الحديث: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ قرب الإسناد: ٢١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٦٩، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٦٩.

المهاجرون من مكّة إلى المدنية ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ فصرفوها ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ فبذلوها ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ آووهم إلى ديارهم، و نصروهم على أعدائهم، و هم الانصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتولّى بعضهم بعضاً في الميراث. ورد: «كان المهاجرون و الأنصار يتوارثون بالمؤاخاة الأولى دون الاقارب، حتّى نُسِخ ذلك بقوله تعالى: "وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ [في كتاب الله]"[١]»[٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ اي: من تولّيهم في الميراث. ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. قيل: يعني الّذين لم يهاجروا منكم[٣] ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد فلا يجوز لكم نصركم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: لاتوالوهم وإن كانوا اقاربَ ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ اي: ما اُمرتم به من التّواصل بينكم حتّى في الإرث، والتّقاطع بينكم و بين الكفّار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾؛ لانّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدةً على اهل الشّرك كان الشّرك ظاهراً و تجرّأ اهلُه على اهل الإسلام و دعوهُم إلى الكفر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ اي: اللاحقين بعدَ السّابقين. ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾: من جملتكم أيّها المهاجرون و الانصار، و حكمُهُم حكمكم في وجوب موالاتهم و نصرتهم وإن تاخّر إيمانهم و هجرتهم. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: وأولوا القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ بميراث بعضٍ؛ يعني من كان أقربَ إلى الميّت في

١ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٦١، عن أبي جعفر ﷺ. والآية في نفس السّورة. ٧٥.
٣ـ المصدر؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ٢١٠.

النّسب كان أولى بالميراث. و هو نسخٌ للتّوارث بالهجرة و النّصرة كما مرّ[١]. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾. ورد: «كان عليّ صلوات الله عليه إذا مات مولىً له و ترك قرابته، لم يأخذ من ميراثه شيئاً، و يتلو هذه الآية»[٢].

١ـ ذيل الآية: ٧٢ من نفس السّورة.

٢ـ الكافي ٧: ١٣٥، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ترك ذا قرابة».

سورة التّوبة

[مدنيّة، و هي مائة و تسع و عشرون آية][1]

ورد: «لم ينزل بسم الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءة، لأنّ "بسم الله" للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لدفع الأمان و السّيف»[2]. و في رواية: «الأنفال و براءة سورة واحدة»[3].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: هذه براءة من العهد الّذي عاهدتم به المشركين. «إن قيل: كيف يجوز أن ينقض النّبيّ ﷺ العهد؟ أُجيب بوجهين: أحدهما: أنّه كان مشروطاً بأن لا يرفعه الله بالوحي. و الثّاني: أنّهم قد نقضوا، أو همّوا بذلك». كذا ورد[4].

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾. خطاب للمشركين و أمان لهم إلى هذه المدّة. قال: «أجّل الله المشركين الّذين حجّوا تلك السّنة أربعة أشهر حتّى يرجعوا إلى مأمنهم ثمّ يقتلون حيث وجدوا»[5]. و في رواية: «من كانت لعهده مدّة فهو إلى مدّته، و من

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف».

٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث: ٣، عن أحدهما عليهما السّلام، و فيه: «الأنفال و سورة براءة واحدة».

٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢ـ٣.

٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن عليّ عليهما السّلام.

لم تكن له مدّة فمدّته أربعةُ أشهر»[١]. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ بعث أبابكر مع براءة إلى المَوْسِم ليقرأها على النّاس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلاّ عليّ، فدعا عليّاً عليه السلام فامره أن يركب ناقته العَضْباء[٢] و أن يلحق أبابكر فيأخذ منه البراءة و يقرأها على النّاس بمكّة، قال: فقرأها عليهم و قال: لايطوف بالبيت عريانٌ و لاعريانةٌ و لامشرك إلاّ من كان له عهد عند رسول الله ﷺ، فمدّته إلى هذه الاربعة اشهر»[٣]. و في رواية أُخرى: «و من لا عهد له فله بقيّة الاشهر الحرم»[٤]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: لاتفوتونه و إن امهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مُذِلُّهم بالقتل و الأسْرِ في الدّنيا، و العذاب في الآخرة.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إيذان و إعلام، كالعطاء بمعنى الإعطاء. ورد: «الاذان: أمير المؤمنين عليه السلام»[٥]. ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال: «هو يوم النَّحْرِ، والأصغر: العُمْرَةُ»[٦]. و في رواية: «الحجّ الاكبر: الوقوف بعرفةَ و جَمْعٍ و رميُ الجِمار، والحجّ الاصغر: العمرة»[٧]. و في أُخرى: «سمّي الاكبر لانّها كانت سنةً حجّ فيها المسلمون و المشركون، و لم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة»[٨].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: بانّ الله ﴿بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾. عطف على الضّمير في

١ـ العيّاشي ٢: ٧٤، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه «من كانت له مدّة»

٢ـ العضباء: النّاقةُ المشقوقةُ الأُذُن و لقب ناقة رسول الله ﷺ. القاموس المحيط ١: ١٠٩ (عضب).

٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام

٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام

٦ـ الكافي ٤: ٢٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام

٧ـ العيّاشي ٢: ٧٦، الحديث: ١٧؛ والكافي ٤: ٢٦٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و ليست في الكافي كلمة: «جمع» و هو ـ بالفتح فالسكون ـ المشعر الحرام، و هو أقرب الموقفين إلى مكّة المشرّفة و منه حديث آدم عليه السلام: ثمّ انتهى إلى جمع فجَمَعَ فيها بين المغرب و العشاء. قيل: سمّي به لأنّ النّاس يجتمعون فيه و يزدلفون إلى الله تعالى، أي: يتقرّبون إليه بالعبادة و الخير و الطّاعة. و قيل: لأنّ آدم اجتمع فيها مع حوّاء فازدلف و دنا منها. و قيل: لأنّه يُجْمَعُ فيه المغرب و العشاء. مجمع البحرين ٤: ٣١٥ (جمع).

٨ـ علل الشّرائع ٢: ٤٤٢، الباب ١٨٨، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام

"بريء" و لاتكرير فيه، لانّ الأول كان إخباراً بثبوت البراءة، و هذا إخبار بإعلامها النّاس. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: غيرُ سابقين الله، و لافائتين بأسه و عذابه ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾. استثناءٌ ﴿مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ واستدراك ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد، و لم يَنْكُثُوا و لم يقتلوا منكم، و لم يضرّوكم قطّ ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: ولم يُعاونُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من اعدائكم ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾: انقضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التي أبيح للنّاكثين ان يَسيحُوا فيها. ورد: «هي يوم النّحر إلى عَشْرٍ مضين من ربيع الآخر»[1]. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ النّاكثين ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ و حَرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأْسِروهُم، والاخيذ: الاسير. ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾: واحبِسُوهُم و حيلُوا بينهم و بين المسجد الحرام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كُلَّ مَمَرٍّ و طريقٍ تَرْصُدُونَهُم به، لئلاّ يبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾: استامنك و طلب منك جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾: فَأمِّنْهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ و يتدبَّرَه و يطّلعَ على حقيقة الامر، فإنَّ معظمَ الادلّة فيه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ إن لم يُسْلِمْ. القمّي: اقرأ عليه و عرِّفه، ثمّ لاتتعرَّضْ له حتّى يرجعَ إلى مأمنه[2]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ما الإيمانُ و ما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلابدّ من أمانهم حتّى يسمعوا و يتدبّروا.

١ـ العيّاشي ٢: ٧٧، الحديث: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٣.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ مع إضمارهم الغَدْرَ والنَّكْثَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ منهم ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يَظْهرْ منهم نَكْثٌ فتربّصوا امرهم ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لايُراعوا فيكم ﴿إِلًّا﴾: قَرابَةً او حِلفاً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً اوحقاً ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بوعد الإيمان و الطّاعة و الوفاءبالعهد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: مُتَمرِّدون، لاعقيدة تَزَعُهُم[١] و لامروّة تَرْدَعُهُمْ؛ وإنّما خصّ الاكثر لما يُوجد في بعضهم من التَّعفُّفِ عمّا يَثْلِمُ العِرْضَ، والتّفادي[٢] عن الغَدْرِ.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و هو اتباع الاهواء و الشّهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾: فَعدلُوا عنه و صرَفُوا غيرَهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾. وُضِعَ الظّاهرُ موضعَ المضمر، إشعاراً بانّهم صاروا بذلك ذوي الرّياسة و التّقدّم في الكفر احقّاءَ بالقتل. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة، وإلّا لما طعنوا ولم ينكثوا. و ورد: بكسر الهمزة[٣]. يعني لاعبرة بما اظهروه من الإيمان. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ اي: ليكن غرضكم[٤] في المقاتلة ان ينتهوا عمّا هم عليه، لالإيصال الاذيّة بهم؛ كما هو طريقة المؤذين، و هذا

١ـ الوَزْعُ: الكفّ، و وَزَعْتُه عن الامر: مَنَعْتُهُ عنه و حَبَسْتُهُ. القاموس المحيط ٣: ٩٦؛ والمصباح المنير ٢: ٣٧٧ (وزع).
٢ـ تفادىٰ فُلان من كذا: إذا تحاماه و انزوىٰ عنه. الصّحاح ٦: ٢٤٥٣ (فدى).
٣ـ راجع: مجمع البيان ٥ـ٦: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «الف»: «غَرَضُهُمْ» و هو تصحيف.

من غاية كرم الله وفضله. ورد: «نزلت في أصحاب الجمَلِ في أخبار كثيرة»[1]. و ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عذَرَني اللهُ من طلحة والزّبير، بايعاني طائعَيْنِ غير مكرهَيْنِ ثمّ نَكثا بيعتي من غير حَدَثٍ أحدثتُه؛ والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم: "وإن نكثوا" الآية»[2].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الّتي حلفوها مع الرّسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، على أن لايُعاوِنوا عليهم فعاونوا ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار النَّدْوَة كما سبق ذكره[3]. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة والمُقاتَلة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لَقُوا منهم من المكروه، و قد أنجز الله هذه المواعيدَ كلَّها؛ و الآية من دلائل النّبوّة. ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾. إخبار بأنّ بعضَهم يتوب عن كفره؛ وقد كان ذلك أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بطانةً[4] يُوالونَهُم و يُفشُون إليهم أسرارهم. يعني: لاتُترَكُونَ على ما أنتم عليه ولم يتبيّن المُخْلَصُون منكم. أراد بنفي العلم نَفْيَ المعلوم، و «لمّا» دلّت على أنّه متوقّع. قال: «يعني بالمؤمنين آل محمّد عليهم السّلام، والوليجة: البِطانة»[5]. و في رواية: «الوليجة: الّذي يُقام دونَ وليّ الأمر، والمؤمنون في هذا

١ـ أنظر القمّي ١: ٢٨٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ١١؛ و العيّاشي ٢: ٧٨، الحديث: ٢٣و٢٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ٧٩، الحديث: ٢٨.
٣ـ في ذيل الآية: ٣٠ من سورة الأنفال.
٤ـ بطانةُ الرّجل: دُخلاؤه و أهلُ سرّه ممّن يسكنُ إليهم و يثق بمودّتهم. مجمع البحرين ٦: ٢١٤ (بطن).
٥ـ القمّي ١: ٢٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الموضع هم الأئمّة الّذين يؤمنون على الله فيُجيزُ أمانَهم»[١] . ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ .

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ : شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾ : بإظهار الشّرك و نصب الأصنام حول البيت.

رُوي: «انّ المسلمين عيّروا أُسارى بَدْرٍ، و وبّخ عليّ عليه السلام العبّاسَ بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة الرَّحِم، فقال العبّاس: تذكرون مَساوينا و تكتمون محاسننا، فقالوا: أوَ لَكُم محاسن؟ قالوا: نعم، إنّما نعمر المسجد الحرام، و نَحْجُبُ الكعبةَ، و نَسْقِي الحجيج، ونَفُكُّ العاني[٢]، فنزلت»[٣]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الّتي هي العمارة و السّقاية والحجابة و فكّ العُناة، الّتي يفتخرون بها بما قارنها من الشّرك ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ .

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ : إنّما يستقيم عمارتُها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة و العمليّة؛ والعمارةُ يتناول بناءَها، ورَمَّ ما استَرَمَّ منها، و كَنْسَها و تَنْظيفَها و تنويرَها بالسُّرُج[٤]، وزيارتها للعبادة و الذكر و درس العلم، و صيانَتَها عمّا[٥] لم تُبْنَ له كحديث الدّنيا. ورد: «إنّ بيوتي في الأرض المساجدُ، و إنّ زوّاري فيها عُمّارها، فطوبى لعبد تَطَهَّرَ في بيته ثمّ زارني في بيتي، فحقٌّ على المزور ان يُكْرِمَ زائره»[٦]. ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ .

﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . في قراءتهم عليهم

١ـ الكافي ١: ٥٠٨، الحديث: ٩، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ـ العاني: الأسير. القاموس المحيط ٤: ٣٦٩ (عنا).
٣ـ جوامع الجامع ٢: ٤٤؛ و البيضاوي ٣: ٦٣؛ و الكشّاف ٢: ١٧٩، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «الف»: «بالسّراج».
٥ـ في «ب» و «ج»: «عما».
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٥٤، الحديث: ٧٢١، مع اختلاف؛ والبيضاوي ٣: ٦٣؛ والكشّاف ٢: ١٧٩.

السّلام: «سُقَاةَ الحاجّ و عَمَرَةَ المسجد الحرام»[١]. قال: «نزلت في عليّ و العبّاس وشَيْبَة، قال العبّاس: انا افضل لانّ سقاية الحاجّ بيدي. وقال شيبة: انا افضل لانّ حجابة البيت بيدي. و قال عليّ: انا افضل فإنّي آمنت قبلكما، ثمّ هاجرتُ و جاهدتُ. فرضوا برسول الله ﷺ، فانزل الله»[٢]. و في رواية: «ضمّ بعليّ: حمزة و جعفر»[٣].

﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾: اختاروه عليه. قال: «نزلت في حاطِب بن ابي بَلْتَعة، حيث كتب إلى قريش بخبر النّبيّ ﷺ لمّا اراد فتحَ مكّة»[٤]. و في رواية: «الكفر في الباطن في هذه الآية ولايةُ الاوّل والثّاني، والإيمان ولاية عليّ بن ابي طالب عليه السلام»[٥]. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: اقرباؤكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بعقوبته ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. القمّي: لمّا اذّن امير المؤمنين عليه السلام بمكّة: ان لايدخلَ المسجدَ الحرام مشركٌ بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا: ذهبت تجارتنا وضاع

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٢٨٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة «حمزة».
٣ ـ الكافي ٨: ٢٠٣، الحديث: ٢٤٥، عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

عيالنا و خربت دورنا، فنزلت[١].

اقول: في الآية تشديدٌ عظيمٌ، و قلَّ من يتخلّص منه. و ورد: «لايجد احدكم طعمَ الإيمان حتّى يُحبَّ في الله و يبغض في الله»[٢].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يعني: مواطن الحرب و هي مواقعها ومواقفها. ورد: «إنّها كانت ثمانين»[٣]. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ و هو واد بين مكّة و الطّائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. قيل: لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نُغْلَبَ اليومَ من قلّة، فساءت مقالتُه رسولَ الله ﷺ[٤]. و ورد: «إنّه كان ابابكر»[٥]. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثرةُ ﴿شَيْئًا﴾ من الغنىٰ لما ادركتكم كلمة الإعجاب. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بِسَعَتِها، لاتجدون فيها مفراً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. سئل: ما السّكينة؟ فقال: «ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، اطيب ريحاً من المسك، و هي الّتي انزلها الله على رسول الله ﷺ بحُنَين فهزم المشركين»[٦]. و في رواية: «فتكون مع الانبياء»[٧].

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «هو القتل»[٨]. يعني العذاب. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٨٤.
٢ـ الكشّاف ٢: ١٨٠، عن النّبيّ ﷺ و تراه ايضاً في جوامع الجامع ٢: ٤٥.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٨، باب معنى الكثير من المال، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧؛ و القمّي ١: ٢٨٥، عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ جوامع الجامع ٢: ٤٦.
٥ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٤٦؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٨، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و التّفسير الكبير ١٦: ٢١.
٦ـ الكافي ٥: ٢٥٧، ذيل الحديث: ٣، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

القمّي: كان سبب غَزْوَة حُنين: أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكّة اظهر انّه يُريد هوازنَ[١]، و بلغ الخبرُ هَوازِنَ، فتهيّئوا و جمعوا الجُموعَ والسّلاحَ، و ساقوا معهم اموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، و مرّوا حتّى نزلوا باوطاس[٢]، فبلغ رسول الله ﷺ اجتماعهم بأوطاس، فجمع القبائل و رغّبهم في الجهاد و وعدهم النّصر، و انّ الله قد وعده ان يُغْنِمَه اموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، فرغب النّاس و خرجوا على راياتهم، وعقد اللّواءَ الأكبر و دفعه إلى امير المؤمنين عليه السلام و خرج في اثنَيْ عشر الف رجل[٣].

ورد: «فلمّا صلّى الغداة انحدر في وادي حُنين، و هو واد له انحدار بعيد، و كانت بَنُو سُلَيْم[٤] على مُقَدَّمَتِه، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بَنُو سُلَيْم وانهزم مَنْ وراءَهُمْ و لم يبق احد إلّا انهزم، و بقي امير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، فاقبل رسول الله ﷺ ينادي: يا معشرَ الأنصار! اين؟[٥] إليّ و انا رسول الله[٦]، فلم يَلْوِ[٧] احدٌ عليه فركض نحو عليّ[٨] عليه السلام بغلتَه، فقد شهر[٩] سيفه، فقال: يا عبّاس اصعد هذا الظَّرِبَ[١٠] و ناد: يا اصحاب البقرة و يا اصحاب الشَّجَرة، إلى اين تفرّون؟! هذا رسول الله ﷺ، ثمّ رفع يده فقال: «اللّهمّ لكَ الحَمْدُ وَ إليكَ المُشْتَكى وَ أنْتَ المُسْتَعانُ».

١ـ هوازن قبيلةٌ من قيس بن عَيْلان، من العدنانيّة و هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان. كانوا يقطنون في نجد ممّا يلي اليمن؛ و من اوديتهم: حُنَيْن. راجع: معجم قبائل العرب ٣: ١٢٣١.

٢ـ أوْطاس: واد في ديار هوازن. معجم البلدان ١: ٢٨١.

٣ـ القمّي ١: ٢٨٥ و ٢٨٦.

٤ـ بنو سُلَيْم: قبيلة عظيمة من قيس بن عَيْلان من العدنانيّة تنتسب إلى سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان. معجم قبائل العرب ٢: ٥٤٣.

٥ـ في المصدر. «إلى اين المفرّ؟ الا انا رسول الله».

٦ـ في «الف» و «ج»: «إليّ انا رسول الله».

٧ـ في «المصباح المنير ٢: ٢٥٦ ـ لوى»: لايَلْوي عَلى احَدٍ اي: لايَقِفُ و لاينتظر، و في «المفردات: ٤٧٧ ـ لوى»: فلانٌ لايَلْوي على احد: إذا أمْعَنَ في الهزيمة.

٨ـ في «ج»: «نحو العبّاس».

٩ـ في «الف»: «وقد شهر»؛ وفي «ج»: «وهو شهر».

١٠ـ الظَّرِب: ما نَتَأَ من الحجارة و حُدَّ طرفه، او الجبل المنبسط او الصّغير. القاموس المحيط ١: ١٠٣ (ظرب).

فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: دعوتَ بما دعا به موسى، حيث فلق الله له البحر و نجّاه من فرعون، ثمّ أخذ كفّاً من حصى فرماه في وجوه المشركين ثمّ قال: «شاهت الوجوه». ثمّ رفع رأسه إلى السّماء و قال: اَللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، و إن شئت أن لاتُعبَد لاتُعبَد. فلمّا سمعت الأنصار نداء العبّاس عطفوا و كسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: «لبّيك». و مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله و استحيوا أن يرجعوا إليه، و لحقوا بالرّاية، و نزل النّصر من السّماء و انهزمت هوازن، و كانوا يسمعون قعقعة السّلاح في الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، و غنّم الله رسوله صلى الله عليه وآله أموالهم و نساءهم و ذراريهم»[1].

هذا ملخّص القصّة.

و ورد: «إنّه قال رجل من المشركين للمؤمنين و هو أسير في أيديهم: أين الخيل البُلق[2] و الرّجال عليهم الثّياب البيض؟ فإنّما كان قتلنا بأيديهم، و ما كنّا نراكم فيه إلاّ كهيئة الشّامة[3]. قالوا: تلك الملائكة»[4].

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾ منهم بالتّوفيق للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عنهم و يتفضّل عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب منعهم من الحرم، و انقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب و المنافع ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾. قيّده بالمشيّة، لينقطع الآمال إلى الله تعالى، و لينبّه على أنّه متفضّل في ذلك و أنّ الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض، و في عام دون عام، و قد أنجز وعده بأن أرسل السّماء

١ـ القمّي ١: ٢٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ البُلق جمع الأبلق: الّذي فيه سواد و بياض. أقرب الموارد ١: ٦٠ (بلق).
٣ـ الشّامة: أثر أسود في البدن، يقال لها: الخال؛ وأثر أسود في الأرض «أقرب الموارد ١: ٦٢٧ ـ شيم» كأنّه أراد بذلك قلّتهم و كثرة الملائكة.
٤ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليهم مدراراً، و وفّق طائفةً من أهل يمن للإسلام، فحملوا الطّعام إلى مكّة ثمّ فتح عليهم البلاد و الغنائم، و توجّه إليهم النّاس من أقطار الأرض. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: ما يقرّر عليهم ان يعطوه؛ من جزى دينه: إذا قضاه. ﴿عَن يَدٍ﴾ مواتية[1] غير ممتنعة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: اذلاء؛ يعني: تؤخذ منهم على الصّغار و الذّلّ. قال: «حتّى يجد ذلاً لما أخذ منه، فيألم لذلك، فيسلم»[2].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إنّما قال ذلك بعضهم و لم يقله كلّهم. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا: لأنّه احيا لبني إسرائيل التّوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلاّ لأنّه ابنه، فقال ﷺ: كيف صار عزير ابن الله دون موسى و هو الّذي جاءهم بالتّوراة و رأوا منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالنّبوة أحقّ و اولى»[3].

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ و هو ايضاً قول بعضهم. ورد: «إنّه ﷺ طالبهم فيه[4] بالحجّة، فقالوا: إنّ الله لمّا اظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر، فقد اتّخذه ولداً على وجه الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه، ثمّ أعاد ذلك كلّه فسكتوا»[5]. ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾:

١ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة. وأصله الهمزة: «المؤاتاة» وخفّف وكثر حتّى صار يقال بالواو الخالصة. مجمع البحرين ٢: ٢١٠ (أتا).
٢ـ القمّي ١: ٢٨٨؛ والكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الاحتجاج ١: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ لم ترد كلمة: «فيه» في «الف» و «ج».
٥ـ الاحتجاج ١: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لم يأتهم به كتاب و ما لهم به حجة ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يضاهي[1] قولُهُم ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «لعنهم الله، فسُمّي اللّعنةُ قتالاً»[2]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصْرَفُونَ عن الحقّ.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾: علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: عبّادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بان أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله و تحليل ما حرّم الله. قال: «اما والله ما دَعَوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دَعَوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لايشعرون»[3]. ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ بان أهَّلوه للعبادة.

قال: «امّا المسيح فعَصَوه و عَظَّمُوه في أنفسهم حتّى زعموا أنّه إلهٌ، و أنّه ابن الله، و طائفة منهم قالوا: ثالثُ ثلاثة، و طائفة منهم قالوا: هو الله. و امّا احبارُهم و رهبانُهم فإنّهم أطاعوا[4] و أخذوا بقولهم، واتّبعوا ما أمَرُوهم به و دانوا بما دَعَوْهُم إليه، فاتّخذوهم ارباباً بطاعتهم لهم، و تركهم امر الله و كتبه و رسله، فنبذوه و راء ظهورهم. قال: وإنّما ذُكِرَ هذا في كتابنا لكي نتّعظَ بهم»[5]. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾: ليطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ و هو الله تعالى، و أمّا طاعة الرّسل و أوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنّهم عن الله يامرون و ينهون. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشركهم و تكذيبهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاء التّوحيد و إعزاز الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليظهر دين

١ـ ضاهاهُ: شاكَلَهُ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٨ (ضهي).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٤٨؛ و الكافي ٢: ٣٩٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «مكانوا يعبدونهم من حيث لايشعرون».
٤ ـ في المصدر: «أطاعوهم».
٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

الحقّ على ساير الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. قال: «ذلك يكون عند خروج المهديّ من آل محمّد ـ عليهم السّلام ـ، فلا يبقى أحد إلّا اقرّ بمحمّد ﷺ»[1]. و قال: «والله ما نزل تاويلها بعد، و لا ينزّل تأويلها حتّى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافرٌ بالله العظيم و لا مشركٌ بالإمام إلّا كره خروجه، حتّى لو كان كافر او مشركٌ في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن! في بطني كافرٌ، فاكسرني واقتله»[2]. و في رواية: «هو الّذي امر رسوله بالولاية لوصيّه؛ والولاية هي دين الحقّ، ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام والله متمّ ولاية القائم عليه السلام ولو كره الكافرون بولاية عليّ عليه السلام. قيل: هذا تنزيل؟. قال: نعم، هذا الحرف تنزيل، و امّا غيره فتاويل»[3]. وفي رواية: «ليظهره الله في الرّجعة»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: ياخذونها من الحرام بالرُّشى في الاحكام و تخفيف الشّرايع للعوامّ ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ باخراج الحقوق ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو الكيّ[5] بهما، المستوعب للبدن كلّه.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم لانتفاع أنفسكم، و كان سبب تعذيبها، فذوقوا وباله. ورد: «لمّا نزلت، قال النّبيّ ﷺ: تبّاً للذّهب، تبّاً للفضّة؛ يكرّرها ثلاثاً، فشقّ ذلك على أصحابه، فسأله عمر: ايّ المال نتّخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً و زوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه»[6]. و قال:

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٧٠، الباب: ٥٨، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩١، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ كواه يكويه كيّاً: أحرق جلده بحديدة ونحوها. القاموس المحيط ٤: ٣٨٦ (كوى).
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦.

«الدّينار و الدّرهم أهلكا من كان قبلكم و هما مُهلكاكم»[1]. و ورد: «إنّ الله حرّم كنز الذّهب و الفضّة و أمر بإنفاقه في سبيل الله»[2].

قال: «كان أبوذرّ الغفاري يغدو كلّ يوم و هو بالشّام، فينادي بأعلى صوته: بشّر أهلُ الكنوز بكيّ في الجباه و كيّ في الجنوب[3] و كيّ بالظّهور[4] ابداً، حتّى يتردّد الحرّ في اجوافهم»[5]. و ورد أيضاً: «إنّما اعطاكم الله هذه الفضولَ من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله، و لم يُعطكموها لتكنزوها»[6]. و في رواية: «موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في ايديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرّم على كلّ ذي كنز كنزه، حتّى يأتيهُ به، فيستعين به على عدوّه؛ و هو قول الله عزّوجلّ: "والّذين يكنزون" الآية»[7]. و في أخرى: «إنّما عنى بذلك ما جاوز ألفيْ درهم»[8]. و في أُخرى: «ما زاد على اربعة آلاف فهو كنز؛ ادّى زكاته او لم يُؤدِّ، و ما دونهما فهي نفقة»[9]. و سئل: في كم تجب الزّكاة من المال؟ فقال: «الزّكاة الظّاهرة ام الباطنة تريد؟» فقيل[10]: أُريدهما جميعاً. فقال: «امّا الظّاهرة ففي كلّ ألفٍ خمسة وعشرون، و أمّا الباطنة فلا تستأثر[11] على اخيك بما هو احوج إليه منك»[12].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كتبه و اثبته عنده ورآه حكمةً و صواباً ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: مُذخلق الاجسامَ والازمنة ﴿مِنۡهَآ

١ـ الخصال ١: ٤٣، الحديث: ٣٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله.
٢و٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالجنوب».
٤ـ في المصدر: «في الظّهور».
٦ـ من لايحضره الفقيه: ٢: ٣١، الحديث: ١٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ٤: ٦١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ـ في «الف» و المصدر: «فقال».
١١ـ رجل يستأثر على اصحابه اي: يختار لنفسه أشياء حسنة. القاموس المحيط ١: ٣٧٥ (اثر).
١٢ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحدث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يحرم فيها القتالُ؛ ثلاثةٌ سَرْدٌ[١]، و هي: ذوالقعدة و ذوالحجّة والمحرّم، و واحدٌ فردٌ و هو رجب. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدّين القويم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بهتك حرمتها و ارتكاب حرامها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ قال: «جميعاً»[٢]. ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾: تأخير حرمة الشّهر إلى شهر آخرَ. كانوا إذا جاء شهر حرام و هم محاربون أحلّوه و حرّموا مكانه شهراً آخر، حتّى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرّد العدد. و في قراءتهم عليهم السّلام: «النَّسْيُ»[٣] كالرَّمْي. ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأنّه تحريمُ ما أحلّ الله و تحليلُ ما حرّمه، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم. ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضلالاً زايداً ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾. القمّي: كان سبب نزولها: أنّ رجلاً من «كنانة» كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللتُ دماءَ المحلّين: ـ طيٍّ و خثعم ـ في شهر المحرّم و أنسأته، و حرّمتُ بدله صفر. فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللتُ صفرَ و أنسأتُه و حرّمت بدله شهر المحرّم[٤]. ﴿لِّيُوَاطِئُوا﴾: ليوافقوا[٥] ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: عدّة الأربعة المحرّمة ﴿فَيُحِلُّوا﴾ بمواطأة العدّة ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من القتال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: خذلهم الله، حتّى حسبوا قبيحَ أعمالهم حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لعدم قبولهم الاهتداءَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ[٦] إِلَى الْأَرْضِ﴾:

١ـ السَّرْدُ: تتابع بعض حلق الدّرع إلى بعض، يُقال: سرد فلانٌ الصّوم: إذا والاه. مجمع البحرين ٣: ٦٨ (سرد).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في مجمع البيان (٥ ـ ٦: ٢٨): قرأ أبوجعفر عليه السلام «النَّسِيّ» بالتّشديد من غير همز؛ و قرأ جعفر بن محمّد عليهما السّلام و الزّهري «النَّسْي» مخفّفاً في وزن الهَدْي بغير همز.
٤ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٥ـ في «ب»: «ليتوافقوا».
٦ـ أصله: «تَثَاقَلْتُمْ» فادغمت التّاء في الثّاء، ثُمَّ أدخلت همزة الوصل ليمكن الابتداء بها. مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠.

تَباطأتُمْ، مخلّدين إلى أرضكم والإقامة بدياركم. قيل: ذلك[1] في غزوة تبوك في سنة عَشْرٍ، بعد رجوعهم من الطّائف، استنفروا في وقت قَحْطٍ و قَيْظٍ[2] مع بُعد الشُّقَّة[3] وكَثْرَة العدوّ، فشقّ ذلك عليهم[4]. القمّي: و ذلك لمّا شاع بالمدينة أنّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم، و أنّ هِرَقْل[5] قد سار في جنوده، و جلب معه القبائل، و قدموا البَلْقاء[6] فأمر رسول الله ﷺ بالتّهيّوء إلى تبوك ـ و هي من بلاد البَلْقاء ـ و بعث إلى القبائل حوله و إلى مكّة و إلى من أسلم من خُزاعَةَ و مُزَيْنَةَ و جُهَيْنَةَ، و حثّهم على الجهاد، فقدمت القبائل، و قعد عنه قوم من المنافقين و غيرهم[7]. ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و غرورها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: [بدلها][8] ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: فسينصره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلاّ رجل واحد ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غار ثَوْر، وهو جبل في يُمْنىٰ مكّة على مسيرة ساعة. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ و هو ابوبكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لاتخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة و المعونة. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ اقبل يقول لابي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا، و قد اخذته الرِّعْدَةُ و هو لايَسْكُنُ، فلمّا

١ـ في «ج»: «قيل: كان ذلك»؛ وفي «الف»: «قال: كان ذلك».
٢ـ القَيْظ: صميم الصّيف من طلوع الثُّريّا إلى طلوع سهيل. يقال: قاظَ يوماً. إذا اشتدَّ حرُّه. القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (قيظ).
٣ـ الشُّقَّة ـ بالضمّ و الكسر ـ: البُعد، والنّاحية يقصدها المسافر، و السّفر البعيد، والمشقّة. القاموس المحيط ٣: ٢٥٨؛ ومجمع البحرين ٥: ١٩٤ (شقق).
٤ـ البيضاوي ٣: ٦٨؛ والكشّاف ٢: ١٨٩.
٥ـ هِرَقْل ـ على وزن دِمَشْق ـ و هِرَقْلُ ـ وزان خِنْدِف ـ: إسم مَلك الرُّوم. القاموس المحيط ٤: ٦٩ (هرقل).
٦ـ البَلْقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشّام و وادي القرىٰ. معجم البلدان ١: ٤٨٩.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٨ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

رأى رسولُ الله ﷺ حالَه، قال له: تريد أن أُريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، و أُريك جعفر و أصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح بيده على وجهه؛ فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، و إلى جعفر و أصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر»[١].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ :أمَنَتَهُ الّتي يسكن إليها القلوب ﴿عَلَيۡهِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «على رسوله. قال: و هكذا تنزيلها»[٢]. و قال: «إنّهم يحتجّون علينا بقول الله تبارك و تعالى: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ" و مالهم في ذلك من حجّة؛ فوالله لقد قال الله: "فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِه" و ما ذكره فيها بخير. قيل: هكذا تَقْرَؤُونَها؟ قال: هكذا قراءتها»[٣]. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني الملائكة. قد سبق فيه كلام في تفسير: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا" من سورة الأنفال[٤]. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ قال: «هو الكلام الّذي تكلّم به عتيق»[٥].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ القمّي: هو قول رسول الله[٦]. ويستفاد ممّا سبق أنّ كلمتهم ما كانوا يمكرون به من إثباته، أو قتله، أو إخراجه، و كلمةَ الله نصرُه و غلبتُه عليهم. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ القمّي: شباباً و شيوخاً؛ يعني إلى غزوة تبوك[٧]. ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

١ـ الكافي ٨: ٢٦٢، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٢ـ المصدر: ٣٧٨، الحديث: ٥٧١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٨، الحديث: ٥٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ في ذيل الآية: ٣٠.
٥ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام. والعتيق: لقب أبي بكر. القاموس المحيط ٣: ٢٧٠؛ والنّهاية ٣: ١٧٩ (عتق).
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ قال: «يقول: غنيمة قريبة»[١]. ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾: متوسّطاً ﴿ لَّاتَّبَعُوكَ ﴾: لوافقوك ﴿ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾: المسافة الّتي تقطع بمشقّة ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ اي: المتخلّفون، إذا رجعتَ من تبوك معتذرين ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا ﴾: يقولون: لو كان لنا استطاعةُ العُدَّة، او البدن ﴿ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ و هذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه. ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بإيقاعها في العذاب ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾. قال: «كذّبهم الله في قولهم: "لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ" و قد كانوا مستطيعين للخروج»[٢].

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ في القعود حين استاذنوك واعتلّوا بالاكاذيب، و هلاّ توقّفت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ قال: «يقول: لتعرِفَ أهلَ العذر[٣] والّذين جلسوا بغير عذر»[٤]. في الجوامع: و هذا من لطيف المعاتبة، بداه بالعفو قبل العتاب، و يجوز العتاب من الله فيما غيرُه اولى[٥]، لاسيّما للأنبياء[٦]. و ورد: «إنّه ممّا نزل: بإيّاك اعني واسمعي يا جاره؛ خاطب الله بذلك نبيّه و اراد [به][٧] اُمّته»[٨].

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ قيل: يعني ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا، و إنّ الخُلّصَ منهم يبادرون إليه و لايوقفون[٩] على الإذن فيه فضلاً [عن][١٠] ان يستاذنوا في التّخلّف عنه، إذ

١ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٣٥١، الباب: ٥٦، الحديث: ١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أكذبهم الله».
٣ـ في المصدر: «أهل العُذر».
٤ـ القمّي ١: ٢٩٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «فيما غيره منه اولى».
٦ـ جوامع الجامع ٢: ٥٧.
٧ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٩ـ في المصدر: «لايتوقّفون»؛ وفي «ب» و «ج»: «ولايواقفونه».
١٠ـ مابين المعقوفتين من «ب».

ليس[1] من عادتهم أن يستأذنوك في التّخلّف، كراهة أن يجاهدوا[2]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التّخلّف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون. ورد: «من تردّد في الرّيب سبقه الأوّلون، و أدركه الآخرون، و وطأته[3] سنابك[4] الشّياطين»[5].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبَةً. قال: «يعني بالعُدَّة: النّيّة. يقول: لو كان لهم نيّةٌ لخرجوا»[6]. ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضَهم للخروج إلى الغزو، لعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: بطّأهم وجبّنهم وكسّلهم و خذلهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع النّساء والصّبيان و هو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود، و في هذا دلالة على انّ إذنه لم يكن قبيحاً، و إن كان الاولى ان لاياذن لهم؛ ليظهر للنّاس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً و شرّاً ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولأسرعوا ركائبَهم بينكم بالنّميمة، او الهزيمة[7] ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم، والرّعب في قلوبكم، و إفساد نيّاتكم في غزوتكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: عيون نمّامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون قولَ المنافقين؛ و يقبلونه و يطيعونهم؛ يريد من كان ضعيفَ الإيمان من المسلمين[8]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

١ـ في «ب» و «ج»: «او ليس».
٢ـ البيضاوي ٣: ٦٩.
٣ـ في المصدر: «قطعته».
٤ـ سنابك جمع سُنْبُك ـ كقُنْفُذ ـ: ضربٌ من العَدْو و طَرَفُ الحافر. «القاموس المحيط ٣: ٣١٧» و هو كناية عن استيلاء الشّيطان.
٥ـ الخصال ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٧٤، عن امير المؤمنين ﷺ.
٦ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٠، عن ابي عبدالله ﷺ.
٧ـ في «الف»: «والهزيمة».
٨ـ جوامع الجامع ٢: ٥٩.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾: تشتيت شملك و تفريق اصحابك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني يوم أُحد، او وقوفهم على الثَّنيَّة[1] ليلة العقبة؛ ليفتكوا به[2]. ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: دبّروا لك الحِيَل و المكائد، واحتالوا في إبطال امرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ و هو تاييدك و نصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: و غلب دينه و علا اهله ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ اي: علىٰ رغمٍ منهم.

والآيتان لتسلية رسول الله ﷺ والمؤمنين على تخلّفهم، و بيانِ ما ثبّطهم الله لاجله، وهتك أستارهم، و إزاحة اعتذارهم، تداركاً لما فات الرّسول ﷺ بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: و لاتوقعني في الفتنة، اي: العصيان والمخالفة، بان لاتاذنَ لي، فإنّي إن تخلّفتُ بغير إذنك أثمتُ، او في الفتنة بنساء الرّوم، كما ياتي ذكره. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ اي: إنّ الفتنة هي الّتي سقطوا فيها، و هي فتنة التّخلّف و ظهور النّفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ اي: بهم، لانّ آثار إحاطتها بهم معهم، فكانّهم في وسطها.

القمّي: لقي رسول الله ﷺ «الجدَّ بنَ قيسٍ» فقال له: يا ابا وهب! الا تنفر معنا في هذا الغزوة؟ لعلّك ان تَحتَفِدَ[3] من بنات الاصفر[4]. فقال: يا رسول الله، والله، إنّ قومي ليعلمون انّه ليس فيهم احدٌ أشدُّ عُجباً بالنّساء منّي، و اخاف إن خرجت معك ان لااصبرَ إذا رايت بنات الاصفر، فلا تَفتنّي و ائذنْ لي ان أُقيمَ، و قال لجماعة من قومه: لاتخرجوا في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله ﷺ و تقول ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لاتنفروا في الحرّ! والله ليُنزِلَنَّ الله في هذا قرآناً يقرأه النّاس إلى يوم القيامة،

١ـ الثَّنيَّةُ: العقَبَةُ، او طريقُها، او الجبل، او الطريقة فيه او إليه. القاموس المحيط ٤: ٣١١ (ثنى)
٢ـ عن سعيد بن جُبَيْر: وَقَفُوا لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك على الثَّنيَّة ليلة العقبة ليفتكوا به و هم إثناعشر رجلاً. راجع. جوامع الجامع ٢: ٥٩.
٣ـ في المصدر: «ان تستحفد» و الإستحفاد: الإستخدام.
٤ـ يعني به الرّوم، لانّ اباهُمُ الاوّل كان اصفر اللّون و هو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. النّهاية ٣: ٣٧ (صفر).

فأنزل الله علـى رسوله ﷺ في ذلك: "و منهـم من يقول ائذن لـي" الآية، ثمّ قـال «جَدُّ بْنُ قَيْسٍ»: أيطمـع محـمّد أنّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم، لايرجع من هؤلاء أحدٌ أبداً[١]

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ قال: «غنيمة و عـافية»[٢]. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ قال: «بلاء و شدّة»[٣]. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: تبجّحوا بانصرافهم، واستحمدوا رأيهم في التّخلّف ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا و متولّي أمرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الغنيـمة والجنّة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السّوءيين: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بقـارعة من السّماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ و هو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

ورد: «و كذلك المرأ المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين: إمّا داعيَ الله، فـما عند الله خير له، و إمّا رزقَ الله، فإذا هو ذو أهلٍ و مـالٍ، ومعه دينُه و حَسَبُه»[٤]. و قال: «التّربّص انتظار وقوع البلاء بأعدائهم»[٥].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ إذ لا رجاء ثوابٍ لهم

١ـ القمّي ١: ٢٩١ـ٢٩٢.
٢و٣ـ المصدر: ٢٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦٤، الخطبة: ٢٣.
٥ـ الكافي ٨: ٢٨٧، ذيل الحديث: ٤٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

و لا خوف عقاب.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ يعني إنّ ذلك استدراج و وبال لهم، بسبب ما يكابدون[1] لجمعها و حفظها من المتاعب، و ما يرون فيها من الشّدائد و المصائب، و يشقّ عليهم إنفاقها في سبيل الله، و الزّهوق: الخروج بصعوبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: لَمِنْ جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين؛ من القتل والأسر، فيُظْهِرُونَ الإسلام تقيّة.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حصناً يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: غيراناً ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضعَ دُخول. قال: «اسراباً في الارض»[2]. ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾: لاقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسْرِعُون إسراعاً لا يردّهم شيء، كالفَرَسِ الجَمُوح.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يَعيبُك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾: في قسمتها ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ يعني إنّ رضاهم و سخطهم لانفسهم، لا للدّين.

قال: «بينا رسول الله ﷺ يَقْسِمُ قَسْماً إذ جاءه ابنُ ذي الخُوَيْصِرَةِ التّميميّ، و هو حُرْقُوصُ ابْنُ زُهَيْرٍ أصل الخوارج. فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك! و من يعدل إذا لم أعدل؟» الحديث. إلى ان قال: «فنزلت»[3].

و ورد: «إنّ أهل هذه الآية أكثرُ من ثُلُثَي النّاس»[4].

١ـ في «الف»: «يكايدون» بالياء، و هو تصحيف. والمكابدة للشّيء: تحمّل المشاقّ فيه. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠، عن ابي سعيد الخدري.

٤ـ المصدر: ٤١؛ و العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ : ما اعطاهم الرّسول من الغنيمة او الصّدقة؛ و ذكر «الله» للتّعظيم و التّنبيه على انّ ما فعله الرّسول كان بامر الله. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ : كفانا فضلُه ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ صدقةً او غنيمةً اُخرى ﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في ان يوسّع علينا من فضله. و جواب الشّرط محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اي: الزّكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ : فرض لهم فريضةً ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ : يضع الاشياء مواضعها.

قال: «الفقراء: هم الّذين لايسالون و عليهم مؤونات من عيالهم؛ و الدّليل على انّهم هم الّذين لايسالون قولُ الله عزّوجلّ في سورة البقرة: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا" إلى قوله: "لايَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً"[١]. والمساكين: هم اهل الزَّمانة من العُمْيان والعُرْجان و المُجذَّمين[٢]، و جميع اصناف الزَّمْنىٰ من الرّجال والنّساء والصّبيان. والعاملين عليها: هم السُّعاة والجُباة في اخذها و جمعها و حفظها حتّى يُؤَدُّوها[٣] إلى من يَقْسِمُها. والمؤلّفةُ قلوبهم: قوم وحّدوا اللهَ و لم تدخل المعرفةُ قلوبَهم انّ محمّداً رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتألّفهم و يُعلّمُهم كيْما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصّدقات لكي يعرفوا و يَرْغَبُوا. و في الرّقاب: قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطا و في الظِّهار و قتلِ الصّيد في الحرم و في الايمان، وليس عندهم ما يُكفِّرون، وهم مؤمنون، فجعل الله لهم سهماً في الصّدقات ليُكفَّرَ عنهم. والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون انفقوها في طاعة الله من

١ـ الآية: ٢٧٣.
٢ـ في المصدر: «المجذومين».
٣ـ في المصدر: «حتّى يردّوها».

غير إسراف، فيجب على الإمام، أن يقضي ذلك عنهم، و يكفيهم[1] من مال الصّدقات. و في سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد و ليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يَحُجُّون به، أو في جميع سُبُل الخير، فعلى الإمام أن يُعطِيَهم من مال الصّدقات حتّى يتقوَّون به[2] على الحجّ والجهاد. وابن السّبيل: أبناء الطّريق الّذين يكونون في الاسفار في طاعة الله، فيُقْطَعُ عليهم و يَذْهَبُ مالُهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصّدقات. والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء، فيُعْطىٰ كلُّ إنسان من هذه الثّمانية على قدر مايحتاجون إليه بلا إسراف و لاتقتير، يقوم في ذلك الإمام؛ يعمل بما فيه الصّلاح»[3].

و في رواية: سئل عن مُكاتَبٍ عجز عن مُكاتَبَته و قد أدّىٰ بعضَها. قال: «يؤدّىٰ عنه من مال الصّدقة، إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: "و في الرّقاب"»[4]. و ورد: «سهم المؤلّفة قلوبهم و سهم الرّقاب عامّ، والباقي خاصّ»[5]. يعني خاصّ بمن يعرف الحقّ لايُعْطىٰ غيرَه.

و ورد: «لاتحلّ الصّدقة لبني هاشم إلاّ في وجهين: إن كانوا عِطاشاً فأصابوا ماءً فشربوا، و صدقة بعضهم على بعض»[6].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كُلَّ ما يقال له و يُصَدِّقُه ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾. تصديق لهم بأنّه أُذُنٌ، ولكن لاعلى الوجه الّذي ذمُّوه به، بل من حيث إنّه يسمع الخير و يقبله. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يُصَدِّقُ به ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يُصَدِّقُهم؛ واللاّم للفرق بين الإيمانين كما يأتي.

١ـ في المصدر: «و يَكُفّهُم».
٢ـ في المصدر: «حتى ينفقوا به».
٣ـ القمّي ١: ٢٩٨ـ٢٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٧٤، الحديث: ٢٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٣: ٤٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ٦٢، الحديث: ٨٨، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهم السّلام.

القمّي: كان سبب نزولها: انّ عبدالله بن نُفَيْلٍ كان منافقاً، و كان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامَه و ينقله إلى المنافقين و ينُمُّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين: ينُمُّ عليك و ينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله ﷺ: من هو؟ فقال: الرّجل الأسود كثير[1] شعر الرّأس، ينظر بعينين كأنّهما قِدْران، و ينطق بلسانه شيطان[2]. فدعاه رسول الله ﷺ، فأخبره، فحلف إنّه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلتُ منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمّداً أُذُنٌ أخبره الله أنّي أنُمُّ عليه و أنقل أخباره فقبل، و أخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه: "و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين" أي: يصدّق اللهَ فيما يقول له، ويصدّقُكَ فيما تعتذر إليه في الظّاهر و لايصدّقك في الباطن. قوله: "وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ" يعني المُقِرّين بالإيمان من غير اعتقاد[3].

و في رواية: «يعني يصدّق اللهَ و يصدّق المؤمنين، لأنّه كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين»[4]. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هو رحمة ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾: لمن اظهر الإيمان حيث يقبله و لايكشف سرّه. وفيه تنبيه على انّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم، بل رفقاً بكم و ترحّماً. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا و تخلّفوا. ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾. توحيد الضّمير لتلازم الرّضائين. ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.
القمّي: نزلت في المنافقين الّذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم، لكي يرضوا عنهم[5].

١ـ في المصدر: «الكثير شعر الرّأس».
٢ـ في المصدر: «و ينطق بلسان شيطان».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٠.
٤ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ القمّي ١. ٣٠٠.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يشاقق؛ من الحدّ، لانّ كلاً من المخالفين في حدّ غير حدّ صاحبه ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ و تهتك عليهم استارهم ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. القمّي: كان قوم من المنافقين لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم و يقولون: ايرى محمّد ﷺ انّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم؟. لايرجع منهم احد ابداً. فقال بعضهم: ما أخْلَقَه[1] ان يخبر الله محمّداً ﷺ بما كنّا فيه و بما في قلوبنا، و ينزّل عليه بهذا قرءاناً يقراه النّاس؛ و قالوا هذا على حدّ الاستهزاء. و قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «الحق القوم فإنّهم قد احترقوا، فلحقهم عمّار فقال: ما قلتم؟ قالوا: ما قلنا شيئاً، إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللّعب و المزاح؛ فنزلت»[2].

و في رواية: «نزلت في اثنَيْ عشر رجلاً وقفوا على [باب][3] العقبة، ائتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، و قال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنّما كنّا نخوض و نلعب، و إن لم يَفْطَن نقتله، وذلك عند رجوعه من تبوك. فاخبره جبرئيل بذلك، و امره ان يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتّى نحّاهم»[4]. و ورد: «كانت ثمانية منهم من قريش و اربعة من العرب»[5]. و ياتي تمام قصّتهم عند تفسير قوله تعالى: "يَحْلِفُونَ بالله ما قالُوا"[6] من هذه السّورة إن شاء الله.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بما يعلم كذبه ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾: قد اظهرتم الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد

١ـ في المصدر: «ما أحلقه».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠.
٣ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الآية: ٧٤

إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم و إخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على النّفاق. و في رواية في قوله: "لاتَعْتَذِرُوا": «هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا و شكّوا و نافقوا بعد إيمانهم، و كانوا أربعة نفر. وقوله: "إِنْ نَعْفُ عَنْ طائفة مِنْكُمْ" كان احد الاربعة مختبر بن الحُمَيِّر[1] فاعترف و تاب، وقال: يا رسول الله أهلكني اسمي، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبدالله بن عبدالرّحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لايُعْلَمُ أين انا، فقتل يوم اليمامة، ولم يَعْلَمْ احدٌ اين قتل، فهو الّذي عفي عنه»[2].

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. تكذيب لهم فيما حلفوا: "إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ"، و تحقيق لقوله: "وَ ما هُمْ مِنْكُمْ"[3] ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: بالكفر و المعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطّاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شُحّاً[4] بالخيرات والصّدقات ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: اغفلوا ذِكْرَه ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته و فضله. قال: «يعني نسوا الله في دار الدّنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، اي: لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً، فصاروا منسيّين من الخير»[5]. و في رواية: «تركوا طاعة الله، فتركهم»[6].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: انتم مثلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا

١ـ في «الف»: «مخشير بن الحُمَيّر». وفي «ج»: «مخبر بن حميّر». و في سيرة النّبوي لابن هشام (٤: ١٦٨) و المغازي للواقدي (٢: ١٠٠٣): «مَخْشي بن حمير» و «مخشن بن حمير».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الآية. ٥٦.
٤ـ الشُّحّ: البُخلُ و الحرص. القاموس المحيط ١: ٢٣٩ (شح).
٥ـ العيّاشي ٢. ٩٦، الحديث: ٨٦؛ و التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
وفي العيّاشي. « ... فلم يعملوا له بالطّاعة، ولم يؤمنوا به وبرسوله، فنسيهم في الآخرة»
٦ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿وَأَوْلَٰدًا﴾. بيان لتشبيههم[١] بهم. ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: نصيبهم من ملاذّ الدّنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾. ذمّ الاوّلين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، والتهائهم بها عن النّظر في العاقبة و السّعي في تحصيل اللّذائذ الحقيقيّة الباقية، تمهيداً لذمّ المخاطَبين لمشابهتهم بهم واقتفائهم اثرهم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾: دخلتم في الباطل ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾: كالخوض الّذي خاضوه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ كيف أُغرقوا بالطّوفان ﴿وَعَادٍ﴾ كيف أُهلكوا بالرّيح ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أُهلكوا بالرّجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف أُهلكَ نُمرُود ببَعُوضٍ و أُهلكَ اصحابُه ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾؛ قوم شُعَيْب كيف أُهلكوا بالنّار يوم الظُّلَّةِ[٢] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾: اصحاب القرى المؤتفكة. قال: «أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، اي: انقلبت»[٣]. ﴿أَتَتْهُمْ﴾ كلّهم ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتعرّضها للعقاب بالكفر و التّكذيب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. هي في مقابلة سابقته.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: يَطيبُ فيها العيشُ ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة و خلود. قال: «عَدْنٌ: دار الله الّتي لم ترها عينٌ و لم تَخطُرْ على قلب بشر، لايَسكُنُها غيرُ ثلاثة: النّبيّين و الصّدّيقين والشّهداء. يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[٤]. ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني و شيء

١ـ في «الف»: «لتشبّههم»
٢ـ إشارة إلى الآية: ١٨٩ من سورة الشُّعراء: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ».
٣ـ الكافي ٨: ١٨١، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥٠، مرويّاً عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

من رضوانه أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة، و موجب كلّ فوز، و به يُنالُ كرامتُهُ الّتي أكبر أصناف الثّواب. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الّذي يستحقر دونه كلّ لذّة و بهجة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ [قيل: بالسيف[1].][2] ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[3]. وفي رواية: إنّ في قراءتهم عليهم السّلام: «جاهد الكفّار بالمنافقين قالوا: لأنّ النّبيّ ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لايُظْهِرُون الكفرَ، و علْمُ الله بكفرهم لايُبيحُ قتلَهم إذا كانوا يُظْهِرُون الإيمانَ»[4]. وفي أُخرى: «هكذا نزلت، يعني: "والمنافقين". قال: فجاهد رسول الله ﷺ الكفّار و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهادَ رسول الله ﷺ»[5]. ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾. القمّي: نزلت في الّذين تحالفُوا في الكعبة أن لايردّوا هذا الامرَ في بني هاشم، فهي "كلمة الكفر"، ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقَبة و همّوا بقتله، و هو قوله: "و همّوا بما لم ينالوا"[6].

أقول: قد سبق حديث همّهم بقتله عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ".

و ورد: «لمّا قال النّبيّ ﷺ ما قال في غدير خُمّ و صاروا[7] بالأَخْبِيَةِ[8]، مرّ المقداد

١ـ جوامع الجامع ٢: ٧٠؛ والبيضاوي ٣: ٧٤؛ والكشّاف ٢: ٢٠٢.
٢ـ مابين المعقوفتين من "ج".
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠.
٥ـ القمّي ٢: ٣٧٧، ذيل الآية: ٩ من سورة التّحريم، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٠١.
٧ـ في المصدر: «و صار».
٨ـ الأخبيَةُ جمع الخِباء: من الأبنية يكون من وبرٍ أو صوفٍ أو شَعرٍ. القاموس المحيط ٤: ٣٢٤ (خبي)

بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته و فنيت أيّامه و حضر أجله، أراد أن يولّينا عليّاً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فمضى المقداد و أخبر النّبيّ ﷺ فقال: الصّلاةَ جامعةً. قال: فقالوا: قد رمانا المقداد، فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتّى جثّوا[1] بين يديه، فقالوا: بآبائنا و أُمّهاتنا يا رسول الله، والّذي بعثك بالحقّ والّذي أكرمك بالنّبوّة، ما قلنا ما بلغك، والّذي اصطفاك على البشر. قال: فقال النّبيّ ﷺ: بسم الله الرّحمن الرّحيم يحلفون بالله ما قالوا، و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بك يا محمّد ليلة العقبة»[2].

و في رواية: «لمّا اقام عليّاً يوم غدير خُمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين: و هم ابوبكر و عمر و عبدالرّحمن بن عوف و سعد بن أبي وقّاص و ابوعُبَيْدَة و سالم مولا ابي حُذَيْفَة و المُغيرةُ بن شُعْبَة. قال عمر: أما ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون ـ يعني النّبيّ ﷺ ـ السّاعةَ يقوم و يقول: قال لي ربّي. قال: فنزل جبرئيل و اعلمه بمقالة القوم، فدعاهم و سألهم فانكروا و حلفوا، فانزل الله "يحلفون بالله ما قالوا"»[3].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾: و ما انكروا و ما عابوا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

قال: «كان أحدهم يبيع الرّؤوس، و آخر يبيع الكُراعَ[4] و يفتل القَرامِلَ[5]، فاغناهم الله برسوله ﷺ ثمّ جعلوا حدّهم و حديدَهم عليه»[6]. و المعنى: انّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها، و كان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر. ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ بالإصرار على النّفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالقتل

١ـ جثّ: فزعَ. القاموس المحيط ١: ١٦٩؛ واقرب الموارد ٢: ٨٤ (جث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٩٩، الحديث: ٩٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكُراعُ من البقر و الغنم بمنزلة الوَظيف من الفرس و هو مستدقّ السّاق. و هو اسم يجمع الخيلَ القاموس المحيط ٣: ٨١ (كرع).
٥ـ القَرامِلُ: ضفائر من شعر أو صوف او ابريسم، تصل به المرأة شعرها. النّهاية ٤: ٥١ (قرمل)
٦ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، ذيل الحديث: ٩٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

والنّار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾. قال: «هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا آتاه بخل به»[1].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فاورثهم البخلُ نفاقاً متمكّناً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقونَ الله. قال: «اللّقاء هو البعث»[2]. ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما اسرّوه في انفسهم من النّفاق ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوّعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلاّ طاقتهم، فيتصدّقون بالقليل. ورد: «افضل الصّدقة جُهْدُ المُقلّ»[3]. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال: «جازاهم جزاء السُّخْرِيّة»[4]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ورد: «آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسَه على ان يستقي كلَّ دلو بتَمْرَة بخيارها، فجمع تمراً فاتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله و عبدالرّحمان بن عوف على الباب، فَلَمزَه، اي: وقع فيه، فنزلت»[5]. والقمّي: نزلت في سالم بن عُمَيْر الانصاريّ، جاء بصاع من تمر من كسب يده و قال: اقرضته ربّي، فامر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينثره[6] في الصّدقات، فسخر منه المنافقون

١ـ القمّي ١: ٣٠١، عن ابي جعفر عليه السلام. و في المصدر و نسخة «الف»: «ثعلبة بن خاطب».
٢ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجُهْدُ: الوُسْعُ و الطّاقة و مع المُقِلّ اي: قَدْرُ ما يحتمله حال القليل المال. النّهاية ٢: ٣٢٠ (جهد).
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٩. وفيه: «يجازيهم جزاء السّخريّة».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠١، الحديث: ٩٣، عن ابي عبدالله عليه السلام. و «وقَع فيه»: لامه و عابَه، يقال: وقعتُ بفلان: إذا لُمتَهُ. و وقَعتُ فيه: إذا عبتَه و ذمَمتَه. لسان العرب ٨: ٤٠٥ (وقع).
٦ـ في «الف»: «ينثر».

و قالوا: أراد أن يذكّر نفسه ليُعْطىٰ من الصّدقات[1].

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: لا فرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾. قيل: السّبعون جارٍ في كلامهم مجرى المَثَل للتّكثير[2]. و ورد: «إنّ الله قال لمحمّد ﷺ: "إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم" فاستغفرَ لهم مائةَ مرّةٍ ليغفر لهم، فأنزل الله: "سواء عليهم استغفرت لهم" الآية. فلم يستغفر لهم بعد ذلك»[3]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ بقعودهم عن الغزو[4] خلفه؛ يقال: أقام خلافَ القوم، أي: بعدهم. ﴿وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إيثاراً للدَّعَة والخفض ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى ٱلْحَرِّ﴾. قاله بعضهم لبعض، و قد سبق قصّة الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ في ذلك عند تفسير: "وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي"[5] و هذا تفضيح له. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ و قد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أنّ مآبهُمْ إليها، و أنّها كيف هي، ما اختاروها بإيثار الدّعة والخفض على طاعة الله.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾. إمّا على ظاهر الامر، و إمّا إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدّنيا و الآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً و يبكون كثيراً، و يجوز ان يكون المراد بالضّحك والبكاء، السّرورَ و الغمَّ. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر و النّفاق والتّخلّف.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردّك إلى المدينة و فيها طائفة من

١ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٤٧٣ و الكشّاف ٢: ٢٠٥.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، الحديث: ٩٢، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام. والآية في المنافقين (٦٣): ٦.
٤ـ في «الف»: «من الغزو».
٥ـ الآية: ٤٩ من نفس السّورة.

المتخلّفين، يعني منافقيهم ممّن لم يتب و لم يكن له عذر صحيح في التّخلّف ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أُخرى بعد تبوك ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. إخبار في معنى النّهي. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ بان تدعو له و تستغفر ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ للدّعاء له ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. قد مرّ تفسيرها[1]، و هي إمّا تاكيد، او تلك في فرقةٍ و هذه في أُخرى.

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذووا[2] السّعة ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ لعذر.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ قال: «مع النّساء»[3]. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد و موافقة الرّسول ﷺ من السّعادة، و ما في التّخلّف عنه من الشّقاوة.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: إنْ تخلّف هؤلاء و لم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: منافع الدّارين؛ النّصر و الغنيمة في الدّنيا، و الجنّة و نعيمها في الآخرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١ـ في ذيل الآية: ٥٥ من نفس السّورة.
٢ـ في «ب»: «ذوا السّعة».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث: ٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: المقصّرون؛ من عذّر في الأمر: إذا توانى و لم يَجدَّ فيه. وحقيقته أن يُوهِمَ أنّ له عذراً فيما يفعل و لاعذر له، أو من «اعتذر» ـ بالإدغام[١] ـ: إذا مهّد العُذْر؛ و هم الّذين يعتذرون بالباطل ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: أهل البَدْو ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادّعاء الإيمان، فلم يجيبوا، أو لم يعتذروا[٢]. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالقتل والنّار.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالهرمى و الزّمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرهم ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التّخلّف ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالإيمان و الطّاعة في السّرّ و العلانية ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: لاجناح عليهم و لاعتاب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يعني معك ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ القمّي: سألوا نعلاً يلبسونها[٣]. ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ أي: يسيل دمعها، فإنّ «مِنْ» للبيان كأنّ العينَ كلّها دمعٌ فائضٌ. ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟﴾: لئلاّ يجدوا ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ في مغزاهم. القمّي: جاء البكّاؤون إلى رسول الله ﷺ و هم سبعة نفر ـ و سمّاهم ـ، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك. فأنزل الله فيهم: "ليس على الضّعفاء" إلى قوله: "ما ينفقون"[٤].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ يعني النّساء. القمّي: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتّى[٥]. ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَغَبّتَه[٦].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التّخلّف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزوة ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟﴾

١ـ أي: بإدغام التّاء في الذّال و نقل حركتها إلى العين.
٢ـ في «ب» و «ج»: «و لم يعتذروا».
٣، ٤ و ٥ـ القمّي ١: ٢٩٣.
٦ـ المَغَبّة: عاقبة الشيء. القاموس المحيط ١: ١١٣ (غب).

بالمعاذير الكاذبة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدّقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتتوبون من الكفر[1] ام تثبتون عليه؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اي: إليه، فوضع الوصف موضع الضّمير للدّلالة على انّه مطّلع على سرّهم وعلنهم، لايفوت عن علمه شيء من ضمائرهم و أعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتّوبيخ و العقاب.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تُعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ و لاتوبّخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: لايؤثّر فيهم التّوبيخ والنّصح و العتاب، و لاسبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ و لاينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم. ورد: «من التمس رضا الله بسخط النّاس، رَضيَ اللهُ عنه و أرضىٰ عنه النّاسَ، ومن التمس رضا النّاس بسخط الله، سَخِطَ اللهُ عليه وأسخط عليه النّاسَ»[2]. القمّي: لمّا قدم النّبيّ ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين و يُؤذونهم، و كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ و ليسواهم بمنافقين؛ لكي يعرضوا عنهم. فأنزل الله: "سيحلفون بالله لكم" الآية[3].

﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهلُ البدْو[4] ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من اهل الحضر، لتوحّشهم وقساوتهم و جفائهم، و نشوهم في بُعْدٍ من مشاهدة العلماء و سَماعِ التّنزيل ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾: و احقّ بان لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الشّرايع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال

١ـ في «ب» و «ح»: «عن الكفر».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦١، عن النّبيّ ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٤ـ البَدْوُ: البادية و النّسبة إليه بَدَوِيّ. الصّحاح ٦: ٢٢٧٨ (بدا).

كلٍّ من اهل الوَبَر والمَدَر[1] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يصيب به مسيئهم و محسنهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعدّ ﴿مَا يُنفِقُ﴾: ما يصرفه في سبيل الله و يتصدّق به ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً و خسراناً، إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً، و إنّما ينفق رياءً و تقيّةً ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: دوائرَ الزّمان و عقباته و حوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. اعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يتربَّصُونَه، أو إخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾: سببَ قربات ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: و سببَ دعواته، لانّه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة، و يستغفر لهم. ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾. شهادة من الله لهم بصحّة معتقدهم، و تصديقٌ لرجائهم. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾. وَعْدٌ لهُمْ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. تقْريرٌ لهُمْ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ القمّي: هم النُّقباء و ابو ذرّ والمقداد و سلمان و عمّار، و مَنْ آمن و صدّق و ثبت على ولاية اميرالمؤمنين عليه السلام[2]. و في نهج البلاغة: «لا يقع اسم الهجرة على احدٍ إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها واقرّ بها فهو مهاجر»[3]. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه من الدّينيّة والدّنيويّة[4] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ

١ـ اهلُ الوبَر و لمدَر، اي: اهل البوادي والمُدُن والقُرى، و هو منْ: وبر الإبل؛ لانّ بيوتهم يتّخذونها منه؛ والمدَر. جمع مدَرة و هي البنية. النّهاية ٥: ١٤٤ (وبر).
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣.
٣ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، الخطبة ١٨٩.
٤ـ في «ب»: «من النعمة الدّينيّة والدّنيويّة».

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾: ممن حول بلدتكم، يعني المدينة ﴿مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تمهّروا فيه و تمرّنوا ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾: لا تعرفهم بأعيانهم؛ و هو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يخفَوْنَ عليك، مع فطنتكَ و صدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشكّ في أمرهم. ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ و نطلع على أسرارهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ قيل: هما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم، عند قبض ارواحهم، و عذابُ القبر[١]. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾: عذاب النّار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المُنْذر»[٢]. و قد سبقت قصّته عند تفسير: "لا تَخونُوا اللّهَ والرَّسُولَ" من سورة الانفال[٣]. و في رواية: «أُولئك قوم مؤمنون، يُحْدِثُون في إيمانهم من الذّنوب الّتي يعيبها المؤمنون و يكرهونها. فأُولئك عسى الله أن يتوب عليهم»[٤]. و في أُخرى: «هم قوم اجترحوا ذنوباً، مثلَ قتل حمزة وجعفر الطّيّار، ثمّ تابوا، ثمّ قال: و من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة، إلاّ انّ الله لا يقطع طمعَ العباد فيه و رجاءَهُم منه. قال: و "عسى" من الله واجب»[٥].

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾. القمّي: نزلت حين أُطلِقَ ابو لُبابَة و عرض ماله للتّصدّق[٦]. ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ الصّدقةُ، او انت ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ اي: تنسبهم إلى الزّكاء؛ والتّزكية مبالَغةٌ في التّطهير و زيادةٌ فيه، او بمعنى الإنماء والبركةِ في المال. ﴿وَصَلِّ

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨١.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الآية: ٢٧.
٤ـ راجع العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١٠٩، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «أُولئك قوم مذنبون يحدثون وايمانهم من الذّنوب ...».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٦، مرفوعاً.
٦ـ القمّي ١: ٣٠٤.

عَلَيْهِمْ﴾ : و تَرَحَّمْ عليهم بالدّعاء لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ : تَسْكُنُ إليها نفوسُهم و تطمئنّ بها قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع دعاءك لهم ﴿عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يكون منهم. ورد: «إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: اللّهمّ صلّ عليهم»[1]. و ورد: «إنّ هذه الآية جارية في الإمام بعد رسول الله ﷺ»[2].

و قال: «لمّا نزلت آية الزّكاة: "خذ من أموالهم صدقة" و أُنزلت في شهر رمضان فامر رسول الله ﷺ مناديَه فنادى في النّاس: إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة، ففرض الله عليهم من الذّهب والفضّة، و فرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، و من الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب، و نادى بهم ذلك[3] في رمضان، و عفا لهم عمّا سوى ذلك. قال: ثمّ لم يعرض[4] لشيء من أموالهم، حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا و افطروا، فامر مناديَه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون زكّوا اموالكم تقبل صلاتكم. قال: ثمّ وجّه عمّالَ الصّدقة و عمّالَ الطّسُوق[5]»[6].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ إذا صحّت ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إذا صدرت عن خلوص النّيّة، يقبلها قبول من ياخذ شيئاً ليؤدّي بدلّه. قال: «اي: يقبلها من أهلها و يثيب عليها»[7].

و ورد: «إنّ الله يقول: ما من شيء إلاّ و قد وكّلتُ به مَنْ يقبضه غيري إلاّ الصّدقة، فإنّي أتلَقَّفُها بيدي تلقفاً[8]، حتّى انّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة او بشقّ التّمرة فأُرَبّيها له كما

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦٨، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١١١، عن ابي عبدالله ؑ.
٣ـ في المصدر: «فنادى فيهم بذلك».
٤ـ في المصدر: «لم يفرض» و في نسخة «ب»: «لَمْ يتعرّض».
٥ـ الطَّسّقُ ـ كفَلْس ـ مكيال، او ما يوضع من الخراج على الجُرْبان. او شبهُ ضَرِيبةٍ معلومةٍ و كأنّه مولَدٌ او معرّب. القاموس المحيط ٣: ٢٦٦(طسق).
٦ـ الكافي ٣: ٤٩٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ؑ.
٧ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ؑ.
٨ـ لَقِفَهُ و تَلَقَّفَهُ: تناوله بسرعة. القاموس المحيط ٣: ٢٠٢ (لقف).

يربّي الرّجل فِلْوه[١] و فَصيلَه[٢]، فيأتي يوم القيامة و هو مثل أُحُد وأعظم من أُحُد»[٣].

وفي رواية: «ضمنت على ربّي أنّ الصّدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يدالرّبّ، و هو قوله تعالى: "و يأخذ الصّدقات"»[٤].

و في أُخرى: «إذا ناولتم السّائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم، فإنّه يجاب له فيكم، ولا يجاب في نفسه، لأنّهم يكذبون، ولْيَردّ الّذي ناوله، يده إلى فيه، فيُقبّلها، فإنّ الله عزّوجلّ يأخذها قبل أن تقع في يده، كما قال عزّوجلّ: "ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات"»[٥]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ خيراً كان أو شرّاً. قال: «المؤمنون هم الأئمّة»[٦]. و في رواية: «إيّانا عنى»[٧]. و في أُخرى: «ليس هكذا هي، إنّما هي والمأمونون، فنحن المأمونون»[٨].

و ورد: «تُعرَضُ الاعمال على رسول الله ﷺ، أعمالُ العباد، كُلَّ صباحٍ ابرارِها و فُجّارِها[٩]، فاحذَروها، و هو قول الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا" الآية»[١٠].

و في رواية: «قيل له: ادع الله لي و لاهل بيتي، فقال: أو لستُ أفعل؟ والله إنّ

١ـ الفِلْوُ ـ بالكسر ـ الجَحْشُ والمُهْر فُطِما او بلغا السَّنة. القاموس المحيط ٤: ٣٧٧ (فلو).
٢ـ الفَصيل: ولد النّاقة إذا فصل عن أُمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).
٣ـ الكافي ٤: ٤٧، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٠٨، الحديث: ١١٨، عن ابي عبدالله، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ الخصال ٢: ٦١٩، ذيل الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ٢: ١٠٩، الحديث: ١٢٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الأمالي (للطّوسي) ٢: ٢٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الابرار جمع بَرّ ـ بالفتح ـ بمعنى البارّ، والفُجّار جمع فاجر فيكون قوله عليه السلام: «ابرارها و فُجّارها» بدل تفصيلٍ للعباد، و يحتمل أن يكون بدل تفصيل لاعمال العباد فيقرآن بالرّفع و في إطلاق الابرار والفجّار على الاعمال تجوّزٌ. على أنّه يحتمل كون الابرار حينئذ جمع البِرّ ـ بالكسر ـ و ربّما يقرأ الفجار ـ بكسر الفاء و تخفيف الجيم ـ جمع فَجار مبنيّاً على الكسر و هو اسم الفجور او جمع فِجْر ـ بالكسر ـ و هو ايضاً الفجور. مرآة العقول ٣: ٤.
١٠ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم و ليلة. قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"؟ قال: هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1]. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون، موقوف أمرهم، من أرجأته: إذا أخّرته ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ في شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم.

قال: «هم قوم كانوا مشركين، فقتلوا مثل حمزة و جعفر و أشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام؛ فوحّدوا الله و تركوا الشرك، و لم يعرفوا الإيمان بقلوبهم، فيكونوا من المؤمنين فيجب لهم الجنّة، و لم يكونوا على جحودهم، فيكفروا فيجب لهم النّار، فهم على تلك الحال، إمّا يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم»[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: مضارّة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾: و تقوية للكفر الّذي كانوا يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين كانوا يجتمعون للصّلاة في مسجد قبا، أرادوا أن يتفرّقوا عنه و تختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾: و إعداداً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يعني أبا عامر الرّاهب.

روي: «أنّه كان يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، إلى أن هرب إلى الشّام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وآله. و مات بقنّسرين وحيداً»[3].

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾: ما أردنا ببنائه إلّا الخصلة الحسنى، و هي الصّلاة والذّكر والتّوسعة على المصلّين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

١ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٤، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ٤٠٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «فتجب» في كلا الموضعين
٣ـ الكشّاف ٢: ٢١٣؛ والبيضاوي ٣: ٨٠.

في حلفهم.

و ورد ما ملخّصه: «إنّ المنافقين اتّفقوا و بايعوا لأبي عامر الرّاهب ـ الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسقَ ـ و جعلوه أميراً عليهم و بخعوا له بالطّاعة، فقال لهم: الرّأي أن أغيب عن المدينة لئلاّ أتّهمَ إلى أن يتمّ تدبيركم، و كاتِبُوا «أُكَيْدِرَ» ـ صاحبَ دُومَة الْجَنْدل ـ ليقصد المدينة، فأوحى الله إلى محمّد ﷺ و عرّفه ما اجمعوا عليه من أمْرِه و أمَرَهُ بالمسير إلى تبوك. قال: فلمّا صحّ عزم رسول الله ﷺ على الرِّحْلة إلى تبوك، عمد هؤلاء المنافقون فبَنوا خارجَ المدينة مسجداً، و هو مسجد الضِّرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوُهمون أنّه للصّلاة، و إنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصّلاة، فيَتّم تدبيرُهم و يقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، ثمّ جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ و قالوا: يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنّا نكره الصّلاة في غير جماعة، و يصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رايت ان تقصده و تصلّي فيه لنتيمّن و نتبرّك بالصّلاة في موضع مصلاّك؛ فلم يُعَرِّفْهُم رسولُ الله ﷺ ما عرّفه الله من أمرهم و نفاقهم. قال: وقال: أنا على جَناحِ سَفرٍ فامهِلُوا حتّى ارجعَ إن شاء الله تعالى ثمّ أنظر في هذا نظراً يرضاه الله. قال: و عاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً، و أبطل الله كيد المنافقين، و امر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضّرار، فأنزل الله تعالى: "والّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً" الآيات»[١].

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تصلّ فيه أبداً. يقال: فلانٌ يقوم بالليل، اي: يصلّي. ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيّام وجوده. قال: «يعني مسجد قُبا»[٢]. قيل: أسّسه رسول الله ﷺ، و صلّى فيه أيّام مُقامه بقُبا[٣] ﴿أَحَقُّ أَن

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٨، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٢٩٦، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، والحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨١؛ والكشّاف ٢: ١١٤.

﴿تَقُومَ فِيهِ﴾: اولى بأن تُصلّي فيه. قال: «يعني من مسجد النّفاق»[١]. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ قال: «بالماء عن الغائط والبول»[٢]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثّناء! قالوا: نغسل أثر الغائط. فقال: أنزل الله فيكم: "والله يحبّ المطّهّرين"»[٣].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾: على قاعدة مُحْكَمَة، هي الحقّ الّذي هو التّقوى من الله، و طلب مرضاته بالطّاعة ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: على قاعدة، هي أضعف القواعد و اقلّها بقاءً، و هو الباطل والنّفاق، الّذي مثله كمثل شفا جُرُف هارٍ في قلّة الثّبات. والشّفا: الشّفير. و جُرُفُ الوادي: جانبه الّذي يتحفّر[٤] أصله بالماء و تَجْرُفُه السّيولُ. والهار: الهائر الّذي اشفى على السّقوط والهدم. ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾. لمّا جُعِلَ الجُرُفُ الهار مجازاً عن الباطل قيل: "فانهار به في نار جهنّم". والمعنى: فهوى به الباطلُ في نار جهنّم، فكأنّ المبطلَ اسّس بنياناً على شفير جهنّم، فطاح به إلى قعرها. قال: «مسجد الضّرار، الّذي أُسّس على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم»[٥]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاح و نجاة.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ﴾ يعني مسجد الضّرار ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: سبب شكّ و ازدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحلّ أثره، ثمّ لمّا هدمه الرّسول ﷺ، رسخ ذلك في قلوبهم و ازداد، بحيث لا يزول رسمه[٦] عنها. ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قطعاً بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار؛ و في قراءتهم عليهم السّلام: «إلى

١ـ العيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٧٣، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ المصدر، مرويّاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ في «ب»: «ينحصر».
٥ـ القمّي ١: ٣٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «لا يزال وسمه».

أن تقطع»[1]. والقمّي: يعني حتّى تقطع[2] قلوبهم[3]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنائهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾. تمثيل لإثابة الله إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم و أموالهم في سبيله. ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ اي: لا أحدَ أوفى ﴿بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتم فانياً بباقٍ وزائلاً بدائم. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ اي: هم التّائبون. و في قراءتهم عليهم السّلام: «"التّائبين" إلى قوله: "والحافظين" على أنّها صفة للمؤمنين. سئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التّائبين العابدين»[4].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية: "إنّ الله اشترى" قام رجل فقال: يا نبيّ الله أرايتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يُقتَلَ إلّا أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيد هو؟ فأنزل الله على رسوله: "التّائبون" الآية، فبشّر النّبيّ ﷺ المجاهدين من المؤمنين، الّذين هذه صفتهم وحِلْيَتُهم، بالشّهادة والجنّة. و قال: التّائبون من الذّنوب، العابدون: الّذين لا يعبدون إلّا الله ولا يشركون به شيئاً؛ الحامدون: الّذين يحمدون الله على كلّ حال في الشّدّة والرّخاء؛ السّائحون الصّائمون الرّاكعون السّاجدون: الّذين يواظبون على الصّلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها و سجودها والخشوع فيها و في أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والنّاهون عن المنكر والمنتهون عنه.

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في المصدر: «حتّى تنقطع».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٥.
٤ـ الكافي ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: فبشّر من قتل و هو قائم بهذه الشّروط بالشّهادة والجنّة»[١].

والقمّي: نزلت الآية في الائمّة، لانّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم؛ فالآمرون بالمعروف: هم الّذين يعرفون المعروف كلّه، صغيرَه و كبيرَه و دقيقَه و جليلَه؛ والنّاهون عن المنكر: هم الّذين يعرفون المنكر كلّه، صغيرَه و كبيرَه؛ والحافظون لحدود الله: هم الّذين يعرفون حدودَ الله، صغيرها و كبيرها و دقيقها و جليلها. ولا يجوز أن يكون بهذه الصّفة غير الائمّة عليهم السّلام[٢].

و في رواية: سئل عن قوله: "إنّ الله اشترى". فقال: «يعني في الميثاق ثمّ قُرِئَ عليه: "التّائبون"[٣]، فقال: إذا رأيت هؤلاء، فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، يعني في الرّجعة»[٤].

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾ بموتهم على الشّرك، أو بوحيٍ من الله ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. ورد: إنّه سأل: «ما يقول النّاس في قول الله: "و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه" فقيل: يقولون: إنّ[٥] إبراهيم وَعَدَ أباه أن يستغفر له. قال: ليس هو هكذا، إنّ أبا إبراهيم وَعَدَهُ أن يُسلمَ فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله، تبرّأ منه»[٦]. و في رواية: «لمّا مات تبيّن له أنّه عدوّ لله، فلم يستغفر له»[٧]. والقمّي: إنّ إبراهيم قال لأبيه: إن لم

١ـ الكافي ٥: ١٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٣ـ في المصدر: «ثمّ قرأت عليه: "التّائبون العابدون" فقال أبو جعفر عليه السلام: لا و لكن اقرأها: "التّائبين العابدين"».
٤ـ العيّاشي ٢: ١١٢، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ لم ترد كلمة «انّ» في «ب» و «ح».
٦ـ العيّاشي ٢: ١١٤، الحديث: ١٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر، الحديث: ١٤٨، مضمراً.

تَعبُدِ الأصنامَ استغفرتُ لك، فلمّا لم يَدَعِ الأصنامَ تبرّأ منه [1].

أقول: و يؤيّده قوله تعالى: "إلّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ" [2] فنحمل الرّواية الأُولى على وقوع الوعد من كلا الطّرفين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. ورد: «الأوّاه: هو الدَّعّاء» [3]. و في رواية: «الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، و إذا خلا في قفر من الأرض، و في الخلوات» [4].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذل ﴿قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: «حتّى يعرّفهم ما يُرضيه و ما يُسخطه» [5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم امرهم في الحالين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لا تتأتّى ولاية ولا نصرة إلّا من الله، فتوجّهوا بشراشركم إليه، و تبرّؤوا عمّا عداه.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين» [6]. قال: «هكذا نزلت» [7]. و في رواية: «قيل له: إنّ العامّة تقرأ: "لقد تاب الله على النّبيّ" فقال: ويلهم! و ايّ ذنب كان لرسول الله ﷺ حتّى تاب الله منه؟ إنّما تاب الله به على أُمّته» [8]. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾. القمّي: في قصّة تبوك، هم أبوذرّ و أبو خَيْثَمَةَ و عُمَيْرَةُ بن وَهَب، الّذين تخلّفوا ثمّ لحقوا

١ـ القمّي ١: ٣٠٦
٢ـ الممتحنة (٦٠): ٤
٣ـ الكافي ٢: ٤٦٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٠٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ١١٥، الحديث: ١٥٠؛ والتّوحيد: ٤١١، الباب ٦٤، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٠، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الاحتجاج ١: ٩٨، عن النّبيّ ﷺ.

برسول الله ﷺ، و ذكر في عذر تخلّف ابي ذرّ: انّ جَمَلَهُ كان أعْجَفَ[1]، فلحق بعد ثلاثة أيّام حاملاً ثيابَه على ظهره، لوقوف جَمَله عليه في بعض الطّريق[2]، قيل: «العُسْرَةُ»: حالهم في غزوة تبوك، كان يعتقب العَشَرَةُ على بعير واحد، و كان زادهم الشَّعيرَ المُسَوَّسُ والتّمر المُدَوَّدُ والإهالَةُ السَّنِخَةُ[3]، و بلغت الشّدّة بهم ان اقتسم التّمرةَ اثنان، و ربّما مصّها الجماعة؛ و كانوا في حَمارَّة[4] القَيْظ، و في الضِّيقة الشّديدة من القحط وقلّة الماء[5]. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثّبات على الإيمان و من اتّباع الرّسول في تلك الغزوة. القمّي: و كان الكفّار خمسة و عشرين الف رجل، والمؤمنون خمسة و عشرين رجلا[6]. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «خالفوا. قال: إنّما نزل: خالفوا، ولو خُلِّفُوا لم يكن عليهم عتب»[7]. القمّي: في قصّة تبوك، و قد كان تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين و قوم من المؤمنين مستبصرين، لم يعثر عليهم في نفاق؛ منهم: كَعْبُ بنُ مالك الشّاعر، و مُرارَةُ بنُ الرَّبيع، و هلالُ بنُ أُمَيَّةَ الواقفي، فلمّا بلغهم إقبالُ رسول الله ﷺ ندموا، فلمّا وافوا رسولَ الله ﷺ سلّموا عليه فلم يردَّ عليهم السّلامَ و اعرض عنهم، و سلّموا على إخوانهم فلم يردّوا

١ ـ عَجِفَ الفرس عجفاً، من باب تَعِبَ: ضَعُفَ. المصباح المنير ٢: ٤٨ (عجف).
٢ ـ لقمّي ١: ٢٩٤ و ٢٩٧.
٣ ـ ساسَ و سَوَّسَ الطّعام: وقع فيه السُّوسُ (دودٌ يقع في الصّوف والطّعام) فهو المَسوس والمُسَوَّس. و داد الطّعام و دَوَّدَ: صار فيه الدّودُ فهو المَدودُ و المُدوِّد. والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ: الشّحم المذاب و قيل. دهن يؤتدم به، و قيل الدّسم الجامد. والسَّنِخَة: المتغيّرة الرّيح، يقال. سَنِخ الدّهنُ: إذا فسدَ و تغيرت ريحه «راجع: القاموس و مجمع البحرين والصّحاح».
٤ ـ حمارّة ـ بتخفيف الميم و شدّة الرّاء ـ: شدّة الحرّ. «القاموس المحيط ٢: ١٤ ـ حمر» و في نسخة «ب» و «ج» حَمزة ـ بالزّاء ـ و هي الشّدّة. القاموس المحيط ٢: ١٨٠ (حمز).
٥ ـ جوامع الجامع ٢: ٩٠.
٦ ـ لقمّي ١ ٢٩٦
٧ ـ المصدر: ٢٩٧ و فيه: «عيب» بدل «عتب».

عليهم، فبلغ ذلك أهليهم فقطعوا كلامهم، فخرجوا إلى ذِناب[١] جبل بالمدينة، فكانوا يصومون و أهلوهم يأتونهم بالطّعام، فيضعونه ناحيةً ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم، فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرةً؛ يبكون باللّيل والنّهار و يدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الأمر حلفوا أن لا يكلّمَ أحدٌ منهم صاحبَه حتّى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيّام، حتّى نزلت توبتهم[٢]. هذا ملخّص قصّتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع سعتها، و هو مَثَلٌ لحَيْرَتهم في أمرهم، كأنّهم لا يجدون في الأرض موضعَ قرارٍ، و ذلك حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ ولا إخوانهم ولا أهلوهم، فضاقت المدينة عليهم حتّى خرجوا منها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضُهم بعضاً؛ فتفرّقوا ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: و علموا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من سخط الله ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لمّا عرف صدق نيّاتهم. قال: «هي الإقالة»[٣]. ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأُولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، ولو عاد في اليوم مائة مرّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. ورد: «إيّانا عَنى»[٤]. و في رواية: «الصّادقون هم الأئمّة، والصّدّيقون بطاعتهم»[٥]. و في اُخرى: «لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّةٌ هذه الآية أم خاصّةٌ؟ فقال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين اُمِرُوا بذلك، و أمّا الصّادقون فخاصّةٌ لأخي عليّ عليه السلام و أوصيائي من بعده إلى

١ـ الذِّناب ـ بكسر الذّال ـ: عقب كُلِّ شيء. الصّحاح ١: ١٢٨ (ذنب).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٥، باب: توبة الله عزّوجلّ على الخلق، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٠٨، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

يوم القيامة»[١]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من الصّادقين»[٢].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضّرّاء، و يُكابدوا معه الشّدائدَ برغبة و نشاط، كما فعله ابوذرّ و ابو خيثمة. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق الجهاد ﴿وَلَا يَطَئُونَ﴾: ولا يدوسون[٣] بارجلهم و بحوافر خيولهم و اخفاف رواحلهم ﴿مَوْطِئًا﴾: موضعاً ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وَطْأهم إيّاه، و يضيق صدورهم بتصرّفهم في ارضهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ بقتل، أو اسر، او نهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ واستوجبوا الثّوابَ عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: ارضاً في مسيرهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جزاءَ ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾: و ما استقام لهم ان ينفروا جميعاً، لنحو غزوٍ وطلب علمٍ، كما لا يستقيم لهم ان يثبّطوا[٤] جميعاً. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فهلاّ نفر من كلّ جماعة كثيرة، كقَبِيلةٍ و اهل بَلْدةٍ ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكلّفوا الفقاهة فيه، و يتجشّموا مشاقّ تحصيلها. ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عمّا يُنذَرونَ منه. قال: «امرهم ان ينفروا إلى رسول الله ﷺ و يختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم»[٥]. و في

١ـ كمال الدّين ١: ٢٧٨، الباب: ٢٤، الحديث: ٢٥. عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدّوس: الوَطْءُ بالرِّجْل. القاموس المحيط ٢: ٢٢٥ (دوس).
٤ـ في «ج»: «ان يتثبّطوا».
٥ـ علل الشرايع ١: ٨٥، الباب: ٧٩، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رواية: «كان هذا حين كثر النّاس، فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفةٌ و يقيم طائفةٌ للتّفقّه، و أن يكون الغزو نوباً»[١].

أقول: يعني يبقى مع النّبيّ ﷺ طائفة للتّفقّه و إنذار النّافرة، فيكون النّفرُ للغزو، والقعودُ للتّفقّه. و ورد: «تفقّهوا في الدّين، فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم في الدّين فهو اعرابيّ، إنّ الله يقول في كتابه: "ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم"»[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قال: «الدّيلم»[٣].
والقمّي: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرُبُ من الإمام، ولا يجوزوا ذلك الموضعَ[٤]. ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدّةً و صبراً على القتال. القمّي: اي: غلّظوا لهم القولَ والقتلَ[٥]. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾: فمن المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ إنكاراً و استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السّورة، و انضمام الإيمان بها و بما فيها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها، لأنّه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. و قد سبق لزيادة الإيمان و نقصانه بيان في أوائل سورة الانفال[٦].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ قال يقول: «شكّاً إلى شكّهم»[٧]. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٣١، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ـ القمّي ١: ٣٠٧.
٦ـ في ذيل الآية: ٤.
٧ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليّات. القمّي: يمرضون[١].

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون؛ إنكاراً لها وسخريّةً، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم. ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: يقولون: هل يراكم أحدٌ من المسلمين إن قمتم وانصرفتم، فإنّا لا نصبر على استماعه، وترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال فإن لم يرهم أحدٌ قاموا، وإن يرهم أحدٌ أقاموا، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾: تفرّقوا، مخافةَ الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان والانشراح به بالخذلان. القمّي: عن الحقّ إلى الباطل، باختيارهم الباطل على الحقّ[٢]. قيل: وهو يحتمل الدّعاء والإخبار[٣]. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. القمّي: مثلكم في الخلقة[٤]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «من أنفَسكُم، أي: من أشرفكم»[٥]. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاقّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: عنتكم ولقاؤكم المكروهَ. والقمّي: ما أنكرتم وجحدتم[٦]. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: على إيمانكم وصلاح شانكم جميعاً ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

قال: «أي: المُلك العظيم»[٧]. وورد: «"رسول من أنفسكم". قال: فينا. "عزيز عليه ما عنتّم". قال: فينا. "حريص عليكم" قال: فينا. "بالمؤمنين رؤف رحيم". قال: شركنا المؤمنون في هذه الرّابعة، وثلاثة لنا»[٨]. وفي رواية: «فلنا ثلاثةُ أرباعها ولشيعتنا

١، ٢، ٤و٦ـ القمّي ١: ٣٠٨.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨٥.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٩٤.
٧ـ التوحيد: ٣٢١، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رُبعها»[١] . و في أُخرى : «هكذا أنزل الله : لقد جاءَنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤف رحيم»[٢] .

١ـ العيّاشي ٢ : ١١٨ ، الحديث : ١٦٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ـ الكافي ٨ : ٣٧٨ ، الحديث : ٥٧٠ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

سورة يونس

[مكيّة، و هي مائة و تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ : ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾ سابقةً و فضلاً، سمّيت قدماً لأنّ السّبق بها، كما سمّيت النّعمة يداً لأنّها باليد تُعطى، و إضافتها إلى الصّدق لتحقّقها، والتّنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنّيّة. قال: «إنّ معنى "قدم صدق" شفاعة محمّد ﷺ»[2]. و في رواية: «هو رسول الله ﷺ»[3].

أقول: و هذا يرجع إلى ذاك. و في أُخرى: «بولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

أقول: و هذا لأنّ الولاية من شروط الشّفاعة، و هما ملازمتان.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٨: ٣٦٤، الحديث: ٥٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر ١: ٤٢٢، الحديث: ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: الرّسول ﷺ، و على قراءة: "لَسحرٌ"، يعون الكتاب و ما جاء به الرّسول ﷺ، و فيه اعتراف بأنّهم صادفوا منه أُموراً خارقةً للعادة، مُعْجزةً إيّاهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. قد سبق تفسيره عند آية السُّخْرَة[1]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقدّره و يقضيه و يرتّبه في مراتبه على احكام عواقبه؛ والتّدبير: النّظر في ادبار الأُمور لتجيء محمودة العاقبة، والامر: امر الخلق كلّه. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾. تقرير لعظمته و عزّ جلاله، و ردٌّ على من زعم انّ آلهتهم تشفع لهم عند الله. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا غير، إذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحده لا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. يعني انّه ادنى تذكّرٍ، يُنَبِّهُ على الخطا فيما انتم عليه، و على انّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة، فاستعدّوا للقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: وَعَدَ وعداً حقاً ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: بعدله او بعدالتهم في أُمورهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ يستحقّونه بسوء اعتقادهم و شوم افعالهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: حساب الاوقات؛ من الاشهر والايّام واللّيالي ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الّذي هو الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقّعونه، لإنكارهم البعث، و ذُهُولِهم

١ـ الاعراف(٧): ٥٤.

بالمحسوسات عمّا وراءها ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾: و سكنوا إليها سكونَ من لا يُزْعَجُ[1] عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لا يتأمّلونها ولا ينظرون فيها.

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ لاستقامتهم على سلوك الطّريق المؤدّي إلى الجنّة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: دعاؤهم فيها: اللّهمّ إنّا نُسبّحك تسبيحاً ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾: و خاتمةُ دعائهم: ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ الذي دَعَوا به عند زجر، أو استحقّوه ﴿اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾ :كما يُعجّل لهم الخيرَ و يُجيبهم إليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. يعني لا نعجّل لهم الشرّ، ولا نقضي إليهم أجلَهم؛ بل نُمهِلُهم إمهالاً.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ لدفعه مُخلصاً فيه ﴿لِجَنبِهِ﴾اي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يعني انّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتُرُ، حتّى يزولَ عنه الضرُّ. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على طريقته الأُولى قبل أن مسّه الضرّ، او مرّ عن موقف الدّعاء والتّضرّع لا يرجع إليه ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾: كأنّه لم يدعنا ﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾: كشف ضرّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التّزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الانهماك في الشّهوات، والإعراض عن العبادات، عند الرّخاء.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالتّكذيب ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم

١ـ أزعجَهُ: أقلقَهُ و قلعَهُ من مكانه. مجمع البحرين ٢: ٣٠٤ (زعج).

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ : بالحجج الدالّة على صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم؛ لعلمه بإصرارهم على الكفر، و أنّه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزمهم الحجّة بإرسال الرّسل. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : استخلفناكم فيها ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ : من بعد القرون الّتي اهلكناهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ : خيراً أو شرّاً.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ : قرآنٍ آخر ليس فيه ما يَغيظنا[1] من ذمّ عبادة الاوثان والوعيد لعابديها ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بان تجعل مكان آية العذاب آيةَ الرّحمة، و تُسقطَ ذكرَ الآلهة و ذمَّ عبادتها ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في التّبديل والنّسخ من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ : ولا أعلَمكُم به على لساني؛ يعني انّ تلاوته ليست إلاّ بمشيّة الله، و إحداثه امراً عجيباً خارقاً للعادة؛ و هو ان يخرج رجل اُمّيّ لم يتعلّم ساعةً من عمره، ولا نشأ في بلد فيه العلماء، فيقرأ عليكم كتاباً بهر بفصاحته كُلَّ كلام فصيح، مشحوناً بعلم ما كان و ما يكون. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ : فقد اقمت فيما بينكم ناشئاً[2] و كَهْلاً مقدار اربعين سنةً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمّنا من أُمور الدّنيا والآخرة ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : أتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالم بجميع المعلومات، يعني

١ـ في «الف»: «نغيظنا».
٢ـ نشأ ـ كمنع ـ: شبَّ والنّاشئُ: الغلام والجارية جاوزا حدّ الصّغر. القاموس المحيط ١: ٣١ (نشأ).

بما ليس ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القمّي: كانت قريش يعبدون الأصنام، ويقولون: إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله، فردّ الله عليهم، فقال: قل لهم: يا محمّد "اتنبّئون الله بما لا يعلم" اي: ليس. فوضع حرفاً مكان حرف، أي: ليس له شريك يعبد[1].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: قبل بعث نوح كانوا على الفطرة؛ لامهتدين ولا ضُلالاً، كما سبق بيانه[2]. ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ ببعثة الرّسل، فتبعهم طائفة واضرب أُخرى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتاخير الحُكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ و لتميز المُحقّ من المبطل، و لكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتكليف والاختبار، و تلك للثّواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ اي: من الآيات الّتي اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، و لكلّ امرٍ اجلٌ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّةً و سَعَةً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمرض وقحط ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ فاجؤا وقوع المكر منهم ﴿فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالطّعن والاحتيال في دفعها. قيل: قَحطَ أهلُ مكّة سبع سنين حتّى كادوا يَهْلكون، ثمّ لمّا رحمهم الله بالمطر، طَفِقُوا يقدحون في آيات الله و يكيدون رسوله[3]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ منكم، قد دبّر عقابكم قبل أن تُدبّرُوا كيدكم. والمكر: إخفاء الكيد، و هو من الله: الاستدراج و الجزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. إعلام بأنّ ما يظنّونه خافياً، غيرُ خافٍ على الله، و تحقيق للانتقام.

١ـ القمّي ١: ٣١٠.
٢ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢١٣.
٣ـ الكشّاف ٢: ٢٣١؛ والبيضاوي ٣: ٨٩.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السّير و يمكّنكم منه بتهيئة أسبابه ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السُّفُن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: بمن فيها. عدل عن الخطاب الى الغيبة؛ للمبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجّب من حالهم. ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليّنة الهبوب ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾: بتلك الرّيح ﴿جَاءَتْهَا﴾: جاءت السُّفُنَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدةُ الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أمكنة الموج ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أُهْلِكُوا؛ يعني: سُدَّت عليهم مسالكُ الخلاص، كمن احاطت به العدوُّ؛ وهو مَثَلٌ في الهلاك. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فاجؤُا الفسادَ فيها، و سارعوا إلى ماكانوا عليه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه؛ و هو احتراز عن تخريب المسلمين ديارَ الكفرة، فإنّها إفساد بحقّ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾: وباله عليكم. قال: «ثلاث يرجعن على صاحبهنّ: النّكث والبغي والمكر. ثمّ تلا هذه الآية»[1]. ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتّعون متاعها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حالها العجيبة؛ في سرعة تقضّيها، و ذهاب نعيمها بعد إقبالها و اغترار النّاس بها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: و تزيّنت بأصناف النّبات و أشكالها و الوانها المختلفة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكّنون من حَصْدها و رفع غلّتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ ضربها عاهةٌ و آفةٌ بعد أمنهم و إيقانهم انْ قد سلمَ ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾: شبهاً[2] بما يُحْصَدُ من الزّرع من اصله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: كان لم يوجد زرعها فيما قبيله، و "الأمس":

١ـ العيّاشي ٢: ١٢١، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في "ج": «شبيهاً».

مَثَلٌ في الوقت القريب، والممثَّلُ به مضمون الحكاية لا الماء، و إن وليه حرف التّشبيه، لأنّه من التّشبيه المركّب. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار الله. قال: «إنّ السّلام هو الله عزّوجلّ، و داره الّتي خلقها لعباده و لأوليائه، الجنّة»[1]. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الّذي هو طريقها.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المَثوبةُ الحسنىٰ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: و ما يزيد على المثوبة تفضّلاً. القمّي: هي النّظر إلى رحمة الله[2]. و ورد: «أمّا الحسنىٰ فالجنّة، و امّا الزّيادة فالدّنيا، ما أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة و يجمع لهم ثواب الدّنيا والآخرة»[3]. و في رواية: «الزّيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب»[4]. ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾: غَبرةٌ فيها سَواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: اثرُ هوانٍ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ لا تزاد عليها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من سخطه، او من عنده ﴿مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لفرط سوادها و ظلمتها. قال: «اما ترى البيت إذا كان اللّيل كان اشدَّ سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً»[5]. و قال: «هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات، يسوّد الله وجوهَهم، ثمّ يَلْقَونه و يُلبِسهُمُ الذّلّةَ والصَّغار»[6]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الفريقين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾:

١ـ معاني الأخبار: ١٧٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١١.
٣ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ١٠٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ٢٥٣، الحديث: ٣٥٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «أشدّ سواداً من خارج فلذلك»
٦ـ القمّي ١: ٣١١، عن أبي جعفر عليه السلام. والصَّغارُ: الذّلّ والهوان. النّهاية ٣: ٣٢ (صغر).

الزموا مكانكم لا تبرحوا حتّى تنظروا ما يُفعَلُ بكم ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، و قطعنا الوُصَلَ الّتي كانت بينهم. القمّي: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين[1]. ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم الّتي حملتهم على الإشراك لا ما أشركوا به، أو الشّياطين حيث أمروهم أن يتّخذوا[2] لله انداداً فاطاعوهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾: إنّه كنّا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدّمت من عمل، فتعاين نفعه و ضرّه. ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: ربّهم الصّادق ربوبيّته، المتولّي لامرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولىً ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: و ضاع عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون انّهم شركاء الله و انّهم تشفع لهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جميعاً باسباب سماويّة و ارضيّة؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: أمّن يستطيع خلقهما و تسويتهما و حفظهما من الآفات؟ ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: و من يحيي و يميت؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك؛ لفرط وضوحه. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة غيره.

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُريد بالكلمة كلمةُ العذاب، إن جعل "انّهم لا يؤمنون" تعليلاً، و انتفاءُ الإيمان، إن جعل بدلاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

١ ـ القمّي ١: ٣١٢.
٢ ـ في «لف»: «أو يتّخذوا».

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج و إرسال الرّسل والتّوفيق للنّظر والتدبّر؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾. لايهتدي ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ يهديه غيرُه؟ ورد: «فامّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد و آل محمّد عليهم السّلام من بعده، و امّا من لا يهدي إلاّ ان يهدى فهو من خالف، من قريش و غيرهم، أهل بيته من بعده»[1]. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾: و ما صحّ و ما استقام ﴿هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ان يكون افتراءً من الخلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة، لانّه مُعجز دونَها، و هو عيارٌ عليها[2]، شاهد لصحّتها ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: و تبيينَ ما شُرِعَ و فُرِضَ من الاحكام من قوله: "كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"[3]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: اختلقه؟! ﴿قُلْ﴾ إن افتريتَه كما زعمتم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة و حسن النّظم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ ان تدعوه للاستعانة به على الإتيان بمثله ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾: بل سارعوا إلى التّكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ من القرآن و غيره اولَ ما سمعوه، قبل أن يتدبّروا فيه. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: و لم يقفوا بعدُ على تاويله و معانيه. ورد: إنّه سئل عن الأُمور العظام من الرّجعة و غيرها، فقال: «إنّ هذا الّذي تسألوني عنه لم يأت أوانه. قال الله: "بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا ياتهم

[1] ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
[2] ـ عيار الشّيء: ما جعل نظاماً له يقاس به و يستوى. أقرب الموارد ٢: ٨٥٢ (عير).
[3] ـ النّساء (٤): ٢٤.

تأويله»[1]. والقمّي: نزلت في الرّجعة، كذّبوا بها. أي: أنّها لا تكون[2]. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾: أنبياءهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ في نفسه و يعلم أنّه حقّ و لكنّه يعاند، أو و منهم من يؤمن به في المستقبل. ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ في نفسه لفرط غَباوته[3] و قلّة تدبّره، أو فيما فيما يستقبل و يُصرّ على الكفر. قال: «هم أعداء آل محمّد عليهم السّلام من بعده»[4]. ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ يعني: و إن يئستَ من إجابتهم و أصرّوا على تكذيبك فتبرّا منهم و خلّهم، فقد أعذرْتَ إليهم. قيل: هي منسوخة بآية القتال[5].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ إذا قرأت القرآن و علّمت الشّرائع، و لكن لا يقبلون، كالاصمّ الّذي لا يسمع. ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: ولو انضمّ إلى صَمَمِهم عدمُ تعقّلهم؟! يعني انّ حقيقة استماع الكلام ليست إلّا فهمَ المعنى المقصود منه، و ليس ذلك فيهم.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾ و يُعاينون دَلالات نبوّتك، و لكن لا يصدّقون. ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾: تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾: و إن انضمّ إلى عدم البصَر عدمُ البصيرة؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ ممّا يتّصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بإفسادها و تفويت منافعها عليهم. ورد: «إنّ الله الحليمَ العليمَ

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢.
٣ـ غَبَا الشّيءَ و عنه غباً و غَباوةً: لم يفطن له. القاموس المحيط ٤: ٣٧٠ (غبا).
٤ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١١١؛ والكشّاف ٢: ٢٣٨.

إنّما غضبُه على من لم يقبل منه رضاه، و إنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، و إنّما يُضِلُّ من لم يقبل منه هداه»[1].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا، أو القبور؛ لهول ما يرون. ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنّهم لم يتفارقوا إلاّ قليلاً ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾.

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نُرِيَك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ فنريكه في الآخرة ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾. مجاز عليه ذكر الشّهادة، و أراد مقتضاها، و لذلك رتّبها على الرّجوع بـ "ثُمّ"، أو المراد:[2] يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ بالبيّنات فكذّبوه، أو يوم القيامة ليشهد عليهم ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم ﴾: بين الرّسول و مكذّبيه ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل؛ فأُنجيَ الرّسولُ و عُذّبَ المكذّبون ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. قال: «تفسيرها في الباطن، أنّ لكلّ قرن من هذه الأُمّة رسولاً من آل محمّد عليهم السّلام يخرج إلى القرن الّذي هو إليهم رسول؛ و هم الأولياء، و هم الرّسل. و أمّا قوله: "فإذا جاء رسولهم قُضي بينهم بالقسط" فإنّ معناه: أنّ رسل الله يقضون بالقسط و هم لا يظلمون»[3].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾. استعجالٌ لما وُعدوا من العذاب و استبعاد له. ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. شاركوا النّبيّ ﷺ والمؤمنين[4] في الخطاب.

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ فكيف أملك لكم الضّرّ؟! ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

١ـ الكافي ٨: ٥٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ في «الف»: «والمراد».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ في جميع النّسخ: «شاركوا النّبيّ ﷺ المؤمنين» بدون الواو، والصّواب ما أثبتناه كما في الصّافي ٢: ٤٠٥.

ان أملكه، أو ما شاء وقوعه فيقع ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم. قال: «هو الّذي سُمّيَ لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الّذي تستعجلونه ﴿بَيَاتًا﴾: وقت بيات و اشتغال بالنّوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أيّ شيء من العذاب يستعجلونه، و ليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ وُضِعَ المجرمون موضع الضّمير، للدّلالة على انّهم لجرمهم ينبغي ان يَفْزَعُوا لمجيء الوعيد لا ان يستعجلوه. قال: «هذا عذاب ينزل في آخر الزّمان على فسقة أهل القبلة، و هم يجحدون نزول العذاب عليهم»[٢].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان به؟ ﴿آلْآنَ﴾ على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيباً، و استهزاءً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: و يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: احقّ ما تقول من الوعد والوعيد و غير ذلك. قال: «ما تقول في عليّ عليه السلام»[٣]. و في رواية: «و يستنبئك اهل مكّة عن عليّ عليه السلام إمام هو؟»[٤]. ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين إيّاه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها و اموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فديةً لها من العذاب. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لانّهم بُهِتُوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الأمر و هوله. القمّي: "ظَلَمَتْ" يعني آل محمّد عليهم السّلام

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الأمالي (للصّدوق): ٥٣٦، المجلس السّادس والتّسعون، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام.

حقّهم، "لافتدت به" يعني في الرّجعة[١]. ورد: إنّه سئل: ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»[٢]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الظّالمين والمظلومين ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. تقرير لقدرته على الإثابة والعقاب. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحياة الدّنيا.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال: «شفاء من امراض الخواطر و مشتبهات الأمور»[٣]. و في رواية: «من نفث الشّيطان»[٤]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال: «فضل الله: رَسُولُه[٥] ﷺ، و رحمته: عليّ بن ابي طالب عليه السلام»[٦]. و في رواية: «فضل الله: نبوّة نبيكم، و رحمته: ولاية عليّ بن ابي طالب عليه السلام "فبذلك" قال: بالنّبوّة والولاية "فليفرحوا"، يعني الشّيعة»[٧]. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: «يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدّنيا»[٨].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: اخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ حلال كلّه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً و بعضه حلالاً مثل: "هٰذه أنْعامٌ وَ حَرْثٌ

١ـ القمّي ١: ٣١٣.
٢ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البحار ٣: ١٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٤٤، ذيل الحديث: ٨، مرفوعة.
٥ـ في «ب» و «ج»: «رسول الله».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧و٨ ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٠٠، المجلس الرّابع والسّتّون، ذيل الحديث: ١٣، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام

حِجْرٌ»[١] «مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَ مُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا»[٢].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التحريم والتحليل ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة ذلك إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: أيّ شيء ظنّهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: في أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: من الشّأن ﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه و تندفعون.

القمّي: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكىٰ بكاءً شديداً[٣]. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: و ما يبعد و ما يغيب عن علمه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: ما يوازن نملةً صغيرة، او هَباءً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات مأمول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. بيان لاولياء الله، أو استيناف خبرُهُ ما بعده. قال: «هم نحن و أتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا و طوبى لهم، و طوباهم افضل من طوبانا. قيل: ما شأن طوباهم افضل من طوبانا؟ ألسنا نحن و هم على أمر؟ قال: لا، إنّهم حملوا ما لم تحملوا، و أطاقوا ما لم تطيقوا»[٤].

و في رواية: «طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٥]. و في أُخرى: «هم

١ـ الانعام (٦): ١٣٨.
٢ـ الانعام(٦): ١٣٩
٣ـ القمّي ١: ٣١٣
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٠، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ كمال الدين ٢: ٣٥٧، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبدالله ﷺ.

الّذين يُذَكِّرُ[١] الله برؤيتهم، يعني في السَّمْتِ والهيئة»[٢]. و في أُخرى: «إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، و نظروا فكان نظرهم عبرةً، و نطقوا فكان نطقهم حكمةً، و مشوا فكان مشيهم بين النّاس بركةً، لولا الآجال الّتي كتبت عليهم لم تَقِرَّ ارواحهم في اجسادهم، خوفاً من العذاب و شوقاً إلى الثّواب»[٣]. و في أُخرى: «"الا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" إذا أدّوا فرائض الله، و أخذوا بسنن رسول الله، و تورّعوا عن محارم الله، و زهدوا في عاجل زهرة الدّنيا، و رغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطّيّب من رزق الله، لا يريدون التّفاخر والتّكاثر، ثمّ انفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأُولئك الّذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، و يُثابون على ما قدّموا لآخرتهم»[٤].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. قال: «هي الرّؤيا الحسنة يراها المؤمن او يُرىٰ له»[٥]. ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: «هي بشارة المؤمن عند الموت بالمغفرة»[٦]. و في رواية: «بالجنّة»[٧]. و هو قوله تعالى: "الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ[٨]" و ورد: «يبشّرهم بقيام القائم عليه السلام و بظهوره و بقتل اعدائهم، و بالنّجاة في الآخرة، والورود على محمّد و آله الصّادقين على الحوض»[٩]. و في رواية: «إذا وقعت نَفْسُه في صدره يرى رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فيقول له: انا رسول الله صلى الله عليه وآله ابشر، ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: انا عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي كنتَ تحبّه، انا انفعك

١ـ في «ب»: «يذكرون الله» و هو تصحيف.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والسَّمْتُ: هيئةُ اهل الخير؛ يقال: ما احسن سمتَهُ، اي: هديَه. الصّحاح ١: ٢٥٤ (سمت).
٣ـ الكافي ٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيهما «او ترى له»؛ و في الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ النّحل (١٦): ٣٢.
٩ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

اليوم. قال: و ذلك في القرآن قوله عزّوجلّ: "الّذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشرى في الحيوٰة الدّنيا و في الآخرة"»[1]. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير[2] لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ و هو اعتراض. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم و تدبيرهم في إبطال أمرك، و ساير ما يتكلّمون به في شأنك. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: إنّ الغلبة والقهر جميعاً لله، لا يملك احدٌ شيئاً منهما غيره، فهو يغلبهم و ينصرك عليهم. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقولون و بما يعزمون.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني لا يتّبعون شركاء؛ فاقتُصرَ على احدهما، أي: شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمّونها شركاء. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إلّا ظنّهم انّهم شركاء ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون تقديراً باطلاً، و يجوز ان يكون "ما" في: "وَ مَا يَتَّبِعُ" استفهاميّة، أو موصولة معطوفة على "مَنْ".

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقيمون به رياستهم في الكفر ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾: عظُمَ و شقّ

١ـ الكافي ٣: ١٣٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في "ح": "لاتغيّر".

مكاني، أو إقامتي[1] بينكم مدّةً مديدةً، أو قيامي على الدّعوة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إيّاكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ : فاعزموا على ما تريدون مع شركائكم، واجتمعوا على السّعي في إهلاكي ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ : مستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشوفاً؛ من غَمَّهُ: إذا ستَرهُ. والقمّي: لا تغتمّوا[2].

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ : أدّوا إليّ ذلك الأمر الّذي تريدون بي. والقمّي: ثمّ ادعوا عليّ[3].

﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ : ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ : أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يوجب تولّيكم، لثقله عليكم، و اتّهامكم إيّاي لاجله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ : المنقادين لحكمه.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ : فاصرّوا على تكذيبه في المدّة الطّويلة ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ : خلفاء لمن هلك بالغرق[4] ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني في الميثاق»[5]. و ورد في تفسيرها: «بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء، فمن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك، و من كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك»[6]. و قد مرّ فيه حديث آخر في الأعراف[7]. ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

١ـ في «ب»: «و إقامتي».
٢و٣ـ القمّي ١: ٣١٤.
٤ـ في «ب»: لمن هلك بالغرق في الأرض».
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في تفسير الآية: ١٥٨ من سورة الأنعام.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في ذيل الآية: ١٠١.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾: إنّه لسحر. حذف محكيّ القول لدلالة ما قبله و ما بعده عليه، أو المعنى: أتعيبون الحقّ و تطعنون فيه؟ ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾. قيل: استيناف بإنكار ما قالوه و ليس بمحكيّ القول، لانهم بتّوا القول[١]. ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾: لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾: حاذق فيه.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ اي: الّذي جئتم به هو السّحر لا ما سمّيتموه سحراً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: اولاد. قيل: اي: طائفة من شبّانهم[٢].

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: ان يعذّبهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبر والعتوّ والظّلم والفساد، حتّى ادّعى الرّبوبيّة واسترقّ أسباط الأنبياء.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لمّا راى تخوّف المؤمنين به: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾. فثقوا به و أسندوا امركم إليه واعتمدوا عليه، ولا تخافوا من فرعون و قومه

٨ ـ النّحل (١٦): ٣٢.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له؛ و ليس هذا تعليق الحكم بشرطين، فإنّ المعلّق بالإيمان وجوبُ التّوكّل، فإنّه المقتضي له؛ و المشروط بالإسلام حصوله، فإنّه لا يوجد مع التّخليط؛ نظيره: إن دعاك فلان فاجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا»[1]. و في رواية: «استعبدهم آل فرعون و قالوا: لو كان لهؤلاء كرامة كما يقولون، ما سلّطنا عليهم. فقال موسى لقومه: "يا قوم" الآية»[2].

أقول: هذه الرّواية تفسّر الأُولى[3]. و قيل: أي: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا[4].

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: من كيدهم و استعبادهم إيّانا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: اتّخذاها لهم مَباءةً[5]، أي: مرجعاً يرجعون إليه للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مصلّى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فيها. قال: «لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى و هارون "أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة". قال: أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم»[6].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصرة في الدّنيا والجنّة في العقبىٰ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: ما يتزيّن به من اللّباس والفرش والمراكب و نحوها ﴿وَأَمْوَالًا﴾: و أنواعاً من المال ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾. القمّي: أي: يفتنوا النّاس بالأموال، ليعبدوه ولا يعبدوك[7]. واللّام

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٢٨؛ والعيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٣٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «تفسيرُ الأولى»
٤ـ تفسير أبي السعود ٤: ١٧١.
٥ـ في «الف» و «ج»: «مباة» و في «ب»: «مباتاً».
٦ـ القمّي ١: ٣١٥، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ المصدر: ٣١٥

للعاقبة. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أهلكها و امحقها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و أقسها واطبع عليها، حتّى لا تنشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه عليهم، فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ يعني موسى و هارون. قال: «دعا موسى و أمّن هارون و امّنت الملائكة»[1]. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما انتما عليه من الدّعوة و إلزام الحجّة ولا تستعجلا، فإنّ ما طلبتما كائن، و لكن في وقته. ورد: «كان بين قول الله: "قد أجيبت دعوتكما" و بين أخذ فرعون أربعون سنة»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في الاستعجال و عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿آلْآنَ﴾: أتؤمن الآن و قد آيستَ من نفسك و لم يبق لك اختيار ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك مدّة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الضالّين المضلّين عن الإيمان.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً عن الرّوح، ممّا وقع فيه قومك من البحر او نلقيك على نَجْوَة من الارض، و هي المكان المرتفع ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: علامة يظهر لهم عبوديّتك و مهانتك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

قال: «إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُرَ منهم أحدٌ، هَوَوْا في البحر إلى النّار، و أمّا فرعون فنبذه الله وحده، فالقاه بالسّاحل لينظروا إليه و ليعرفوه، ليكون لمن خلفه آيةً، و لئلاّ يشكّ أحد في هلاكه، إنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً فاراهم الله إيّاه جيفةً ملقاةً

١ـ الكافي ٢: ٥١٠، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٤٠؛ والكافي ٢: ٤٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيهما: «اربعين سنة».

بالسّاحل ليكون لمن خلفه عبرةً و عظةً. يقول الله: "و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون"»[١].

و في رواية: «و قد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد، قد لبسه على بدنه، فلمّا عرق ألقاه الله على نَجْوَةٍ من الأرض ببدنه، ليكون لمن بعده علامةً، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض و سبيل الثّقيل[٢] أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آيةً و علامةً، و لعلّة أُخرى أغرقه الله، و هي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغَرَقُ و لم يستغث بالله، فأوحى الله إليه: يا موسى لم تُغِثْ فرعون، لأنّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته»[٣].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً و هو الشّام و مصر. القمّي: ردّهم إلى مصر و غرق فرعون[٤]. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: اللّذائذ ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في أمر دينهم و ما تشعّبوا شُعَباً ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بدين الحقّ و قرؤوا التّوراة و علموا أحكامها، و في أمر محمّد ﷺ، إلاّ من بعد ما علموا صدقه بنعوته و تظافر معجزاته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميز المحقّ من المبطل، بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. قال: «المخاطب بذلك رسول الله ﷺ و لم يكن في شكّ ممّا أنزل الله، و لكن قالت الجهلة: كيف

١ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي جعفر ؏.
٢ـ في «ب». «و سبيل الثّقل» و في «ألف»: «و سبيل الثّقيل يرسب». و ما في المتن موافق للمصدر.
٣ـ عيون أخبار الرّضا ؏ ٢: ٧٨، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦

لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، لنفرق بينه و بين غيره في الاستغناء عن المآكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيّه: "فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" بمحضر من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ و هو يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق؟ و لك بهم أُسوة، و إنّما قال: "فإن كنت في شكّ" و لم يكن، ولكن ليتّبعهم، كما قال: "فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبينَ"[١] ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيبون للمباهلة، فقد عرف انّ نبيّه عليه السلام مؤدّ عنه رسالته و ما هو من الكاذبين و كذلك عرف النّبيّ صلى الله عليه وآله انّه صادق فيما يقول، و لكن أحبّ ان ينصف من نفسه»[٢].

و ورد: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا اشكّ و لا اسأل»[٣].

و في رواية: «لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السّماء، و أوحى الله إليه في عليّ عليه السلام ما اوحى، من شرفه و من عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور و جمع له النّبيّين و صلّوا خلفه، عرض في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله من عظم ما اوحى إليه في عليّ عليه السلام، فانزل الله: "فإن كنت في شكّ ممّا انزلنا إليك فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" يعني الانبياء. فقد انزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما انزلنا في كتابك "لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين". قال: فوالله ما شكّ و ما سأل»[٤].

١ـ آل عمران (٣): ٦١.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٨، الحديث: ٤٢؛ و علل الشّرايع ١: ١٢٩، الباب: ١٠٧، الحديث: ١، عن ابي الحسن الهادي عليه السلام.
٣ـ علل الشّرايع ١: ١٣٠، الباب: ١٠٧، الحديث: ٢، مرفوعاً عن احدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: و على كلتـا الرّوايتين، فـالخطـاب من قـبيـل: إيـاك أعنـي واسـمـعي يـا جـاره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنّهم يموتون كفّاراً ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ و حينئذ لا ينفعهم، كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوۡلَا﴾: فـهلاّ ﴿كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾ من القرى الّتي أهلكناها ﴿ءَامَنَتۡ﴾ قبل معـاينة العـذاب، و لـم تؤخّر إليـهـا كـما أخّر فرعون إلى أن أدركـه الغرق ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأن يقبله الله منهـا، و يكشف العـذابَ عـنهـا ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾: لكنّ قـوم يونس ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ أوّل ما رأوا أمارةَ العذاب و لـم يؤخّروه إلى حلوله ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾. و يجـوز أن تكـون الجمـلة في معنى النّفي، لتضمّن حرف التّحضيض معناه، فيكون الاستثناء متّصلاً، كأنّه قيل: مـا آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس.

قال: «ما ردّ الله العذاب إلاّ عن قوم يونس، و كان يونس يدعوهم إلى الإسلام فتأبّوا ذلك، فـهمّ أن يدعـو عليـهم، و كـان فيـهم رجـلان عـابد و عـالم، و كان اسم أحـدهـما «مليخا» والآخر اسمـه «روبيل»، و كان العابد يشير على يونس بالدّعاء عليـهم، و كان العالـم ينهاه و يقول: لا تدعُ عليهم، فإنّ الله يستجيب لك ولا يحبّ هلاك عباده. فقبل قولَ العابد و لـم يقبل من العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليـه: يـأتيهم العذاب في سنة كذا و كـذا، في شهر كذا و كـذا، في يوم كذا و كذا، فلمّـا قـرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابـد، و بقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليـوم نزل العذاب. فقـال العالم لهم: يـا قوم افزعُوا إلى الله، فلعلّه يرحمكم فيردّ العذاب عنكم. فقـالوا: كيف نصنع؟ قـال: اخرجُوا إلى المفـازة، و فـرّقوا بين النّسـاء والأولاد، و بين الإبل و أولادها، و بين البـقـر و أولادهـا، و بين الـغنم و أولادهـا، ثمّ ابكـوا وادعـوا. فـذهبـوا و فـعلوا ذلك

و ضَجّوا[١] و بكوا، فرحمهم الله و صرف عنهم العذاب و فرّق العذاب على الجبال، و قد كان نزل و قرب منهم»[٢] الحديث. و يأتي تمامه في سورة الأنبياء إن شاء الله[٣].

و في رواية: «أصبحوا أوّل يوم و وجوههم صُفْرٌ، و أصبحوا اليوم الثّاني و وجوههم سُوْدٌ، و اتاهم العذاب حتّى نالوه برماحهم، ففرّقوا بين الأُمّهات و اولادهنّ، و لبسوا المُسُوح والصّوف، و وضعوا الحبال في أعناقهم والرّماد على رؤوسهم، و ضجّوا ضجّةً واحدةً إلى ربّهم و قالوا: آمنّا بإله يونس. فصرف الله عنهم العذاب، و اصبح يونس و هو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية»[٤].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

قال: «إنّ المسلمين قالوا: لو أكرَهْتَ يا رسول الله من قدرتَ عليه من النّاس على الإسلام، لكثر عددُنا و قوّتنا على عدوّنا[٥]. فقال: ما كنت لالقى الله ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، و ما انا من المتكلّفين. فانزل الله عليه: يا محمّد "ولو شاء ربّك لآمن مَن في الارض كلّهم جميعاً" على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدّنيا، كما يؤمن عند المعاينَة ورؤية الباس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، و لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزّلفى والكرامةَ و دوامَ الخلود في جنّة الخلد "افأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين". و أمّا قوله: "و ما كان

١ـ في «الف»: «فضجّوا».
٢ـ القمّي ١: ٣١٧ـ٣١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. و تراه بالتّفصيل في العيّاشي ٢: ١٢٩ـ١٣٤، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله.
٣ـ في ذيل الآية: ٨٧.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٣٦، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «و قوينا على عدوّنا».

لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله" [فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، و لكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله][1] و إذنه: أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلّفة متعبّدة، و إلجاؤه[2] إيّاها إلى الإيمان عند زوال التّكليف والتّعبّد عنها»[3].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته و كمال قدرته. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. "ما" نافية، او استفهاميّة. قال: «الآيات: الائمّة، والنّذر: الانبياء عليهم السّلام»[4].

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مثل وقايعهم و نزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقّون غيرها ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني نُهلِكُ الاُمَمَ ثمّ ننجّي ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾: حقّ ذلك علينا حقّاً؛ و هو اعتراض. ﴿نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اي: حين نهلك المشركين. قال: «ما يمنعكم ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الامر انّه من اهل الجنّة، إنّ الله يقول: "كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين"»[5].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ و صحّته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾. خصّ التّوفّي بالذّكر للتّهديد. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين بالتّوحيد، فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: و أُمرت بالاستقامة والسّداد في الدّين، بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «الف».
٢ ـ في المصدر: «و الجاء».
٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٥، الباب: ١١، الحديث: ٣٣.
٤ ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٣٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ١٣٨، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنّ الشّرك لظلم عظيم. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾. ذكر المسّ مع الضرّ والإرادة مع الخير تنبيهٌ على انّ الخير مراد بالذّات، و انّ الضرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الأوّل، و وضعُ الفضل موضع الضّمير للدّلالة على انّه متفضّل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، و لم يستثن لانّ مراد الله لا يمكن ردّه. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ اي: بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فتعرّضوا لرحمته[2] بالطّاعة، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ و لم يبق لكم عذر ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطّاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لانّ نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضّلال بالجحود ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لانّ وباله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ امركُم وحملكم على ما أُريد، إنّما انا بشير و نذير.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ بالامتثال والتّبليغ ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على دعوتهم و احتمال اذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ لك بالنّصر والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لانّه لا يحكم إلّا بالحقّ والعدل.

١ـ القمّي ١: ٣٢٠.
٢ـ في «ب»: «فتعرّضوا الرّحمة».

سورة هود

[مكيّة إلّا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤، وآياتها مائة و ثلاث و عشرون آية] [١]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾: نُظِمَتْ نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خَلَلَ، كالبناء المحكم ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بدلائل التّوحيد والمواعظ والاحكام والقصص. و معنى «ثمّ» التّراخي في الحال لا في الوقت. قال: «هو القرآن» [٢]. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالعقاب على الشّرك والثّواب على التّوحيد.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشّرك والمعصية ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطّاعة ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾: يُعِشكم في امن و دعة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو آخر اعماركم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في دينه ﴿فَضْلَهُ﴾: جزاءَ فضله في الدّنيا والآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ القمّي: يعني الدّخان والصّيحة [٣].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ القمّي ١: ٣٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٢١

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم أشدّ عذاب.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يعطفونها ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾. قال: «إنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله ﷺ حول البيت طأطأ أحدهم ظهره و رأسه هكذا، و غطّى رأسه بثوبه حتّى لا يراه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية»[1]. والقمّي: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام[2]. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطّون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. القمّي: كان النبيّ ﷺ إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام، أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه، نفضوا ثيابهم[3] ثمّ قاموا، يقول الله: "يعلم ما يسرّون و ما يعلنون" حين قاموا[4].

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ لتكفّله إيّاه تفضّلاً و رحمةً ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ قال: «من الأرحام والظّهور إلى أن يتناهى[5] بهم الغايات»[6].

﴿كُلٌّ﴾ من الدّوابّ و رزقها و مستقرّها و مستودعها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: مذكور في اللّوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. سبق تأويله[7]. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما. قال: «يعني أنّ الله حمّل دينَه و علمَهُ الماءَ قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر»[8]. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلقهنّ لحكمةٍ بالغةٍ، و هي أن يجعلها مساكن لكم، و يُنعِمَ عليكم بفنون النّعم،

١- الكافي ٨: ١٤٤، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢- القمّي ١: ٣٢١.
٣- نَفَضَ الثّوب. حرّكه لينتفض. القاموس المحيط ٢: ٣٥٩ (نفض).
٤- القمّي ١. ٣٢١.
٥- في المصدر: «تتناهى».
٦- نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٧- في سورة الأعراف(٧): ٥٤.
٨- التّوحيد: ٣١٩، الباب: ٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و يكلّفكم و يعرّضكم لثواب الآخرة، و يفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم، ليظهر أيّكم أحسن عملاً. قال: «ليس يعني أكثركم عملاً، و لكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصّادقة»[١]. و روي: «أيّكم أحسن عقلاً، و أورع عن محارم الله، و أسرع في طاعة الله»[٢]. ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. تمويه لا حقيقة له.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى جماعة من الاوقات قليلة. قال: «يعني به الوقت»[٣]. و في رواية: «الأمّة المعدودة أصحاب القائم الثّلاثمائة والبضعة عشر»[٤]. و في أُخرى: «يعني عدّة كعدّة بدر»[٥]. ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استعجالاً واستهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من الوقوع ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال: «يعني العذاب»[٦]. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: و أحاط بهم؛ وُضِعَ الماضي موضعَ المستقبل تحقيقاً و مبالغةً في التّهديد.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: شديد اليأس من أن تعود إليه تلك النّعمة ﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لنعمه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحّةٍ بعد سُقمٍ و غنىً بعد عُدْمٍ. في اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: المصائب الّتي ساءتْني و حزنتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: أشِرٌ بطِرٌ مغترٌّ بها ﴿فَخُورٌ﴾ على النّاس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفَرَحُ والفخرُ عن الشكر والقيام بحقّها.

و في لفظتي الإذاقة والمسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدّنيا من النّعم والمحن كالأُنموذج لما يجده في الآخرة، و أنّه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء؛ لأنّ الذّوقَ

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «اكثر عملاً».
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٦٠؛ والبيضاوي ٣: ١٠٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣و٤ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٦ـ العيّاشي ٢: ١٤٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إدراكُ الطّعم، والمسّ مبدءُ الوصول.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ في الشدّة على الضرّاء، إيماناً بالله و استسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الرّخاء، شكراً لآلائه؛ سابقها ولا حقها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾: تترك تبليغه مخافة ردّهم و استهزائهم ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستتباع، كالملوك ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدّقه؟ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞ﴾: ليس عليك إلاّ الإنذار بما أُوحي إليك ولا عليك، ردّوا، او اقترحوا، فما بالك يضيق به صدرك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ لا انت، فتوكّل عليه فإنّه عالم بحالهم و فاعل بهم جزاء اقوالهم و افعالهم.

قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ ؑ: إنّي سألت ربّي ان يوالي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يواخي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل. فقال رجلان من قريش: والله لصاعٌ من تمر في شَنٍّ[1] بالٍ احبُّ إلينا ممّا سأل محمّد ﷺ ربّه، فهلاّ سأل ربّه مَلَكاً يعضده على عدوّه، او كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلاّ اجابه الله إليه. فأنزل الله تعالى إليه: "فلعلّك تارك" الآية»[2].

و في رواية: «إنّه ﷺ سأل الله تعالى لعليّ ؑ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين. فقال "رمع"[3]: والله لصاع إلى قوله: فاقته. فأنزل الله عشر آيات من هود، أوّلها: "فلعلّك تارك"»[4].

١ـ الشَنُّ: القِربة الخَلَقُ الصَّغيرة. القاموس المحيط ٤: ٢٤٢ (شن).
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٢، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ كلمة مقلوبة.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله ؑ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في البيان و حسن النّظم ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: مختلقات من عند أنفسكم، إن صحّ أنّي اختلقته من عند نفسي، فإنّكم عرب فصحاء مثلي، تقدرون على مثل ما أقدر عليه؛ بل أنتم أَقْدَر، لتعلّمكم القصص، و تعوّدكم الأشعار. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّه مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أيّها المؤمنون مَنْ دعوتموهم إلى المعارضة، أو أيّها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: متلبّساً بما لا يعلمه إلّا الله، ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز المدعوّين ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه و برّه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾: نُوصِلْ إليهم جزاء أعمالهم في الدّنيا؛ من الصّحّة والرّياسة و سعة الرّزق و كثرة الأولاد. قال: «يعني فلان و فلان»[1]. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنْقَصُون شيئاً من أجورهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ لأنّهم استوفوا ما تقتضيه صُوَرُ أعمالهم الحسنة، و بقيت لهم أوزار العزائم السيّئة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: في الآخرة ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنّه لم يُعْمَلْ على ما ينبغي. القمّي: يعني من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدّنيا، أعطاه الله ثوابه في الدّنيا، و كان له في الآخرة النّار[2].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: على برهان من الله يدلّه على الحقّ والثّواب فيما يأتيه و يذره؛ والهمزة لإنكار أن يَعْقُبَ مَنْ هذا شأنه، هؤلاء المقصرين

١ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يعني فلاناً وفلاناً».
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤.

همّهم و افكارهم على الدّنيا، و ان يقارب بينهم في المنزلة؛ يعني افمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدّنيا؟ كيف و بينهما بون بعيد! ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: و يتبعه شاهد يشهد له منه ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني التّوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

قال امير المؤمنين عليه السلام: «محمّد ﷺ على بيّنة من ربّه، و انا الشّاهد، و انا منه»[١].

و ورد: «إنّما نزل: افمن كان على بيّنة من ربّه و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمةً و من قبله كتاب موسى. قال: فقدّموا و أخّروا في التّاليف»[٢]. و يستفاد من بعض الرّوايات: انّ المراد بالبيّنة القرآن، و ان يتلوه في التّلاوة[٣]. و في رواية: «شاهد من الله محمّد»[٤]. و على هذا فيعمّ "من كان على بيّنة" كلّ مؤمن مخلص ذو[٥] بصيرة في دينه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: من تحزّب على رسول الله ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يردها لامحالة. ورد: «لايسمع بي احد من الأمّة لايهوديّ و لانصرانيّ، ثمّ لايؤمن بي إلّا كان من اهل النّار»[٦]. ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: و يصفونها بالانحراف عن الحقّ والصّواب ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ورد: «هم اربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً»[٧]. «والاشهاد هم الائمّة عليهم السّلام»[٨].

١ـ الامالي (للطّوسي) ١: ٣٨١. و يقرب منه ما في العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة.
٣ـ بصائر الدّرجات: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٥٠، عن حسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الصّواب: «ذابصيرة» كما في الصّافي.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٥٠، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٨ـ المصدر ١٤٢، ذيل الحديث: ١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: الملوك الأربعة معروفة [١].

القمّي: "الا لعنة الله على الظّالمين" آل محمّد عليهم السّلام حقّهم، و "سبيل الله" طريق الله، و هو الإمامة. "يبغونها عوجاً": حرّفوها إلى غيره [٢].

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما كانوا معجزين الله في الدّنيا ان يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونهم من العقاب لو أراد عقابهم، و لكنّه اخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون اشدّ و أدوم. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لتصامّهم عن الحقّ وبغضهم له. القمّي: ما قدروا ان يسمعوا بذكر امير المؤمنين عليه السلام [٣]. ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ لتعاميهم عن آيات الله.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ خسروا بما بذلوا و ضاع [٤] عنهم ما حصّلوا، فلم يبق معهم سوى الحسرة والنّدامة، ولا احد ابين و أكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: اطمأنّوا إليه و خشعوا له ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾: كالاعمى و كالاصمّ [٥]، او كالاعمى الاصمّ و كذا في نظيره، و ذلك لتعامي الكافر عن آيات الله و تصامّه عن استماع كلام الله، و تأبّيه عن تدبّر معانيه. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضرب الأمثال والتأمّل فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أُبين لكم موجبات العذاب

١ ـ قال في الصّافي (٢: ٤٣٩): هم الثّلاثة و معاوية.
٢ ـ القمي ١: ٣٢٥. وفيه: «وهي الإمامة ... حرّفوها إلى غيرها».
٣ ـ المصدر.
٤ ـ في «الف»: «و ضايع».
٥ ـ «الف». «والاصمّ».

ووجهَ الخلاص.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾: اتبعوك ظاهرَ الرأي من غير تعمّق؛ من البُدُوِّ، او اولَ الرأي من البَدْء، و إنّما استرذَلوهم لفقرهم، فإنّهم لمّا لم يعلموا إلاّ ظاهراً من الحياة الدّنيا كان الأحظُّ بها أشرفَ عندهم، والمحرومُ أرذَلَ. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: حجّة شاهدة بصحّة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بإيتاء البيّنة، أو النبوّة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فخفيتْ عليكم[1] فلم تهدكم[2] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنكرِهُكُمْ على الاهتداء بها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها؟

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ على التبليغ جُعْلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يعني الفقراء، و هو جواب لهم حين سالوا طردهم. ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ يلاقونه و يفوزون بقربه، فيخاصمون طاردَهُم فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحقّ و أهله، او تسفّهون عليهم بأن تدعوهم اراذل.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾: يدفع انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ و هم بتلك المثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: خزائن رزقه حتّى جحدتم فضلي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: ولا اقول: أنا اعلم الغيب، حتّى تكذّبوني استبعاداً، او حتّى اعلم انّ هؤلاء

١ـ الظاهر انّ المصنّف رجّح قراءة التخفيف اي: «فَعَمِيَتْ» لمكان التفسير بقوله: فخفيت، و في المصحف: «فَعُمِّيَتْ» بضمّ العين و تشديد الميم اي: «اُخْفِيَتْ عليكم».

٢ـ في جميع النّسخ: «فلم يهدكم».

اتّبعوني بادي الرّأي من غير بصيرة و عقد قلب. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتّى تقولوا: "ما انت إلاّ بشر مثلنا"[1]. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: استرذلتموهم لفقرهم، مِنْ زَرىٰ عليه: إذا عابه. و إسناده إلى الأعين، للمبالغة والتّنبيه على أنّهم استرذلوهم بادي الرّؤية من غير رويّة. ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتيكم في الدّنيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا﴾: إن قلت شيئاً من ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطلته ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدّعوى والوعيد.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلاً، او آجلاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفع العذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ بان علم منكم الاصرار على الكفر فخلاّكم و شأنكم. ورد: «يعني انّ الامر إلى الله يهدي من يشاء و يضلّ»[2]. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾. اعتراض. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: وَبالُهُ ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في إسناد الافتراء إليّ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائسٍ مستكينٍ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾. اقنطه الله من [3] إيمانهم، و نهاه أن يغتمّ بما فعلوه من الإيذاء والتّكذيب. قال: «فلذلك قال نوح: "وَ لا يَلِدُوا إلاّ فاجِراً كَفّاراً"»[4].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبّساً باعيننا، اتى بصيغة الجمع للمبالغة في الحفظ

١ـ الشّعراء (٢٦): ١٥٤ و ١٨٦.
٢ـ قرب الإسناد: ٣٥٩، الحديث: ١٢٨٢؛ والعيّاشي ٢: ١٤٤، الحديث: ١٦، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «عن إيمانهم».
٤ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة نوح (٧١): ٢٧.

والرّعاية، على طريقة التّمثيل. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾. حكايةُ حالٍ ماضية. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به. قال: «إنّه لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون و يسخرون و يقولون: قد قعد[1] غرّاساً! حتّى إذا طال النّخل و كان جبّاراً[2] طُوالاً قطعه ثمّ نحتَه، فقالوا: قد قعد نجّاراً! ثمّ ألّفه فجعله سفينة [فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون و يسخرون و يقولون: قد قعد ملاّحاً في فلاة من الارض!»[3]][4]. ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا اخذكم[5] الغَرَقُ في الدّنيا والحَرَقُ[6] في الآخرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني الغَرَقَ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب النّار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه و ارتفع كالقدرِ تفُورُ. قال: «كان التّنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ سُئِلَ: و كان بدو خروج الماء من ذلك التّنور؟ فقال: نعم، إنّ الله أحبَّ أن يُرِيَ قومَ نوحٍ آيةً، ثمّ إنّ الله أرسل المطر يفيض فيضاً، و فاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهن فيضاً»[7]. و في رواية: «و كان ميعاده فيما بينه و بين ربّه في إهلاك قومه ان يفور التّنّور، ففار. فقالت

١ـ لعلّه بمعنى صار نحو قولهم: حَدَّدَ شفرتَهُ حتّى قَعَدَتْ كأنّها حَرْبَةٌ اي: صار. القاموس المحيط ١: ٣٤١ (قعد).
٢ـ الجبّار: النّخلة الطّويلة الفَتيّة و تُضَمُّ. القاموس المحيط ١: ٣٩٩ (جبر).
٣ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مابين المعقوفتين ليس في «الف».
٥ـ في «ح»: «إذا اخذكم».
٦ـ الحَرَق ـ بالتّحريك ـ النّار او لَهَبُها. القاموس المحيط ٣: ٢٢٧ (حرق).
٧ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

امرأته: إنّ التنّور قد فار. فقام إليه فختمه فقام الماء[1]، و أدخل من اراد ان يُدْخِلَ و أخرج من أراد ان يُخْرِجَ، ثمّ جاء إلى خاتمه و نزعه. يقول الله: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماء» الآيتين[2] قال: و كان نَجْرُها[3] في وسط مسجدكم»[4].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً و أُنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أُريد امرأته و بنوه و نساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بانّه من المغرقين. أُريد ابنه «كنعان» و امرأته «واعلة»، فإنّهما كانا كافرين. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. قال: «آمن مع نوح من قومه ثمانيةُ نفر»[5]. و ورد: «امره الله ان ينادي بالسّريانيّة: لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلّا حضر، فادخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين السّفينةَ، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدّنيا ثمانين رجلاً»[6].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: مُسَمّينَ الله قائلين ذلك؛ ومعناه: بالله إجراؤها و إرساؤها. قال: «أي: مسيرها و موقفها»[7]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لولا مغفرتُه لفَرَطاتكم، و رحمتُه إيّاكم لما نجّاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ من الطّوفان ﴿كَالْجِبَالِ﴾: كلُّ موجة منها كجبل في تراكمها و ارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان. قال: «ليس بابنه إنّما هو ابن امرأته، وهو لغة طيّ يقولون لابن المرأة[8]: ابْنَهُ»[9]. يعني بفتح الهاء. و ورد: «إنّهم قرؤوا كذلك»[10]. و ورد أيضا: «ابْنَها»[11]. والضّمير لامْرأته. ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه

١ـ قام الماء: انجمَدَ. القاموس المحيط ٤: ١٧٠ (قوم).
٢ـ سورة القمر (٥٤): ١١و١٢.
٣ـ النَّجْرُ: الأصل. القاموس المحيط ٢: ١٤٣ (نجر).
٤ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ في «ب» و «ج»: «لابن الإمرأة». وفي المصدر: «لابن امرأته».
٩ـ العيّاشي ٢: ١٤٨، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن أمير المؤمنين والصّادقين عليهم السّلام.
١١ـ جوامع الجامع ٢: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ١٦١.

نفسه عن المركب ﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السّفينة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾. قال: «نظر نوح إلى ابنه يقع و يقوم، فقال له: "يا بنيّ اركب" الآية»[1].

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾: إلاّ الرّاحم و هو الله تعالى. ورد: «كان الجبل الّذي اعتصم به في النّجف، فاوحى اللّه إليه: يا جبل ايعتصم بك منّي احد؟ فغار في الارض و تقطّع إلى الشّام»[2].

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: انشفي[3]. قال: «نزلت بلغة الهند اشربي»[4]. و في رواية: «حبشيّة»[5]. ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ قال: «امسكي»[6].

أقول: نداء الأرض و السّماء، عبارة عن كمال اقتداره و عظمته، و انّ الخلايق عارفون به، منقادون له، ممتثلون لامره على الفور.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: نقص ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أنجز ما وعد ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[7]: استقرّت عليه ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: بَعُدَ بُعْداً بعيداً لا يرجى عوده؛ كناية عن الهلاك. ما أفصح هذه الآية وابلغها، و ما افخم لفظها و احسن نظمها، و ما أدلّها على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و في إيراد الإخبار فيها على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وانّه متعيّن في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره.

قال: «فدارت السّفينة و ضربتها الامواج حتّى وافت مكّة و طافت بالبيت، و غرِقَ جميع الدّنيا إلاّ موضع البيت و إنّما سمّي البيتَ العتيق، لانّه أُعتِقَ من الغَرَق، فبقي الماء

١ـ القمي ١: ٣٢٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٥١، الحديث: ١٦١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نَشفَ الثّوب العَرَقَ و نَشفَ الحوضُ الماءَ: شرِبَه. الصّحاح ٤: ١٤٣٢ (نشف).
٤ و ٥ـ العيّاشي ٢: ١٤٩، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمي ١: ٣٢٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الجوديّ: جبل بالموصل. معجم البلدان ٢: ١٧٩.

ينصبّ من السّماء اربعين صباحاً، و من الأرض العيون؛ حتّى ارتفعت السّفينة فمسحت السّماء. قال: فرفع نوح عليه السلام يده فقال: يا رهمان أتقن[1]. و تفسيرها: يا ربّ احسن. فامر اللّه عزّوجلّ الأرض أن تبلع ماءها فبلعت ماءها، فاراد ماء السّماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها، و قالت: إنّما امرني الله أن أبلع مائي، فبقي ماء السّماء على وجه الأرض، واستوت السّفينة على جبل جوديّ، و هو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدّنيا»[2].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ و قد وعدت أن تنجّي اهلي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: اعدلهم و اعلمهم.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. قال: «نفاه عنه حين خالفه في دينه»[3]. و في رواية: «لمّا عصى الله نفاه عن ابيه»[4]. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ فيما يستقبل ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط منّي من السّؤال ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالتّوبة و التّفضّل عليّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: انزل من السّفينة مسلّماً من المكاره محفوظاً من جهتنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: و مباركاً عليك. والبركات: الخيرات النّامية. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يعني في السّفينة، لأنّهم كانوا جماعات، او لتشعّب الأمم منهم ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ اي: و ممّن معك أمم سنمتّعهم في الدّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قيل: اراد بهم الكفّار من ذرّيّة من معه[5].

١ـ في المصدر: «يا رهمان اخفرس».
٢ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٨٥، الحديث: ١.
٥ـ البيضاوي ٣: ١١١.

قال: «فنزل نوح بالموصل من السّفينة مع الثّمانين، و بنوا مدينة الثّمانين، و كانت لنوح ابنة ركبت معه السّفينة، فتناسل النّاس منها. و ذلك قول النّبيّ ﷺ: نوح أحد الأبوين»[١].

سئل: لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدّنيا كلّها في زمن النّوح، و فيهم الأطفال، وفيهم من لاذنب له؟ فقال: «ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعين عاماً؛ فانقطع نسلهم، فغرقوا و لاطفل فيهم، و ما كان اللّه ليُهلك بعذا به من لاذنب له، و امّا الباقون من قوم نوح فأُغرقوا بتكذيبهم لنبيّ اللّه نوح، و سائرُهُم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين؛ و من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد»[٢].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ الرّسالة و إيذاء القوم، كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدّنيا بالظّفر، و في الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشّرك و المعاصي.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. "اخاهم" يعني احدهم، كما سبق في الأعراف[٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله، باتّخاذ الأوثان شركاء، و جعلها شفعاء.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى﴾ الله[٤] ﴿الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفوا المحقّ من المبطل.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: اطلبوا مغفرة الله بالايمان، ثمّ توسّلوا إليها بالتّوبة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: كثيرَ الدّرّ[٥] ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن ابي عبدالله ؈.
٢ـ عيون أخبار الرّضا ؈ ٢: ٧٥، الباب: ٣٢، الحديث: ٢.
٣ـ في ذيل الآية: ٦٥.
٤ـ لم ترد كلمة: «الله» في «الف» و «ج».
٥ـ في «الف»: «كثيرَ المدر» و هو تصحيف.

قيل: رَغَّبهم في الإيمان بكثرة المطر و زيادة القوّة، لأنّهم كانوا أصحاب زروع و بساتين، و كانوا يُدِلُّون بالقوّة و البَطْش[1]. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على أجرامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحجّة تدلّ على صحّة دعواك، و هو كذب و جُحُودٌ لفرط عنادهم و عدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: بجنون، لسبّك إيّاها و صدّك عنها، فمن ثمّة تتكلّم[2] بكلام المجانين. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُمْهِلُوني؛ واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم و شدّتهم وكثرتهم و تعطّشهم إلى إراقة دمه؛ ثقةً بالله و اعتماداً على عصمته إيّاه، واستهانةً بهم و بكيدهم، وإن اجتمعوا عليه وتواطؤوا على إهلاكه.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ اي: إلّا و هو مالك لها قاهر عليها، يصرفها على ما يريد بها؛ و الاخذ بالنّاصية تمثيل لذلك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّه على الحقّ و العدل، لايَضِيعُ عنده معتصم و لايفوته ظالم.

قال: «يعني أنّه على حقّ، يَجزي بالإحسان إحساناً و بالسّيّء سيّئاً، و يعفو عمّن يشاء و يغفر سبحانه و تعالى»[3].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن تتولّوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. وعيد لهم بالإهلاك. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بتولّيكم ﴿إِنَّ

١ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ١٥١؛ والكشّاف ٢: ٢٧٥.
٢ـ في «الف» و «ج»: «تتكلّم» والأنسب بالسّياق ما أثبتناه كما في «ج» والصّافي.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥١، الحديث: ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾: رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم، و لا يغفل عن مؤاخذتكم.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾. إمّا تكرير لبيان ما نجّاهم عنه، و إمّا المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً، والتّعريض بأنّ المهلَكين معذّبون في الآخرة أيضاً بالعذاب الغليظ.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾: كفروا بها ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾؛ لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميعَ رُسُلِ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ يعني: رؤساءهم الدّعاة إلى تكذيب الرّسل.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني: جعلت اللّعنة تابعةً لهم في الدّارين تكبّهم في العذاب ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾. دعاء عليهم بالهلاك، و دلالة بأنّهم كانوا مستوجبين لما نزل بهم. و في تكرير "الا" و إعادة ذكر "عاد" تفظيعٌ لامرهم، وحثٌّ على الاعتبار بحالهم و الحذر من مثل أفعالهم؛ و إنّما قيل: "قوم هود" ليتميّزوا عن عاد إرَمَ.

القمّي: كانت بلادهم في البادية، و كان لهم زرع و نخيل كثيرة، ولهم أعمار طويلة و أجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلعِ الأنداد، فابوا و لم يؤمنوا بهود و آذوه، فكفّت السّماء عنهم سبعَ سنينَ، حتّى قحطوا. قال: فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبيّ الله قد أجْدَبَتْ بلادُنا و لم يمطر، فاسأل الله أن يخصب بلادنا و يمطر، فتهيّا للصّلاة، و صلّى و دعا لهم. فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم و اخصبت بلادكم. قال: فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الاصنام حتّى اخصبت بلادهم و أنزل الله عليهم المطر، و هو قوله تعالى: "يا قوم استغفروا ربّكم" الآيات. فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم

الرّيح الصّرصر، يعني الباردة. و هو قوله ـ في سورة القمر ـ: "إنّا أرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ"[١]. و في الحاقّة: "و أمّا عادٌ فأُهْلِكُوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَة"[٢].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لا غيره ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: استبقاكم، أو أمركم بعمارتها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ منكم ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح منك من مخائله[٣] ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ في الرّيبة، أو ذي ريبة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: بيانٍ و بصيرةٍ ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوّة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ رسالته و النّهي عن الاشراك به ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن باستتباعكم إيّاي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن أنسبكم إلى الخسران، أو غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم، أو بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثمّ تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي:

١ـ القمر (٥٤): ١٩.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٩ـ ٣٣٠. والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٦.
٣ـ المخائل جمع المَخِيلَة: ما يوقع في الخيال يعني به الامارات. وخِلْتُ الشّيء خيلاً و مخيلةً ظننته. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

و نجّيناهم من خزي ذلك اليوم و ذلّه و فضيحته، و لا خزيَ أعظمُ من الهلاك بغضب الله وباسه، أو أُريد بـ"يَوْمَئِذ" يوم القيامة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين لا حَراكَ بهم، اي: أُستؤصلوا.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كان لم يُقيموا فيها احياءً. و قد سبق تمام القصّة في الاعراف[1]. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني الملائكة. قال: «كانوا اربعةً: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل»[2]. ﴿بِالْبُشْرَى﴾: ببشارة الولد ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: سلّمنا عليك سلاماً، اي: سَلامةً. ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أمْرُكُمْ سلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ قال: «يعني مشوياً نضيجاً»[3].

و ورد: «إنّه قال: كلوا، فقالوا: لا ناكل حتّى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، و إذا فرغتم فقولوا: الحمدلله. قال: فالتفت جبرئيل إلى اصحابه ـ و كانوا اربعةً رئيسهم جبرئيل ـ فقال: حقّ لله ان يتّخذ هذا خليلاً»[4].

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدّون إليه ايديهم ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: و اضمر منهم خوفاً، ان يريدوا به مكروهاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنّا ملائكةٌ، مُرْسَلَةٌ إليهم بالعذاب؛ لا ناكل.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ تسمع[5] محاورَتَهم. قال: «إنّما عنى سارة»[6]. ﴿فَضَحِكَتْ﴾

١ـ في ذيل الآية: ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٧٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ١٥٣، الحديث: ٤٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «ح»: «تستمع».
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

قال: «يعني تعجّبت من قولهم»[١]. و في رواية: «حاضت»[٢]. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: و من بعده. و قيل: الورآء: ولد الولد[٣].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾: يا عجبا! و اصله في الشرّ. فأُطلق في كلّ امر فظيع. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي﴾: زوجي ﴿شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [تعني][٤] بحسب العادة دون القدرة. قال: «و هي يومئذ ابنة تسعين سنةً، و إبراهيم يومئذٍ ابن عشرين و مائة سنة»[٥].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يعني: انّ امثالَ هذه ممّا يكرمكم الله به يا اهل بيت النّبوّة، فليس هذا مكانَ تعجّب. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يوجب الحمد ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الخير و الاحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: ما اوجس من الخيفة، يعني لمّا اطمانّ قلبه بعد الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ مكان الرّوع ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: يجادل رسلنا في شانهم و مَعْنَاهُمْ. و مجادلته إيّاهم: «انّه قال لهم: إن كان فيها مائةٌ من المؤمنين اتهلكونهم؟ فقال جبرئيل: لا. قال: فإن كان فيها خمسون اتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فاربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتّى قال: فواحد؟ قالوا: لا. "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ"»[٦]. كذا ورد[٧].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غيرُ عجولٍ على من اساء إليه بالانتقام ﴿أَوَّاهٌ﴾: يكثر الدّعاء. قال: «دعّاء»[٨]. ﴿مُنِيبٌ﴾: راجع إلى اللّه بما يُحِبّ و يرضى. والغرض من هذه

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٨٠، عن ابن عبّاس.
٤ـ مابين المعقوفتين لم ترد في «الف». وفي «ج»: «يعني».
٥ـ علل الشّرايع ٢: ٥٥١، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٦، عن احدهما عليهما السّلام.
٦ـ العنكبوت (٢٩): ٣٢.
٧ـ الكافي ٥: ٥٤٦، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الكلام، بيان الحامل له على المجادلة، و هو رقّة قلبه و فرطُ تَرَحُّمه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ على إرادة القول، أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم! ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال، و إن كانت الرّحمة دأبَك، فلا فائدة فيه ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: قضاؤه و حكمه الّذي لا يصدر إلاّ عن حكمة ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: لا مردّ له بجدال و لا غيره.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئُهم، لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان، و ظنّ انّهم أُناس، فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: و ضاق بمكانهم ذَرْعُه[1]، و هو كناية عن شدّة الانقباض، للعجز عن مدافعة المكروه. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُسْرِعُون إليه، يُدْفَعُون دفعاً؛ لطلب الفاحشة من اضيافه ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾: و من قبل ذلك الوقت ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الفواحش، فتمرّنوا بها و لم يستحيوا منها، حتّى جاؤوا يهرعون إليه مجاهرين. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوَّجُوهُنّ. قال: «عرض عليهم التّزويج»[2]. و في رواية: «عرض عليهم بناته بنكاح»[3]. و القمّي: عَنىٰ به ازواجَهم، و ذلك انّ النّبيّ هو ابو أُمّته، فدعاهم إلى الحلال و لم يكن يدعوهم إلى الحرام[4]. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: هنّ انظف فعلاً و اقلّ فحشاً. قيل: يعني أدبارَهُنّ[5]. ورد: إنّه سئل عن إتيان الرّجل المرأةَ من خلفها. قال: «احلّه آية من كتاب الله، هو قول لوط: "هؤلاء بناتي هنّ اطهر لكم" و قد علم أنّهم لا يريدون الفرج»[6]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مواقَعة الذّكور ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾:

١ـ ضاق بالامر ذَرْعُهُ: ضَعُفَتْ طاقَتُهُ و لم يجدْ من المكروه فيه مخلصاً. القاموس المحيط ٣: ٢٣ (درع).
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤؛ والكافي ٥: ٥٤٨، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤، عن احدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٣٥.
٥ـ لم نعثر على قائله.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٧، الحديث: ٥٦؛ والتّهذيب ٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

ولا تُخْجلوني؛ من الخَزايَة، بمعنى الحياء، اولا تفضحوني، من الخِزْي ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾: في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يهتدي إلى الحقّ و يَرْعَوي [1] عن القبيح؟!

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. عنَوا إتيانَ الذكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قَوِيتُ بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾: او أويتُ إلى قويّ اتمنّع به عنكم، لدفعتكم عن اضيافي. شبّه القويّ العزيز بالرّكن من الجبل في شدّته و منَعَته. قال: «لو يعلم ايّ قوّةٍ له» [2]. و ورد: «رحم الله لوطاً لو يدري مَنْ معه في الحجرة، لعلم أنّه منصور. قال: ايّ ركن اشدّ من جبرئيل معه في الحجرة» [3].

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لإهلاكهم فلاتغتمّ ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء ابداً ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من الاسراء، و هو السّير ليلاً ﴿بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بطائفة منه، و في قراءتهم عليهم السّلام: «بقطع من اللّيل مظلماً» [4]. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولايتخلّف، او لاينظر إلى ورائه ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ﴾.

روي: «أنّه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا الصّبح. فقال: أُريد أسْرَعَ من ذلك ـ لضيق صدره بهم ـ فقالوا: " أليس الصّبح بقريب "؟» [5]. و ورد: « " فاسر بأهلك " يالوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام و لياليها. " بقطع من اللّيل ": إذا مضى نصف

١ـ الارْعواء. النّزوع عن الجهل و حسن الرّجوع عنه. القاموس المحيط ٤: ٣٣٧ (الرّعو).
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٨٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٠.

اللّيل. قال: فلمّا كان اليوم الثّامن مع طلوع الفجر، قدّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق و يعزّونه بهلاك قوم لوط، و ذلك قوله تعالى: "و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى"»[1].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بأن جعل جبرئيل جناحه في أسفلها، ثمّ رفعها إلى السّماء ثمّ قلّبها عليهم، واتّبعوا الحجارة من فوقهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: «يقول: من طين»[2].

أقول، أي: من طين متحجّر، هي معرّبة من «سنْگ گِل»، بدليل قوله: "حِجارَةً مِنْ طِين"[3] في موضع آخر.

﴿مَّنضُودٍ﴾ قيل: نُضِدَ في الإرسال كقطار الأمطار، أو نُضِدَ مُعَدّاً لعذابهم[4].

القمّي: يعني بعضها على بعض منضّدة[5].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمَةً للعذاب. القمّي: أي: منقوطة[6]. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. روي: «انّ النّبيّ ﷺ سأل جبرئيل، فقال: يعني ظالمي أُمّتك، ما من ظالم منهم إلاّ و هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعةٍ إلى ساعة»[7]. و ورد: «أي: ظالمي أُمّتك، إن عملوا ما عمل قومُ لوطٍ»[8]. و في رواية: «من مات مصرّاً على اللّواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار، فيكون فيه منيّته، و لا يراه أحد»[9]. و قد سبق نبذ من قصّة قوم لوط في الأعراف[10]، و يأتي طرف

١- علل الشّرايع ٢: ٥٤٩-٥٥٠، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٦٩.
٢- القمّي ٢. ١١٤، في تفسير الآية: ٤٠ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- الذّاريات (٥١): ٣٣.
٤- البيضاوي ٣: ١١٧.
٥ و ٦- القمّي ١: ٣٣٦.
٧- البيضاوي ٣: ١١٧.
٨- الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩- العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠- في ذيل الآية: ٧٩.

آخر منه في الحِجْر[1] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن البَخْس. قال: «كان سعرُهم رخيصاً»[2]. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ اي: مهلك. كقوله: "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ[3]"، او لا يشذّ منه احد منكم.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾. نبّه به على انّه لا يكفي الكفّ عن التّطفيف، بل يلزم السّعي في الايفاء، ولو بزيادة لا يتاتّى الإيفاء بدونها. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والسّويّة. ورد: «إذا طفّف المكيال و الميزان أخذهم الله بالسّنين و النّقص»[4]. و في رواية: «و شدّة المؤونة و جور السّلطان»[5]. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. تعميم بعد تخصيص، فإنّه أعمّ من ان يكون في المقدار او في غيره. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. هذا ايضاً تعميم بعد تخصيص، فإنّ العثْوَ يعمّ تنقيص الحقوق و غيرَه من انواع الفساد من السَّرِقة و الغارة و قطعِ السّبيل و غيرِ ذلك.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتّطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط الإيمان، او إن كنتم مصدّقين لي في نصيحتي ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ احفظ عليكم اعمالكم.

﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ يعنون الاصنام، استهزؤوا به و تهكّموا بصلاته[6] و كان كثيرَ الصّلاة و هو جواب عن أمره إيّاهم بالتّوحيد.

١ـ الآيات: ٥٨ إلى ٧٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكهف (١٨): ٤٢.
٤ـ الكافي ٢: ٣٧٤، الحديث: ٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٧٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لكنّ المستفاد من الصّافي (٢: ٤٦٨) انّه رجّح قراءة الجمع في قوله تعالى: "اصلواتك.."

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾: او ان نترك[۱] فعْلنا في اموالنا؟ و هو جواب عن النّهي عن التّطفيف و الامر بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾. قيل: ارادوا بذلك نسبته إلى غاية السّفه والغيّ، فعكسوا ليتهكّموا به[۲]. والقمّي: قالوا: إنّك لأنت السّفيه الجاهل، فحكى الله عزّوجلّ قولهم فقال: "إنّك لأنت الحليم الرّشيد"[۳].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾. قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم و النّبوّة[٤]. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾. قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال. و جواب الشّرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام ان اخون في وحيه، و أخالفه في امره و نهيه؟![۵] ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: و ما أُريد ان اسبقكم إلى شهواتكم التّي نهيتكم عنها، لاستبدّ بها دونكم. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾: ان أُصلحكم ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[٦]. و الجواب الاوّل إشارة إلى مراعاة حقّ الله، و الثّاني إلى مراعاة حقّ النّفس، و الثّالث إلى مراعاة حقّ النّاس.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ لإصابة الحقّ والصّواب ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: إلّا بهدايته و معونته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنّه القادر المتمكّن من كلّ شيء دون غيره. و فيه إشارة إلى محض التّوحيد الّذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. إشارة إلى معرفة المعاد. نبّه بهذه الكلمات على اتّكاله[۷] على الله بشراشره فيما يأتي و يذر، و حَسْمِ اطماع الكفّار، و عدم المبالاة بعداوتهم، و تهديدهم بالرّجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنّكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: خلافي و معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الرّيح ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من

۱ـ في «ب» و «ج»: «او نترك».
۲ـ الكشّاف ۲: ۲۸۷.
۳ـ القمّي ۱: ۳۳۷.
٤ و ٥ـ البيضاوي ۳: ۱۱۸.
٦ـ في «ب»: (إن أريد الأ الإصلاح ما استطعت): ان اصلحكم ما استطعت.
۷ـ في «ب» و «ج»: «على إقباله».

الرّجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني انّهم أُهلكوا في عهدٍ قريبٍ من عهدكم، فإن لم تعتبروا بمَنْ قَبْلَهم، فاعتبروا بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عمّا انتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لاقوّة لك و لاعزّ، فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً. القمّي: و قد كان ضعف بصره[1].

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: قومك و عزّتهم عندنا، لكونهم على ملّتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك شرّ قتلة ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، بل رهطك هم الاعزّة علينا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراء الظّهر لايُعبأُ به. و كسر الظّاء من تغييرات النّسب. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قارّين على ما انتم عليه من الشّرك و العداوة ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ منّي و منكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾: وانتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾. روي: «انّ جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحةً فزهق روح كلّ واحدٍ منهم حيث هو»[2]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأنْ لم يُقيموا فيها احياء ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. قيل: شبّههم بهم، لانّ عذابهم كان ايضاً بالصّيحة، غير انّ صيحتهم كانت من تحتهم و صيحة مدين كانت من فوقهم[3].

١ـ القمّي ١: ٣٣٧.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بالمعجزات القاهرة و الحجج الباهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يتقدّمهم إلى النّار و هم يتبعونه، كما كان لهم قدوة في الضّلال في الدّنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾. ذُكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقّقه.

﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ الّذي يردونه: النّار؛ لأنّ الورد ـ و هو الماء الّذي يورد ـ إنّما يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد، و النّار ضدّه.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ﴾: الدّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: رفدهم؛ لأنّ الرّفد ـ و هو العون و العطاء ـ إنّما يراد للنّفع، و اللّعنة مدرّ للعذاب في الدّارين.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾: باقٍ كالزّرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها عافي الأثر، كالزّرع المحصود.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إيّاهم ﴿وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له، بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم و لاقدرت أن تدفع عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه و نقمته ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. روي: «أنّ اللّه يُمهِلُ الظّالمَ حتّى إذا أخذه لم يُفْلته[1]، ثمّ تلا هذه الآية»[2].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ لعلمه بأنّه أُنموذج منه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ قال: «يوم القيامة، و هو اليوم الموعود، يجمع اللّه فيه

١ـ لم يُفْلته. أي: لم ينفلتْ منه، و يجوز أن يكون بمعنى: لَمْ يُفلِتْهُ منه أحدٌ أي: لم يُخلّصهُ. النّهاية ٣: ٤٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٩١، عن النّبيّ ﷺ.

الأوّلين و الآخرين»[١]. ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾. قيل: مشهود فيه أهل السّماوات والأرضين[٢]. و القمّي: يشهد عليه الأنبياء و الرّسل[٣].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ اي: اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾: إلاّ لانتهاء مدّة معدودة متناهية.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ﴾: لاتتكلّم ﴿نَفۡسٌ﴾ بما ينفع و ينجي ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: إلاّ بإذن الله. «هذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، و قوله: "هـٰذا يَوۡمُ لايَنْطِقُونَ. وَلايُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"[٤] في موطن آخر منها». كذا ورد[٥]. ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾. الزّفير: إخراج النّفس، والشّهيق: ردّه، دلّ بهما على شدّة كربهم و غمّهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾: غير مقطوع. قال: «هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من اهل الشّقاوة و السّعادة»[٦].

والقمّي: هذا في دار الدّنيا قبل يوم القيامة؛ "ففي الجنّة" يعني: في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين؛ "غير مجذوذ" يعني: غير مقطوع من نعيم الآخرة في

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦٥، عن أحدهما عليهما السّلام؛ و الكافي ٨: ٧٣ ذيل الحديث: ٢٩، عن زين العابدين عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢١.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٤ـ المرسلات (٧٧): ٣٥ و ٣٦.
٥ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الجنّة يكون متّصلاً به، و هو ردّ على من أنكر[١] عذاب القبر و الثّواب و العقاب في الدّنيا في البرزخ قبل يوم القيامة[٢].

و في رواية: «إنّ المراد بالجنّة و النّار في هذه الآية ولاية آل محمّد عليهم السّلام وولاية أعدائهم. قال: قال الجاهل بعلم التّفسير: إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنّة و النّار، و ذلك أنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحدٌ وكَذَبُوا. قال: والله ليس يُخرَجُ أهلُ الجنّة و لا كلُّ أهل النّار منهما[٣] أبداً، كيف يكون ذلك و قد قال الله في كتابه: "مٰاكثين فيه أبداً"[٤] "ليس فيها استثناء»[٥]؟

اقول: و يدلّ على انّ هذا في الدّنيا قوله تعالى: "ما دامَت السَّماوات وَالأرضُ" إذ لاسماء و لاارض يوم القيامة؛ و قوله سبحانه: "النّارُ يُعْرَضُون عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً"[٦] إذ ورد: «إنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذا لاغدوّ و لاعشيّ في القيامة. قال: ألم تسمع قول الله: "وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ الْعَذاب"[٧]»[٨].

﴿فَلَاتَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكّ بعد ما أُنزِلَ عليك هذه القصصُ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ اي: مشركي[٩] قومك. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ اي: حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظّهم من العذاب كآبائهم

١ـ في المصدر: «من ينكر».
٢ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٣ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الصّواب: «منهما».
٤ـ الكهف (١٨): ٣.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام مع تفاوت يسير.
٦و٧ـ الغافر (٤٠): ٤٦.
٨ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن ابي عبدالله عليه السّلام، ذيل الآية: ٤٦ من سورة المؤمن؛ والقمّي ٢: ٢٥٨، بالمضمون.
٩ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الاصحّ: «مشركوا قومك».

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلف هذه الأُمّة في الكتاب، و سيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم الّذي يأتيهم به، حتّى ينكره ناس منهم فيقدمهم فيضرب أعناقهم»[1]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة[2] ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميّز به عن المحقّ. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: و إنّ كفّار قومك ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع للرّيبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: و إنّ كلّ المختلفين من المؤمنين و الكافرين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. قيل: "لمّا" أصله «لمن ما»، يعني: لمن الّذين يوفّينّهم[3]. و على قراءة التّخفيف[4]، إحدى اللاّمين موطّئة للقسم و الأُخرى للتّأكيد، و «ما» مزيدة للفصل بينهما، و على قراءة تخفيف «إن» و رفع «كلّ»[5]، «إن» نافية و «لمّا» بمعنى إلّا. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوت عنه شيء.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ على جادّة الحقّ غير عادل عنها، و هي شاملة للعقائد والأعمال. قال: «أي: افتقر إلى الله بصحّة العزم»[6]. ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: وليستقم من تاب من الكفر و آمن معك ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: و لاتخرجوا من حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم عليه.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: و لاتميلوا أدنى ميل. ورد: «إنّ الرّكون المودّةُ و النّصيحةُ و الطّاعة»[7]. و في رواية: «هو الرّجل يأتي السّلطان فيحبّ بقاءه، إلى

١ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٩٥؛ و البيضاوي ٣: ١٢٣.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٣.
٤و٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩٦؛ والبيضاوي ٣: ١٢٣.
٦ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٠. عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٠، روي عنهم عليهم السّلام.

أن يُدْخلَ يده كيسه فيعطيه»[١]. ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. قال: «أما إنّه لم يجعلها خلوداً، و لكن تمسّكم فلا تركنوا إليهم»[٢]. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: من أنصار يمعون العذاب عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثمّ لاينصركم الله.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾: و ساعاتٍ من اللّيل، قريبةٍ من النّهار. من أزلَفَهُ: إذا قرّبه. قال: «طرفاه: المغرب و الغداة، و "زلفاً من اللّيل" هي صلاة العشاء الآخرة»[٣]. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾: يكفّرنها. ورد: «إنّ الصّلاة إلى الصّلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر»[٤]. و في رواية: «هي صلاة المؤمن باللّيل، تذهب بما عمل من ذنب بالنّهار»[٥] و في أُخرى: «إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئةً، ثمّ تلا هذه الآية»[٦]. ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾: عظةٌ للمتّعظين.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على الطّاعات و عن المنهيّات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلاّ[٧] كان ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ من الرّاي و العقل والفضل؛ و إنّما سمّي بقيّةً، لانّ الرّجل يَستَبقي أفضلَ ما يُخرِجُه، و منه: «فلان من بقيّة القوم»، أي: من خيارهم. و قولهم: «في الزّوايا خبايا، و في الرّجال بقايا». ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: لكن قليلاً ممّن انجينا من القرون نَهَوا عن الفساد ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: تاركي النّهي عن المنكرات ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾: ما أُنعِمُوا فيه من الشّهوات؛ من حبّ الرّياسة و طلب أسباب العيش الهنيء، و رفضوا ما وراء ذلك ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؛ كانّه أراد بيان سبب استيصال الأُمم السّالفة،

١ـ الكافي ٥: ١٠٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٦١، الحديث: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التهذيب ٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٢٩٧؛ و البيضاوي ٣: ١٢٤.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٧١؛ و علل الشّرايع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٧؛ و العيّاشي ٢: ١٦٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «هلاّ كان».

و هو فُشوُّ الظّلم فيهم، و اتّباعهم الهوى، و تركهم النّهي عن المنكرات.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لهم، أو منهم لأنفسهم، كشرك ومعصية[1] ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيما بينهم. قال: «ينصف بعضهم من بعض»[2].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مسلمين كلّهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: «في الدّين»[3].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلّا ناساً هداهم الله و لطف بهم، فاتّفقوا على دين الحقّ. قال: «يعني آل محمّد عليهم السّلام و اتباعهم»[4]. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم»[5]. و في رواية: «النّاس يختلفون في إصابة القول، و كلّهم هالك "إلّا من رحم ربّك"، و هم شيعتنا، و لرحمته خلقهم، و هو قوله: "و لذلك خلقهم" يقول: لطاعة الإمام»[6]. و في أخرى: «"ولايزالون مختلفين" عنى بذلك من خالفنا من هذه الأُمّة، و كلّهم مخالف بعضهم بعضاً في دينهم، و امّا قوله: "إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم" فأُولئك اولياؤنا من المؤمنين»[7]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ القمّي: و هم الّذين سبق الشّقاء لهم، فحقّ عليهم القول انّهم للنّار خلقوا[8].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فتصبر على أداء الرّسالة واحتمال الأذى، و اطمانّ قلبك في ذلك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الانباء المقتصّة عليك ﴿الْحَقُّ﴾: ما هو حقّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١ـ في «الف»: «او معصية»
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٢، عن النّبيّ ﷺ.
٣و٤ـ القمّي ١: ٣٣٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّوحيد: ٤٠٣، الباب: ٦٢، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث: ٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٨ـ القمّي ١: ٣٣٨

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم الّذي أنتم عليه ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالنا.

﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدّوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحوُ ما نزل بامثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لا إلى غيره ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنّه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ انت و هم، فيجازي كُلاًّ ما يستحقّه.

سورة يوسف

[مكيّة إلّا الآيات ١و٢و٣و٧ مدنيّة، و آياتها: ١١١ نزلت بعد سورة هود] [١]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾: بلغتكم ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾: إرادة ان تفقهوه و تحيطوا بمعانيه. ورد: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الّذي تكلّم به خلقه»[٢].

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ يحتمل الجمع و المصدر ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أصله: يا أبي ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ ﴾ من الرّؤيا لا من الرّؤية ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾. قال: «إنّه رآها في أُفق السّماء ساجدةً له، فلمّا قصّها على أبيه. قال: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّو جلّ من بعد»[٣]. ورد: «إنّ تاويل هذه الرّؤيا انّه سيملك مصر

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ الخصال ١: ٢٥٨، الحديث: ١٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر ٢: ٤٥٥، الحديث: ٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

و يدخل عليه أبواه و إخوته، أمّا الشّمس فأمّ يوسف: "راحيلُ"، و القمر: "يعقوب"، و أمّا الاحدعشر كوكباً فإخوته»[1]. و في رواية: «خالته»[2] مكان أمّه. و قال: «إنّه راى هذه الرّؤيا و له تسع سنين»[3].

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾. ضمّن "يكيدوا" معنى يحتالوا، فعدّاه باللّام ليفيد معنى الفعلين. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾. خاف عليه حسد إخوانه له و بَغْيَهُمْ عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على انّه يُبَلِّغُه[4] من شرف الدّارين امراً عظيماً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾: من تعبير الرّؤيا[5]؛ سمّيت احاديث لانّها إمّا حديث المَلَك، و هي ما كان منها صادقة، وإمّا حديث النّفس او الشّيطان، و هي ما كان منها كاذبة. ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾ بان يصل نعمة الدّنيا بنعيم الآخرة، بان يجعلهم انبياء وملوكاً، ثمّ ينقلهم إلى الدّرجات العلى من الجنّة. ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ بمن يستحقّ الاجتباء ﴿ حَكِيمٞ ﴾ في تدبير الأشياء.

﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ ﴾: دلائل قدرة الله و حكمته و علامات نبوّتك ﴿ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾: لمن سال عن قصّتهم.

روي: «انّ اليهود قالوا الكبراء المشركين: سلوا محمّداً لمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و قصّة يوسف. قال: فاخبرهم بالصّحّة من غير سماع

١ـ القمّي ١: ٣٣٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ جامع البيان (للطّبري) ١٢: ٩١، عن ابن عبّاس، و ذكره في جوامع الجامع ٢: ١٧٥ بلفظة «قيل»؛ وفي تفسير البغوي ٢: ٤٠٩، عن قتادة والسّدي.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب» و «ج»: «على أن يبلغه».
٥ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الأصحّ: «الرُّؤَى» بالجمع.

ولا قراءة كتاب»[١].

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين. خصّ بالأخوّة، لأنّ أُمّهما كانت واحدةً. وفي رواية: «كان ابن خالته»[٢]. ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال انّا جماعة اقوياء، احقّ بالمحبّة من صغيرين لاكفاية فيهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيله المفضول و تركه التّعديلَ في المحبّة.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يَصْفُ[٣] لكم وجهه، فيُقْبِل عليكم بكلّيته و لاينازعكم في محبّته احد ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ قال: «اي: تتوبون»[٤].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال: «هو لاوي»:[٥] ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: في قعر البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: ياخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: الّذين يسيرون في الارض ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾: مشفقون مريدون له الخير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصّحراء ﴿يَرْتَعْ﴾: يتّسع في اكل الفواكه و غيرها؛ من الرّتعة، و هي الخِصْب ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق بالاقدام و الرّمي ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لشدّة مفارقته عليّ، و قلّة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ قيل: لانّ الارض

١ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٧.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٤، عن ابي الحسن عليه السلام.
٣ـ صَفْوُ الشّيء: خالصه. وصَفَا صُفُوّاً (من باب قَعَد) وصَفَاءً: إذا خلص من الكدر. المصباح المنير ١: ١٥٤ (صفو).
٤ـ علل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٥٦. عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.

كانت مذأبة[١]. قال: «إنّ يعقوب قرّب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف»[٢]. و ورد: «إنّما أُبتلي يعقوب بيوسف إذ ذبح كبشاً سميناً، و رجل من اصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه، فاغفله و لم يطعمه، وكان بعد ذلك ينادي مناديه إلى غدائه و عشائه»[٣].

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة اقوياء ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ و عزموا؛ و جوابه محذوف اي: فعلوا به ما فعلوا. ورد: «إنّهم نزعوا قميصه فدلّوه في البحر[٤] و تنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب ارحم ضعفي و قلّة حيلتي وصغري»[٥]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى يوسف ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: لتحدّثنّهم بما فعلوا بك؛ بشّره بما يؤول إليه امره حين عرفهم و هم له منكرون؛ إيناساً له و تطييباً لقلبه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «يقول: لايشعرون انّك انت يوسف. اتاه جبرئيل فاخبره بذلك»[٦].

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: متباكين.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في العدْو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لسوء ظنّك بنا و فرط محبّتك ليوسف.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: مكذوب فيه؛ وُصِفَ بالمصدر للمبالغة. قال: «ذبحوا جدْياً[٧] على قميصه»[٨]. و ورد: «لمّا اوتي بقميصه على يعقوب، قال: اللّهمّ

١ـ البيضاوي ٣: ١٢٨.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٦٠٠، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٥٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٧، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «في اليمّ»، وفي «الف»: «في البحر».
٥ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر ١: ٣٤٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ الجدْي: من أولاد المعز و هو ما بلغ ستّة اشهر او سبعة. مجمع البحرين ١: ٨١ (جدا).
٨ـ القمّي ١: ٣٤١، عن ابي جعفر عليه السلام.

لقد كان ذئباً رفيقاً، حين لم يشقّ القميص»[1]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سهّلت و هوّنت في أعينكم أمراً عظيماً؛ من السّوَل و هو الاسترخاء. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فأمري صبر جميل. قال: «الصّبر الجميل الّذي لاشكوى فيه إلى الخلق»[2]. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف. قال: «إنّه لمّا سمع مقالتهم استرجع و استعبر، و ذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء، و اذعن للبلوى. يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع. فقال لهم: "بل سوّلت لكم انفسكم امراً" و ما كان الله ليطعم لحم يوسف للذّئب من قبل ان ارى تاويل رؤياه الصّادقه»[3].

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون، فنزلوا قريباً من الجبّ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الّذي يرد الماء و يستسقي[4] لهم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: فارسلها في الجبّ ليملأها، فتدلّى بها يوسف، فلمّا رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ بشّر قومه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: أخفوه متاعاً للتّجارة. اي: أخفى الواردُ و اصحابُه من ساير الرّفقة، او إخوةُ يوسف من السّيّارة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم يخف عليه اسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوسٍ ناقصٍ ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة؛ فإنّهم كانوا يَزِنُونَ الكثير، و يعدّون القليل. ورد: «كانت عشرين درهماً»[5]. و في رواية: «ثمانية عشر»[6]. ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الرّاغبين عنه. ورد: «لمّا اصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حيّ؟ فلمّا انتهوا إلى الجبّ، وجدوا سيّارةً قد ارسلوا واردهم، و ادلى دلوه؛ إذ هو بغلامٍ متعلّقٍ بدلوه! فقال

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٩، ذيل الحديث: ٥؛ وعلل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٤ـ في «ح»: «يستقي».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٧٢، الحديث: ١٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

لأصحابه: يا بشرى هذا غلام! فلمّا أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجبّ، و جئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم و تنحّوا به ناحية، فقالوا: إمّا أن تقرّ لنا أنّك عبدنا فنبيعك بعض هذه السيّارة، أو نقتلك. فقال: لاتقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: منكم من يشتري منّا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، و كان إخوته فيه من الزّاهدين»[١]. القمّي: فحملوا يوسف إلى مصر و باعوه من عزيز مصر[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ قال: «كان اسمها زليخا»[٣]. ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً، اي: حسناً، و المعنى: احسني تعهّده ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضياعنا و اموالنا، و نستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: نتبنّاه، و ذلك لما تفرّس[٤] منه الرّشد. قال: «و كان عنّيناً»[٥]. القمّي: و لم يكن له ولد، فأكرموه و ربّوه، فلمّا بلغ أشدّه هوته امرأة العزيز، و كانت لاتنظر إلى يوسف امرأة إلّا هوته، و لارجل إلّا احبّه، و كان وجهه مثل القمر ليلة البدر[٦]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: لايمنع عمّا يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لطائف صنعه، و انّ الامر كلّه بيده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: منتهى اشتداد جسمه و قوّته ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمة ﴿وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: طلبت منه و تمحّلت[٧] مواقعتها؛ من راد

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ١٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٢.
٣ـ المصدر ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ تفرّس: تثبّت. القاموس المحيط ٢: ٢٤٥ (فرس).
٥ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٣٤٢.
٧ـ تمحّل له: احتال. القاموس المحيط ٤: ٥٠ (محل).

يرود: إذا جاء و ذهب لطلب شيء. ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اي: أقبل وبادر. و في قراءتهم عليهم السّلام بالهمزة و ضمّ التّاء[1]، بمعنى تهيّأتُ لك. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: اعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: سيّدي احسن تعهّدي، فليس جزاؤه أن اخونه في أهله، او إنّ الله خالقي و احسن منزلتي، بأن عطف عليّ قلبه فلا اعصيه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: «ولولا ان رأى برهان ربّه لهَمَّ بها كما هَمَّتْ به، ولكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يَهُمُّ بذنب ولا يأتيه»[2]. و قال: «البرهان: النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصّارفة عن القبايح»[3]. و في رواية: «همّت بأن تفعل و همّ بأن لا يفعل»[4]. و في أُخرى: «إنّها همّت بالمعصية، و همّ يوسف بقتلها إن اجبرته؛ لعظم ما تداخله[5]، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ قال: «يعني القتل والزّنا»[7]. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الّذين اخلصهم الله لطاعته، او[8] اخلصوا دينهم لله، على اختلاف القراءتين[9].

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ اي: تسابقا إليه، و ذلك انّ يوسف فرّ منها ليخرُج، و أسرعت وراءه لتمنعه الخروج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه. والقدُّ: الشّقُّ طولاً. والقطّ: الشّقّ عرضاً. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: و صادفا زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. بادرت إلى

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ و ٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «و همّ يوسف بقتلها اجبرته، لعظمة ما تداخله».
٦ و ٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٣، الباب: ١٤، ذيل الحديث: ١.
٨ ـ في «الف» و «ج»: «واخلصوا».
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٣؛ وجوامع الجامع ٢: ١٨٤.

هذا القول إيهاماً بأنّها فرّت منه؛ تبرأةً لساحتها عند زوجها، و «ما» نافية، أو استفهاميّة.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾: طالبتني بالمواتاة؛ و إنّما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السّجن والعذاب، و لو لم تكذب عليه لما قاله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾. قال: «وكان عندها صبيّ[1] من أهلها زائر لها؛ فأنطقه الله لفصل القضاء»[2]. و في رواية: «ألهم الله عزّوجلّ يوسف ان قال للملك: سَلْ هذا الصّبيّ في المهد، فإنّه سيشهد أنّها راودتني عن نفسي. فقال العزيز للصّبيّ. فانطق الله الصّبيّ في المهد ليوسف»[3]. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ لانّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامه بالدّفع عن نفسها، او انّه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لانّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ لانّه يَعْلَقُ بالقلب و يؤثّر في النّفس، لمواجهتهنّ به، بخلاف كيد الشّطان، فإنّه يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسُفُ﴾: يا يوسف ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾: أكتمه و لاتذكره ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ من القوم المذنبين؛ من خَطِئَ: إذا اذنب متعمّداً.

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾: تطلب مواقعة غلامها إيّاها ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ قال: «قد حجبها حبّه عن النّاس، فلا تعقل غيره. والشّغاف هو حجاب القلب»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «بالمهملة»[5]. أي:

١ـ في «الف»: «وكان صبيّ عندها».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٧٤، ذيل الحديث: ١٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٨٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.

أَحْرَقَها، كما يُحرِقُ البعير بالقَطِران [١] إذا هُنِئَ به. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ عن الرّشد و الصّواب. القمّي: و شاع الخبر بمصر، و جعلن النّساء يتحدّثن بحديثها، ويعذلنها [٢] ويذكرنها [٣].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ و تعييرهنّ؛ و إنّما سمّاه مكراً لأنّهنّ اخفينه، كما يخفي الماكر مكره ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾: تدعوهنّ ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ قال: «هيّأت لهنّ طعاماً و مجلساً، ثمّ آتتهنّ باُتْرُجٍ» [٤]. قيل: كانوا يتّكئون للطّعام و الشّراب ترفاً [٥]. والقمّي: متكا اي: اُتْرُجاً [٦]. كأنّه قرأه باسكان التّاء و حذف الهمزة. ﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ فقالت: اقطعن. ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ القمّي: و كان [٧] في بيت [٨].

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾: عظّمنه و هِبْنَ حسنه الفائق. و في حديث المعراج: «رايت في السّماء الثّانيه رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر، فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا اخوك يوسف» [٩]. ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسّكاكين من فرط الدّهشة ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾! تنزيهاً لله سبحانه من صفات العجز، و تعجباً من قدرته على خلق مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ لانّ هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ لانّ جماله فوق جمال البشر، و لانّ الجمع بين الجمال الرّائق و الكمال الفائق و العصمة

١ـ القَطِرانُ: عُصارة الأَبْهَلِ و الارْزِ و نحوهما يُطْبَخُ فيُتحلب منه ثُمّ تُهْنَأُ به الإبلُ. لسان العرب ٥: ١٠٥ (قطر).
٢ـ العَذْلُ: الملامة. القاموس المحيط ٤: ١٤ (عذل).
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «و يعيرنّها» بدل: «و يعذلنها».
٤ـ علل الشّرايع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٣: ١٣٢؛ و الكشّاف ٢: ٣١٦.
٦ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «اُتْرُنجة».
٧ ـ في «ح»: «وكانت».
٨ ـ القمّي ١: ٣٤٣.
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٣١. عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

البالغة من خواصّ الملائكة.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال: «يعني في حبّه»[1]. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع طالباً للعصمة. أقرّت لهنّ حين عرفت أنّهنّ يعذرنّها، كي يعاونّها على إلانة عريكته[2]. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾: الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ قال: «فخرجن النّسوة من عندها، فارسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف ـ سرّاً من صواحبها ـ تساله الزّيارة، فأبى عليهنّ»[3]. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمِلْ إلى إجابتهنّ ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: من السّفهاء، بارتكاب ما يدعونني إليه.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبّته بالعصمة، حتّى وطّن نفسه على مشقّة السّجن، و آثرها على اللّذة المتضمّنة للعصيان ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ اي: الشّواهد الدالّة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. قال: «الآيات: شهادة الصّبيّ، والقميص المخرق من دبر، و استباقهما الباب حتّى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب. فلمّا عصاها لم تزل مولعة بزوجها حتّى حبسه»[4].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾. القمّي: عبدان للملك: احدهما خبّازه[5]، والآخر صاحب الشّراب[6]. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي﴾: أرى في المنام، و هي حكاية حالة ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً، سمّاه بما يؤول إليه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

١ و٣ـ علل الشّرائع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٢ـ اي: على تليين شدّة يوسف و إمالته على إطاعتها.
٤ـ القمّي ١: ٣٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «ملحة» بدل «مولعة».
٥ـ في المصدر: «خبّاز».
٦ـ القمّي ١: ٣٤٤.

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ قال: «جفنة فيها خبز»[1]. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾. قال. «لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السّجن ألهمه الله علم تأويل الرّؤيا، فكان يعبّر لأهل السّجن رؤياهم»[2]. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: «كان يوسّع المجلس و يستقرض للمحتاج و يعين الضّعيف»[3].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾. لعلّه اراد ان يدعوهما اوّلاً إلى التّوحيد، و يأتي بما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب، ليدلّ على صدقه، ثمّ يجيبهما عمّا سألا منه. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالإلهام والوحي، و ليس من قبيل التّكهّن والتّنجّم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ يبعثنا لإرشادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾: آلهة من غير حجّة تدلّ على استحقاقها الإلهيّة، و إنّما تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اسم الإله ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: الحقّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني صاحب الشّراب ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ كما

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و الجفنة: القصعة، خصّت بوعاء الأطعمة، جمعها: جفان. القاموس المحيط ٤: ٢١١؛ والمفردات: ٩٣ (جفن).
٢ـ المصدر: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٢: ٦٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يسقيه من قبل. القمّي: قال له يوسف: تخرج من السّجن و تصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده[١]. ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ يعني الخبّاز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ القمّي: ولم يكن رأى ذلك و كَذِبَ. فقال له يوسف: انت يقتلك الملك و يصلبك وتاكل الطّير من دماغك، فجحد الرّجل، فقال إنّي لم أر ذلك. فقال يوسف:[٢] ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ و هو مايؤول إليه أمركما؛ يعني قُطِعَ و فُرِغَ منه؛ صَدَقْتُما او كَذَبْتُما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: علم نجاته ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند المَلِك، و انّي حُبِستُ ظلماً، لكي يخلّصني من السّجن ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: فانسى الشّيطان صاحبَ الشّراب أن يذكره لربّه، أو انسى يوسف ذكرَ الله، فاستعان بغيره[٣]. و ورد: «لم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه، فلذلك قال الله: "فانساه الشّيطان ذكر ربّه"»[٤]. ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال: «سبع سنين»[٥].

ورد: «أوحى الله إليه في ساعته، كيف استعنت بغيري و لم تستعن بي[٦] وتسالني ان اُخرجَك من السّجن، و املت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟! اِلْبَثْ في السّجن بذنبك بضع سنين، بإرسالك عبداً إلى عبد»[٧].

و ورد: «لمّا انقضت المدّة و اذن الله له في دعاء الفرج، وضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: اللّهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فإنّي اتوجّه إليك بوجوه آبائي

١ و ٢ـ القمّي ١: ٣٤٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٣٤؛ و الكشّاف ٢: ٣٢٢.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن ابي عبد الله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٧٨، الحديث: ٣٠، مرفوعاً عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في المصدر: «فكيف استغثت بغيري و لم تستغث بي».
٧ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، مرفوعاً عن ابي عبدالله عليه السلام.

الصّالحين إبراهيم و إسماعيل و إسحق و يعقوب، ففرّج الله عنه»[1].

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ في قراءتهم عليهم السّلام: «سبع سنابل»[2]. ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾: التوت على الخُضْرِ حتّى غَلَبْنَ عليها، و استغنىٰ عن بيان حالها بذكر حال البقرات. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾: عبّروها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾: إن كنتم عالمين بتأويلها.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾: تخاليطها و أباطيلها، و ما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس. جمع ضِغْث و هو ما جُمِعَ من أخلاط النّبات و حُزِمَ، فاستعير[3] للرّؤيا الكاذبة. ورد: «الرّؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، و تحذير من الشّيطان، و أضغاث أحلام»[4]. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أي: الباطلة خاصّةً. اعتذار لجهلهم بتأويله، بأنّه ممّا ليس له تأويل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾: من صاحبي السّجن، و هوالشّرابيّ ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: و تذكّر يوسف، بعد جماعة من الزّمان مجتمعة، أي: مدّة طويلة. قال: «أي: بعد وقت»[5]. ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ أي: إلى من عنده علمه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أي: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه و قال له: يا يوسف أيّها البليغ في الصّدق. و إنّما قال ذلك لأنّه جرّب أحواله و عرف صدقه في تأويل رؤياه و رؤيا صاحبه. ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ أي: في رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ أي: على عادتكم المستمرّة ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٨، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر. ١٧٩، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ٣٤٥.
٣ـ في «الف» و «ج»: «استعير».
٤ـ الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿فِي سُنبُلِهِ﴾ لئلاّ يأكله السّوس، و هي نصيحة خارجة عن التّعبير ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكل أهلهنّ ما ادّخرتم لاجلهنّ، فأسند إليهنّ على المجاز، تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به. و في قراءتهم عليهم السّلام: «ما قرّبتم لهنّ»[1]. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: ممّا تُحرِزُون لبذور الزّراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يُمْطَرُون؛ من الغَيث. او يغاثون من القحط؛ من الغَوث. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يُعْصَرُ من الثّمار والحبوب والزّروع. و في قراءتهم عليهم السّلام: على البناء للمفعول[2]، اي: يمطرون بعد المجاعة. قال: «والدّليل على ذلك قوله تعالى: "وَ أنزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً"»[3].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ بعد ما جاءه[4] الرّسول بالتّعبير ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليُخرجه ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قال: «يعني العزيز»[5]. ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. تأنّىٰ في إجابة الملك، و قدّم سؤال النّسوة وفحص حاله، ليُظْهِرَ براءة ساحته، و يُعْلِمَ أنّه سُجِنَ ظلماً، و لم يتعرّض لامراة العزيز مع ما صَنَعَتْ به، كرماً و مراعاةً للادب.

ورد عن النّبيّ ﷺ: «لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره؛ والله يغفر له، حين سُئِلَ عن البقرات العجاف والسّمان؛ ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم حتّى أشترط أن يُخرجوني، و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه، والله يغفر له، حين أتاه

١ـ القمّي ١: ٣٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ و ٣ ـ القمّي ١: ٣٤٦، عن ابي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام. و الآية في سورة النّبأ (٧٨): ١٤.
٤ـ في «الف»: «جاء».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٠، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الرّسول، فقال: ارجع إلى ربّك؛ ولو كنت مكانه و لبثتُ في السّجن ما لبث، لأسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر؛ إن كان [1] لحليماً ذا أناة»[2].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك: ما شأنكنّ؟ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبت و استقرّ، أو ظهر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حيث قال: "هي راودتني عن نفسي"[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾. قاله يوسف لمّا عاد إليه الرّسول و أخبره بكلامهنّ. اي: ذلك التثبّت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب في حرمته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: لاينفّذه و لايسدّده؛ فيه تعريض بامرأة العزيز، و تأكيد لأمانته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾: لاأزكّيها؛ تواضع لله و تنبيه على أنّه لم يُرِدْ بذلك تزكية نفسه و العُجْبَ بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتّوفيق. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾: إلّا وقت رحمة ربّي، أو إلّا ما رحمه الله من النّفوس، فعصمه عن ذلك. و يحتمل انقطاع الاستثناء، يعني: ولكن رحمة ربّي هي الّتي تصرف السّوء.

و قيل: إنّ الآيتين من تتمّة كلام امرأة العزيز، اي: ذلك الّذي قلتُ ليعلم يوسفُ أنّي لم أكذب عليه في غيبته، و صدقتُ فيما سُئلتُ عنه، و "ما أُبرّىء نفسي" مع ذلك من الخيانة، فإنّي خنتُه حين قذفته و سجنته، تريدالاعتذار ممّا كان فيه[4]. و هذا التّفسير هو المستفاد من كلام القمّي حيث قال: "لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" اي: لا أكذب عليه الآن كما

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «إنّه كان» كما في المصدر و الصّافي.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٤٠. و الأناة ـ كقناة ـ: الحلْمُ و الوقار. القاموس المحيط ٤: ٣٠٢ (انى).
٣ـ نفس السّورة: ٢٦.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٧.

كذبت عليه من قبل[١]. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ميل النّفس، و يرحم من يشاء بالعصمة.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: اجعله خالصاً لنفسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: فلّما اتوابه و كلّمه، و شاهدَ منه الرّشد و الأمانة، واستدلّ بكلامه على عقله، وبعفّته على امانته ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة و منزلة ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمنٌ على كلّ شيء.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: ولّني امرها. و الارض: ارض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ قال: «بما تحت يدي»[٢]. ﴿عَلِيمٌ﴾ قال: «بكلّ لسان»[٣]. قيل: إنّما طلب الولاية ليتوصّل بها إلى امضاء احكام الله، و بسط الحقّ و وضع الحقوق مواضعه[٤]. ورد: «رحم الله اخي يوسف؛ لو لم يقل: "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزائِنِ الأَرْضِ" لولاّه[٥] من ساعته، و لكنّه اخّر ذلك سنة»[٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ارض مصر. قال: «ملك يوسف مصر وبراريها، لم يجاوزها إلى غيرها»[٧]. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوى. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾. ورد ما ملخّصه: «إنّه لم يبق بمصر و ما حولها مال و لا عبد و لا حرّ إلاّ صار ليوسف، ببيعه الطّعام إيّاهم. فقال للمَلِك: ما ترى فيما خولّني ربّي من ملك مصر و اهلها؟ اشر علينا برايك، فإنّي لم اُصلحهم

١ـ القمّي ١: ٣٤٦.
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ١٢٥، الباب: ١٠٥، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٣٩، الباب: ٤٠، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٣٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٨.
٥ـ في «الف»: «لولّى».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤١، عن ابي جعفر عليه السلام.

لأفسدهم، و لم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم، و لكنّ الله نجّاهم على يدي. قال له الملك: الرّأي رأيك. قال يوسف: إنّي أُشهد الله و أُشهدك أيّها الملك، إنّي قد اعتقت أهل مصر كلّهم، و رددت عليهم اموالهم و عبيدهم، و رددت عليك ايّها الملك خاتمك و سريرك و تاجك؛ على أن لا تسير إلاّ بسيرتي و لا تحكم إلاّ بحكمي. قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي و فخري أن أسير بسيرتك و أحكم بحكمك، و لولاك ما قويت و لااهتديت له، و لقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام[1]، و انا اشهد ان لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له، و انّك رسوله. فاقم على ما ولّيتك، فإنّك لدنيا مكين امين»[2].

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ للمِيرَة،[3] و ذلك لأنّه اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد من الجَدْب، فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه.

القمّي: امر يوسف ان يبنى له كَنادِيج[4] من صخر و طيّنها بالكِلْس[5]، ثمّ امر بزرع مصر، فحصدت و دفع إلى كلّ إنسان حصّة، و ترك في سنبله لم يدسّه، فوضعها في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين. فلمّا جاء سِنُوا القحط، كان يُخرج السّنبل فيبيع بما شاء، و كان بينه و بين ابيه ثمانية عشر يوماً، و كان النّاس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليَمْتارُوا طعاماً، وكان يعقوب و ولده نزولاً في بادية فيها مُقْل[6]، فاخذ إخوة يوسف من ذلك المُقْل، و حملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، و كان يوسف يتولّى البيع بنفسه[7]. ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ لانّ همّته كانت معقودةً بهم ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾

١ـ في المصدر: «جعلت سلطاناً عزيزاً لايرام».
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٤٤، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الميرة ـ بالكسر ـ: جَلَبُ الطّعام. القاموس المحيط ٢: ١٤٢ (مير).
٤ـ كَناديج جمع كَنْدُوج: شبهُ المخزن، معرّب كَنْدُو. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (كلج).
٥ـ الكِلْس ـ بالكسر ـ: الصّاروج. القاموس المحيط ٢: ٢٥٦ (كلس).
٦ـ المُقْلُ ـ بالضمّ ـ: الكُنْدُرُ الّذي يتدخّنُ به اليهود و صَمْغُ شجرة. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مقل).
٧ـ القمّي ١: ٣٤٦.

قال: «الهيبة الملك و عزّه»[١].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ اصلحهم بعدّتهم، و أوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله. واصل الجهاز ما يعدّ من الامتعة للنّقلة. ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

ورد: «إنّه قال لهم يوسف: قد بلغني انّ لكم اخوين لأبيكم، فما فعلا؟ قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، و امّا الصّغير فخلّفناه عند أبيه، و هو به ضنين[٢] وعليه شفيق قال: فإنّي أُحبّ انّ تأتوني به معكم إذا جئتم تمتارون»[٣].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: المُضيفين، و كان أحسنَ إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من ابيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك لانتوانىٰ فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه الكيّالين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ يعني: ثَمَنَ طعامهم وما كانوا جاؤوا به ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: في اوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: يعرفون حقّ ردّها، وحقّ التكرّم بإعطاء بَدَلَين ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ و فتحوا اوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرّجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ ارادوا قول يوسف: 'فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي'. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع[٤] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن ان يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ

١ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «وعزّته».
٢ـ الضّنين: البخيل، و الضِّنَّةُ: هو البخل بالشّيء النّفيس. المفردات: ٣٠٨ (ضنن).
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «الف»: «نرفع الموانع».

﴿حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ﴾: يرحم ضعفي و كبر سنّي، فيحفظه و يردّه عليّ، ولايجمع عليّ مصيبتين. ورد: «إنّ الله سبحانه قال فبعزّتي لأردنّهما إليك بعد ما توكّلت عليّ»[1].

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا و أحسن مثوانا و باع منّا وردّ علينا متاعنا؛ او المعنى:[2] لانطلب وراء ذلك إحساناً، او ما نريد منك بضاعةً أخرى. ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ بالرّجوع إلى الملك ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ عن المخاوف، في ذهابنا و إيابنا ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ باستصحاب أخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ اي: مكيل قليل[3] لايكفينا؛ استقلّوا ما كيل لهم، فارادوا ان يزدادوا إليه ما يُكال لاخيهم، او ارادوا انّ كَيْلَ بعيرٍ يسيرٌ لايُضايقنا فيه الملكُ.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ اي: عهداً مؤكّداً بذكر الله. ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلّا ان تُغلبوا فلا تُطيقوا ذلك، او إلّا ان تهلكوا جميعاً. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: رقيب مطّلع، إن اخلفتم[4] انتصفَ لي منكم.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لانّهم كانوا ذوي جمال و بهاءٍ و هيئةٍ حسنةٍ، و قد شُهِرُوا في مصرَ بالقرب من الملك، و التّكرمة الخاصّة الّتي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العينَ. ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني: وإن أراد الله بكم سوءً لم ينفعكم، و لم يدفع عنكم ما اشرتُ به عليكم من التّفرّق و هو مصيبكم لامحالة، فإنّ الحَذَرَ لايمنع القَدَرَ. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٨.
٢ـ في «الف»: «والمعنى».
٣ـ في «الف»: «كيل قليل».
٤ـ في «ح»: «إن اختلفتم».

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: من أبواب متفرّقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ رأي يعقوب ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: ممّا قضاه عليهم، فسرقوا و أُخِذَ[1] بنْيامين، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾. استثناء منقطع؛ يعني: ولكن حاجةً في نفسه، و هي شفقته عليهم، و حَرازته من أن يُعانوا. ﴿قَضَاهَا﴾: أظهرها و وصّى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: لذو يقين و معرفة بالله، من أجل تعليمنا إيّاه. و لذلك قال: "ما أُغْنِي عَنْكُمْ" ولم يغترّ بتدبيره. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سرّ القَدَر، و انّه لايغني عنه الحَذَر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمّ إليه بنْيامين ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن؛ من البؤس ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حقّنا، فإنّ الله قد احسن إلينا وجمعنا.

ورد: «و قد كان هيّأ لهم طعاماً، فلمّا دخلوا عليه قال: ليجلس[2] كُلُّ بني أُمٍّ على مائدةٍ. قال: فجلسوا و بقي بنْيامينُ قائماً. فقال له يوسف: مالك لاتجلس؟ قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أُمٍّ على مائدةٍ، وليس لي فيهم ابن أُمٍّ. فقال له[3] يوسف: أما كان لك ابن أُمٍّ؟ فقال له بنْيامين: بلى. قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء انّ الذئب اكله. قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي احد عشر ابناً، كلّهم اشتققتُ له اسماً من اسمه. فقال له يوسف: اراك قد عانقت النّساء و شممت الولد من بعده. قال له بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً، و انّه قال: تَزَوَّجْ، لعلّ اللّه ان يُخرِج منك ذرّيّةً تثقل الأرض بالتّسبيح. فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي. فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله

١ـ في «ب»: «واخذوا»

٢ـ في «الف»: «يجلس».

٣ـ في «الف» و «ج»: «فقال يوسف».

يوسف و أخاه، حتّى أنّ المَلكَ قد أجلسه معه على مائدته»[1].

و القمّي: فلمّا خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون، ثمّ قال له: أنا أحبّ أن تكون عندي. فقال: لايدعوني إخوتي، فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله و ميثاقه أن يردّوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة، فلا تنكر إذا رأيتَ شيئاً و لاتخبرهم، فقال: لا[2].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: المشْرَبَةَ. قال: «كان قَدَحاً من ذهب وكان صُواع يوسف إذا كيل، كيل به»[3]. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قال: «من حيث لم يقف عليه إخوته»[4]. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادىٰ منادٍ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: القافلة. و هو اسم الإبل الّتي عليها الأحمال، فقيل لأصحابها. القمّي: معناه يا أهل العير، و مثله "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا" [5] ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. قال: «ما سرقوا و ما كذب يوسف، فإنّما عنىٰ سرقتهم[6] يوسف من أبيه»[7]. و في رواية: «ألا ترى أنّهم حين قالوا: "مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا: نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" و لم يقولوا: سرقتم صواع الملك»[8].

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال: «الطاس الّذي يشرب منه»[9]. ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطّعام جُعْلاً له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل أُؤدّيه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾. قسمٌ فيه معنى التّعجّب. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٥١ـ٢٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ و ٤ـ القمّي ١: ٣٤٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩. والآية في نفس السورة: ٨٢.
٦ـ في «ب» و «ج» والمصدر: «سرقتم».
٧ـ القمّي ١: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٠؛ وعلل الشرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ المصدر، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم، لما ثبت عندهم دلائل دينهم و أمانتهم في معاملتهم معهم، مرّةً بعد أُخرى.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: فما جزاء السّرق؟ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في ادّعائكم البراءة منه.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ اي: جزاء سَرِقته أخذ من وجد في رحله و استرقاقُه. هكذا كان شرْعُ يعقوبَ. قال: «يعنون السُّنَّة الّتي كانت تجري فيهم ان يحبسه»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، دفعاً للتهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ بان علّمناه إيّاه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: مَلِك مصرَ، لانّ حكم السّارق في دينه ان يُضرَب و يُغرَم، لا ان يُستعبَد. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم، كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: أرفَعُ درجةً منه في علمه.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ القمّي: يعنون يوسف[2].

و ورد: «كانت لإسحق النّبيّ مِنْطَقَة[3] يتوارثها الانبياء و الاكابر، و كانت عند عمّة يوسف، و كان يوسف عندها، و كانت تحبّه، فبعث إليها ابوه ان ابعثيه إليّ و اردّه إليك، فبعثت إليه ان دَعْهُ عندي اللّيلة اشمّه، ثمّ اُرسله إليك غدوةً، فلمّا اصبحت اخذت المِنْطَقَةَ فربطتها في حَقْوِه[4] و البسته قميصاً و بعثت به إليه، و قالت: سُرِقَت المنطقةُ فَوُجِدَتْ عليه. و كان إذا سَرَقَ احدٌ في ذلك الزّمان دُفِعَ إلى صاحب السّرقة، فاخذته فكان عندها»[5]. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: اكنّها و لم يظهرها لهم

١ـ العيّاشي ٢: ١٨٣، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٣ـ المِنْطَقَةُ: مايتطق به و كمِنْبَر: شُقَّةٌ تَلْبَسُها المراة و تشدُّ وسطها. القاموس المحيط ٣: ٢٩٥ (نطق).
٤ـ الحَقْوُ: موضع شدّ الإزار و هو الخاصرة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿قَالَ﴾: في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلةً في سرقتكم أخاكم و سوء صَنيعكم به ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: و هو يعلم أنّ الأمر ليس كما تصفون و أنّه لم يَسْرِقْ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾. القمّي: و لم يقل: إلاّ من سَرَق متاعنا[1]. ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يعني: عندكم. «اجتمعوا إلى يوسف يجادلونه في حبسه و هم يقولون: "خُذْ أحَدَنا مكانَهُ إنّا نَريكَ مِنَ المُحْسِنينَ" فاطلق عن هذا وكانوا إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر، و يقطر من رؤوسها دم أصفر». كذا ورد[2].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: يئسوا من يوسف و إجابته إيّاهم. و زيادة السّين و التّاء للمبالغة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا و اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾: متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قال: «قال لهم يهوذا[3]، و كان اكبرهم»[4]. و القمّي: قال لهم لاوي[5] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً؟ ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ذلك ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصّرتم في شأنه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أُفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرّجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: أو يقضي الله لي بالخروج ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. قال: «فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم و تخلّف يهوذا»[6].

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٤٩
٢ـ راجع: القمّي ١: ٣٤٩؛ و العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٥ و ٥٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ في «الف»: «يهودا» في جميع المواضع.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩، وفيه: «لاوي بن يعقوب».
٦ـ العيّاشي ٢: ١٨٧، ذيل الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله ﷺ، و القمّي ١: ٣٤٩.

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يعني: فلمّا رجعوا إلى ابيهم، و قالوا له ما قال لهم اخوهم، "قال: بَلْ سَوَّلَتْ"، اي: زيّنت و سهّلت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ اردتموه كتعليمكم إيّاه انّ السّارق يؤخذ بسرقته. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا شكوى فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسف و بنيامين و يهوذا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: و اعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: تعال فهذا اوانك؛ والأسف أشدّ الحزن والحسرة، والالف بدل من ياء المتكلّم. وهذا الكلام من يعقوب يدلّ على انّ مصابه بيوسف كان عنده غضّاً طرياً، مع طول العهد. ورد: سُئِلَ: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: «حزن سبعين ثكلى على اولادها»[1].

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ لكثرة بكائه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ كانّ العَبْرَة[2] محقت سوادها. والقمّي: يعني: عميت من البكاء[3]. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ على اولاده، ممسك له في قلبه، ولا يظهره.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ اي: لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه. حذف «لا» لعدم التباسه بالإثبات. ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مريضاً من الهمّ، مُشْفِياً على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾: همّي الّذي لا اقدر الصّبر عليه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره، فخلّوني و شكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه و رحمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنّ حسنَ ظنّي به أن يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب.

١ـ القمّي ١: ٣٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العَبْرَة: الدَّمْعَةُ قبل أن تفيضَ. القاموس المحيط ٢: ٨٦ (عبر).
٣ـ القمّي ١: ٣٥٠

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: تفحّصوا من حالهما، و تطلّبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: لا تقنطوا من فرجه و تنفيسه[1] و رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾. لانّ المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاء و يشكره في الرّخاء.

ورد: «إنّه كان يعلم انّ يوسف حيٌّ، لانّه كان قد سال مَلَكَ الموت بعد ما دعا الله ان يهبطه عليه فهبط، فقال: أخبرني عن الارواح تقبضها مجتمعةً او متفرّقة؟ فقال: بل متفرّقةً روحاً روحاً. قال: فمرّ بك روح يوسف؟ قال: لا. فعند ذلك علم انّه حيّ»[2].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزۡجَىٰةٍ﴾: رديّة، و هي المُقْلُ، كما مرّ[3]. ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ قيل: و تفضّل علينا بالمُسامَحَة، و زدنا على حقّنا[4]. و ورد: «و تصدّق علينا باخينا بنيامين»[5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾. فَرَقَّ لهم يوسفُ، و لم يتمالك ان عرّفهم نفسه.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قاله شَفَقَةً و نُصْحاً، لما راى من عجزهم و تَمَسْكُنِهم، لامعاتبةً و تثريباً، إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الّذي يَنْفُثُ فيه المَصْدُورُ[6]، و لعلّ فعلهم باخيه إفراده عن يوسف. قيل: و إذلاله، حتّى

١ـ نفّسَ اللّهُ عنه كُرْبَتَهُ: فَرَّجَها. الصّحاح ٣: ٩٨٥ (نفس).
٢ـ علل الشرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٤، الحديث: ١؛ والكافي ٨: ١٩٩، الحديث: ٢٣٨؛ والقمّي ١: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ٥٨.
٤ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢٠٧.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩١، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النفاثة: ما ينفثه المصدور من فيه. القاموس المحيط ١: ١٨٢ (نفث).

لايستطيع أن يكلّمهم إلاّ بعجز و ذلّة[1]. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾. ورد: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل، حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى اللّه سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ" فنسبهم إلى الجهل، لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية اللّه»[2].

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ من أبي و أمّي؛ ذكره تعريفاً لنفسه و تفخيماً لشأنه. ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ﴾ أي: بالسّلامة و الكرامة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: يتّق الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلايا و عن المعاصي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارك علينا؛ بحسن الصّورة و كمال السّيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: و إنّ شأننا و حالنا إنّا كنّا مذنبين بما فعلنا بك، لاجرم انّ الله اعزّك وأذلّنا. ورد: «قالوا: فلاتفضحنا و لاتعاقبنا اليوم، واغفرلنا»[3].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: لاتأنيب ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ بما فعلتم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ورد: «إنّ يعقوب اشتدّ حزنه و تقوّس ظهرُه، و أدبرت الدّنيا عنه و عن ولده، حتّى احتاجوا حاجةً شديدةً و فنيت ميرتُهم، فعند ذلك قال لولده. "اذهبوا فتحسّسوا" الآية. فخرج منهم نفر، و بعثهم ببضاعةٍ يسيرةٍ، و كتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطّفه[4] على نفسه و ولده، و أوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة، ثمّ ذكر صفة الكتاب. و ملخّصه: أنّه ذكر فيه ابتلاء جدّه بالإحراق و ابتلاء أبيه بالذّبح، و ابتلائه بفراق يوسف ثمّ أخيه، و أنّه كان يَسْكُنُ إليه مكان يوسف. قال: وذكروا أنّه سرق مكيالَ المَلك، و نحن أهل بيت لانسرق، و قد حبسته و فجعتني به، و قد اشتدّ لفراقه حُزني؛

١ـ البيضاوي ٣: ١٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، ذيل الآية: ١٧ من سورة النّساء.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٩٢، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب»: «يتعطّفه».

حتّى تقوّس لذلك ظهري، و عظمت به مصيبتي مع مصائبَ متتابعاتٍ عليّ، فمُنَّ عليّ بتخلية سبيله و إطلاقه من محبسه، و طيّب لنا القَمْحَ[1]، وأسمح[2] لنا في السّعر، وعجّل سَراحَ[3] آل يعقوب. قال: فاخذ يوسف كتاب يعقوب، فقبّله و وضعه على عينيه، و بكى و انتحب[4] حتّى بلّت دموعه القميصَ الّذي كان عليه، ثمّ اقبل عليهم فقال: "هَلْ عَلِمتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ" الآية»[5]. «و اعطاهم قميصه، و هو قميص إبراهيم»[6].

و في رواية: «قال: "اذْهَبُوا بِقَمِيْصِي هَـٰذا" الّذي بلّته دموعُ عيني، "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أبِي" يرتدّبصيراً، لو قد شمّ ريحي»[7].

و ورد: «إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشر ليال. قال: و هو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة، فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، و إسحٰق إلى يعقوب، و يعقوب إلى يوسف»[8]. و في رواية: «و كان نزل على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، و كان إذا لبس كان واسعاً كبيراً قال: "إِنّي لأَجِدُ رِيحَ يُوْسُفَ" يعني: ريح الجنّة، لأنّه كان من الجنّة»[9].

اقول: يعني: من عالم الملكوت برز إلى عالم الملك.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١ـ القَمْحُ: البُرُّ. القاموس المحيط ١: ٢٥٢ (قمح).
٢ـ سَمُحَ و أَسْمَحَ: جادَ. القاموس المحيط ١: ٢٣٧ (سمح).
٣ـ السَّراح: الإرسال و تسريحُ المرأة: تطليقُها و الإسم: السَّراح. مجمع البحرين ٢: ٣٧١؛ و الصّحاح ١: ٣٧٤ (سرح).
٤ـ النَّحبُ والنَّحيب والانتحاب: البُكاء بصوت طويل ومدّ. النّهاية ٥: ٢٧ (نحب).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩٠، الحديث: ٦٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١٩٣، ذيل الحديث: ٦٨، مرفوعاً.
٧ـ المصدر: ١٩٦، الحديث: ٧٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٩٤، الحديث: ٧٣، مرفوعاً.
٩ـ المصدر، الحديث: ٧٢؛ وعلل الشّرايع ١: ٥٣، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ من مصر، وخرجت من عمرانها ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تَنسِبُوني إلى الفَنَد، و هو نقصان عقل يَحدُث من الهَرَم؛ و جواب "لَولا" محذوف، تقديره: لصدّقتموني.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصّواب قِدَماً؛ بإفراطك في محبّة يوسف و إكثارك ذكره، و التّوقّع للقائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾. قال: «و هو يهوذا ابنه»[١]. ﴿أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾: طرح القميص على وجهه ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ لما انتعش فيه من القوّة ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من حياة يوسف، و إنزال الفرج من الله.

و يحتمل ان يكون "إنّي أعلَمُ" مستأنفاً، و المقول محذوفاً دلّ عليه الكلام السّابق.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قال: «اخّره إلى السّحر ليلة الجمعة»[٢]. و ورد: «خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار، و تلا هذه الآية»[٣].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾: ضمّهما إليه. و في رواية: «الّتي سارت[٤] معهم إلى مصر كانت خالته و ليست بأُمّه»[٥]. و لعلّها نزلت منزلة الامّ، كما نزل العمّ منزلة الاب ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: دخلتموه ﴿ءَامِنِينَ﴾ إنّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر، لأنّه استقبلهم يوسف

١ـ كمال الدين ١: ١٤٢، الباب: ٥، ذيل الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٢، الحديث: ١٢٤٠؛ والعيّاشي ٢: ١٩٦، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيهما: «أخّرها».
٣ـ الكافي ٢: ٤٧٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ـ في "ب": «صارت».
٥ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٩٦، ذيل الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٩٧، الحديث ٨٤، عن أبي الحسن عليه السلام.

ونزلهم[1] في بيت أو مضرَب هناك.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾. قال: «العرش: السّرير، و كان سجودهم ذلك عبادةً للّه»[2]. ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: صدقاً.

قال: «لمّا دخلوا على يوسف في دار المَلِك اعتنق أباه و بكى ورفعه و رفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله؛ فادّهن و اكتحل و لبس ثياب العزّ و المُلْك، ثمّ خرج إليهم. فلمّا راوه سجدوا له إعظاماً له وشكراً للّه؛ فعند ذلك قال: "يا أبتِ هـذا تأويلُ رُؤياي مِنْ قَبْلُ"»[3].

و في رواية: «فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكراً للّه، لاجتماع شملهم. الم تر انّه يقول في شكره ذلك الوقت: "رَبِّ قَدْ آتَيْتَني من المُلْكِ" الآية»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «و خرّوا للّه ساجدين»[5].

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾. لعلّه لم يذكر الجبّ؛ لئلاّ يكون تثريباً عليهم ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: من البادية؛ لأنّهم كانوا اصحاب المواشي، ينتقلون في المياه و المناجع[6] ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: افسد و حرّش[7] ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: بعضه ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: بعضه ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

١ـ في «ب» و «ج»: «نزل لهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٥، عن ابي عبداللّه عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢، الحديث: ٨٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦٥، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٢١٠، مروياً عن ابي عبداللّه عليه السلام.
٦ـ النُّجعة ـ بالضمّ ـ طلب الكلأ في موضعه. وَ المُنْتَجَعُ: المنزلُ في طلب الكلا و يقال للمُنْتَجِع مَنْجَعٌ، و جمعه مناجع. القاموس المحيط ٣: ٩٠؛ ولسان العرب ٨: ٣٤٧ (نجع).
٧ـ التّحريش: الإغراء بين القوم او الكلاب. القاموس المحيط ٢: ٢٧٨ (حرش).

﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾. قال: «عاش يعقوب مائة و أربعين سنة، و عاش يوسف مائة و عشرين[1] وعاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين»[2].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يا][3] محمّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على ما همّوا به ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: لم تعرفْ ذلك إلّا بالوحي.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم و بالغت في إظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعنادهم و تصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تدلّ على حكمة الله و قدرته في صنعه ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ و يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها و لا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: «شرك طاعة و ليس شرك عبدة»[4]. و في رواية: «يطيع الشّيطان من حيث لا يعلم فيشرك»[5]. و في أُخرى: «هو الرّجل يقول: لولا فلان لهلكت، و لولا فلان لاصبت كذا و كذا، و لولا فلان لضاع عيالي. ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه، يرزقه و يدفع عنه. قيل: فيقول: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت. قال: نعم، لا بأس بهذا»[6]. و في أُخرى: «من ذلك قول الرّجل: لا و حياتك»[7].

١- كمال الدّين: ٢٨٩ (النّسخة الحجريّة) عن أبي عبدالله عليه السلام، و في المطبوع منه ٢: ٥٢٤. «مائة و عشرين سنة».
٢- العيّاشي ٢: ١٩٨، الحديث: ٨٧؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٤- الكافي ٢: ٣٩٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- المصدر، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦- العيّاشي ٢: ٢٠٠، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧- المصدر: ١٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبةٌ تغشاهم و تشملهم ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾: من غير سابقة علامة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانها، غير مستعدّين لها.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. تفسيرٌ للسّبيل. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ قال: «عليّ اتبعهُ»[1]. ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. قال: «أنفةً للّه[2]؛ اما ترى الرّجل إذا عجب من الشّيء قال: سبحان الله»[3]. و في رواية: «تنزيه»[4].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ قال: «يعني إلى الخلق»[5]. ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾. ردّ لقولهم: لو شاء ربّك لأنزل ملائكة. ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ كما نوحي إليك ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ لأنّهم اعلم و احكم من اهل البَدْو ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من المكذّبين بالرّسل و الآيات، فيحذروا تكذيبك، و من المشعوفين بالدّنيا فيزهدوا فيها. و قد سبق[6] تفسير الارض بارض القرآن. ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾. غايةُ كلامٍ محذوف. كأنّه قيل: قد تأخّر نصرُنا الرّسلَ، حتّى إذا استيأسوا عنه ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ هكذا في قراءتهم عليهم السّلام:[7] "كُذِبُوا" بالتّخفيف. و معناه: و ظنّ المرسَلُ إليهم انّ الرّسل قد كَذَبوهم فيما أخبروهم، من نصرة الله إيّاهم. كذا ورد[8]. و على قراءة التّشديد، معناه:

١ـ روضة الواعظين: ١٠٥، عن ابي جعفر عليه السلام، في مجلس ذكر فضائل امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ انفةً للّه: تنزيهٌ للّه. قال بعض الشّارحين: الأنَفَة في الاصل: الضّرب على الأنف ليرجع، ثمّ استعمل لتبعيد الأشياء، فيكون هنا بمعنى رفع الله عن مرتبة المخلوقين بالكلّيّة، لأنّه تنزيه عن صفات الرّذائل و الأجسام «مجمع البحرين ٥: ٢٨».
٣ـ الكافي ٣: ٣٣٠، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر ١: ١١٨، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «تنزيهه».
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٧٠، الباب: ٢٧، ذيل الحديث ١٠
٦ـ في ذيل الآية: ١٣٧ من سورة آل عمران، و الآية: ١١ من سورة الانعام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠١، الحديث: ١٠١؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢١٣.

و ظنّ الرّسل أنّهم قد كذّبتهم قومهم فيما وعدوا من العذاب والنّصرة عليهم. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفّار ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختَلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الإلهيّة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدّين ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدّارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقونه.

سورة الرّعد

[مدنيّة، وهي ثلاث واربعون آية. وقيل: مكيّة[1]][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾: بغير أساطين ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾. صفةٌ لـ "عَمَدٍ". قال: «فثمّ عمد و لكن لا ترونها»[3]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾. سبق معناه في الأعراف[4]. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: لمدّةٍ معيّنةٍ يتمّ فيها أدواره، أولغايةٍ مضروبةٍ ينقطع دونها سيرُه، و هي "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ"[5]. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾: أمرَ ملكوته من الإيجاد و الإعدام، و الإحياء و الإماتة وغير ذلك. ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾: ينزّلها و يبيّنها ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾:

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٣.
٢ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام، و فيه: «ولكن لا ترى»
٤ـ ذيل الآية: ٥٤.
٥ـ التّكوير (٨١): ٢و٣.

لكي تتفكّروا فيها، و تتحقّقوا كمال قدرته و صنعه في كلّ شيء، فتعلموا انّه بكلّ شيء محيط. و هذا كقوله سبحانه: «ألا إنّهمْ في مِرْيَةٍ منْ لقاءِ ربّهمْ ألا إنّهُ بكُلّ شَيءٍ محيطٌ»[١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسطها طولاً و عرضاً ليثبّت فيها الاقدام، و يتقلّب[٢] عليها الحيوان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابتَ ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ تتولّد منها ﴿وَ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: صنفين اثنين: أسود و ابيض، حلواً و حامضاً، رطباً ويابساً، صغيراً و كبيراً، و ما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يُلبسُ ظلمةَ اللّيل ضياءَ النّهار؛ فيصير الهواء مُظْلماً بعد ما كان مضيئاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متلاصقة من طيّبة و سبخة، و رخوة وصلبة، وصالحة للزّرع دون الشّجر و بالعكس، و غير صالحة لشيء منهما. ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ فيها أنواع الاعناب و النّخيل و الزّروع ﴿صِنْوَانٌ﴾: نخلاتٌ، اصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: متفرّقات مختلفة الأُصول، أوامثال[٣] و غير امثال. ورد: «عمّ الرّجل صنوُ ابيه»[٤]. ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: في الثّمر؛ شكلاً و قدراً، و رائحةً و طعماً. قال: «يعني هذه الارض الطّيبة مجاورة لهذه الارض المالحة، و ليست منها، كما يجاور القومُ القومَ و ليسوا منهم»[٥]. و عن النّبيّ ﷺ انّه قال لعليّ عليه السلام: «النّاس من شجر[٦] شتّى و انا و انت من شجرة واحدة،

١ـ فصّلت (٤١): ٥٤
٢ـ في «الف»: «ينقلب»
٣ـ في «الف»: «و امثال».
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٦، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٤، مرفوعاً، رفعه إلى اهل العلم والفقه من آل محمّد عليهم السّلام.
٦ـ في «ب»: «من شجرة».

ثمّ قرأ هذه الآية»[١]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم بالتّفكّر فيهتدون إلى عظمة الصّانع، و علمه و حكمته البالغة، و قدرته النّافذة، و تدبيره الكامل، و لطفه الشّامل، و حسن تربيته صنايعه[٢] شيئاً فشيئاً إلى بلوغها منتهى كمالاتها اللائقة بها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: فحقيق بأن يتعجّب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أهون عليه ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: مُقيّدون بالضّلال، لا يرجى خلاصهم لإصرارهم ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبة قبل العافية، و ذلك أنّهم استعجلوا بالعذاب استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: عقوباتُ أمثالهم من المكذّبين، فما بالهم[٣] لم يعتبروا بها! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذّنوب[٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله و تجاوزه ما هنا أحداً العيشُ، و لولا وعيد الله و عقابه لاتّكل كلّ أحد»[٥].

و ورد حين تذاكروا الكبائرَ و قولَ المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة؛ قال الله جلّ جلاله: "و إنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم"»[٦].

١ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٢٧٦.
٢ـ في «ب»: «و صنايعه»
٣ـ في «الف»: «فما لهم لم يعتبروا بها».
٤ـ في «الف»: «أي أنفسهم بالذّنوب».
٥ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٢٧٨.
٦ـ التّوحيد: ٤٠٦، الباب: ٦٣، الحديث: ٤، عن أبي الحسن الثّاني، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المُنزَلة، واقترحوا نحو ما أُوتي موسى و عيسى. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُرْسَلٌ للإنذار كغيرك من الرّسل، و ما عليك إلاّ الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول مُنذِرٌ، و الآيات كلّها متساوية في حصول الغرض. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدّين، و يدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، و بآية خُصَّ بها.

قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذرُ و عليٌّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون»[١]. و ورد: «كلّ إمامٍ هادٍ للقرن الّذي هو فيهم»[٢].
القمّي: هو ردّ على من أنكر أنّ في كلّ عصرٍ و زمان إماماً، و أنّ الأرض لا تخلو من حجّة[٣].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر أو أُنثى، تامّ و ناقص، حسن و قبيح، سعيد و شقيّ ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾: و ما تنقصه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في المدّة و العدد و الخلقة. قال: «الغيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، "و ما تزداد": كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدّم في حملها من الحيض، فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدّم»[٤]. ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: طالب للخفاء في مُختبَإٍ[٥] باللّيل ﴿وَسَارِبٌۢ﴾: بارزٌ ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ يراه كلٌّ أحدٍ. قال: «يعني السرّ و العلانية عنده سواء»[٦].

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٨.
٢ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ٣٥٩. وفي «ب»: «أنّ الأرض لاتخلو من حجّة الله».
٤ـ الكافي ٦: ١٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه: «فكلّما رأت المرأة الدّم الخالص».
٥ـ في «ألف»: «مُختَباه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿لَهُۥ﴾ : لمن أسرّ أو جهر أو استخفى أو سرب ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ : ملائكة يعقب بعضهم بعضاً في حفظه و كلاءته ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ : من جوانبه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل : من أجل أمر الله[1]. ورد : «إنها قُرِئَتْ عنده، فقال لقاريها : ألستم عرباً؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟! ، و إنّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل : جعلت فداك، كيف هذا؟ فقال : إنّما أُنزلت : له معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بامر الله . و من ذا الّذي يقدر ان يحفظ الشّيء من أمر الله، و هم الملائكة الموكّلون بالنّاس»[2] .

و في رواية : «يقول : من أمر الله[3]، من ان يقع في رَكِيٍّ[4]، أو يقع عليه حائط، او يصيبه شيء، حتّى إذا جاء القـدر خلّوا بينه [و بَيْنَهُمْ][5] يدفعونه إلى المقادير، و هما ملكان يحفظانه باللّيل و ملكان بالنّهار يتعاقبانه»[6] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية و النّعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة . قال : «إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا يُنعم على عبده نعمةً فيسلبها إيّاه قبل ان يُحدثَ العبد ذنباً، يستوجب بذلك الذّنب سلبَ تلك النّعمة، وذلك قول الله : " إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بانفسهم "»[7] . وورد : «الذّنوب الّتي تغيّر النّعم : البغي على النّاس، و الزّوال عن العادة في الخير، و اصطناع المعروف، و كفران النّعم، و ترك الشّكر، ثمّ تلا الآية»[8] . ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ : مَنْ يلي امرهم فيدفع عنهم السّوء .

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ قال : « خوفاً للمسافر و طمعاً

١ـ الكشّاف ٣ : ٣٥٢ ؛ و البيضاوي ٣ : ١٤٨ .
٢ـ القمّي ١ : ٣٦٠ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٣ـ في المصدر : «بأمر الله»
٤ـ الرَّكِيّ : جنس للرَّكِيَّة، و هي البئر و جمعها : رَكايا «النّهاية ٢ : ٢٦١ ـ ركا» . و في «الف» «في ركو» .
٥ـ ما بين المعقوفتين من المصدر . و في «ب» و «ج» : « خلّوا بينه و بينه» .
٦ـ القمّي ١ : ٣٦٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٧ـ العيّاشي ٢ : ٢٠٦ ، الحديث : ١٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٨ـ معاني الأخبار : ٢٧٠ ، الحديث : ٢ ، عن السّجّاد عليه السلام .

للمقيم»[۱]. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ القمّي: يعني يرفعها من الأرض[۲].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾. سئل عن الرّعد؟ فقال: «ملك موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السّحاب»[۳]. و في رواية: «إنّه بمنزلة الرّجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي كهيئة ذلك»[٤]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ حيث يكذّبون رسول الله ﷺ فيما يصفه من التفرّد بالاُلوهيّة و إعادة النّاس و مجازاتهم ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ قال: «شديد الأخذ»[۵].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ فإنّه يُدْعى فيستجيب ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ من الطّلبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾: إلّا استجابةً كاستجابة مَنْ بسط كفّيه ﴿إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: يطلب منه أن يبلغه من بعيد ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ إذ لا يشعر الماءُ بدعائه، ولا يقدر على إجابته، و كذلك آلهتهم. قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للّذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم، إلّا كباسط كفيّه إلى الماء ليتناوله من بعيد و لا يناله»[٦]. ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ضياع و بطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ قال: «امّا من يسجد من أهل السّماوات طوعاً، فالملائكة يسجدون لله طوعاً؛ و من يسجد من أهل الارض، فمَن وُلِدَ في الإسلام فهو يسجد له طوعاً؛ و امّا من يسجد له كَرْهاً، فمن جُبِرَ على الإسلام؛ و أمّا من لم يسجد [له][۷] فظلّه يسجد له

۱ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ۱: ۲۹٤، الباب: ۲۸، الحديث: ۵۱.
۲ـ القمّي ۱: ۳٦۱.
۳ـ راجع: البيضاوي ۳: ۱٤۸، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ العيّاشي ۲: ۲۰۷، الحديث: ۲۳، عن أبي عبدالله ﷺ.
۵ـ مجمع البيان ۵ـ٦: ۲۸۳، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٦ـ القمّي ۱: ۳٦۱، عن أبي جعفر ﷺ.
۷ـ مابين المعقوفتين من «الف».

بالغداة والعشيّ»[١].

و القمّي: ليس شيء إلّا له ظلّ يتحرّك بحركته، و تحويله سجوده للّه[٢].

و قيل: أُريد بالظّلّ الجسد[٣]. و إنّما يقال للجسم الظّلّ، لأنّه عنه الظّلّ، و لأنّه ظلّ للرّوح، لأنّه ظلمانيّ و الرّوح نورانيّ، و هو تابع له يتحرّك بحركته النّفسانيّة، و يسكن بسكونه النّفسانيّ. القمّي: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً، و ظلّ الكافر يسجد كرهاً، و هو نموّهم و حركتهم، و زيادتهم و نقصانهم[٤].

و في رواية: «"وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ"؟ قال: هو الدّعاء قبل طلوع الشّمس و قبل غروبها، و هي ساعة إجابة»[٥].

أقول: كما يجوز أن يراد بكلّ من السّجود و الظّلّ، و الغدوّ و الآصال معناه المعروف، كذلك يجوز أن يراد بالسّجود الانقياد، و بالظّلّ الجسد، و بالغدوّ و الآصال الدّوام، و يجوز أيضاً أن يراد بكلّ منها[٦] ما يشمل كلا المعنيين، فيكون في كلّ شيء بحسبه و على ما يليق به. و بهذا يتوافق الأخبار. و يأتي لهذا المعنى مزيد بيان في سورة النّحل[٧] إن شاء الله تعالى.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾: اجب عنهم بذلك، إذ لا جواب لهم سواه. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف لغيرهم! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ القمّي: الكافر و المؤمن[٨]. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾: الكفر و الإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: بل أجعلوا؛ و الهمزة

١ـ القمّي ١: ٣٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «فمن أُجبر على الإسلام».
٢ـ المصدر: ٣٨٦، ذيل الآية: ٤٨ من سورة النّحل.
٣ـ الدرّ المنثور ٤: ٦٣٠، عن الحسن.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٥ـ الكافي ٢: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في «ألف» و «ج»: «منهما».
٧ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٨ـ القمّي ١: ٣٦٢

للإنكار. ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾. صفة لـ «شُرَكاء». داخلة في حكم الإنكار. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خَلْقُ الله و خَلْقُهُم؛ و المعنى: أنّهم ما اتّخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتّى يتشابه الخلق عليهم، فيقولوا: هؤلاء خلَقوا كما خلَقَ اللهُ، فاستحقّوا العبادة كما استحقّها. و لكنّهم اتّخذوا شركاء عاجزين، لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق. ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: لا خالقَ غيره فيشاركه في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة، الغالب على كلّ شيء.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: في الصّغر و الكبر، و على حسب المصلحة ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: مرتفعاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من انواع الفلزّات، كالذّهب و الفضّة و الحديد و النّحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ كالاواني و آلات الحرث و الحرب ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: مثل زبد الماء، و هو خبثه.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ اي: مثّلهما مثَل الحقّ في إفادته و ثباته بالماء الّذي ينزل من السّماء، فيسيل[1] به الاودية على وجه الحاجة و المصلحة، فينتفع به انواع المنافع، و يمكث في الارض؛ بان يثبت[2] بعضه في منابعه، و يسلك بعضه في عروق الارض إلى العيون و الآبار، و بالفلزّ الّذي ينتفع به في صوغ الحُليّ و اتّخاذ الامتعة المختلفة، و يدوم ذلك مدّةً متطاولةً. و الباطل في قلّة نفعه و سرعة اضمحلاله بزبدهما.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: يجفا[3] به، اي: يرمي به السّيل او الفلزّ المُذاب. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ كالماء و خلاصة الفلزّ ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ينتفع به اهلها ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ لإيضاح المشتبهات[4].

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «تَسيلُ».
٢ـ في «الف»: «ثبت».
٣ـ الجُفاءُ: ما يرمي به الوادي او القدْرُ من الغُثاء إلى جوانبه، يُقالُ: اَجْفَأَتِ القِدْرُ زَبدها: ألقته. المفردات: ٩٢ (جفا).
٤ـ في «الف»: «الشّبهات».

القمّي: يقول: أنزل الحقّ من السّماء فاحتمله القلوب بأهوائها؛ ذواليقين على قدر يقينه، و ذو الشّكّ على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً و جُفاءً، فالماء هو الحقّ، و الأودية هي القلوب، و السّيل هو الهوى، و الزّبد و خَبَثُ الحلْيَة هو الباطل، و الحلية و المتاع هو الحقّ. من اصاب الحلية و المتاع في الّدين انتفع به، و كذلك صاحب الحقّ يوم القيامة ينفعه، و من أصاب الزَّبَدَ و خَبَثَ الحلية في الدّنيا لم ينتفع، و كذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به[1].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الاستجابة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ يعني: كذلك يضرب الأمثال للفريقَيْنِ؛ و ما بعده كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين، و يحتمل عدم تعلّقه بما قبله ويراد بالحسنى: المثوبة الحُسْنىٰ، و يكون ما بعده متعلّقاً به. كذا قيل[2]. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: «هو ان لا تُقْبَلَ لهم حسنةٌ و لا تُغْفَرَلهم سيّئةٌ»[3]. وورد: «من نوقش في الحساب عذّب»[4]. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: يمهّدون في النّار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: اعمى القلب، لا يستبصر فيستجيب. و الهمزة للإنكار، يعني: لا شبهة في عدم تشابههما بعد ما ضُرِبَ من المَثَلِ، فإنّ بينهما من البون ما بين الزّبد و الماء، و الخَبَث والإبْرِيزِ[5]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذوو العقول المُبرّأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ما عقدوه على انفسهم لله ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾:

١ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٢ـ الكشّاف ٢: ٣٥٦؛ والبيضاوي ٣: ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر. و فيه: «و من نوقش الحساب عذّب».
٥ـ ذَهَبٌ إبْريزٌ و إبْريزيّ: خالصٌ. القاموس المحيط ٢: ١٧٢ (برز).

ما وثقوه من المواثيق بينهم و بين الله و بين العباد. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و ما عاهدهم عليه، و ما اخذ عليهم من الميثاق في الذّرّ، من ولاية أمير المؤمنين والائمّة عليهم السّلام بعده»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الرّحم، و لا سيّما رحم آل محمّد عليهم السّلام و يندرج فيه موالاة المؤمنين و مراعاة حقوقهم. قال: «نزلت في رحم آل محمّد [عليه و آله السّلام][2] و قد تكون في قرابتك. ثمّ قال: فلا تكوننّ ممّن يقول للشّيء: إنّه في شيء واحد»[3]. و ورد: «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: اللّهمّ صِلْ مَنْ وصلني و اقطع مَنْ قطعني، و هو رحم آل محمّد، و هو قول الله: "والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل"، و رحمُ كلّ ذي رحم»[4]. و في رواية: «و رحم كلّ مؤمن»[5]. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: «ان تُحْسَبَ عليهم السّيّئاتُ و لا تحسب لهم الحسنات»[6]. و ورد: «إنّه تلا هذه الآية حين وافى رجلاً استقصى حقّه من اخيه، و قال: أتراهم يخافون أن يظلمهم أو يجور عليهم؟ لا، و لكنّهم خافوا الاستقصاء و المُداقّة، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء»[7].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على القيام بأوامر الله و مشاقّ التّكاليف، و على المصائب في النّفوس و الاموال، و عن معاصي الله ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟

١ـ القمّي ١: ٣٦٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ـ ما بين المعقوفتين من المصدر
٣ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٨، الحديث: ٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، إلاّ انّ فيه: «و رحم كلّ مؤمن» بدل «و رحم كلّ ذي رحم».
٥ـ المصدر
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٩؛ و العيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع. الكافي ٥: ١٠٠، الحديث ١؛ والعيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٣٦٤؛ ومعاني الأخبار: ٢٤٦، الحديث: ١، جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف وتفاوت.

مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ طلباً لرضاه[١] ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾. يدفعونها بها، فيُجازون الإساءة بالإحسان، و يُتبِعُون[٢] الحسنةَ السيّئةَ فتمحوها. ورد: «أتبِعِ السيّئةَ بالحسنة تمحها»[٣]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبةُ الدّنيا و ما ينبغي أن يكون مآلَ أهلها، و هي الجنّة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾. العَدْنُ: الإقامة، أي: جنّاتٌ يقيمون فيها. قال: «جنّة عدن في وسط الجنان، سورها ياقوت أحمر و حَصْباؤها[٤] اللّؤلؤ»[٥]. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: «من أبواب غُرَفِهِمْ». كذا ورد[٦].

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. القمّي: نزلت في الأئمّة عليهم السّلام و شيعتهم الّذين صبروا[٧]. و ورد: «نحن صُبُرٌ[٨] و شيعتنا أصبر منّا، لأنّا صبرنا بعلم، و [شيعتنا][٩] صبروا على ما لا يعلمون»[١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول. القمّيّ: يعني: في أمير المؤمنين عليه السلام و هو الّذي أخذ الله عليهم في الذّرّ، و أخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ[١١]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الرَّحِمِ وغيرها ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظّلم و تهييج الفتن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ

١ـ في «ب»: «طلباً لرضاء الله».
٢ـ في «الف»: «يتبعون».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الحصباء: الحصى واحدتها حَصَبَة. القاموس ١: ٥٧ (حصب).
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٣، ذيل الحديث: ٩٠٥، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ الكافي ٨: ٩٨، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٨ـ في «ب» و المصدر: «صبّرنا».
٩ـ ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
١٠ـ القمّي ١: ٣٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ المصدر: ٣٦٣.

ٱلدَّارِ﴾ : عذاب النّار.

﴿ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ : يوسّعه و يُضيّقُه دون غيره ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ : بما بسط لهم فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ : في جنبها ﴿إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ : إلّا شيء قليل يُتمتّعُ به ثمّ يَفْنى؛ يعني: أنّهم أشِرُوا [1] بما نالوا من الدّنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيمَ الآخرة، و اغترّوا بما هو في جنبه نَزْرٌ [2]، قليل النّفع، سريع الزّوال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ : من اقبل إلى الحقّ و رجع عن العناد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ : تَسْكُنُ إليه، أُنساً به و اعتماداً عليه ورجاءً منه. قال: «بمحمّد ﷺ تطمئنّ، و هو ذكر الله و حجابه» [3]. و القمّي: «الّذين آمنوا»: الشّيعة، و ذكر الله: اميرُ المؤمنين و الائمةُ عليهم السّلام [4]. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾. قال: «طوبى شجرةٌ في الجنّة، اصلها في دار النّبيّ ﷺ، و ليس من مؤمن إلّا و في داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا اتاه به ذلك، و لو أنّ راكباً مُجِدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا» [5]. و في رواية: «أصلها في دار عليّ بن

١ـ أشِرَ من باب تَعِبَ: بَطِر وكَفَر النّعمة فلم يشكرها. المصباح المنير ١: ٢١ (اشر).
٢ـ النَّزْرُ: القليل. القاموس المحيط: ٢: ١٤٦ (نزر).
٣ـ العيّاشي ٢: ٢١١، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٥ـ الكافي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله ؑ.

أبي طالب»[١]. و ورد: «إنّه قيل للنّبيّ ﷺ في ذلك، فقال: إنّ داري و دارَ عليّ في الجنّة بمكان واحد»[٢].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾: و حالهم أنّهم يكفرون بالواسع الرّحمة، الّذي احاطت بهم نعمتُهُ، و وسعت كلَّ شيء رحمتُه. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: زُعزِعَتْ عن مقارِّها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: تصدَّعَتْ من خشية الله و تشقّقَتْ ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ فتسمَعُ وتُجيبُ، لكان هذا القرآن؛ لعظم قدره و جلالة شأنه. القمّي: لو كان شيء من القرآن كذلك لكن هذا[٣]، و ورد: «وقد وَرِثْنا نحن هذا القرآن، الّذي فيه ما تُسَيَّرُ به الجبالُ، وتُقَطَّعُ به البلدانُ، و يُحْيىٰ به الموتى»[٤]. ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل لله القدرةُ على كلِّ شيء.

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. قيل: أي: افلم يعلم؟ و هي لغة قوم من النَّخَع[٥]. وقيل: إنّما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لانّ اليائس عن الشّيء عالم بأنّه لايكون[٦]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «أفلم يتبيّن»[٧]. ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[٨]: داهيةٌ تقرعُهُمْ من[٩] صنوف

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٨، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩١، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السّلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٧، عن ابي الحسن الاوّل عليه السلام.
٥ ـ النَّخَع ـ محرّكة ـ قبيلةٌ باليمن. القاموس المحيط ٣: ٩٠(نخع).
٦ ـ الكشّاف ٢: ٣٦٠.
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ القارعة: البليّة الّتي تَقْرَعُ القلبَ بشدّة المخافة. مجمع البحرين ٤: ٣٧٧(قرع).
٩ ـ في «ب»: «عن».

المصائب، في أنفسهم و أموالهم. قال: «[هي][1] النّقمة»[2] ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها و يتطاير إليهم شررها[3]، كالسّرايا الّتي يبعثها رسول الله ﷺ فتُغيرُ حواليهم، و تختطفُ مواشيهم. قال: «تحلّ بقوم غيرهم، فيرون ذلك و يسمعون به، والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، و لا يتّعظ بعضهم ببعض»[4].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قال: «و لن يزالوا كذلك، حتّى يأتي وعد الله الّذي وعد المؤمنين من النّصر، و يخزي الله الكافرين»[5]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾. الإملاء: ان يُتْرَكَ مُلاءَةً[6] من الزّمان في أمن و دَعَة. يعني: طوّلتُ لهم الامل ثمّ أهلكتهم. و هو تسلية لرسول الله ﷺ، و وعيد للمستهزئين به. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: عقابي إيّاهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليه حافظ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خيرٍ و شرٍّ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم[7]، و لا يفوت عنه شيء من جزائهم، كمن ليس كذلك؟ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ مَنْ هُمْ؟ او صِفُوهم، فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة، و يستأهلون الشّركة؟ ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: بل أتنبّؤونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: بشركاءَ لا يَعْلَمُهُمْ في الارض، و هو العالم بما في السّماوات و الأرض. فإذا لم يَعْلَمْهُمْ فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم. و المراد: نفي أن يكون له شركاء. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾: ام تسمّونهم شركاءَ بظاهر من القول؛ من غير حقيقةٍ و اعتبارٍ، كتسمية الزّنجيّ كافوراً. أُنظر إلى هذه الاساليب العجيبة في الاحتجاج، كيف تنادي بلسانٍ فصيحٍ: أنّها ليست من كلام البشر. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: تَمْويهُهُمْ،

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢و ٤ـ القمّي ١: ٣٦٥ـ٣٦٦ عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ في «الف»: «شرّها».
٥ـ القمّي ١: ٣٦٥ـ٣٦٦، عن أبي جعفر ﷺ.
٦ـ المُلاءة ـ بالحركات الثّلاث ـ أي: حيناً و برهةً. مجمع البحرين ١: ٣٩٨ (ملا).
٧ـ في «الف»: «أحوالهم».

فتحيّلوا[1] اباطيلَ ثمّ خالوها. ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يَخْذُلْهُ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفّقه للهدى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل و الاسر و سائر المصائب ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشدّته و دوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من دافع.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: صفتها التي هي مَثَلٌ في الغرابة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾: لا مقطوعةٌ و لا ممنوعةٌ ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلك ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال: «اي: يفرحون بكتاب الله إذا يُتْلى عليهم، و إذا تلوهُ تفيض أعينهم دمعاً من الفزع و الحزن»[2]. ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: مَنْ تحزّب على رسول الله بالعَداوة ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ و هو ما يخالف شرائعهم ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ فإنكاركم إنكار لعبادة الله وتوحيده. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: و إليه مرجعي لا إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله و توحيده، و الدعوة إليه و إلى دينه ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حِكْمَةً عربيةً، مُتَرْجَمَةً بلسان العرب ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ في أُمور يدعونك إلى أن تُوافقهُمْ عليها ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ ينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يمنع العقاب عنك، و هو حَسْمٌ لاطماعهم، و تهييج للمؤمنين على الثّبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ بشراً مثلك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساءً و اولاداً. ردٌّ لتعييرهم إيّاه بكثرة الأزواج. قال: «فما كان رسول الله إلاّ كاحد أُولئك، جعل الله له أزواجاً، و جعل له ذرّيّةً، لم يُسْلِمْ مع احدٍ من الانبياء من أسلم من

١ـ في «ح»: «فيحيّلو».
٢ـ القمّي ١: ٣٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أهل بيته، اكرم الله بذلك رسوله»[١]. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ يُقتَرحُ عليه و يُلتَمسُ منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ وقت حُكْمٌ يُكتَبُ على العباد، و لهم ممّا يقتضيه صلاحهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾: يَنْسَخُ ما ينبغي نسخه، و يُثْبِتُ ما يقتضيه حكمته، و يمحو سيّئات التّائب، و يُثْبِتُ الحسنات مكانها، و يمحو من كتاب الحفَظَة ما لا يتعلّق به جزاء، و يترك غيره مُثْبَتاً، او يُثْبِتُ ما رآه في صميم قلب عبده، و يمحو الفاسدات و يُثْبِتُ الكائنات، و يمحو قَرْناً و يثبت آخرين. و الاخير مرويّ[٢]، و هو احد معانيه. و قال: «هل يُمْحىٰ إلّا ما كان ثابتاً، و هل يُثْبَتُ إلّا ما لم يكن؟»[٣].

و ورد: «إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة و الرّوح و الكَتَبَةُ إلى سماء الدّنيا، فكتبوا ما يكون من قضاء الله تلك السّنة. فإذا اراد الله ان يُقدِّم شيئاً او يؤخّره او ينقص[٤] شيئاً، امر المَلَكَ ان يمحو ما يشاء، ثمّ اثبت الّذي اراد»[٥].

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني: أصل الكتب؛ و هو اللّوح المحفوظ عن المحو و التّبديل، و هو جامع للكلّ، ففيه إثبات المُثْبَت و إثبات المَمْحُوّ[٦]، و محوه و إثبات بدله.

قال: «هما كتابان: كتابٌ سوى أُمّ الكتاب، يمحو الله منه ما يشاء و يثبت؛ و أُمّ الكتاب لا يُغيَّرُ منه شيء»[٧].

و في رواية: «هما أمران: موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه ما يشاء»[٨].

١ـ العيّاشي ٢: ٢١٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ألف» و «ج»: «ينقض».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٣٦٦؛ و العيّاشي ٢: ٢١٦، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٦ـ في جميع النسخ: «إثبات المحو». وما اثبتناه من الصافي.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ يعني و كيفما دارت الحال من الأمرين ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ لا غير ﴿ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ للمجازاة لا عليك، فلاتحتفل بإعراضهم.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾: بإذهاب أهلها. قال: «يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسمّاه إتياناً»[1]. و في رواية: «هو ذهاب العلماء»[2].

أقول: و على هذا التّفسير يكون الأطراف جمع طَرْف بالتّسكين. قال في الغريبين[3]: أطراف الأرض: علماؤها و أشرافها، الواحد طرْفٌ، و يقال طرَفٌ أيضاً.

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾: لا رادّ له، و المُعقِّبُ: الّذي يعقّب الشّيء فيُبْطله. ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾. فيحاسبهم عمّا قليل.

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ إذ لا يُؤْبَهُ بمكر دون مكره، فإنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فيُعدّ جزاءه ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ يعني: العاقبة المحمودة، و هذا كالتّفسير لمكر الله بهم. القمّي: المكر من الله هو العذاب[4].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

قال: «إيّانا عنى، و عليٌّ أوّلُنا، و أفضلُنا، و خيرُنا بعد النّبيّ ﷺ»[5].

١- الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢- الكافي ١: ٣٨، الحديث: ٦، عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السّلام و في «ب» «ذهاب العلماء»
٣- لا يوجد لدينا هذا الكتاب راجع: أساس البلاغة: ٣٨٨؛ ولسان العرب ٩: ٢١٨؛ وتاج العروص ٢٤: ٧٩ (طرف)؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٣٠٠.
٤- القمّي ١: ٣٦٧
٥- الكافي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٠، الحديث: ٧٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

و سئل علي عليه السلام عن أفضل منقبة له فقرأ هذه الآية و قال: «إيّاي[١] عَنىٰ بـ «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ»»[٢].

١ـ في «الف»: «إيّانا».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٣٢.

سورة إبراهيم

[مكيّة، و هي اثنتان و خمسون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكفر و انواع الضّلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإيمان والهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بتوفيقه و تسهيله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾. بدل من قوله: "إلى النّور".

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾. الويل الهلاك، نقيض الوَأْل، و هو النّجاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يختارونها عليها ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾: يطلبون لها اعوجاجاً ليقدحوا فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلّا بلغة قومه الّذين هو منهم و بُعِثَ فيهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما أُمروا به فيفقهوه بيسرٍ و سرعةٍ.

1ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

ورد: «و منّ عليّ ربّي وقال: يا محمّد قد أرسلتُ كلّ رسول إلى أُمّة بلسانها، و أرسلتك إلى كلّ أحمر و أسود من خلقي»[١].

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ ذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله و آلائه»[٢]. و قيل: بوقائعه الواقعة على الأُمم الماضية[٣]. و في رواية: «أيّام الله: يوم يقوم القائم و يوم الكرّة و يوم القيامة»[٤]. و القمّي: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم و يوم الموت و يوم القيامة[٥].

أقول: لا منافاة بين هذه التّفاسير، لأنّ النّعمة على المؤمن نقمة على الكافر، وكذا الأيّام المذكورة نعمٌ لقوم و نقمٌ لآخرين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر لنعمائه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلّفونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: استعبادكم بالأفعال الشّاقّة، كما سبق في سورة البقرة[٦]. ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: و اذكروا إذ أعلم ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء و غيره، بالإيمان و العمل الصّالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمة. ورد: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه، و حمد الله ظاهراً بلسانه، فتمّ

١ - الخصال ٢: ٤٢٥، الحديث: ١، عن النّبيّ ﷺ، و فيه: «إلى أُمّته»
٢ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٠٤؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ - البيضاوي ٣: ١٥٦؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٣٠٤.
٤ - الخصال ١: ١٠٨، الحديث: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ - القمّي ١: ٣٦٧.
٦ - في ذيل الآية: ٤٩.

كلامه حتّى يؤمر له بالمزيد»[١]. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ قال: «هو كفر النّعم»[٢].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحقّ للحمد في ذاته و إن لم يحمَدْهُ حامدٌ، محمود يحمَدُه نفسُه وملائكتُه و سائر المخلوقات، «و إِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسبّحُ بحمْدِه»[٣].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾. القمّي: أي: في أفواه الأنبياء[٤]. أقول: يعني منعوهم من التكلّم، و هو تمثيل.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت سمّاه الله و جعله آخر أعماركم. ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا، فلمَ خُصِّصتُم بالنّبوّة دوننا؟!. ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّةٍ واضحةٍ. أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات، تعنّتاً وعناداً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. سلّموا مشاركتهم في البشريّة، و جعلوا الموجب لاختصاصهم بالنّبوّة فضلَ الله، و منَّه عليهم بخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم. ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

١ـ الكافي ٢: ٩٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الإسراء (١٧): ٤٤.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٨.

فلتتوكّل[1] في الصّبر على معاداتكم. عمّموا للإشعار بما يوجب التّوكّل، و هو الإيمان.

﴿وَمَا لَنَآ﴾ اي: أيّ عذر لنا ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ الّتي بها نعرفه، و نعلم انّ الأمور كلّها بيده ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾. حلفوا على ان يكون احد الامرين؛ و العودُ بمعنى الصّيرورة، لانّهم لم يكونوا[2] على ملّتهم قطّ. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ اي: ارضهم و ديارهم. ورد: «من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورثه الله داره»[3]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ اي: موقفي للحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ اي: وعيدي بالعذاب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾. سالوا من الله الفتح على أعدائهم، او القضاء بينهم و بين أعدائهم[4]. منَ الفُتاحَة، بمعنى الحكومة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. قال: «يعني: مَنْ أبى ان يقول لا إله إلاّ الله»[5]. و في رواية: «العَنيدُ: المعرض عن الحقّ»[6].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: من بين يدي هذا الجبّار نارُ جهنّم، فإنّه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدّنيا، مبعوث إليها في الآخرة. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ اي: يُلْقىٰ فيها و يسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «و يسقى ممّا يسيل من الدّم و القيح من فروج الزّواني في النّار»[7].

١ـ في «ب»: «فليتوكل».
٢ـ في «الف»: «لا يكونوا»
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨، مرفوعاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ في «ب» و «ج»: «أعاديهم».
٥ـ التّوحيد: ٢١، الباب: ١، الحديث: ٩، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ٣٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و في رواية: «يقرب إليه فيكرَهُه، فإذا أُدني منه شوَى و جهَه و وقَعَ فروةُ رأسه[1]، فإذا شرب قُطِّعَ أمْعاؤُه[2] حتّى يخرج من دبره، يقول الله عزّوجلّ: "وَ سُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ"[3]، و يقول: "وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ"[4]»[5].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلّف جرعَهُ ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: ولا يُقارِبُ أن يُسيغَهُ، فكيف يسيغه؟ ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: أسبابُه من الشّدائد، فيُحيطُ به من جميع الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريحَ ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: و من بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: يستقبل في كلّ وقت عذاباً أشدَّ ممّا هو عليه. قال: «إنّ أهل النّار لمّا غلَى الزّقّومُ و الضّريعُ[6] في بطونهم كغَلْيِ الحميم، سألوا الشّراب فأُتوا بشراب غسّاقٍ[7] و صديد "يتجرّعه و لا يكاد يسيغه، و يأتيه الموت من كلّ مكان و ما هو بميّت، و من ورائه عذاب غليظ": حميم[8]، يغلي به جهنّم منذ خلقت "كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقاً"»[9].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: صفتهم الّتي هي مَثَلٌ في الغرابة ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حملته و أسرعت الذّهاب به ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾. العَصْفُ: اشتداد الرّيح. وُصِفَ به اليوم للمبالغة. شبّه مكارمهم ـ من الصّدقة و صلة الرّحم و عتق الرّقاب

١ـ في المصدر: «وَقَعَتْ»، و وَقَعَ: سَقَطَ؛ و الفَرْوَةُ: جِلْدَةُ الرَّأسِ. القاموس المحيط ٣: ٩٩ (وقع) و ٤: ٣٧٦ (فرو).
٢ـ في «الف» و «ج» والمصدر: «قطّعَ أمْعاءَه».
٣ـ سورة محمّد (٤٧): ١٥
٤ـ الكهف (١٨): ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن النّبيّ ﷺ
٦ـ الزّقّوم: شجرة مرّة، كريهة الطّعم و الرّائحة، و الضّريع ـ على ما نقل عن رسول الله ﷺ ـ: شيءٌ يكون في النّار يشبه الشّوك أمرّ من الصّبر و أنتن من الجيفة و أشدّ حرّاً من النّار. مجمع البحرين ٤: ٣٦٤ (ضرع) و ٦: ٧٩ (زقم).
٧ـ الغسّاق: ما يَغْسِقُ من صديد أهل النّار أي: يَسيل، يقال: غَسَقَت العين: إذا سالت دموعها. مجمع البحرين ٥: ٢٢٣ (غسق).
٨ـ في المصدر: «و حميم».
٩ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث ٧، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام. و الآية في سورة الكهف (١٨): ٢٩.

و إغاثة الملهوف في حبوطها و ذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والتّوجّه بها إليه ـ برمادٍ طيّرته الرّيح العاصف. ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ منها ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني لا يرون لشيء منها ثواباً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ضلالهم مع حسبانهم أنّهم محسنون ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ في غاية البعد عن الحقّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة و الغرض الصّحيح، ولم يخلقها عبثاً باطلاً ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر، أو متعسّر.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني يوم القيامة. ذُكر بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: ضعفاء الرأي، يعني الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: لرؤسائهم. قال: «افتدرون الاستكبار ما هو؟ هو تركُ الطّاعة لمن أمِرُوا بطاعته، و التّرفّعُ على من نُدبوا إلى متابعته»[١]. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: مَنجىً ومَهرَبٍ من العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾. قال: «كلّما كان في القرآن "قال الشّيطان" يريد به الثّاني»[٢]. ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾. القمّي: أي: لمّا فرغ من أمر الدّنيا من أوليائه[٣]. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ من البعث و الجزاء، فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: فلم أوف لكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ فاجبركم على الكفر والعصيان ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ بتسويلي و وسوستي ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أسرعتم إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي، فإنّ من صرّح بعداوته لا يلام بأمثال ذلك ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ حيث اغتررتم ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُم

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨.

﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثيّ، لا ينجي بعضنا بعضاً ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: تبرّأت منه. قال: «إنّ الكفر في هذه الآية البراءة»[١]. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. من تتمّة كلامه، أو استيناف.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قولاً حقّاً و دعاءً إلى صلاح ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يطيب ثمرها، كالنّخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الارض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾: تعطي ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ وقت وقّته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله لاهل بيت نبيّه و لمن عاداهم»[٢]. و سئل عن هذه الشّجرة؟ فقال: «رسول الله ﷺ اصلها، وامير المؤمنين صلوات الله عليه فرعها، و الائمّة من ذرّيّتهما اغصانها، و علم الائمّة ثمرها، و شيعتهم المؤمنون ورقها»[٣]. و قال: «"تؤتي أُكلها كلّ حين": ما يخرج من علم الإمام إليكم في كلّ سنة من كلّ فجّ عميق»[٤].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قول باطل، و دعاء إلى ضلال اوفساد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لايطيب ثمرها، كشجرة الحَنْظَل ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت و أُخذت جثّته بالكلّيّة ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لانّ عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. قال: «إنّ هذا مَثَل بني أُميّة»[٥].

١ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٢٢٤، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «و شيعتهم ورقها».
٤ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٥، الباب: ٣٣، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه بدل قوله «من كلّ فجّ عميق»: «من حجّ وعمرة».
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣١٣، عن أبي جعفر عليه السلام

و قال: «كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السّماء»[١].

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الّذي ثبت بالحجّة و البرهان عندهم، و تمكّن في قلوبهم و اطمأنّت إليه أنفسهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزلّون إذا افتتنوا في دينهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فلا يتلعثمون[٢] إذا سئلوا عن معتقدهم ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالجحود و الاقتصار على التّقليد، فلا يهتدون إلى الحقّ، و لا تثبتون في مواقف الفتن. قال: «يعني يضلّهم يوم القيامة عن دار كرامته»[٣].

ورد: «إنّ الشّيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: "يثبّت الله الّذين آمنوا" الآية»[٤]. ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾: دار الهلاك؛ بحملهم[٥] على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾. قال: «عنى بها قريشاً قاطبةً، الّذين عادوا رسول الله و نصبوا له الحرب، و جحدوا وصيّه»[٦].

و في رواية: «هم الأفجران من قريش: بنو أُميّة و بنو المُغيرة؛ فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين؛ و أمّا بنو المُغيرة فكفيتموهم يوم بدر»[٧].

و في أُخرى: «ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله ﷺ، و عدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن و الله نعمة الله الّتي

١ـ القمّي ١: ٣٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ تلعثم الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه و تأنّى. مجمع البحرين ٦: ١٦٢ (لعثم).
٣ـ التّوحيد: ٢٤١، الباب: ٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٦٣؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «يحملهم».
٦ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «وصيّه وصيّه».
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٤، عن عليّ عليه السلام.

أنعم الله بها على عباده، و بنا يفوز من فاز يوم القيامة»[1].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اي: اقيموا الصّلاة، أو ليقيموا[2] ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. قال: «إنّه من الحقوق الّتي هي غير الزّكاة المفروضة»[3]. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعَ المقصّر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: و لا مُخالّة، فيشفعَ لك خليل. القمّي: لا صداقة[4].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ تعيشون به. يشمل المطعوم و الملبوس و غيرهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: يدْأبان في سيرهما لا يفتُران في منافع الخلق. قال: «في مرضاته»[5]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لسباتكم[6] ومعاشكم.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: ما كان حقيقاً بان يسال. سئل أولم يسال. قال: «و الشّيء الّذي لم تسأله إيّاه أعطاك»[7]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من كلٍّ بالتّنوين»[8]. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تعدّوها و لا تطيقوا حصر انواعها فضلاً عن افرادها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ للنّعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها.

١ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «نحن النّعمة الّتي ...».
٢ـ في «ب» و «ح»: «أقيموا الصّلاة يقيموا، أوليقيموا».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٢٩، مضمراً.
٤ـ القمّي ١: ٣٧١.
٥ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٦ـ في «ألف»: «للباسكم». والسّبات: نوم المريض والشيخ المُسنّ، وهو النّومة الخفية. وأصله من السّبت الرّاحة والسّكون. النّهاية ٢: ٣٣١ (سبت).
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٥، عنهما عليهما السّلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾: [بلد][1] مكّة ﴿آمِنًا﴾: ذا أمن لمن فيها. و قد مرّ بيانه[2]. ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. قال: النّبيّ ﷺ: «فانتهت الدّعوة إليّ و إلى أخي عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً و عليّاً وصيّاً»[3].

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾: صرن سبباً لإضلالهم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ قال: «من اتّقى الله منكم و أصلح»[4]. و في رواية: «من احبّنا فهو منّا أهل البيت. قيل: منكم أهل البيت؟! قال: منّا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: "فمن تبعني فإنّه منّي"»[5]. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال: «تقدر أن تغفر له و ترحمه»[6].

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: بعض وُلْدي، و هو إسماعيل و مَنْ وُلِدَ منه. قال: «نحن هم، و نحن بقيّة تلك الذّرّيّة»[7]. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكّة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: الّذي حرّمتَ التّعرّض له و التّهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾: بعضهم. قال: «أما إنّه لم يعن النّاس كلّهم، أنتم أُولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في النّاس مثلُ الشّعرة البيضاء في الثّور الاسود، أو مثل الشّعرة السّوداء في الثّور الابيض»[8]. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: تَسْرَعُ إليهم، شوقاً ووداداً. و فى قراءتهم عليهم السّلام: «تَهْوَى بفتح الواو»[9]. مِنْ: هوي كرَضِيَ: إذا احبّ؛ و تعديته بـ «إلى» لتضمين معنى النّزوع. قال: «و لم يعن البيت فيقول: "إليه"، فنحن والله دعوة إبراهيم»[10] ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: «يعني من

١ـ مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٢ـ في سورة البقرة: ١٢٦.
٣ـ الأمالي (للطوسي) ١: ٣٨٨.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر ﷺ، و الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ الصّافي ٣: ٩٠، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٨ـ المصدر: ٢٣٣، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٧، عن أمير المؤمنين و الصّادقين عليهم السّلام.
١٠ـ الكافي ٨: ٣١١، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر ﷺ.

ثمرات القلوب»[١] . أي: حبّبهم إلى النّاس ليأتوا إليهم و يعودوا. و في رواية: «إنّ الثّمرات تُحْمَلُ إليهم من الآفاق، و قد استجاب الله له حتّى لا يوجد في بلاد الشّرق و الغرب ثمرة لا توجد فيها؛ حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعيّة و صيفيّة وخريفيّة و شتائيّة»[٢] . و قد سبقت رواية أُخرى في سورة البقرة عند قوله: "و ارزق أهله من الثّمرات"[٣] . و ورد: «إنّه نظر إلى النّاس حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنّما أُمروا ان يطوفوا بها، ثمّ ينفروا إلينا فيُعلمونا ولايتهم و مودّتهم، ويَعرضوا علينا نصرتهم. ثمّ قرأ هذه الآية»[٤] .

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾: تعلم سرّنا و علانيتنا. و المعنى: انّك أعلم بأحوالنا و مصالحنا و ارحم بنا منّا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطّلب، لكنّا ندعوك إظهاراً لعبوديّتك، و افتقاراً إلى رحمتك، و استعجالاً لنيل ما عندك. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: لَمجيبه[٥]؛ مِنْ سمعه: إذا اعتدّ به. و فيه إشعار بأنّه دعا ربّه و سأل منه الولد، فأجابه حين ما وقع اليأس منه.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معدّلاً لها[٦]، مواظباً عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: وبعض ذرّيّتي ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: عبادتي.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال: «آدم و حوّاء»[٧] . و في قراءتهم عليهم السّلام:

١ـ القمّي ١: ٣٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عوالي اللّئالي ٢: ٩٦، الحديث: ٢٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: ذيل الآية: ١٢٦.
٤ـ الكافي ١: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «ألف»: «يجيبه».
٦ـ في «ب»: «معدّاً لها».
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٤ـ٢٣٥، الحديث: ٤٦، عن أحدهما عليهما السّلام.

«و لوَلَدَيَّ»[١]. قال: «هذه كلمة صحّفها الكتّاب، إنّما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه، و إنّما كان: ربّنا اغفرلي و لوَلَدَيَّ يعني إسماعيل و إسحاق»[٢]. ﴿وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾. القمّي: تبقى أعينهم مفتوحةً من هول جهنّم؛ لا يقدرون ان يَطرِفُوا[٣].

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الدّاعي، او مقبلين بابصارهم لا يَطرِفُون هيبةً و خوفاً؛ و الإهطاع: الإقبال على الشيء. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصةً لا تطرف ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قيل: خلاءٌ. اي: خالية عن العقول لفرط الحيرة و الدّهشة، لا قوّة لها و لا جراة و لا فهم[٤]. و القمّي: قلوبهم تتصدّع من الخفقان[٥].

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ القمّي: اي: لا تهلكون[٦].

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما شاهدتم في منازلهم من آثار ما نزل بهم، و ما تواتر عندكم من اخبارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم، لإبطال الحقّ و تقرير الباطل

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٥، الحديث: ٤٧، عن احدهما عليهما السّلام؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣١٧، عن المجتبى و الباقر عليهما السّلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٤٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٧٢، و فيه: «يطرفوها». طرف بصره: اطبق احد جفنيه على الآخر. القاموس المحيط ٣: ١٧٢ (طرف).
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٦٣؛ و الكشّاف ٢: ٣٨٢
٥ و ٦ ـ القمّي ١: ٣٧٢

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾: و مكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه، أو عنده ما يَمْكُرُهم به جزاءً لمكرهم ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ في العِظَمِ و الشّدّة. القمّي: مكر بني فلان[١].

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ لاوليائه من أعدائه.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: «يعني بأرضٍ لم تكسب[٢] عليها الذّنوب، بارزةً ليس عليها جبال و لا نبات، كما دحاها أوّل مرّة»[٣]. و في رواية: «تبدّل[٤] الارض خبزةً نقيّةً يأكل النّاس منها حتّى يفرغوا من الحساب»[٥]. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ يعني: والسّماوات غير السّماوات. روي: «أرضاً من فضّة و سماوات من ذهب»[٦]. ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ لمحاسبته و مجازاته.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾. القمّي: مقيّدين بعضهم إلى بعض[٧]. قيل: لعلّ ذلك بحسب مشاركتهم في العقائد و الاخلاق و الاعمال[٨].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمصانُهم ﴿مِّن قَطِرَانٖ﴾ و هو ما يُطلَى به الإبل الجَرْبى، فيُحْرَقُ الجَرَبُ و الجِلْدُ، و هو أسود مُنتِنٌ يشتعل فيه النّار بسرعة. وورد: «هو الصُّفْرُ الحارّ الذّائب. يقول الله: انتهى حرّه»[٩]. اقول: بناءُ هذا الحديث على قراءة: «قِطْرٍ آنٍ»، فإنّ القِطْرَ: النُّحاسُ و الصُّفْرُ المذاب؛ و الآني: المتناهي حرُّه. ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٢ـ في المصدر: «لم تكتسب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٦، الحديث: ٥٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٤ـ في «الف»: «يتبدل».
٥ـ الكافي ٦: ٢٨٦ـ٢٨٧، الحديث: ١ و ٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ البيضاوي ٣: ١٦٤، عن عليّ عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٨ـ البيضاوي ٣: ١٦٤.
٩ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ اي: يفعل بهم ذلك ليجزي ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لأنّه لا يشغله حساب عن حساب. و قد مضى تفسيره[1].

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية لهم في الموعظة، لِيَنْصَحُوا ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

١ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢٠٢.

سورة الحجر

[مكيّة، وهي تسع وتسعون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من عندالله لايدخل الجنّة إلّا مسْلم، فيومئذ يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين»[2].

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنيا[3] ﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ﴾ عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، إذا عاينوا الجزاء.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾: اجل مقدّر كتب في اللّوح المحفوظ ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ عنه.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾. نادوه على سبيل التّهكّم والاستهزاء. ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾: لتقول قول المجانين، حين تدّعي ذلك.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في «ح»: «بدنياهم».

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ : هلاّ تأتينا ﴿بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليصدّقوك ويعضدوك ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ : بالحكمة والمصلحة ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ : مهلين. يعني لايمهلهم ساعة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾. ردّ لإنكارهم واستهزائهم. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التّحريف والتّغيير، والزّيادة والنّقصان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ : في فرقهم وطوائفهم. والشّيعة: الفرقة إذا اتّفقوا في مذهب وطريقة؛ من شاعهُ إذا تبعهُ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. حكاية حال ماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ نُدخلُ الذكر ونُنظّمهُ، مكذّباً به غير مقبول، كذا قيل[1]. وقيل: الضّمير للاستهزاء[2].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : بالذكر ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ اي: سنّة الله فيهم، بان خذلّهم وسلَكَ الكفر في قلوبهم؛ او بان اهلكهم حين كذّبوا رسلهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ : سُدّتْ من الإبصار بالسّحر، وخُيّلَ إلينا على غير حقيقة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحَرَنا محمّدٌ بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. قال: «البروج: الكواكب، والبروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والأسد والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان والعقرب والقوس والجدي والدّلو والحوت، وهي اثنى عشر برجاً»[3].

١ ـ الكشّاف ٢: ٣٨٨.

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣١؛ والبيضاوي ٣: ١٦٦

٣ ـ القمّي ٢: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

والقمّي: هي منازل الشّمس والقمر[١].

أقول: معنى البروج القصور العالية، سُمّيت الكواكب بها لأنّها للسيّارات كالمنازل لسُكّانها، واشتقاقه من التبرّج لظهوره. و ورد: «إنّ للشّمس ثلثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزاير العرب، تنزل كلّ يوم على برج منها»[٢].

أقول: وذلك لأنّ سير الشّمس يكون في كلّ برج من البروج الاثنى عشر ثلاثين يوماً تقريباً، فبهذا الاعتبار ينقسم كلّ منها إلى ثلاثين برجاً، فتصير ثلثمائة وستّين. ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال: «بالكواكب النيّرة»[٣].

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر أن يَصْعَدَ إليها، ويوسوس أهلها، ويتصرّف في أمرها، ويطّلع[٤] على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: اختلسه سرّاً ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين. والشّهاب: شُعْلة نارٍ ساطعة، وقد يُطْلَق للكوكب والسّنان لما فيهما من البريق.

قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السّماوات السّبع، فلمّا وُلدَ عيسى حُجبَ عن ثلاث سماوات، وكان يَخْتَرِقُ أربع سموات، فلمّا وُلدَ رسول الله ﷺ حُجبَ عن السّبع كلّها، ورُمِيَتْ الشّياطين بالنّجوم. وقالت قريش: هذا قيام السّاعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه. وقال عمرو بن أُميّة، وكان من أزجر[٥و٦] أهل الجاهليّة: أُنظروا هذه النّجوم الّتي يُهتَدَى بها و يُعْرف بها أزمان الشّتاء والصّيف، فإن كان يُرْمَى[٧] بها فهو هلاك

١ ـ القمّي ١: ٣٧٣.
٢ ـ الكافي ٨: ١٥٧، الحديث: ١٤٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «فتنزل».
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ في «الف»: «يتطلّع».
٥ ـ والزَّجْرُ: العيافة، وهو ضرب من التكهّن. الصّحاح ٢: ٦٦٨ (زجر).
٦ ـ في «الف». «أرجز».
٧ ـ في «ح» والمصدر: «رمي».

كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورُمي بغيرها فهو أمر حدث»[1] الحديث.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذّهب والفضّة، والجوهر والصُّفْر، والنّحاس والحديد، والرّصاص والكحل والزّرنيخ واشباه هذه، لاتُباع إلاّ وزناً»[2].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: وجعلنا لكم من لستّم له برازقين، من العيال والخدَم والمماليك والحيوانات، وساير ماتحسبون انّكم ترزقونهحسباناً كاذباً، فإنّ الله يرزقكم وإيّاهم.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. القمّي: الخزانة: الماء الّذي ينزل من السّماء، فينبت لكلّ ضَرْبٍ من الحيوان ماقدّر الله له من الغذاء[3].

اقول: هذا تمثيل للتّقريب من افهام الجمهور وتفسير في الظّاهر؛ وامّا في الباطن: فالخزائن عبارةٌ عمّا كتبه القلم الاعلى، اوّلاً: على الوجه الكلّي، في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل، الّذي منه يجري؛ ثانياً: على الوجه الجزئي، في لوح القدر الّذي فيه المحو و الإثبات، مدرّجاً على التّنزيل، ثمّ منه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة، وإليه أُشير ما ورد: «إنّ في العرش تمثال جميع ماخلَقَ الله من البرّ والبحر. قال: وهذا تاويل قوله تعالى: "وإنْ منْ شَيءٍ إلاّ عنْدَنا خزائنُه"»[4].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. القمّي: تلْقحُ الاشجار[5]. و ورد: «لاتسبّوا الرّيح، فإنّها

١ ـ الامالي (للصّدوق): ٢٣٥، المجلس الثّامن والاربعون، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ ـ القمّي ١: ٣٧٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ١: ٣٧٥.

٤ ـ روضة الواعظين: ٤٧، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه، عن جدّه عليهم السّلام، وفيه: «في البرّ والبحر».

٥ ـ القمّي ١: ٣٧٥.

بُشْر وإنّها نُذُر وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها»[١]. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ اي :نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السّماء وإنزاله منها.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾. القمّي: اي: نَرِثُ الارض ومَنْ عليها[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من هذه الأمّة»[٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ القمّي: الماء المتصَلْصِل بالطّين[٤]. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: متغيّر. وفي حديث خَلْق آدم: «فاغترف جلّ جلاله غرفةً من الماء فصلْصلها فجمدَتْ»[٥] الحديث.

والصّلصال: يقال للطّين اليابس الّذي يُصلصل، اي: يصوت إذا نقر وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخَ فهو فَخّار. والحَمَا: الطّين الاسود المتغيّر. والمسنون: يقال للمصوَّر، وللمصبوب المُفْرَغ، وللمنتن؛ كانّه أُفرِغَ الحَما فصُوِّرَ منها تمثال إنسانٍ اجوف، فيَبُسَ حتّى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثمّ غيّر فصيّر إنساناً.

﴿وَالْجَانَّ﴾ يعني ابا الجنّ ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشّديد النّافذ في المَسام[٦].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

١ ـ العيّاشي٢: ٢٣٩، الحديث: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي١: ٣٧٥.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٤٠، الحديث: ٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي١: ٣٧٥.
٥ ـ العيّاشي٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ ـ السَّمُّ: الثَّقْب، ومَسامُّ الجسد: ثُقَبه. الصّحاح٥: ١٩٥٣؛ ومصباح المنير١: ٢٩٤ (سمم).

مَّسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدّلتُ خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ حتّى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيّ. قال: «روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح، فنفخ منه في آدم»[١]. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ﴾. قال: «كان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم»[٢]. وقد سبق تفسيره في سورتي البقرة والأعراف[٣].

﴿فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وهو أخسّ العناصر، وخلقتني من نار وهي أشرفها، غرّته الحميّة وغلبت عليه الشّقوة. وقد سبق جوابه في الأعراف[٤].

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من المنزلة الّتي انت عليها في السّماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير والكرامة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾. فإنّه منتهى أمد اللّعن.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد أن يجد فُسْحَةً في الإغواء ونجاةً من الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. قال: «يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصّور نفخة

١ـ التّوحيد: ١٧٠، الباب: ٢٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فأمر فنفخ منه في آدم».
٢ـ علل الشرايع١: ١٠٥، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١؛ والقمّي١: ٣٧؛ والعيّاشي٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٣ـ البقرة، ذيل الآيات: ٣٠ إلى ٣٤؛ والأعراف، ذيل الآية: ١١ و١٢.
٤ـ الأعراف(٧): ١٢.

واحدة، فيموت إبليس مابين النّفخة الأُولى والثّانية»[١].

وفي رواية: «إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا، كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يَجثُوَ[٢] بين يديه على ركبتيه، فيقول: يا ويله من هذا اليوم! فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»[٣].

وفي أخرى: «يوم الوقت المعلوم: يوم يذبحه رسول الله ﷺ على الصّخرة الّتي في بيت المقدس»[٤].

أقول: يعني عند الرّجعة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: بسبب إغوائك إيّاي: وهو تكليفه إيّاه بما وقع في الغيّ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصتهم لطاعتك، وطهّرتهم من الشّوائب، فلا يَعْمَل فيهم كيدي.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾ أي: هذا طريق حقّ، عليَّ أن أراعيَهُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لاانحراف عنه، وهو أن لايكون لك سلطان على عبادي المخلصين. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عليٌّ» بالرّفع[٥]. وفُسّر بعلوّ الشّرف[٦]. وورد: «هذا صراط عليّ مستقيم»[٧]. و هذا يحتمل الإضافة أيضاً. وفي رواية: «هو أمير المؤمنين عليه السلام»[٨].

١ ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ جثا، يَجثُو: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. لسان العرب ١٤: ١٣١؛ ومجمع البحرين ١: ٨١ (جثا).
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ جوامع الجامع ٢: ٢٦٦؛ والكشّاف ٢: ٣٩١.
٧ ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٥.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾. قال: «قال الله إنّك لاتملك ان تُدْخلهُم جنّة ولانارًا»[١]. وقال: «والله ماأراد بهذا إلاّ الأئمة وشيعتهم»[٢]. ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. قال: «وقوفهم على الصّراط»[٣].

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾. القمّي: يدخل في كلّ باب اهلُ ملّة[٤]. وقد ورد تفصيل أصحاب الابواب في رواية ذكرناها في الصّافي[٥].

و ورد: «إنّ الأبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأُخرى، فقال: هكذا، وإنّ الله تعالى وضع الجنان على العرض، ووضع النّيران بعضها فوق بعض؛ فاسفلها جهنّم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السّعير، وفوقها الهاوية»[٦]. وفي رواية: «اسفلها الهاوية واعلاها جهنّم»[٧].

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾.

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ على إرادة القول.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾. القمّي: العداوة[٨]. قال: «انتم والله الّذين قال الله: "ونزعنا مافي صدورهم من غلّ"»[٩]. ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾.

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾: تعبٌ وعناء ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾.

١ ـ العيّاشي٢: ٢٤٢، الحديث: ١٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي٨: ٣٥، ذيل الحديث: ١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي١: ٣٧٦.
٥ ـ الصّافي٣: ١١٤؛ والخصال٢: ٣٦١، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله، عن ابيه، عن جدّه عليهم السّلام
٦ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣٨، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٧ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣٨، في رواية الكلبي.
٨ ـ القمّي١: ٣٧٧.
٩ ـ الكافي٨: ٢١٤، الحديث: ٢٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾: نُسلّمُ عليك سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون وذلك لأنّهم امتنعوا عن الاكل، كما سبق في سورة هود[1].

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ قال: «هو إسماعيل من هاجر»[2].

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ قال: «يعني قوم لوط»[3].

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقين مع الكفَرة لتَهلِكَ معهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ تُنكِرُكُمْ نفسي وتنفر عنكم، مخافة ان تطرقوني بشرّ.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: «من عذاب الله»[4].

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ قال: «لتنذر قومك العذاب»[5]. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ﴾: سِرْ ليلاً يا لوط ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ قال: «إذا مضى نصف

١ ـ ذيل الآية: ٦٩.
٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «قوم لوط».
٤ و ٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

الليل»[١]. ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: وكن على أثرهم لتكون عيناً عليهم، فلا يتخلّف أحدٌ منهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ماوراءه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث أُمرتم بالذّهاب إليه.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾. مبهمٌ يُفسّره مابعده ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾: آخرهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ يعني يستأصلون عن آخرهم، لايبقى منهم احد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصّبح.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سَدُوم[٢] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ باضياف لوط؛ طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ركوب الفاحشة ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولاتذلّوني، او ولاتُخجلوني.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قال: «ارادوا به النّهي عن ضيافة النّاس وانزالهم»[٣].

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾. قد سبق تفسيره في سورة هود[٤].

﴿لَعَمْرُكَ﴾ القمّي: اي: و حياتك يا محمّد. قال: فهذه فضيلة لرسول الله ﷺ على الانبياء[٥]. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لفي غوايتهم الّتي ازالت عقولهم يتحيّرون، فكيف يسمعون النّصح!

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صيحةُ جبرئيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشّمس.

١ ـ علل الشرايع٢: ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ سدوم، بفتح السّين: قرية قوم لوط عليه السلام، ومنها قاصي سدوم. الصّحاح٥: ١٩٤٩، مجمع البحرين٦: ٨٢ (سدم). وفي لسان العرب١٢: ٢٨٥: سَدُوم: مدينة بحمص.

٣ ـ علل الشرايع٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، نقلاً بالمضمون.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٨.

٥ ـ القمّي١: ٣٧٧.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: قلبنـا[1] القرية بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين، الّذين يتثبّتون في نظرهم، حتى يعرفوا حقيقة الشّيء بسمته. ورد: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[2]. وقال: «إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتّوسّم»[3].

وفي رواية: «ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس محجوباً عن الأئمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم، ثمّ ليس يدخل عليهم احد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه النّاس لم يندرس بعد، وهم يُبصرون تلك الآثار؛ وهو تنبيه لقريش، كقوله: "وإنّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيهِمْ مُصْبِحِينَ". كذا قيل[5]. و ورد: «نحن المتوسّمون، والسّبيل فينا مقيم»[6]. القمّي: والسبيل طريق الجنّة[7].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ﴾: وإنّه كان ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ يعني الغيضة، وهي الشّجرة المتكاثفة

١ ـ في «الف»: «عليا».
٢ ـ الكافي١: ٢١٨، الحديث: ٣؛ وبصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ٤و١١، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام٢: ٢٠٠، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومعاني الأخبار: ٣٥٠، ذيل الحديث: ١، عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ مجمع البيان٥ ـ ٦: ٣٤٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٥ ـ الكشّاف٢: ٣٩٢. والآية في سورة الصّافات(٣٧): ١٣٧.
٦ ـ لعيّاشي٢: ٢٤٧، الحديث: ٢٩؛ والكافي١: ٢١٨، باب أنّ المتوسّمين ... هم الأئمّة، الحديث: ١و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ القمّي١: ٣٧٧.

﴿لَظَٰلِمِينَ﴾. قال: «هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه؛ فأهلكوا بالظّلّة»[1].

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني سدوم والايكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريق واضح يأمّ ويتّبع ويهتدى به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني ثمود كذّبوا صالحاً. والحجر: واديهم، وهو مابين المدينة والشّام، وكانوا يسكنونها.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ كالنّاقة و سقيها وشربها ودرّها ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فلا يُلائم استمرار الفساد ودوام الشرّ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء، وإزاحة فسادهم من الارض. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها ممّن كذّبك ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾. قال: «يعني العفو من غير عتاب»[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم، وبيده أمرك وامرهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم؛ فهو حقيق بأن تكل إليه، ليحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾. قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنّما سمّيت المثاني لأنّها تثنّى في الرّكعتين»[3]. وفي رواية:

١ ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّها ليست برواية، ويحتمل ان تكون كلمة «قال» تصحيف «قيل»، وهذا القول بنصّه من البيضاوي في تفسيره٣: ١٧٣. ويؤيّده مافي البحار١٢: ٣٨٢ نقلاً عن البيضاوي، ويؤيّده ايضاً مافي الصافي٣: ١١٩ بأنّ المصنّف لم يذكر كلمة «قال».

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٥٠.

٣ ـ العيّاشي١: ١٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه: «يثنى».

«تثنّى فيها القول»[١]. وفي رواية: «نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا ﷺ»[٢].

قيل: أي: نحن الّذين قرنتا النّبيّ إلى القرآن، وأوصى بالتّمسّك بالقرآن وبنا، وأخبر أمّته انّا لانفترق حتّى نَرِدَ حوضه[٣].

أقول: لعلّهم إنّما عُدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم؛ فإنّها سبعة، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثّناء، وأن يجعل من التّثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر، بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتّغاير الاعتباري بين المعطى والمعطى له. ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لاتطمَحْ ببصرك طُمُوحَ راغبٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفّار، فإنّه مستحقر في جنب ماأوتيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضعْ لِمَنْ معك من المؤمنين، وارفُقْ بهم، وطِبْ نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

ورد: «من أوتي القرآن فظنّ انّ أحداً من النّاس أوتي أفضل ممّا أوتي، فقد عظّم ماحقّر الله، وحقّر ماعظّم الله»[٤].

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. قيل: أي: أنزلنا عليك مثل ماأنزلنا على اليهود والنّصارى، الّذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء، وقالوا لعنادهم: بعضُه حقٌّ موافقٌ

١ـ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه: «يثنى».
٢ـ التّوحيد: ١٥٠، الباب: ١٢، الحديث: ٦؛ والقمّي ١: ٣٧٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث ٣٣، ٣٦، عن أبي جعفر ﷺ. وفي العيّاشي: «نحن المثاني الّتي أعطى نبيّنا».
٣ـ التّوحيد: ١٥١، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ٦.
٤ـ الكافي ٢: ٦٠٤، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله ﷺ عن رسول الله ﷺ.

للتّوراة او الإنجيل، وبعضُه باطل مخالف له، فاقتَسَمُوه إلى حقٍّ وباطل[١]. وقيل: مثل العذاب الّذي أنزلنا عليهم[٢]. والقمّي: قسّموا القرآن ولم يألّفوه على ماأنزل الله[٣].

وورد: «هم قريش»[٤].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فنجازيهم عليه.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهَر به واظهِره ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فلاتلتفت إلى مايقولون.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بقمعهم وإهلاكهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة امرهم. قال: «اكتتم رسول الله ﷺ مختفياً خائفاً خمس سنين ـ وفي رواية: «ثلاث سنين»[٥] ـ ليس يظهر امره، وعليّ عليه السلام معه وخديجة، ثمّ امره الله ان يصدع بما أُمر فظهر، فاظهر امره»[٦].

وقال: «كان المستهزؤن برسول الله ﷺ خمسة: الوليدبن المغيرة، والعاص بن وائل، والاسودبن المطّلب، والاسودبن عبد يَغوث، والحارث بن طُلاطِلَة الخُزاعي، فقتل الله خمستهم، كلّ واحد منهم بغير قتلة صاحبه، في يوم واحد. قال: وذلك انّهم كانوا بين يديه. فقالوا له: يا محمّد ننتظر بك إلى الظّهر، فإن رجعت عن قولك وإلاّ قتلناك، فدخل منزله فاغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم، فاتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا

١ ـ الكشّاف٢: ٣٩٨.
٢ ـ البيضاوي٣: ١٧٤.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٧، وفيه: «على ماانزله الله».
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٥١ ـ ٢٥٢، الحديث: ٤٣، عن احدهما عليهما السّلام، والحديث: ٤٤، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السّلام.
٥ ـ كمال الدّين٢: ٣٤٤، الباب: ٣٣، الحديث: ٢٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ المصدر، الحديث: ٢٨، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «بمكّة مختفياً ... فظهر رسول الله ﷺ واظهر امره».

محمّد. السّلام يقرئك السّلام وهو يقول: "اصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وأعرِضْ عنِ المُشركينَ". يعني أظهر أمرك لأهل مكّة، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وماأوعدوني[1]؟ قال له: "إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهزِئينَ". قال: يا جبرئيل كانوا السّاعة بين يديّ. قال: قد كُفيتَهُم. فاظهر امره عند ذلك»[2].

والقمّي: بعد ماذكر كيفيّة كفايتهم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معشر العرب ادعوكم إلى شهادة ان لاإله إلاّ الله وانّي رسول الله، آمركم بخلع الأنداد والاصنام، فاجيبوني تملكوا به العرب، ويَدِنْ لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة. فاستهزؤوا منه وقالوا: جُنَّ محمّدبن عبدالله، ولم يجسروا عليه لموضع ابي طالب[3].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطّعن فيك وفي القرآن، وفي رواية: «يعني فيما يذكره في فضيلة وصيّه»[4].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: فافْزَعْ إلى الله فيما نابك بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة، يكْفِكَ الهمّ[5] ويكشف عنك الغمّ.

ورد: «كان رسول الله ﷺ إذا حزنه[6] امر فزع إلى الصّلاة»[7].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ اي: الموت، يعني مادمت حيّاً.

١ـ في «الف»: «اوعدوا فيّ».
٢ـ الاحتجاج١: ٣٢١ـ٣٢٢، في حديث طويل عن امير المؤمنين عليه السلام. وانظر: العيّاشي٢: ٢٥٢، الحديث: ٤٦؛ والقمّي١: ٣٧٨؛ والخصال١: ٢٧٨ـ٢٧٩، الحديث: ٢٤ـ٢٥.
٣ـ القمّي١: ٣٧٨، وفيه: «تملكوا بها العرب وتدين ...».
٤ـ الكافي١: ٢٩٤، الحديث: ٣، في حديث طويل، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»و«ج»: «المهمّ».
٦ـ في «ج» والكشّاف: «إذا حزبه»، اي: إذا نزل به مُهِمٌّ او اصابه غمٌّ. النّهاية١: ٣٧٧(حزب).
٧ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٤؛ والكشّاف٢: ٣٩٩.

سورة النّحل

[مكيّة، و هي مائة وثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. القمّي: نزلت لمّا سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم العذاب[2]. و ورد: «إذا أخبر الله أنّ شيئاً كائن، فكأنّه قد كان»[3].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. قيل: وكانوا يقولون: إن صحّ ماتقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه، فنزلت يعني: تبرّأ وجلّ أن يكونَ له شريكٌ، فيدفع ما أراد بهم[4].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾: بما تحيا به القلوب الميّتة بالجهل. قال: «بالكتاب والنّبوّة»[5]. وفي رواية: «جبرئيل الّذي نَزَلَ على الأنبياء، والرّوح يكون معهم ومع الأوصياء لايفارقهم، يفقّههم ويسدّدهم من عندالله»[6]. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من ملكوته

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب»
٢ ـ القمّي ١: ٣٨٢.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؑ، وفيه. «إنّ الله إذا أخبر ...».
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٧٥.
٥ ـ القمّي ١: ٣٨٢، عن أبي جعفر ؑ.
٦ ـ بصائر الدّرجات: ٤٦٣، الحديث. ١، عن أبي جعفر ؑ، مع تفاوت يسير في العبارة.

﴿ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ بأن أعلموا؛ من أنذرت بكذا، إذا أعلمته.

﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ ﴾: الازواج الثمانية ﴿ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾. القمّي: ماتستدفؤون به، ممّا يتّخذ من صوفها ووبرها[1] ﴿ وَمَنَٰفِعُ ﴾: نسلها و درّها وظهورها، وإثارة الأرض ومايعوّض بها ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾: زينة ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾: تَرُدُّونها من مراعيها إلى مَراحها بالعشيّ ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾: تخرجونها بالغداة إلى المَرْعَى، فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين، ويجلّ أهلها في أعين النّاظرين إليها. وتقديم الإراحة، لانّ الجمال فيها اظهر، فإنّها تُقبِلُ مَلاءَ البطون، حَافِلَةَ الضّروع[2]، ثمّ تأوي إلى الحَظَائر[3] حاضرة[4] لأهلها.

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ إن لم تكن، فضلاً عن أن تحملوها على ظهوركم إليه ﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾: إلاّ بكُلفة مشقّة ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. القمّي: من العجائب الّتي خلقها الله في البرّ والبحر[5].

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾: هداية الطّريق المستقيم، الموصل إلى الحقّ ﴿ وَمِنْهَا

١ـ القمّي ١: ٣٨٢.
٢ـ ضَرْعٌ حَافِلٌ، أي: ممتلئٌ لبناً. الصحاح ٤: ١٦٧١، (حفل).
٣ـ الحظيرة: الموضع الّذي يحاط عليه، لتأوي إليه الماشية، فيقيها البرد والرّيح. راجع. الصّحاح ٢: ٦٣٤؛ ومصباح المنير ١: ١٧٣؛ ولسان العرب: ٤: ٢٠٣ (حظر).
٤ـ في «ألف»: «خاصرة». شابٌ أخضر وفلان أخضر أي: كثير الخير. أساس البلاغة: ١٦٦ (حضر).
٥ـ القمّي ١: ٣٨٢.

﴿جَآئِرٌ﴾: حائد[1] عن القصد ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى القصد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون مواشيكم.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بأن هيّأها لمنافعكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. جَمَعَ الآيات هنا، وذَكَرَ العقل من دون الفكر، لانّ في الآثار العُلْويَّة انواعاً من الدّلالة الظّاهرة للعقلاء على عظمة الله.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: وسخّر لكم ماخلَقَ لكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعدن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ اي: اصنافه، فإنّها تـتخالف باللّون غالباً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: ذلّله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به، بالركوب والاصطياد والغوص ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السّمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللّؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري فيه تشقّه بحَيازيمها[2]، من المَخْر وهو شقّ الماء وقيل: صوت جَرْيِ الفُلك[3]. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من سعة رزقه بركوبها للتّجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تعرفون نعمة الله، فتقومون بحقّها.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة ان تميل بكم وتضطرب. ورد: «إنّ الله جعل الأئمّة أركان الأرض ان تميد بأهلها»[4]. ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا

١ ـ حَادَ عن الشّيء: تَنحّى وبَعُدَ. مصباح المنير١: ١٩٤(حاد).
٢ ـ الحَيزُوم: وَسَطُ الصَّدر. الصّحاح٥: ١٨٩٩(حزم).
٣ ـ الكشّاف٢: ٤٠٤، عن الفرّاء.
٤ ـ الكافي١: ١٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و١٩٨، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ هي معالم الطّرق ممّا يستدلّ به المارّة: من جبل ومنهل[1] وغير ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ باللّيل في البراري والبحار. قال: «هو الجدي لأنّه نجم لايزول، وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر»[2].

و ورد في أخبار كثيرة: «نحن العلامات، والنّجم رسول الله»[3].

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ يعني الاصنام ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لاتضبطوا عددها، فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها ﴿رَحِيمٌ﴾: لايقطعها لتفريطكم فيه، ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم؛ وهو وعيد.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هم أو عبدتهم.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قال: «يعني الرّجعة»[4]. ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾. قال: «يعني كافرة»[5]. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأباطيلهم. قال: «يعني سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم»[6].

١ ـ المَنْهلُ: المَشرَب، والشُّرب، والموضع الّذي فيه المَشرب. القاموس المحيط ٤: ٦٣ (نهل).
٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٢، عن امير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ والقمّي ١: ٣٨٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ١: ٣٨٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٧، ذيل الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك، ليضلّوا النّاس، ويحملوا أوزار ضلالتهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «ليستكملوا الكفر ليوم القيامة»[1]. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ وبعض أوزار من أضلّوهم. قال: «يعني كفر الّذين يتولّونهم»[2]. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يعني يضلّون من لايعلم أنّهم ضلال. وإنّما لم يعذر الجاهل لانّ عليه ان يبحث وينظر بعقله، حتّى يميز بين المحقّ والمبطل. ورد: «أيما داع[3] إلى ضلالة فاتّبع عليه، فإنّ عليه مثل أوزار من تبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم»[4]. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من الاساطين الّتي بنوا عليها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا تمثيل لاستيصالهم بمكرهم. والمعنى انّهم سوّوا منصوبات ليمكروا الله بها، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمّدوه بالاساطين، فاتى البنيان من جهة الاساطين؛ بان ضعضعت[5] فسقط عليهم السّقف وهلكوا. وفي المثل: من حفر لاخيه جبّاً، وقع فيه منكبّاً.

قال: «فإتيانه بنيانهم من القواعد: إرسال العذاب»[6].

وفي قراءتهم عليهم السّلام: «فاتى الله بيتهم»[7]. قال: «يعني بيت مكرهم»[8]. وفي رواية: «كان بيت غدر، يجتمعون فيه إذا أرادوا الشرّ»[9]. وفي أخرى: «أي: ماتوا

١ و٢ - العيّاشي٢: ٢٥٧، الحديث: ١٦و١٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ - في المصدر: «أيّما داع دعا».
٤ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ - ضَعْضَعَهُ، اي: هدمه حتّى الارض. الصّحاح٣: ١٢٥٠ (ضعع).
٦ - التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه «إرسال العذاب عليهم».
٧ - العيّاشي٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠و٢١؛ وجوامع الجامع٢: ٢٨٤، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان٥-٦: ٣٥٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.
٨ - العيّاشي٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ - المصدر، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

فالقاهم الله في النّار. قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد[1] عليه وعليهم السّلام.

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾: يذلّهم ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: ملائكة العذاب ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ بان عرّضوها للعذاب المخلّد. ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾: فسالموا واخبتوا[2] حين عاينوا الموت ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾. جحدوا ماعملوا. ﴿ بَلَى ﴾ ردّ عليهم أولوا العلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ كلّ صنف بابها المعدّ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ اطبقوا الجواب على السّؤال معترفين بالإنزال، بخلاف الجاحدين إذ قالوا: "أساطيرُ الأوّلين"[3] . ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾: مكافاة في الدّنيا ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾. ورد: «عليكم بتقوى الله، فإنّها تجمع الخير ولاخير غيرها، ويدرك بها من الخير مالايدرك بغيرها من خير الدّنيا والآخرة. قال الله تعالى: "وقيلَ للّذينَ اتّقَوا" وتلا هذه الآية»[4]. وفي رواية: «"ولَنعمَ دارُ المتّقين": الدّنيا»[5].

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: ملائكة الرّحمة ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ ببشارتهم إيّاهم بالجنّة

١ـ القمّي١: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ اخبت: خشع وتواضع. القاموس المحيط١: ١٥٢(خبت).
٣ـ الآية: ٢٤، من هذه السّورة.
٤ـ الامالي (للشيخ الطّوسي)١: ٢٥، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «من خير الدّنيا وخير الآخرة»
٥ـ العيّاشي٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: سلامة لكم من كلّ سوء ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر[1] الّذين لايؤمنون بالآخرة ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة العذاب لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القمّي: من العذاب والموت وخروج القائم عليه السلام[2]. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه. القمّي: من العذاب في الرّجعة[3].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: يبعثهم ليبيّن لهم ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحقّ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾. قال: «ماتقول في هذه الآية؟ فقيل: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله لايبعث الموتى، فقال: تبّاً لمن قال هذا، سلْهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللاّت والعزّى؟ ثمّ قال: لو قد قام قائمنا، بعث الله قوماً من شيعتنا قَبائع[4] سيوفهم على عواتقهم، فيبلُغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا،

١ـ في «ب»: «هل ينتظرون».
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٨٥.
٤ـ في الكافي: «قُباع». قبيعة السّيف ونحوه: ماعلى طرف مقبضه من فضّة أو حديد. يقال: ما أحسن قبائع سيوفهم. أقرب الموارد ٣: ٥٦٠ (قبع).

فيقولون: بعث فلان وفلان[١] من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا، فيقولون: يا معشر الشّيعة ماأكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ماعاش هؤلاء، ولايعيشون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم»[٢]. وفي معناه اخبار أُخر[٣].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. بيان لإمكان البعث في عالم القدرة.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: في حقّه ولوجهه ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾. قيل: هم رسول الله ﷺ والمهاجرون، ظلمهم قريش، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، او المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ من اصحابه[٤]. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مباءة[٥] حسنة، وهي المدينة حيث آواهم الانصار ونصروهم؛ او نبوئة حسنة. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «لنثوّئنّهم»[٦] بالثّاء المثلّثة، يعني لننزلنّهم في الدّنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على اهل مكّة الّذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى اهل المشرق والمغرب[٧]. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممّا تعجّل لهم في الدّنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى الكفّار ومفارقة الوطن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: ردّ لقولهم: الله أعظم من أن يرسل إلينا بشراً مثلنا[٨]. وقد سبق بيان الحكمة فيه في سورة الأنعام[٩] عن رسول الله ﷺ.

١ـ في الكافي: «بعث فلان وفلان وفلان».
٢ـ الكافي٨: ٥١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٨؛ والقمّي١: ٣٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ البيضاوي٣: ١٨١؛ والكشّاف٢: ٤١٠.
٥ـ المباءة: المنزل. والباءة هو الموضع الّذي تبوء إليه الإبل، ثمّ جعل عبارةً عن المنزل. القاموس المحيط١: ٩؛ والمصباح المنير١: ٨٤(باء).
٦ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦١؛ والكشّاف٢: ٤١٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «على أهل الشّرق والغرب».
٨ـ البيضاوي٣: ١٨٢.
٩ـ ذيل الآية: ٩.

ولعلّه أشير إلى ذلك بقوله: "فَسْئَلوا أهلَ الذِّكْرِ" يعني وجه الحكمة فيه. ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال: «رسول الله ﷺ الذّكر، وأهل بيته المسؤولون، وهم أهل الذّكر»[1].

«قال الله تعالى: "قَدْ أنزَلَ اللهُ إِلَيكُم ذِكراً. رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيكُم آيَاتِ الله". فالذّكر رسول الله، ونحن أهله»[2].

و في رواية: «الذّكر القرآن، وأهله آل محمّد، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهّال. وسمّى الله القرآن ذكراً، فقال: "وَأنزَلْنا إليكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِم"»[3].

وفي أخرى: «قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أهل الذّكر اليهود والنّصارى، فقال: إذا يدعونكم إلى دينهم»[4].

[أقول: هذه الأخبار لاتلائم أن يكون "وماأرسلنا" ردّاً لقول المشركين؛ إلاّ أن يكون "فاسئلوا" كلاماً مستأنفاً، أو يكون المسئول عنه بيان الحكمة فيه][5].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: أرسلنا هم بالمعجزات والكتب؛ كأنّه جواب قائل: بِمَ أرسلوا؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾. سمّي القرآن ذكراً، لأنّه موعظة وتنبيه. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ممّا أمروا به ونهوا عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة أن يتأمّلوا فيه، فيتنبّهوا للحقايق والمعارف.

١ ـ الكافي ١: ٢١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وراجع: العيّاشي ٢: ٢٦٠، الحديث، ٣٢؛ والقمّي ٢: ٦٨، ذيل الآية: ٧ من سورة الأنبياء، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١. والآية في سورة الطّلاق (٦٥): ١٠ـ١١.

٣ ـ بصائر الدّرجات: ٤١، الباب: ١٩، الحديث: ١٩؛ والكافي ١: ٢٩٥، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٦٠، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير.

٥ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ إذا جاؤوا وذهبوا في متاجرهم وأعمالهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ القمّي: على تيقّظ[1]. و ورد: «هم أعداء الله، وهم يمسخون ويقذفون ويسيحون[2] في الارض»[3]. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث[4] لايعاجلهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: مستسلمين له منقادين ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون لافعال الله فيها. القمّي: تحويل كلّ ظلّ خلقه الله، هو سجود لله[5]. قيل: ويجوز ان يكون المراد بقوله "وهم داخرون" انّ الاجرام انفسها أيضاً داخرة صاغرة منقادةلله سبحانه فيما يفعل فيها، ولمّ كان الدّخور من صفات العقلاء جمع بالواو والنّون[6].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾. الدّبيب هو الحركة الجسمانيّة، سواء كانت في أرض أو سماء. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ مّن لامكان له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: يخافونه وهو فوقهم بالقهر: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[7]. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قال: «إنّ لله ملائكة في السّماء السّابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة،

١ـ القمّي١: ٣٨٦.
٢ـ في «الف» و«ج»: «يسخرون».
٣ـ العيّاشي٢: ٢٦١، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «الف»: «يعني».
٥ـ القمّي١: ٣٨٦.
٦ـ الكشّاف٢: ٤١٢؛ والبيضاوي٣: ١٨٢.
٧ـ الانعام(٦): ١٨و٦١.

ترعد فرائصهم[١] من مخافة الله، لاتقطر دموعهم[٢] قطرة إلاّ صار مَلكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ماعبدناك حقّ عبادتك»[٣]. وقد سبق في سورة الرّعد[٤] كلام في معنى سجود كلّ شيء.

قال بعض أهل المعرفة: إنّ في أمثال هذه الآيات دلالة على انّ العالَم كلّه في مقام الشّهود والعبادة، إلاّ كلّ مخلوق له قوّة التّفكّر، وليس إلاّ النّفوس الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة، من حيث أعيان انفسهم لامن حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم، كساير العالَم في التّسبيح له والسّجود، فاعضاء البدن كلُّها مسبِّحةٌ ناطقةٌ، الا تراها تشهد على النّفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والايدي والارجل والالسنة والسّمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير[٥].

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. اكّد العدد في الموضعين دلالةً على العناية به. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ كانّه قيل: وأنا هو فإيّاي فارهبون لا غير.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطّاعة ﴿وَاصِبًا﴾ قال: «واجباً»[٦].

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. قال: «من لم يعلم ان لله عليه نعمة إلاّ في مطعم أو ملبس، فقد قصر عمله ودنا عذابه»[٧]. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ فما تتضرّعون إلاّ إليه، والجُؤار: رفع الصّوت بالدّعاء والاستغاثة.

١ ـ الفَريصةُ: لحمة عند نُغْض الكتف، في وسط الجنب، عند مَنْبِض القلب؛ وهما فَريصتان تَرتَعِدان عند الفزع. وقال أبو عبيد: الفَريصةُ: المُضغةُ القليلة، تكون في الجَنب، تُرْعَد من الدّابّة إذا فَزِعَت. وقال ايضاً: هي اللّحمة الّتي بين الجنب والكتف، الّتي لاتزال تُرعَد من الدّابّة. وقيل: جَمعها: فَريصٌ وفَرائصُ. لسان العرب٧: ٦٤(فرص)

٢ ـ في المصدر: «لاتقطر من دموعهم».

٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦٥، عن النّبي ﷺ.

٤ ـ ذيل الآية: ١٥.

٥ ـ اسرار الآيات(لصدر المتألّهين): ٨١ـ٨٢؛ ولطائف الإشارات(للإمام القشيري)٢: ٣٠٠

٦ ـ العيّاشي٢: ٢٦٢، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

٧ ـ القمّي١: ٣٨١؛ والامالي(للشّيخ الطوسي)٢: ١٠٥، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنّهم قصدوا بشركهم كفران النّعمة وإنكار كونها من الله. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. تهديد ووعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: لآلهتهم الّتي لاعلم لها، أو لاعلم لهم بها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزّروع والأنعام. القمّي: كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم وإبلهم وغنمهم، فردّ الله عليهم[1]. ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنّها آلهة وأنّها أهل للتقرّب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾. القمّي: قالت قريش الملائكة هم بنات الله[2]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾. تنزيه له من قولهم أو تعجّب منه. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: أخبر بولادتها ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة[3] والحياء من النّاس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ مُحدّثاً نفسه متفكّراً في أن يتركه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذُلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: يُخفيه فيه ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد، ماهذا محلّه عندهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة السّوء وهي الحاجةُ إلى الولد، والاستظهارُ بالذّكور، وكراهةُ الإناث، ووأدُهن[4] خشيةَ الإملاق والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهي صفات الإلهية والغنى عن الصّاحبة والولد، والنّزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرّد بكمال القدرة والحكمة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على

١ ـ القمّي١: ٣٨٨. في «ب»: «فردّ الله إليهم».
٢ ـ المصدر؛ وفيه: «انّ الملائكة».
٣ ـ كئبَ يَكْأَبُ ـ من باب: تَعِبَ ـ كآبةً وكأْباً وكَأْبَةً: حزنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير٢: ٢٣٧(كئب)
٤ ـ وأدْابنته: دفنها في القبر وهي حيّة. الصّحاح٢: ٥٤٦(وأد).

الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ بشؤم ظلمهم؛ أو من دابّة ظالمة ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: مايكرهونه لأنفسهم من البنات، وأراذل الأموال والشّركاء في الرّياسة، والاستخفاف بالرّسل ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ مع ذلك. والقمّي يقول: ألستهم الكاذبة[1]. ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: عندالله، كقول قائلهم: "وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ"[2]. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾. ردّ لكلامهم وإثبات لضدّه ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مقدّمون إلى النّار معجّلون. القمّي: معذّبون[3].

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فاصرّوا على قبائحها، وكفروا بالمرسلين ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾: قرينهم او ناصرهم. يعني: لاناصر لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من المبدأ والمعاد، والحلال والحرام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بسمع باطنهم وقلبهم، ويختصّ بـ"مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[4].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾. تذكير الضّمير هاهنا باعتبار اللّفظ، وتانيثه في المؤمنين باعتبار المعنى؛ لكونه اسم جمع. ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ يكتنفانه ﴿ خَالِصًا ﴾: صافياً لايستصحبه لون الدّم ولارائحة الفرث، ولايشوبانه شيئاً

١ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٢ ـ فصّلت (٤١): ٥٠.
٣ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٤ ـ ق (٥٠): ٣٧.

﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: سهلَ المرور في حلقهم. ورد: «ليس أحد يغصّ بشرب اللّبن، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: "لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين"»[1].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾. قيل: خمراً[2]. والقمّي: الخلّ[3]. وورد: «نزلت قبل آية التّحريم فنسخت بها»[4].

أقول: وفيه دلالة على أنّ المراد به الخمر، وقد جاء بالمعنيين جميعاً. وعلى إرادة الخمر لايستلزم حلّها في وقت، لجواز أن يكون عتاباً ومنّةً قبل بيان تحريمها. ومعنى النّسخ نسخُ السّكوت عن التّحريم. وفي مقابلتها بالرّزق الحسن، تنبيه على قبحها.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتّمر والزّبيب والدّبس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ قال: «وحي إلهام»[5].

أقول: يعني ألهمها وقذف في قلوبها، فإنّ في صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها ودقيق نظرها، شواهدَ بيّنةً على أنّ الله سبحانه أودعها علماً بذلك.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يعرش النّاس من كرْم أو سقف.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كلّ ثمرة تشتهيها، حلْوها ومرّها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾: الطّرق الّتي ألهمكِ في عمل العسل ﴿ذُلُلًا﴾: مذلّلة، ذلّلها وسهّلها لكِ؛ أو أنت منقادة لما أُمرتِ به ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل فإنّه ممّا يشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أبيض وأصفر وأحمر وأسود ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾. قال: «العق

١ـ الكافي٦: ٣٣٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٠؛ والكشّاف٢: ٤١٧؛ والبيضاوي٣: ١٨٥.
٣ـ القمّي١: ٣٨٧.
٤ـ العيّاشي٢: ٢٦٣، ذيل الحديث: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وآية التّحريم في سورة المائدة(٥): ٩٠.
٥ـ القمّي١: ٣٨٧؛ والعيّاشي٢: ٢٦٣، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «قال: إلهام».

العسل شفاء من كلّ داء، ثمّ تلاهذه الآية»[١]. وفي رواية مامعناه: «النّحل: الأئمّة، والجبال: العرب، والشّجر: العجم، وممّا يعرشون: الموالي، والشّرابُ المختلف الوانه: العلمُ الّذي يخرج منهم»[٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: اخسّه واحقره، يعني الهرم الّذي يشابه الطّفوليّة في نقصان القوّة والعقل. قال: «هو خمس وسبعون سنة»[٣]. وفي رواية: «المائة»[٤]. وفي أخرى: «أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين»[٥]. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. القمّي: إذا كبر لايعلم ماعلمه قبل ذلك[٦]. وفي حديث الأرواح ذكر هذه الآية، ثمّ قال: «فينتقص[٧] منه جميع الأرواح، وليس بالّذي يخرج من دين الله، لانّ الفاعل به ردّه إلى ارذل عمره، فهو لايعرف للصّلاة وقتاً، ولايستطيع التّهجّد باللّيل ولا بالنّهار، ولاالقيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس يضرّه شيئاً»[٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما ينبغي ويليق بكم من مقادير الاعمار ﴿قَدِيرٌ﴾ على ان يعمّركم بذلك.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غنيّ ومنكم فقير، ومنكم موالٍ يتولّون رزقهم ورزقَ غيرهم، ومنكم ماليك على خلاف ذلك. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

١ ـ الكافي ٦: ٣٣٢، الحديث: ٢؛ والخصال ٢: ٦٢٣، ذيل الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ ـ القمّي ١: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وانظر العيّاشي ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، الحديث: ٤٣ و٤٤.
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٧٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي الكشّاف ٢: ٤١٨، والدّرّ المنثور ٥: ١٤٦، عن عليّ عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٧٨، عن أبي عبدالله، عن ابيه عليهما السّلام؛ والخصال ٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ خصال ٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ القمّي ١: ٣٨٧.
٧ ـ في المرجع: «فهذا ينتقص» وفي «ب»: «فينقص».
٨ ـ الكافي ٢: ٢٨٣، ذيل الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ ﴾ : بمعطي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ : على مماليكهم ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ . قيل : معناه أنّ الموالي والمماليك، الله رازقهم جميعاً، فهم في رزقه سواء [١] ، فلا يَحْسبُ الموالي أنّهم يرزقون المماليك من عندهم، وإنّما هو رزق الله، أجراه إليهم على أيديهم [٢] . وقيل : معناه : فلم يردّ الموالي فَضْلَ مارُزِقوه على مماليكم، حتّى يتساووا في المطعم والملبس [٣] . وقيل غير ذلك [٤] . والقمّي : لايجوز للرّجل ان يخصّ نفسه بشيء من الماكول دون عياله [٥] . ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ .

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ : من جنسكم لتانسوا بها، ولتكون اولادكم مثلكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ . قال: «الحفدة بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله ﷺ» [٦] . وفي رواية: «هم أُختان [٧] الرّجل على بناته» [٨] . وأصل الحافد: المسرع في الخدمة والطّاعة. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ : من اللّذائذ، اي: بعضها. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ . قيل: هو مايعتقدون من منفعة الاصنام وشفاعتها [٩] . ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث يضيفونها إلى الاصنام، او يحرّمون ما احلّ الله. وقيل: يريد بنعمة الله رسول الله والقرآن والإسلام [١٠] .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من مطر ﴿ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ من نبات ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ان يملكوه، او لااستطاعة لهم.

١ ـ في «ألف»: «فهم فيه سواء».
٢ ـ الكشّاف٢ : ٤١٩؛ وجوامع الجامع٢ : ٢٩٨.
٣ ـ جوامع الجامع٢ : ٢٩٨.
٤ ـ مجمع البيان٥ـ٦ : ٢٩٩؛ والكشّاف٢ : ٤١٩؛ والبيضاوي٣ : ١٨٧.
٥ ـ القمّي١ : ٣٨٧.
٦ ـ العيّاشي ٢ : ٢٦٤، الحديث : ٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الختن ـ بالتحريك ـ : كلّ من كان من قبل المرأة، مثل الاب والاخ، وهم الأُختان؛ هكذا عند العرب. وأمّا عند العامّة فَخَتَنُ الرجل: زوج ابنته. الصّحاح٥ : ٢١٠٧ (ختن).
٨ ـ مجمع البيان٥ـ٦ : ٣٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ ـ الكشّاف٢ : ٤١٩.
١٠ ـ جوامع الجامع٢ : ٢٩٩.

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾: تشركون به أو تقيسونه على شيء. قيل: كانوا يقولون: إنّ عبادة عبيد الملك أدخل في التّعظيم من عبادته[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ كنْهَ الأشياء، وضرب الأمثال ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ﴾. قيل: معناه إذا لم يستويا هذان مع تشاركهما في الجنسيّة والمخلوقيّة، فكيف يستوي الأصنامُ الّتي هي أعجز المخلوقات والغنيُّ القادر على كلّ شيء؟ ويجوز أن يكون تمثيلاً للكافر المخذول والمؤمن الموفّق؛ أو الجاهل والعالم المعلّم[2]. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ لايستحقّه غيره فضلاً عن العبادة، لأنّ النّعم كلّها منه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيضيفون النّعم إلى غيره ويشركون به.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾: وَلَدَ أخرس لايَفهَمُ ولايُفهِمُ ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ من الصّنائع والتّدابير لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقلٌ وعيالٌ ﴿عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾: على من يلي أمرَه ويعولُه ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثما يُرسلُهُ مولاه في أمر ﴿لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾: بنُجحٍ وكفاية مهم ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ ومن كان سليم الحواسّ نفّاعاً كافياً ذا رشد وديانة، فهو يامر النّاس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: وهو في نفسه على دين قويم وسيرة صالحة. وهذا المَثَل، مثل سابقه في الاحتمالات[3].

القمّي: الّذي يأمر بالعدل أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم[4].

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: ماغاب منهما ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في سرعته

١ و ٢ ـ البيضاوي ٣: ١٨٧.
٣ ـ قيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان: أحدهما: انّه مثل ضَرَبَهُ الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته، ومن لايؤمل منه؛ وأصل الخير كلّه من الله تعالى. فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة. والآخر. انه مَثَل للكافر والمؤمن؛ فالابكم الكافر، والّذي يأمر بالعدل المؤمن «عن ابن عبّاس» وقيل. إنّ الابكم أُبيّ بن خلف، ومن يامر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون «عن عطاء» وقيل إنّ الابكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي، وكان قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ «عن مقاتل» مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٧٥.
٤ ـ القمّي ١: ٣٨٧.

وسهولته ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ : كرجع الطَّرْف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ لأنّه يقع دفعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على أن يُحْيِيَ الخلائق دفعة، كما قدّر أن أحيا هم متدرّجاً.

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : كي تعرفوا ماأنعم الله عليكم، طَوْراً بعد طَوْر، فتشكروه.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنّ ثقل جسده يقتضي سقوطها، ولاعلاقَةَ فوقها ولادِعامَةَ تحتها تُمْسِكُها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ : موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني الخيَم والمضارب المتّخذة من الادم[1] والوبر والصّوف والشّعر ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ : تجدونها خفيفة، يخفّ عليكم حملُها ونقلُها ووضعُها وضربُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ : ترحالكم و سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ : نزولكم وحضركم ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ﴾ يعني ماللضّان ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني ماللإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعني ماللمعز ﴿أَثَٰثًا﴾ : مايلبس ويفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾ : ماينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشّجر والجبل والابنية وغيرها ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتّقون به حرّ الشّمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ :مواضع تسكنون بها؛ من الغيران والبيوت المنحوتة فيها. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ : ثياباً من القطن والكتّان والصّوف وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ،اكتفى بذكر أحد الضّدّين لدلالته على الآخر، ولانّ وقاية الحرّ كانت عندهم أهمّ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني الدُّروعَ والجواشن. والسِّربالُ يعمّ كلَّ مايلبس ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نِعَمِه الفاشية، فتؤمنون به وتنقادون لحكمه.

١ ـ أدم ـ بفتحتين وضمّتين ـ: الجلد المدبوغ. المصباح المير ١: ١٤ (أدم).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز»[1]. وفي رواية: قال: «يعني ولاية عليّ»[2].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يشهد لهم وعليهم؛ بالإيمان والكفر. قال: «لكلّ زمان وأمّة إمامٌ، يبعث كلّ أمّة مع إمامها»[3]. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، إذ لاعذر لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لاحجّة لهم ولاعذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يُسْتَرضَوْنَ. أي: لايقال لهم: أرضوا ربّكم؛ من العتبى وهو الرّضا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ ثقل عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الاصنام والشّياطين ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾: نعبدهم أو نطيعهم ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني كذبهم الّذين عبدوهم بإنطاق الله إيّاهم في أنّهم شركاء الله، وأنّهم عبدوهم حقيقة؛ وإنّما عبدوا أهواءهم، كقوله "كلاّ سيكفرون بعبادتهم"[4].

﴿وَأَلْقَوْا﴾: وألقى الّذين ظلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: الاستسلام لامره وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدّنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ لله[5] شركاء، وأنّهم ينصرونهم ويشفعون لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر.

١ ـ القمّي ١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ١: ٤٢٧، ذيل الحديث: ٧٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٧٨؛ والقمّي ١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مريم (١٩): ٨٢.
٥ ـ في «ألف»: «من دون الله».

القمّي: كفروا بعد النّبيّ وصدّوا عن الوصيّ[1]. ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ النّاس بصدّهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. سبق تفسيره في سورتي البقرة والنّساء[2]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ بياناً بليغاً. قال: «حتّى والله ماترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؛ إلاّ أنزله[3] الله فيه»[4]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾. قال: «العدل: الإنصاف، والإحسان: التّفضّل»[5]. ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وإعطاء الأقارب مايحتاجون إليه ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ماجاوز حدود الله ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ماينكره العقول ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: التّطاول[6] على النّاس بغير حقّ.

و ورد: في تأويله: «العدل: الشّهادتان»[7]. وفي رواية: «العدل: محمّد، والإحسان: عليّ، وإيتاء ذي القربى: مودّة الائمّة وإيتاؤهم»[8]. «والثّلاثة المنهيّ عنها: الاوّل والثّاني والثّالث»[9]. ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «جماع التّقوى في هذه الآية»[10].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ

١ـ القمّي ١: ٣٨٨، وفيه «وصدّوا عن أمير المؤمنين عليه السلام».
٢ـ البقرة(٢) ذيل الآية: ١٤٣؛ والنساء(٤) ذيل الآية: ٤١.
٣ـ في «الف»: «أنزل».
٤ـ الكافي ١: ٥٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ معاني الأخبار: ٢٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ تطاول عليه: اعتدى عليه. الرّائد ١: ٤٠٨ (طول).
٧ـ القمّي ١: ٣٨٨.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٥٩؛ و٢٦٨، الحديث: ٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ المصدر، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام. وراجع: القمّي ١: ٣٨٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٨، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ روضة الواعظين: ٤٣٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهداً ورقيباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: من بعد إحكام وفَتْلٍ ﴿أَنْكَاثًا﴾. جمع نكْث بالكسر، وهو ماينْكَثُ فَتْلُه.

قال: «الّتي نقضت غزلها، امرأةٌ من بني تيم بن مرّة، يقال لها: رَيطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن لويّ بن غالب، كانت حمقاء تغزل الشّعر، فإذا غزلته نقضته، ثمّ عادت فغزلته. فقال الله "كَالَّتي نقضت غزْلَها" الآية. قال: إنّ الله تبارك وتعالى امر بالوفاء ونهى عن نقض العَهْد، فضرب لهم مثلاً[١]».

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: دَغَلاً وخيانة ومكْراً وخديعة، وذلك لانّهم كانوا حين عهدهم يضمرون الخيانة، والنّاس يسكنون إلى عهدهم. والدَّخَلُ أن يكون الباطن خلاف الظّاهر، وأصله أن يدخل الشّيءَ مالم يكن منه. ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ يعني لاتنقضوا العهد بسبب أن يكون جماعة ـ وهي كَفَرة قريش ـ ازْيَدَ عدداً واوفرَ مالاً من أمّةٍ، يعني جماعة المؤمنين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: إنّما يختبركم بكونهم اربى، لِيَنْظُرَ اتوفون بعهدالله، أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم، وقلّة المؤمنين وضعفهم وفقرهم. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. وعيدٌ وتحذيرٌ من مخالفة الرّسول ﷺ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مُسلمةً مؤمنةً ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾. تصريح بالنّهي عنه بعد التّضمين، تأكيداً ومبالغة في قبح المنهيّ عنه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ عن محجّة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها، أي: فتضلّوا عن الرّشد بعد أن تكونوا على هدى ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ في الدّنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: بصدودكم أو صدّكم غيركم. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

١ ـ القمّي ١: ٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «نزلت هذه الآيات[1] في ولاية عليّ والبيعة له، حين أمروا بالتّسليم عليه بإمرة المؤمنين»[2].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: يعيش عيشاً طيّباً. قال: «هي[3] القناعة والرّضا بما قسم الله»[4]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: إذا اردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: فاسأل الله ان يعيذك من وَساوسه، لئلاّ يُوَسْوِسَك في القراءة. قال: «تقول: أستعيذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم»[5]. قال: «الرّجيم اخبث الشّياطين»[6].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. قال: «يسلّط والله من المؤمن على بدنه، ولا يسلّط على دينه»[7]. وفي رواية: «ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذّنوب وأشباه ذلك، فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم»[8].

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبّونه ويطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. قال: «يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم»[9].

١ ـ في «ب» والمصدر: «هذه الآية».
٢ ـ جوامع الجامع ٢: ٣٠٦، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكافي ١: ٢٩٢، الحديث. ١، مايقرب منه
٣ ـ في المصدر: «إنّها».
٤ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٨٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ المصدر، الحديث: ٦٧ـ٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث ٦٦، ما يقرب منه.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفي القمّي ١: ٣٩٠، مع اختلاف يسير.
٩ ـ الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنّسخ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من المصالح، فلعلّ مايكون مصلحةً في وقت يكون مفسدةً في آخر؛ وهو اعتراض. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ متقوّل[1] على الله تامر بشيء، ثمّ يبدو لك، فتنهى عنه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمة الأحكام.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾. قال: «هو جبرئيل والقدس الطّاهر»[2]. ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بما يرون في النّاسخ من الصّلاح والحكمة. قال: «هم آل محمّد»[3].

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحُكْمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يضيفون إليه التّعليم، ويميلون قولهم عن الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ غير بيّن. القمّي: هو لسان ابي فكيهة مولى ابن الحضرميّ، كان أعجميّ اللّسان، وكان قد اتّبع النّبيّ ﷺ وآمن به، وكان من اهل الكتاب، فقالت قريش: هذا والله يعلّم محمّداً، علّمه بلسانه[4]. ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: لايصدّقون[5] أنّها من عندالله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾. ردّ لقولهم: "إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ" ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. نزلت في عمّار بن ياسر حين أخذته كفّار مكّة فعذّبوه، حتّى أعطاهم بلسانه ماأرادوا، "وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ" «فقال له النّبيّ ﷺ عندها: يا عمّار إن عادوا فعُدْ، فقد أنزل الله عذرك،

١- تقوّل قولاً: ابتدعه كذباً. القاموس المحيط ٤: ٤٣ (قول).
٢ و٣- القمّي ١: ٣٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤- القمّي ١: ٣٩٠، وفيه: «هذا والله يعلّم محمّداً بلسانه».
٥- في «ألف»: «لايصدّقون بها».

وأمرك أن تعود إن عادوا». كذا ورد[١]. ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ : اعتقده وطاب به نفساً. القمّي: هو عبدالله بن أبي سرح[٢]، وكان عاملاً لعثمان بمصر.[٣] ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا﴾ : آثروا ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ عُذّبوا في الله وأكرهوا على الكفر، فأعطوا بعض ماأريد منهم، ليَسْلَمُوا من شرّهم، كعمّار ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الجهاد، وماأصابهم من المشاقّ، و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من حال أولئك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. خبر «إنّ» الأولى والثّانية جميعاً واحد، ونظير تكرير إنّ ربّك هاهنا في القرآن كثير[٤].

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ اي: ذاتها، تحتجّ عنها وتعتذر لها وتسعى في خلاصها لايهمّها شان غيرها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ : جزاء ماعملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ لكلّ مَنْ أنعم الله عليه، فأبْطرَتْه النّعمةُ فكفَرَ بها، فأنزل الله به النقمة ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لايزعج[٥] اهلَها خوفٌ ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ : واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ : من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا

١ ـ الكافي٢: ٢١٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكشّاف٢: ٤٣٠؛ والبيضاوي٣: ١٩٢ مايقرب منه.

٢ ـ تقدّمت ترجمته في سورة النّساء، ذيل الآية: ١٣٧.

٣ ـ القمّي١: ٣٩١.

٤ ـ الانعام(٦): ٥٤؛ والنّحل(١٦): ١١٩.

٥ ـ زَعَجَه كمَنَعَه: أقْلَعَه وقلَعَه من مكانه. القاموس المحيط١: ١٩٨؛ والصّحاح١: ٣١٩(زعج).

﴿كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. استعار[١] الذّوق لإدراك أثر الضّرر، واللّباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف.

قال: «إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم، كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا[٢]، فقال بعضهم لبعض: لو عَمَدْنا[٣] إلى شيء من هذا النّقيّ فجعلناه تستنجي به، كان ألْيَنَ علينا من الحجارة. قال: فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجُراد، فلم تدعْ لهم شيئاً خَلَقَه اللهُ إلاّ أكلَتْه[٤] من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجُهْدُ إلى أن أقبلوا على الّذي كانوا يستنجون به فأكلوه. وهي القرية الّتي قال الله "ضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمنَةً" الآية»[٥].

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قد سبق تفسيره[٦].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾. مبالغة في وصف بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولةً، وألسنتهم تَصِفُها، وتعرفها بكلامهم. هذا كقولهم: وَجْهُها يَصِفُ الجمالَ وعينُها تصف السّحرَ. ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾. القمّي: هو ماكانت اليهود يقولون "مافي بُطُون هذه الأنْعام خالِصَةٌ لذُكُورِنا ومُحَرَّمٌ عَلَى أزْواجِنا"[٧].

﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

١ـ في «الف»: «اشعار».
٢ـ في المصدر: «كان الله قد أوسع عليهم حتّى طغوا».
٣ـ عَمَدَ إليه: قَصَدَه. المصباح المنير٢: ٩٢(عمد).
٤ـ في المصدر: «شيئاً خلقه الله يقدر عليه إلاّ أكله ...».
٥ـ العيّاشي٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي معناه ما في المحاسن(للبرقي)٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨؛ والعيّاشي٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ ذيل الآية: ١٧٣ من سورة البقرة؟
٧ـ القمّي١: ٣٩١. والآية في سورة الأنعام(٦): ١٣٩.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: مايفترون[١] لاجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ورد: «من قال للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندنا يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر»[٢].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: في سورة الانعام بقوله "وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر" الآية[٣]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: جاهلين غير متدبّرين للعاقبة ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السوء ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيب على الإنابة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾. قال: «وذلك إنّه كان على دين لم يكن عليه احد غيره؛ فكان أمّة واحدة. قال: وامّا قانتاً فالمطيع، وامّا الحنيف فالمسلم»[٤]. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. تكذيب لقريش فيما كانوا يزعمون انّهم على ملّة إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: لانعم الله، معترفاً بها. روي: «إنّه كان لايتغذّى إلاّ مع ضيفه»[٥]. ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ :اختاره ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بان حبّبه إلى النّاس، حتّى انّ ارباب الملل يتولّونه ويثنون عليه، ورزقه اولاداً طيّبة، وعمراً طويلاً في السّعة والطّاعة.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لمن أهل الجنّة، كما ساله بقوله "وألحقني بالصّالحين"[٦]

١ ـ في «الف»: «ماتفترون»
٢ ـ التوحيد(للصّدوق): ٢٢٩، الباب: ٣٠، ذيل الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الانعام(٦): ١٤٦.
٤ ـ القمّي ١: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٣٩؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٣.
٦ ـ الشعراء(٢٦): ٨٣.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمّد ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

قيل . في «ثمّ» هذه تعظيم[1] لمنزلة رسول الله ﷺ، وإعلامٌ بأنَّ أفضلَ ماأُوتي خليل الله من الكرامة اتّباعُ نبيّنا ﷺ ملّتَهُ، حيث دلّت على تباعد هذا النّعت في المرتبة من بين ساير النّعوت الّتي اثنى اللهُ عليه بها[2].

ورد: «لاطريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء، لأنّه المنهج الأوضح . قال الله عزّوجلّ: "ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً" فلو كان لدين الله تعالى مسلك أقوم من الاقتداء، لَنَدَبَ أنبياءَه وأولياءَه إليه»[3].

و ورد: «ماأحد على ملّة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا، وساير النّاس منها بُرآء»[4].

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ . قد سبق قصّتهم في الاعراف[5].

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ : بالمقالة المحكمة الصّحيحة، الموضحة للحقّ، المزيحة للشّبهة؛ هذا للخواصّ. ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ : الخطابات المُقنعة والعِبَر النافعة، الّتي لايخفى عليهم أنّك تناصحهم بهاوتنفعهم فيها؛ وهذا للعوامّ. ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ : بالطّريقة الّتي هي احسن طُرُق المجادلة؛ وهذا للمعاندين والجاحدين. قال: «يعني بالقرآن»[6]. «وهذا كقوله سبحانه "وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ"[7] إلى آخر السّورة، مجادلاً به من جحد البعث بعد الموت، وبغير الّتي هي احسن، ان تجادل مبطلاً يُورِد عليك حقّاً ليعين به باطله، فَتَجْحَدَ ذلك الحقّ مخافة أن

١ ـ في «الف»: «التعظيم».
٢ ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٣؛ والكشّاف ٢: ٤٣٤؛ والبيضاوي ٣: ١٩٤.
٣ ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي «الف»و«ج»: «الندب أوليائه وأنبيائه إليه».
٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٦، عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ ـ الأعراف(٧): ١٦٣.
٦ ـ الكافي ٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ يس(٣٦): ٧٨.

يكون له عليك فيه حجّة، لأنّك لاتدري كيف المخلص منه». كذا ورد[١]. قال: «والجدال بغير الّتي هي أحسن محرّم، حرّمه الله على شيعتنا»[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم ولا أن تردّهم عن الضّلالة، وإنّما عليك البلاغ، فمن كان فيه خيرٌ كفاه البرهان أو الوَعْظ، ومن لاخير فيه عجزت عنه الحيل، فكأنّك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾. قال: «لمّا رأى رسول الله ﷺ ماصنع بحمزة بن عبدالمطّلب، قال: اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى، وانت[٣] المستعان على ماأرى، ثمّ قال: لئن ظفرت لأُمثّلنّ وأُمثّلن[٤]، قال: فأنزل الله الآية، فقال رسول الله ﷺ أصبرُ أصبرُ»[٥]. وفي رواية: «إنّه لمّا رأى مافعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأُمثّلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزلت، فقال: بل أصبر»[٦].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: إلاّ بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على أصحابك ومافعل بهم، فإنّ الله نقلهم إلى دار كرامته ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

١ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٢٨، ذيل الآية: ١١١، من سورة البقرة؛ والاحتجاج١: ١٤و١٥، عن العسكري، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٢٧؛ والاحتجاج١: ١٤، عن العسكري، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «ب»: «حرّم الله».
٣ ـ في «ب» و«ج»: «وإنّك».
٤ ـ في المصدر: «لأُمثّلنّ لأُمثّلنّ».
٥ ـ العيّاشي٢: ٢٧٤، الحديث. ٨٥، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «ألف»: «فقال رسول الله ﷺ أصر».
٦ ـ القمّي١: ١٢٣. وفي «ألف»: «فقال: أصر».

سورة بني إسرائيل[1]

[مكيّة، وهي مائة وإحدى عشرة آية][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ يعني إلى ملكوت المسجد الأقصى. قال: «ذاك في السّماء، إليه أُسري رسول الله ﷺ»[3].

وفي رواية: «نظر إلى السّماء مرّة وإلى الكعبة مرّة، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: ليس كمايقولون: اسرى به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ولكنّه اسرى به من هذه إلى هذه، واشار بيده إلى السّماء»[4]. ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قال: «أتى جبرئيل رسول الله ﷺ بالبراق، أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عينه في حافره، وخطاه مدّ بصره، فإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه، أهْدَبَ العُرْف

١ ـ في «ب»: «سورة الإسراء».
٢ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٩، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الأيمن[1]، له جناحان من خلفه»[2].

وفي رواية: «إنّ الله سخّر لي البراق، وهي دابة من دوابّ الجنّة، ليست بالقصير ولابالطّويل، فلو أنّ الله أذنَ لها لجالت الدّنيا والآخرة في جرية واحدة، وهي أحسن الدّوابّ لوناً»[3].

و ورد: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فأخذ واحد باللّجام، وواحد بالرّكاب، وسوّى الآخر عليه ثيابه، فتضعضعت البراق، فلطمها جبريل، ثمّ قال: اسكني يابراق، فماركِبَكِ نبيٌّ قبله ولايَرْكَبُكِ بعده مثلُه، قال: فترقّت به، ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السّماء والأرض»[4]. ثمّ ذكر تفصيل الآيات وفيها أسرار لايعثرعليها إلاّ الرّاسخون في العلم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: ربّاً تكلون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الشكر. سئل بم سمّي شكوراً؟ قال: «بكلمات بالغ فيهنّ، كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[5].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً. والقمّي: اي: أعلمناهم[6]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: وعد عقاب أُولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

١ ـ اي: طويلة مرسلة من جانب الأيمن. العُرف: شعر عنق الفرس. اقرب الموارد٣: ٧٦٩(عرف).

٢ ـ الكافي٨: ٣٧٦، الحديث: ٥٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «عينيه في حافره».

٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام٢: ٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٤٩، عن النّبيّ ﷺ.

٤ ـ القمّي٢: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ الكافي٢ ٥٣٥، الحديث: ٣٨؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ١٩، عن ابي جعفر عليه السلام. وفي من لايحضره الفقيه١: ٣٣٥، الحديث: ٩٨١؛ وعلل الشرايع١: ٢٩، الباب: ٢١؛ والقمّي٢: ١٤، مايقرب منه

٦ ـ القمّي٢: ١٤

﴿شَدِيدٍ﴾: ذوي قوّة وبطش في الحرب شديد. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عبيداً لنا»[١].

﴿فَجَاسُوا﴾: تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: وسطها، للقتل والغارة والسّبي. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدّولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ممّا كنتم. والنّفير: مَنْ ينفرُ مع الرّجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: فإنّ وبالها عليها. قيل: وإنّما ذكر اللّام ازدواجاً[٢]و[٣]. وفي رواية: «فلها ربّ يغفر»[٤]. ورد: «ما احسنت إلى احد ولا اسات إليه، وتلا الآية»[٥]. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: وعد عقوبة المرّة الآخرة ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: بعثناهم ليجعلوا وجوهكم باديةً آثارَ المساءة فيها، فحُذفَ لدلالة ما ذكره اولاً عليه. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾: وليُهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾: ماغلبوه واستولوا عليه؛ أو مدّة علوّهم ﴿تَتْبِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ نوبة أخرى ﴿عُدْنَا﴾ مرّة ثالثة إلى عقوبتكم. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: محبساً لايقدرون الخروج منها ابداً. قيل في تفسير الآيات: إنّ الإفسادتين: قتل زكريّا ويحيى. والعلوّ الكبير: استكبارهم عن طاعة الله، وظلمهم النّاس. والعباد أُولي باس: بخت نصّر[٦] وجنوده، وردّ الكرّة

١ ـ مجمع البيان٥ ـ٦: ٣٩٧؛ وجوامع الجامع٢: ٣١٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ أي: للمشاكلة مع القرينة السابقة: «لانفسكم».

٣ ـ البيضاوي٣: ١٩٧.

٤ ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٤٩.

٥ ـ جوامع الجامع٢: ٣١٨؛ والكشّاف٢: ٤٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ بُخْتُ نَصَّرَ: اصله بُوخْتُ ومعناه إبن. ونَصَّر كَبَقَّم: صنم، وكان وُجد ملقاً عند الصنم ولم يعرف له اب، فنسب إليه. وفي رواية: انّه سمّي بذلك، لانّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب: بخت، واسم صاحبه: نصر. خرّب القدس. راجع: القاموس المحيط٢: ١٤٨؛ وسفينة البحار١: ٦٠. وتفصيل الكلام في البحار١٤: ٣٥١.

عليهم: ردّ بهمن بن إسفنديار أسراءهم إلى الشّام وتمليكه دانيال عليهم، ووعد الآخرة: تسليط الله الفُرْسَ عليهم مرّة أخرى[1].

و ورد: «إنّ الإفسادتين: قتلُ عليّ بن أبي طالب وطعنُ الحسن، والعلوّ الكبير: قتلُ الحسين، والعبادَ أولي بأس: قومٌ يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلايَدعون وِتْراً لآل محمّد إلّا قتلوه، ووعد الله: خروج القائم، وردّ الكرّة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب، حين كان الحجّة القائم بين أظهرهم»[2].

وفي رواية: «إنّ العباد أولي بأس هم القائم وأصحابه عليهم السّلام»[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾ قال: «يدعوا»[4]. ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ للطريقة الّتي هي أقوم الطّرق وأشدّ استقامةً. قال: «يهدي إلى الإمام»[5]. وفي رواية: «إلى الولاية»[6].

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. يعني يبشّر المؤمنين ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾: مثل دعائه بالخير ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

قال: «إعرف طريقَ نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء، عسى أن يكون فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك، ثمّ تلاهذه الآية»[7].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

١ ـ البيضاوي٣: ١٩٦ـ١٩٧.
٢ ـ الكافي٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٥٠؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي٢: ٢٨٢، الحديث: ٢٤، مقطوعاً.
٦ ـ العيّاشي٢: ٢٨٣، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ مصباح الشّريعة: ١٣٢، الباب: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «أمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء، ولو أنّ القمر ترك على حاله بمنزلة الشّمس ولم يمح[1]، لَما عُرِفَ اللّيل من النّهار، ولا النّهار من اللّيل، ولا علم الصّائم كم يصوم، ولا عَرَفَ النّاس عدد السّنين، وذلك قول الله: "وجعلنا اللّيل" الآية»[2].

﴿ لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: لتطلبوا في بياض النّهار أسباب معايشكم. ﴿ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ قال: «بمقادير هما»[3]. ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدّين والدّنيا ﴿ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾: بيّناه بياناً غير ملتبس.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾: عمله وما قُدِّرَ له، كأنّه طير له من عشّ الغيب ووكر القدر. قال: «قدره الّذي قدّر عليه»[4]. ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾: لزومَ الطوق في عنقه. قال: «خيره وشرّه معه، حيث كان لايستطيع فراقه، حتّى يُعطى[5] كتابه يوم القيامة بما عمل»[6]. ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا ﴾ هو صحيفة عمله، أعني نفسه الّتي رسخت فيها آثارُ أعماله. ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ لكشف الغطاء.

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ على إرادة القول ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.

قال: «يذكر العبد[7] جميع ما عمل وما كتب عليه، حتّى كأنّه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا: "يا وَيلَتنا مالهذا الكتاب لايُغادرُ صَغيرةً ولاكَبيرةً إلاّ أحْصيٰها"»[8].

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

١ ـ كذا في المصدر. وفي «الف»و«ج»: «لم يمسح». وفي «ب»: «لم يمح» بدون الواو.
٢ ـ علل الشرايع ٢: ٤٧٠، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٨، الخطبة: ٩١.
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٢، عن الصادقين عليهما السلام؛ والقمّي ٢: ١٧.
٥ ـ في «الف»: «حتّى يؤتى».
٦ ـ القمّي ٢: ١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ في العيّاشي: «يذكر بالعبد».
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أُخْرَىٰ﴾. التأنيث باعتبار النفس. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبيّن الحجج ويمهّد الشّرائع، فيلزمهم الحجّة.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: متنعّميها. قال: «اكابرها»[1]. وقال: «أمّرنا، مشدّدة ميمه[2]، تفسيرها: كثّرنا. وقال: لاقرأتها مخفّفة»[3]. وفي رواية: «إنّه قرأ: آمرنا»[4]. على وزن عامرنا. يقال: امّرت الشّيء وآمرته إذا كثّرته[5]. والقمّي: كثّرنا جبابرتها[6]. ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾. يعني كلمة العذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾: اهلكنا هم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يُدْرِكُ بواطنَها وظواهرَها، فيُعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: النّعمة الدّنيويّة، مقصوراً عليها همّته ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيّة والإرادة لأنّه لايجد كلُّ متمنٍّ مايتمنّاه، ولاكلُّ أحدٍ جميعَ مايهواه، وليعلم انّ الامر بالمشيّة. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله.

في الحديث النّبويّ: «معنى الآية: من كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الّذي افترضه الله عليه، لايريد به وجه الله والدّارَ الآخرة، عجّل له مايشاء الله من عرض الدّنيا، وليس له ثواب في الآخرة؛ وذلك انّ الله سبحانه يؤتيه[7] ذلك ليستعين به على الطّاعة، فيستعمله

١ ـ العيّاشي٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ في المصدر: «مشدّدة منصوبة».
٣ ـ المصدر، الحديث: ٣٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٥، عن امير المؤمنين عليه السلام. ولم ترد كلمة: «انّه» في «الف».
٥ ـ في «الف»: «اكثرته».
٦ ـ القمّي٢: ١٧.
٧ ـ في «الف»: «يعطيه».

في معصية الله، فيعاقبه الله عليه»[١].

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾: حقّها من السّعي، وهو الإتيان بما أُمر به، والانتهاء عمّا نهي عنه، لا التّقرّب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة الّلام اعتبار النيّة والإخلاص. ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ من الله، مقبولاً عنده مثاباً عليه. في الحديث النّبويّ: «من أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدّنيا»[٢].

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾: كلّ واحد من الفريقين، نتفضّل عليه بالعطاء مرّة بعد أخرى، نجعل الآنف منه مدداً للسّالف لانقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾: ممنوعاً، لايمنع العاصي لعصيانه.

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. يعني في الدّنيا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ أي: التّفاوت في الآخرة أكثر. روي: «إنّ مابين أعلى درجات الجنّة وأسفلها مثل مابين السّماء والأرض»[٣]. وقال: «إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[٤]. وفي رواية: «على قدر عقولهم»[٥].

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾. الخطاب لكلّ أحد، أو للرّسول والمراد به أُمّته. ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾. يعني: إذا فعلتَ ذلك، بقيتَ ماعشتَ مذموماً على ألسنة العقلاء، مخذولاً لاناصر لك. وإنّما عبّر عن ذلك بالقعود، لانّ في القعود معنى الذّلّ والعجز والهوان. يقال: قعد به الضّعف.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا ﴾: بأن لاتعبدوا ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾

١ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٧.
٢ـ روضة الواعظين: ٤٣٤؛ والخصال١: ٢٩٣، ذيل الحديث: ٥٨، وفيه: «فليدع زينة الحياة الدنيا».
٣ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٧، ولم ترد فيه كلمة: «مثل».
٤ـ العيّاشي١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٧؛ ومجمع البيان٩ـ١٠: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي١: ١١، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الثواب على قدر العقل».

لانّ غاية التّعظيم لايحقّ، إلاّ لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام. ويجوز أن تكون «أن» مفسّرة، و«لا» ناهية، كما يشعر به بعض الأخبار[١]. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبان تحسنوا، أو أحسنوا.

ورد: سئل ماهذا الإحسان؟ فقال: «أن تحسن صحبتهما، وان لاتكلّفهما أن يسألاك شيئاً، وإن كانا مستغنيين»[٢].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾. زيدت على «إن» الشّرطيّة «ما» للتّأكيد. ﴿عِندَكَ الْكِبَرَ﴾: في كنفك وكفالتك ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾. قال: «إن اضجراك»[٣]. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولاتزجرهما. قال: «إن ضرباك»[٤]. القمّي: أي: لاتخاصمهما[٥]. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: حسناً جميلاً. قال: «إن ضرباك، فقل لهما: غفرالله لكما، فذلك منك قول كريم»[٦].

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: تذلّل لهما وتواضع ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك عليهما، لافتقارهما إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما. قال: «لاتملأ عينيك من النّظر إليهما إلاّ برحمة ورقّة، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما، ولايدك فوق أيديهما، ولاتقدّم قدّامهما»[٧]. ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾: وادع الله أن يرحمهما برحمة الباقية، ولاتكتف برحمتك الفانية ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: جزاء لرحمتهما عليّ، وتربيتهما لي في صغري.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾. قال: «هم التّوابون المتعبّدون»[٨].

١ ـ الكافي٢: ٣٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢، ٣، ٤و٦ ـ الكافي٢: ١٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي٢: ٢٨٥، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي٢: ١٨.
٧ ـ الكافي٢: ١٥٨، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي٢: ٢٨٥، ذيل الحديث: ٣٩؛ ومجمع البيان٥ ـ ٦: ٤٠٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي٢: ٢٨٦، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. قال: «لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل قد عرفتُ المسكين، من[1] ذوالقربى؟ قال: هم أقاربك. فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أعطيكم ممّا أفاء الله عليّ. قال: أعطيتكم[2] فدك[3]»[4]. وفي معناه أخبار مستفيضة[5]. وفي رواية: «وكان عليّ، وكان حقّه الوصيّة الّتي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النّبوّة»[6].

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين، لأنّ حقّ عليّ كان الوصيّة، وحقّ فاطمة وأولادها فَدَك، ولكلّ أحد قرابة، وفي قرابته مَنْ له عليه حقّ.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بصرف المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وأصل التّبذير: التّفريق. سئل عن هذه الآية فقال: «من أنفق شيئاً في طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله[7] فهو مقتصد»[8]. و ورد: «إنّه دعا برطب، فأقبل بعضهم يرمي بالنّوى، فقال عليه السلام: لاتفعل، إنّ هذا من التّبذير، وإنّ الله لايحبّ الفساد»[9].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالهم، السّالكين طريقتهم، وهذا غاية

١ ـ في المصدر: «فمن».
٢ ـ في «ب» و«ج»: «أعطيكم».
٣ ـ فَدَك ـ بفتحتين ـ: قرية من قرى اليهود، بينها وبين مدينة يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة. وهي ما أفاء الله على رسوله، وكانت لرسول الله ﷺ؛ لأنّه فتحها هو وأمير المؤمنين عليهما السلام لم يكن معهما أحد، فزال عنها حكم الفيء ولزمها حكم الأنفال. وقد حدّها عليّ عليه السلام: حدّ منها جبل أُحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دَومَة الجندل، يعني الجوف. مجمع البحرين ٥: ٢٨٣ (فدك).
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ٥٤٣، الحديث: ٥؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٣، الباب ٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٧، ٤٨، ٤٩، و٥٠؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤١١.
٦ ـ الكافي ١: ٢٩٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «في سبيل الخير».
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ ـ المصدر، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الذمّ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾: وإن تعرض عن هؤلاء الّذين أمرتُك بإيتاء حقوقهم حياءً من الرّدّ، لتبتغي الفضل من ربّك والسّعة الّتي يمكنك معها البذلُ، فَقُلْ لهم قولاً ليناً وعِدْهُم عدة جميلة. روي: «إنّه كان لمّا نزلت هذه الآية، إذا سئل ولم يكن عنده مايعطي قال: يرزقنا الله وإيّاكم من فضله»[1].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾. تمثيل لمنع الشّحيح وإسراف المبذّر، نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما، الّذي هو الكرم والجود. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. قال: «نزلت لمّا سأله رجل فلم يحضره شيء، فأعطاه قميصه. قال: فأدبّه الله على القصد»[2]. وفي رواية: «فنهاه الله أن يبخل ويسرف، ويقعد محسوراً من الثّياب»[3]. وقال: «المحسور: العريان»[4]. وفي رواية: «الإحسار: الإقتار»[5]. وفي أخرى: «الفاقة»[6]. وفي رواية: «كانت عنده أُوقيّة من الذّهب، فكَرِهَ أن تبيت عنده، فتصدّق بها، فأصبح وليس عنده شيء، وجاء من يسأله فلم يكن عنده مايعطيه، فلامه السّائل واغتمّ هو»[7]. الحديث.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه ويضيّقه بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ فيعلم مصالحهم، ومايَنبغي لهم ومالاينبغي.

ورد: «وإنّ من عبادي من لايُصلحه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُه لأفسَدَه ذلك، وإنّ من

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤١١.
٢ ـ الكافي ٤: ٥٦، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ١٩.
٤ ـ المصدر؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ الكافي ٤: ٥٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٥: ٦٧، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عبادي من لايصلحه إلاّ الغنى، ولو أفقرتُه لأفسده ذلك»[١]. وقال: «وإنّي لأعلم بمصالح عبادي»[٢] الحديث.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾. القمّي: مخافة الفقر والجوع، فإنّ العرب كانوا يقتلون أولادهم لذلك[٣]. سئل: ما الإملاق؟ قال: «الإفلاس. ثمّ تلا هذه الآية»[٤].

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً كبيراً.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حدّ القبح. قال: «معصية ومقتاً، فإنّ الله يمقته ويبغضه»[٥]. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. قال: «وهو أشدّ النّاس[٦] عذاباً. قال: والزّنا من أكبر الكبائر»[٧].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ككفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، وقتل مؤمن عمداً. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: تسلّطاً بالمؤاخذة. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾.

سئل: «ماهذا الإسراف الّذي نهى الله عنه؟ قال: «نهى أن يَقْتُلَ غيرَ قاتله، أو يمثّل بالقاتل»[٨]. وفي رواية: «إذا اجتمع العدّة على قتل رجل واحد، حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤوا. وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد»[٩].

١ ـ علل الشرايع ١: ١٢، الباب ٩، قطعة من حديث: ٧، عن النّبيّ ﷺ، في حديث قدسيّ.
٢ ـ الكافي ٢: ٦٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر ؏، عن رسول الله ﷺ، في حديث قدسيّ، بالمضمون.
٣ ـ القمّي ٢: ١٩.
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٠، ذيل الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله ؏.
٥ و٧ ـ القمّي ٢: ١٩، عن أبي جعفر ؏.
٦ ـ في المصدر و«الف»: «أشدّ النّار».
٨ ـ الكافي ٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم ؏.
٩ ـ الكافي ٧: ٢٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله ؏. وفي العيّاشي ٢: ٢٩٠، الحديث: ٦٦، مع اختلاف في اللّفظ.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾. سئل عنه، قال: «و أيّ نصرة أعظم من أن يدفع القاتل أولياء المقتول فيقتله، ولاتبعة تلزمه من قتله؛ في دين ولادنيا»[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرّفوا فيه ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ إلاّ بالطّريقة الّتي هي أحسن، وهي حفظه عليه. ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾. قال: «انقطاع يتم اليتيم الاحتلام، وهو أشدّه»[٢]. وفي رواية: «أشدّه ثلاث عشرة سنة والدّخول في الأربع عشرة، احتلم أو لم يحتلم»[٣]. ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾. قال: «ثلاثة لم يجعل الله لاحد من النّاس فيهنّ رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد»[٤].

﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾: بالميزان السّويّ. قال: «هو الميزان الّذي له لسان»[٥]. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: واحسن عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ولاتتّبع. والقمّي: اي: لاتقل، ولاترْمِ احداً بما ليس لك به علم[٦]. و ورد: «من بهت مؤمناً او مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرجَ ممّا قال»[٧]. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾. قال: «يسال السّمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه»[٨].

١ ـ الكافي٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ الكافي٧: ٦٨، الحديث: ٢؛ والتهذيب٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٣، الحديث: ٥٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي٧: ٦٩، الحديث: ٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الخصال١: ١٢٨، الحديث: ١٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ المصدر.
٧ ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ ـ الكافي٢: ٣٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: ذا مرح وهو الاختيال. القمّي: أي: بطراً وفرحاً[1].

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾: لن تجعل فيها خرقاً لشدّة وطأتك. القمّي: أي: لن تبلغها كلّها[2]. ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ بتطاولك. القمّي: أي: لاتقدر أن تبلغ قلل الجبال[3].

قيل: هو تهكّم بالمختال، وتعليل للنّهي بأنّ الاختيال حماقة مجرّدة، لايعود بجدوىٰ، ليس في التّذلّل[4].

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾. إشارة إلى خصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله و «لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ»[5] ويقال: إنّها المكتوبة في الواح موسى[6]. ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾: المنهيّ عنه منه ﴿ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾: مبغوضاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾. كرّره للتّنبيه على أنّ التّوحيد مبدء الأمر ومنتهاه، ورأس الحكمة وملاكها. ﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ويلومك غيرك ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: مبّعداً عن رحمة الله. القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى النّاس[7].

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾. القمّي: هو ردّعلى قريش فيما قالوا: إنّ الملائكة هي بنات الله[8]. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافة الولد إليه، ثمّ بتفضيل انفسكم عليه، حيث تجعلون له ماتكرهون، ثمّ تجعل[9] الملائكة الّذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

١، ٢و٣ ـ القمّي٢: ٢٠.
٤ ـ البيضاوي٣: ٢٠٢.
٥ ـ الآية: ٢٢، من هذه السورة.
٦ ـ البيضاوي٣: ٢٠٢؛ والكشّاف٢: ٤٥٠، عن ابن عبّاس.
٧ ـ القمّي٢: ٢٠، وفيه: «والمعنى للنّاس».
٨ ـ المصدر، وفيه: «هنّ بنات الله».
٩ ـ في «ب»: «يجعل»، والأصحّ: «بجعل».

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ : كرّرنا الدّلائل وفصّلنا العبر ﴿ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ ليتّعظوا ويعتبروا ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحقّ.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ : لطلبوا إلى مالك الملك سبيلاً بالتّقرّب والطّاعة، كما قال: «يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ»[١]

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾. قال: «تنقّض[٢] الجدر تسبيحها»[٣]. وسئل: اتسبّح الشّجرة اليابسة؟ فقال: «نعم، أما سمعت خشب البيت كيف ينقض، وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كلّ حال»[٤].

اقول: وذلك لانّ نقصانات الخلايق دلائل كمالات الخالق، وكثراتها واختلافاتها شواهد وحدانيّته، وانتفاء الشّريك عنه والضّدّ والنّدّ.

قال: «بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف ان لاجوهر له، وبمضادّته بين الاشياء عرف ان لاضدّ له، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له»[٥] الحديث.

فهذا تسبيحٌ فطريٌّ واقتضاءٌ ذاتيٌّ نشا عن تجلٍّ تجلّىٰ لهم فاحبّوه؛ فانبعثوا إلى الثّناء عليه من غير تكليف، وهي العبادة الذاتيّة؛ الّتي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي

١ ـ الآية: ٥٧، من نفس السورة.

٢ ـ تَنَقَّضَ البيت: تشقّق، فسُمع له صوت: القاموس المحيط٢: ٣٦٠(نقض).

٣ ـ الكافي٦: ٥٣١، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٩٣، الحديث: ٧٩، عنه عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي٢: ٢٩٤، الحديث: ٨٤، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السّلام، ولم ترد فيه كلمة «لله».

٥ ـ الكافي١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام؛ ونهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٣، الخطبة: ١٨٦.

يستحقّه جلّ جلاله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ لايعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ عن الحسّ من قدرة الله تعالى يحجبك عنهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ تكنّها وتحول دونها عن إدراك الحقّ وقبوله ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم عن استماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ غير مشفوع به آلهتهم ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: هرباً من استماع التّوحيد ونفرة.

قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً. فأنزل الله في ذلك "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ" الآية»[١].

وفي رواية: «كان إذا صلّى بالنّاس جهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصّفوف، فإذا جازها في السّورة عادوا إلى مواضعهم، وقال بعضهم لبعض: إنّه ليردّد اسم ربّه تردادا[٢]، إنّه ليحبّ ربّه. فأنزل الله الآية»[٣].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: بسببه من اللّغو والاستهزاء بالقرآن. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: متناجون ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: قد سُحِرَ به، فَجُنَّ واختلط عليه عقلُه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مثّلوكَ بالسّاحر والشّاعر والكاهن والمجنون. ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه.

١ـ الكافي٨: ٢٦٦، الحديث: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «تردّدا».
٣ـ العيّاشي٢: ٢٩٥، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ﴾ : تراباً وغباراً، وانتثر لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ . على الإنكار والاستبعاد. قال: «جاء أُبيّ بن خلف، فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثمّ قال: يا محمّد "إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً ءإنّا لَمَبْعُوثُون خَلْقاً"؟ فانزل الله تعالى: "قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"[١]»[٢].

﴿ قُلۡ ﴾ : جواباً لهم ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾ .

﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ فإنّه يقدر على إعادتكم أحياء. قال: «الخلق الّذي يكبر في صدوركم الموت»[٣]. ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ فإنّه على الإعادة أقدر. ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ﴾ : فسيحركون نحوك رؤوسهم تعجّباً واستهزاء.﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريبٌ.

﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ ﴾ . أي: يوم يبعثكم فتنبعثون منقادين. استعار لهما الدّعاء والاستجابة للتّنبيه على سرعتهما وتيسّرا مرهما. ﴿ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ : حامدين لله على كمال قدرته ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ اي: يقولوا للمشركين الكلمة الّتي هي أحسن، ولا يخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ : يهيج بينهم المراء والشّرّ، فلعلّ المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ .

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ ﴾ . قيل: هي تفسير للّتي هي أحسن، ومابينهما اعتراض، أي: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يصرّحوا بأنّهم

١ ـ يس(٣٦): ٧٨ـ٧٩.
٢ ـ العيّاشي٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

من أهل النّار، فإنّ ذلك يهيّجهم على الشرّ، مع أنّ ختام أمرهم غيب لايعلمه إلاّ الله[١].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: موكولاً إليك امرهم، تجبرهم على الإيمان، وإنّما ارسلناك مبشّراً ونذيراً، فدارهم ومُر[٢] اصحابك بالاحتمال منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ واحوالهم، فيختار منهم لنبوّته وولايته من يستاهل لهما، وهو ردّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيّاً، وان يكون الفقراء أصحابه. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

قال: «سادة النبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السّلام»[٣].

وفي الحديث النّبويّ: «إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمّة من ولدك»[٤].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ انّها آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير[٥] ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الأقرب! ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كساير العباد، فكيف يزعمون أنّهم آلهة! ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بان يحذره كلّ أحد، حتّى الملائكة والرّسل.

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٥؛ والكشاف ٢: ٤٥٣.
٢ ـ في «ب»: «وامر».
٣ ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشرايع ١: ٥، الباب ٧، الحديث: ١.
٥ ـ في «ب»: «كالمسيح وعزير والملائكة»

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. قال: «هو الفناء بالموت»[١]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: في اللّوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ الّتي اقترحتها قريش ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: إلاّ تكذيب الأوّلين الّذين هم أمثالهم كعاد وثمود، وأنّها لو أُرسلت لكذّبوا بها، كما كذّب أُولئك، واستوجبوا العذاب العاجل المستاصل، "وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ"[٢]. قال: «ساله قومه ان ياتيهم بآية، فنزل جبرئيل وقال: إنّ الله يقول "وَمَامَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ" الآية، وكنّا إذا ارسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها، اهلكناهم فلذلك اخّرنا عن قومك الآيات»[٣]. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾: آية بيّنة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة، فإنّ أمر مَنْ بُعِثْتَ إليهم مؤخّر إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضة قدرته. وقيل: اي: اهلكهم، يعني بشّرناك بوقعة بدر، ونصرتك عليهم، وهو قوله "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[٤] "سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ"[٥]، فجعله تعالى كأنّه قد كان على عادته في إخباره[٦]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. ورد في اخبار كثيرة: «إنّه ﷺ أري في منامه انّ بني تيم وبني عديّ وبني أُميّة، يصعدون منبره، يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فاصبح كئيباً حزيناً»[٧]. وفي رواية: «ينزون على منبره

١ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١١٨، الحديث: ٥٦٢؛ والعيّاشي ٢: ٢٩٧، الحديث: ٩١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الانفال (٨): ٣٣.
٣ ـ القمّي ٢: ٢١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمر (٥٤): ٤٥.
٥ ـ آل عمران (٣): ١٢.
٦ ـ الكشّاف ٢: ٤٥٤.
٧ ـ الكافي ٨: ٣٤٥، الحديث: ٥٤٣، عن احدهما عليهما السّلام؛ والعيّاشي ٢: ٢٩٨، الحديث: ١٠٠، عن ابي جعفر عليه السلام.

نزو القردة»[١]. وفي أخرى: «أري في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً. فأنزل الله "وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ" ليعمهوا فيها»[٢].

القمّي: كذا نزلت[٣]. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾. عطف على الرّؤيا. قال: «يعني بني أميّة»[٤] في أخبار كثيرة[٥]. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التّخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ فيه لطافة لاتخفى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

قد سبق تفسيره[٦].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾: أخبرني ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: فضّلته عليّ، لِمَ فضّلته وأنا خير منه؟! ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لاستاصلنّهم بالإغواء، ولاستولين[٧] عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لاأقدر أن أقاوم سكينتهم.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾: امض لما قصدته. وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسوّلت له نفسه. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: جزاؤك وجزاؤهم: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: مكمّلاً.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: واستخف[٨] ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ أن تستفزّه ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إلى الفساد ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾: وصِحْ عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: بفرسانك

١ـ الصّحيفة السّجّاديّة: ٦٥، جملة: ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤، بالمضمون.
٣ـ القمّي ١: ٢١.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٩٧، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الأحاديث: ٩٤، ٩٥، ٩٩ و١٠٠؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤.
٦ـ ذيل الآية: ٣٤، من سورة البقرة؛ والآية: ١١، من سورة الأعراف.
٧ـ في «الف»: «لاسوكنّ».
٨ـ في «الف»: «واستحفف».

وراجليك، واحشرهم[1] عليهم. تمثيل لتسلّطه على من يغويه، بمن صوّت على قوم فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، وإنفاقها فيما لاينبغي ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

«فإنّه إذا زنى الرّجل، أو اشترى الأمة بمال حرام، أو ترك اسم الله عند النّكاح[2]، فإنّ الشّيطان يدخل ذكره حينئذ ثمّ يختلط النّطفتان». كذا ورد[3].

وقال: «إذا اشتركا فربّما خلق من أحدهما، وربّما خلق منهما جميعاً»[4].

قال: «ويعرف بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشّيطان»[5].

﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيدَ الكاذبة، كشفاعة الآلهة، وتأخير التّوبة لطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾. اعتراض.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يعني المُخلَصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكّلون عليه في الاستعاذة منك، فيحفظهم من شرك.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: هو الّذي يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: الرّبح[6] وأنواع الأمتعة الّتي لاتكون عندكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾: ذهب عن خواطركم كلُّ من تدعونه[7] في حوادثكم ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحده، فلاترجون هناك النّجاة إلاّ

١ ـ في «ب»: «فاجسرهم».
٢ ـ في «ب»: «على النّكاح».
٣ ـ الكافي٥: ٥٠٢، الحديث: ٢، و٥٠٣، الحديث: ٥؛ والعيّاشي٢: ٢٩٩، الحديث: ١٠٢ و١٠٤، و٣٠٠، الحديث: ١٠٨، بالمضمون.
٤ ـ الكافي٥: ٥٠٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ٥٠٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ في «ب»: «الربح».
٧ ـ في «ب»: «من هو تدعونه».

من عنده. وقد مرّ في هذا المعنى حديث في سورة الفاتحة[1]. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التّوحيد، واتّسعتم في كفران النّعمة ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترمي بالحصباء[2] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من ذلك.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتقوية دواعيكم، إلى ان ترجعوا فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾. قال: «هي العاصف»[3]. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب إشراككم، او كفرانكم نعمة الإنجاء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار او صرف.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعقل والنّطق، والصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والتّسلّط على مافي الأرض، وتسخير ساير الحيوانات، والتّمكّن من الصّناعات إلى غير ذلك. ورد: «في صورة الآدميّين، إنّها أكرم صورة على الله»[4]. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: «على الرّطب واليابس»[5]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذّات. قال: «يقول من طيّبات الثّمار كلّها»[6].

وفي رواية: «إنّ الله لايُكرِّمُ روحَ كافر ولكن كرَّمَ أرواحَ المؤمنين، وإنّما كرامة النّفس والدّم بالرّوح، والرّزق الطّيّب هو العلم»[7].

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. قال: «من التّفضيل انّه يرفع بيده إلى فيه طعامه»[8] «وانّه خلق منتصباً»[9].

١ ـ ذيل كلمة «بسم الله».
٢ ـ الحَصْباء: صغار الحصى. المصباح المنير١: ١٦٩ (حصب).
٣ ـ القمّي٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي١: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥، ٦ و٨ ـ الأمالي (للشيخ الطوسي)٢: ١٠٣، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٧ ـ القمّي٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ ـ العيّاشي٢: ٣٠٢، الحديث: ١١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بمن ائتمّوا به، من نبيّ أو وصيّ أو شقيّ.

قال: «بإمامهم الّذي بين أظهرهم، وهو قائم أهل زمانه»[١].

وفي رواية: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه، وإمام دعا إلى ضلالة[٢] فأجابوه، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء إلى النّار»[٣].

وقال: «سيدعى كلّ أناس[٤] بإمامهم، أصحاب الشّمس بالشّمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنّار، وأصحاب الحجارة بالحجارة»[٥].

وورد: «كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه»[٦].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ مبتهجين بما يرون فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولاينقصون من أجورهم أدنى شيء. والفتيل: المفتول الّذي في شقّ النّواة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب، لايبصر رشده، ولايهتدي إلى طريق النّجاة ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: لايهتدي إلى طريق الجنّة.

قال: «من لم يدلّه خلق السّموات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، ودوران الفلك والشّمس والقمر، والآيات العجيبات، على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً»[٧].

وقال: «أشدّ العمى، من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة، بلا ذنب سبق إليه منّا، إلاّ أن دعوناه إلى الحقّ، ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدّنيا، فأتاهما ونصب البراءة منّا

١ ـ الكافي ١: ٥٣٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ في «ب»: «إلى ضلال».
٣ ـ الأمالي (للصدوق): ١٣١، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «وهؤلاء في النار».
٤ ـ في «الف» و«ج»: «كلّ ناس».
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٠٣، الحديث: ١١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ المصدر، الحديث: ١٢٠، و٣٠٤، الحديث: ١٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ التوحيد: ٤٥٥، الباب: ٦٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

والعداوة»[١].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾: قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: عن حُكمه ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: غير ما اوحينا إليك. القمّي: يعني في امير المؤمنين عليه السلام[٢]. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: ولو اتّبعتَ مرادهم لاظهروا خُلّتك. القمّي: يعني لاتّخذوك صديقاً لو اقمت غيره[٣].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾: لقاربْتَ ان تميلَ إلى اتّباع مرادهم.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾. قيل: اي: عذاباً ضِعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات، يعني مضاعفاً على ما إذا فعله غيرك، لانّ خطأ الخطير اخطر[٤].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنك.

قال: «إنّ هذا ممّا نزل: بايّاك اعني واسمعي ياجاره[٥]. خاطب اللهُ بذلك نبيَّه والمرادُ به أمّته»[٦]. وفي رواية: «عنى بذلك غيره»[٧]. وفي أُخرى: «إنّه من فِريَة[٨] الملحدين

١ ـ الخصال ٢: ٦٣٣، في حديث اربعمائة، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه «والعداوة لنا».

٢ ـ القمّي ٢: ٢٤.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٤.

٤ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٨.

٥ ـ إيّاكِ أعْني فاسمَعي يا جارَه: اوّل من قاله سَهْل بن مالك الفَزاريّ. وذلك انّه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لام الطائي، فما اصابه شاهداً، فرحبت به أُخته، وكانت جميلة نبيلة، ثمّ إنّه افتتن بها، فجلس وهو يترنّم بقوله:

يا أُختَ خيْرِ البَدْوِ والحَضارَهْ ... كَيفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزارَهْ

اصْبَحَ يَهوَى حُرَّةً معْطَارَهْ ... إيّاكِ اعْني واسْمَعي يا جارَهْ

يضرب في التعريض بالشيء، يبديه الرجل وهو يريد غيره. المستقصى ١: ٤٥٠؛ مجمع الأمثال ١: ٨٠.

٦ ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٠، الحديث. ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ ـ الكافي ٢: ٦٣١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي ١: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٨ ـ في المصدر: «من فرقة».

وتحريفهم»[١].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك[٢] بمعاداتهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ مكّة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لو خرجتَ لايبقون بعد خروجك إلّا زماناً قليلاً. القمّي: حتّى قتلوا ببدر[٣]. قيل: وكان ذلك بعد الهجرة بسنة[٤].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: سنّ الله ذلك سنّة، وهو أن يُهلك كلّ أُمّة أخرجوا رسولهم من بين اظهرهم. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغييراً.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لزوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إلى ظلمته. قال: «دلوكها: زوالها، "وغسق اللّيل": انتصافه، وفيما بينهما اربع صلوات»[٥]. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. قال: «يعني صلاة الفجر يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فإذا صلّى العبد الصّبح مع طلوع الفجر اثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار»[٦]. وقال: «في هذه الآية جمعت الصّلوات كلّهنّ»[٧].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ وبعض اللّيل فاترك الهجود للصّلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك على الصّلوات المفروضة.

ورد: سئل عن النّوافل فقال: «فريضة، ثمّ قال: اعني صلاة اللّيل على رسول الله ﷺ، ثمّ تلا هذه الآية»[٨].

١ ـ الاحتجاج١: ٣٨٣، عن امير المؤمنين عليه السلام، بالمضمون.
٢ ـ ازعجه: أي: اقلعه وقلعه من مكانه. الصحاح١: ٣١٩(زعج).
٣ ـ القمّي٢: ٢٤.
٤ ـ البيضاوي٣: ٢٠٨.
٥ ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١؛ ومن لايحضره الفقيه١: ١٢٥، الحديث: ٦٠٠؛ والتّهذيب٢: ٢٤١، الحديث ٩٥٤؛ والعيّاشي٢: ٣٠٨، الحديث: ١٣٦، عن ابي جعفر عليه السلام، مع تقدّم و تأخّر في العبارة.
٦ ـ الكافي٣: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٢؛ والاستبصار١: ٢٧٥، الحديث: ٩٩٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ العيّاشي٢: ٣٠٩، الحديث: ١٤١، عن الصادقين عليهما السلام.
٨ ـ التهذيب٢: ٢٤٢، الحديث: ٩٥٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. قال: «هي الشفاعة»[1]. وفي الحديث النبويّ: «هو المقام الّذي أشفع لأمّتي»[2].

وقال: «إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني الله فيهم، والله لاتشفّعت فيمن آذى ذرّيّتي»[3].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾. القمّي: نزلت يوم فتح مكّة؛ لمّا أراد دخولها[4].

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾. قال: «إنّه دخل يوم فتح مكّة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً، فجعل يطعنها بمخصرة[5] في يده ويقول: "جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً" "وَما يُبدئُ الباطِلُ وما يُعيدُ"[6]، فجعلت تنكبّ لوجهها»[7].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: في معانيه شفاء الأرواح، وفي ألفاظه شفاء الأبدان.

ورد: «ماشتكى أحدٌ من المؤمنين شكاية قطّ وقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة "ونُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ" الآية إلّا عوفيَ من تلك العلّة، أيّة علّة كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: "شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"»[8].

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٤، الحديث: ١٤٨، عن أحدهما عليهما السلام.
٢ ـ روضة الواعظين: ٥٠٠.
٣ ـ روضة الواعظين: ٢٧٣، عن النّبيّ ﷺ.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٦.
٥ ـ المخصَرَةُ ـ كمكنَسَة ـ: مايتوكّأ عليه كالعصا ونحوه؛ ومايأخذه الملك يشير به إذا خاطب؛ والخطيب إذا خطب. القاموس المحيط ٢: ٢١ (خصر).
٦ ـ سبأ (٣٤): ٤٩.
٧ ـ الأمالي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام.
٨ ـ طبّ الأئمّة: ٢٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

وقال: «لا بأس بالرّقية والعوذة والنّشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»[١]. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصّحّة والسّعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: لوى عطفه وبعّد بنفسه عنه، كأنّه مستغنٍ مستبدٌّ برأيه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ من مرض او فقر ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ما يُشاكل حاله في الهدى والضّلالة. قال: «يعني على نيّته»[٢].

وقال: «إنّما خُلّد أهل النّار في النّار، لانّ نيّاتهم كانت في الدّنيا ان لو خُلّدوا فيها ان يَعْصوا الله أبداً، وإنّما خُلّد أهلُ الجنّة في الجنّة، لانّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها ان يطيعوا الله أبداً؛ فبالنّيّات خُلّدَ هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شاكلته"»[٣].

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. قال: «خلق اعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الائمّة عليهم السلام، وهو من الملكوت»[٤]. وفي رواية: «خلق من خلقه، له بصر[٥] وقوّة وتأييد، يجعله في قلوب المؤمنين

١ - طبّ الائمّة: ٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ - الكافي٢: ١٦، الحديث: ٤، و٨٥، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ - الكافي٢: ٨٥، الحديث: ٥؛ والعيّاشي٢: ٣١٦، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ - الكافي١: ٢٧٣، الحديث: ٣؛ والقمّي٢: ٢٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ - في «الف»: «له نصرة».

والرّسل»[١]. وفي أُخرى: «وليس كلّما طلب وُجِدَ»[٢]. وفي رواية: «سئل عنها. فقال: الّتي في الدّوابّ والنّاس، قيل: وماهي؟ قال: هي من الملكوت من القدرة»[٣]. وقد سبق له بيان في سورة الحجر[٤]. وهذه الأخبار إخبار بما يتميّز به عن غيره، وما ابهم في الآية حقيقته، فلامنافاة.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. قال: «وماأُوتيتم كثيرٌ فيكم، قليلٌ عندالله»[٥]. وفي رواية: «قال: تفسيرها في الباطن: انّه لم يُؤْتَ العلمَ إلاّ أُناسٌ يسير فقال "وَما أُوتيتُمْ مِنَ العلْمِ إلاّ قَليلاً" منكم»[٦].

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصّدور ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً.

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: إلاّ ان يرحمك ربّك فيردّه عليك ﴿ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في البلاغة وحسن النّظم وجزالة[٧] المعنى ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

١ ـ العيّاشي٢: ٣١٦، الحديث: ١٦٠، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام. وفيه: «يجعله في قلوب الرسل والمؤمنين».
٢ ـ الكافي١: ٢٧٣، الحديث: ٤، والعيّاشي٢: ٣١٧، الحديث: ١٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام وفي العيّاشي: «ليس كما طلب وجد».
٣ ـ العيّاشي٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٣، عن احدهما عليهما السلام، مع تفاوت يسير.
٤ ـ ذيل الآية: ٢٩.
٥ ـ القمّي٢: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ العيّاشي٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ ـ جزُل يَجزُلُ جَزالَةً الشيءُ: عظم؛ واللفظُ: فصح ومتن، الرائد١: ٥١٢(جزل).

ورد: «إنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة من الدّهريّة اتّفقوا على أن يُعارِضَ كلٌّ منهم ربعَ القرآن، وكانوا بمكّة، وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا مقام إبراهيم، قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قوله: "يٰأَرْضُ ابْلَعِي مٰاءَكِ وَيٰاسَمٰاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المٰاءُ"[١] كففت عن المعارضة. وقال الآخر: وكذا انا لمّا وجدت قوله: "فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً"[٢] آيست عن المعارضة. وكانوا يسترون ذلك، إذ مرّ عليهم جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام، فالتفت إليهم، وقرأ عليهم: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ" الآية. فبهتوا»[٣].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا بوجوه مختلفة؛ زيادة في التّقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كلّ معنى كالمثل في غرابته ووقوعه موقعاً في الأنفس ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلاّ جحوداً.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ قال: «عيناً»[٤].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ قال: «أي: بستان»[٥]. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: «أي: من تلك العيون»[٦].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً. قال: «وذلك انّ رسول الله ﷺ قال: إنّه سيسقط من السّماء كسفاً، لقوله: "وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطاً يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ"»[٧]. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾. قال: «أو تأتي به وبهم، وهم لنا مقابلون»[٨]. وفي رواية: «القبيل: الكثير»[٩].

١ ـ هود(١١): ٤٤.
٢ ـ يوسف(١٢): ٨٠.
٣ ـ الخرائج والجرائح٢: ٧١٠، الحديث: ٥؛ والاحتجاج٢: ١٤٢.
٤، ٥، ٦و٧ ـ القمّي٢: ٢٧ عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الطّور (٥٢): ٤٤.
٨ ـ الاحتجاج١: ٢٧، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه عليهم السلام.
٩ ـ القمّي٢: ٢٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ قال: «من ذهب»[١]. ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ قال: «أي: تصعد»[٢]. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ قال: «لصعودك»[٣] اي: وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فيه تصديقك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهاً لله من ان يتحكّم عليه أحدٌ، ويأتي بما يقترحه الجهّال ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرّسل، وقد كانوا لا يأتون إلاّ بما يظهره الله عليهم من الآيات على ما يلائم حال قومهم، وليس أمر الآيات إليّ وإنّما هو إلى الله، وهو العالِمُ بالمصالح، فلاوجه لطلبكم إيّاها منّي.

قال ﷺ بعد تلاوة هذه الآية: «ما أبعد ربّي عن ان يفعل الاشياء على قدر مايقترحه الجهّال بمايجوز ومالايجوز[٤]، "وهَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً" لايلزمني إلاّ إقامة حجّة الله الّتي اعطاني، وليس لي ان آمر على ربّي ولاانهى ولاأشير، فاكون كالرّسول الّذي بعثه مَلِكٌ إلى قومٍ من مخالفيه، فرجع إليه يامره ان يفعل بهم مااقترحوه عليه»[٥].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: ومامنعهم الإيمان بعد ظهور الحقّ إلاّ إنكارهم ان يرسل الله بشراً.

﴿قُل﴾ جواباً لشبهتهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يمشي بنو آدم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتّلقّي منه، وامّا الإنس فعامّتهم عماة عن إدراك المَلَك والتّلقّف[٦] منه، فإنّ ذلك مشروط بنوع من التّناسب والتّجانس، وليس إلاّ لمن يصلح للنّبوّة.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن ابي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم وفيه: «وهو الذهب».
٢، ٣ ـ المصدر: ٢٨، عنه ﷺ.
٤ ـ في المصدر: «ممّا يجوز وممّا لايجوز».
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن ابي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم.
٦ ـ تلقّف الكلام من فمه: حفظه بسرعة. الرائد ١: ٤٤٥ (لقف).

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على انّي رسول إليكم، وانّي قد قضيتُ ماعليّ من التّبليغ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ . فيه تسلية للرّسول، وتهديد للكفّار.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ يهدونه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[1] قال: «على جباههم»[2]. ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: لايُبصرون مايقرّ اعينهم، ولايسمعون مايلذّ مسامعهم، ولاينطقون بما ينفعهم ويقبل منهم، لانّهم في الدّنيا لم يستبصروا بالآيات والعبر، وتصامّوا عن استماع الحقّ، وابوا ان ينطقوا به.

﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: كلّما انطفت بان اكلت جلودهم ولحومهم، زدناهم توقّداً، بان تبدّل جلودهم ولحومهم متلهّبة متسعّرة.

ورد: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له «سعير»، إذا خبت جهنّم فتح سعيرها[3]، وهو قوله تعالى "كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً"»[4]. اي: كلّما انطفت.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ اي: فنفنيهم ونعيدهم، ليزيد ذلك تحسّرهم على التّكذيب بالبعث، فإنّهم لما كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله، بان لايزالون على الإعادة والإفناء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: او لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنّهم ليسوا اشدّ خلقاً منهنّ، ولاإعادة أصعب عليه من الإبداء ﴿وَجَعَلَ

١ ـ اخرج احمد، والبخاري، ومسلم، ونسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابو نعيم في المعرفة، وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات، عن انس قال: قيل يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «الّذي امشاهم على ارجلهم، قادرٌ ان يمشيهم على وجوههم» الدّر المنثور٥: ٣٤١.

٢ ـ العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٨، مرفوعة، عن احدهما عليهما السلام.

٣ ـ في العيّاشي: «فتح بسعيرها».

٤ ـ العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٩؛ والقمّي٢: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾: جحوداً.

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾: خزائن أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ﴾: لبخلتم[1] مخافة النفاد بالإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾. بخيلاً، لأنّ بناء أمره على الحاجة والضِّنَّة[2] بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذل.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾. قال: «هي الجراد والقمّل والضّفادع والدّم والطّوفان والبحر والحجر والعصا ويده»[3]. وفي رواية: «العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء، والجراد والقمّل والضّفادع والدّم، ورفع الطّور، والمنّ والسّلوى آية واحدة، وفلق البحر»[4].

﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ عنها، ليظهر للمشركين صدقك. فهو اعتراض. كذا قيل[5]. ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحرت، فتخبط عقلك.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: بيّنات، تبصّرك صدقي، ولكنّك معاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾: مصروفاً عن الخير أو هالكاً. قابل ظنّه المكذوب بظنّه الصّحيح. قال: «اراد ان يخرجهم من الارض، وقد علم فرعون وقومه ماأنزل تلك الآيات إلّا الله»[6]. وفي رواية: «علمتُ بضمّ التّاء، قال: والله ماعلم عدوّ الله، ولكن موسى هوالّذي

١ ـ في «الف»: «لبخلتم».
٢ ـ الضِّنَّة ـ بالكسر ـ: البخل. المصباح المنير٢: ١٢(ضن).
٣ ـ الخصال٢: ٤٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي٢: ٣١٨، الحديث ١٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ قرب الإسناد: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٢٢٨، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.
٥ ـ تفسير الكبير (للفخر الرّازي)٢١: ٦٤.
٦ ـ القمّي٢: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

علم»[١].

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أن يستخفّ موسى وقومه، وينفيهم من الأرض بالاستيصال، أو ارض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾: فعكسنا عليه مكره، فاستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ التي اراد ان يستفزّكم منها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: مختلطين، ثمّ نحكم بينكم. واللّفيف: الجماعات من قبائل شتّى. قال: «اي: من كلّ ناحية»[٢]. وفي رواية: «لفيفاً يقول: جميعاً»[٣].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ اي: وماانزلنا القرآن إلاّ بالحقّ، ومانزل إلاّ بالحقّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثّواب ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالعقاب.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: نزّلناه منجماً ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ، فإنّه أيسر للحفظ واعون في الفهم ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ فإنّ إيمانكم بالقرآن لايزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لايورثه نقصاناً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ اي: العلماء الّذين أوتوا الكتبَ السّابقة، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النّبوّة، وتمكّنوا من الميز بين المحقّ والمبطل. القمّي: يعني أهل الكتاب الّذين آمنوا برسول الله[٤]. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لامر الله، وشكراً لإنجازه وعده في تلك الكتب، ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عن خلف الوعد ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: إنّه كان

١ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٤٤؛ والدرّ المنثور٥: ٣٤٤، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي٢: ٢٩، في رواية عليّ بن إبراهيم.
٣ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي٢: ٢٩.

وعده كائناً لامحالة.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾. كرّره لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم للشكر وإنجاز الوعد[1] حال كونهم ساجدين؛ وخرورهم لما أثّر فيهم من المواعظ، حال كونهم باكين. وذكر الذّقن، لأنّه أوّل مايلقى الأرض من وجه السّاجد. والقمّي: فسّر الأذقان بالوجوه[2]. ومعنى اللاّم الاختصاص، لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسّجود والخرور ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ لمايزيدهم علماً ويقيناً.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾: سمّوا الله بأيّ الاسمين شئتم، فإنّهما سيّان في حسن الإطلاق. والمعنى بهما واحد ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: أيّ هذين الاسمين سمّيتم وذكرتم فهو حسن. فوضع موضعه: "فله الأسماء الحسنى" للمبالغة والدّلالة على ماهو الدّليل عليه، فإنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها، حسن هذان الاسمان؛ لأنّهما منها. و«ما» مزيدة مؤكّدة للشّرط، والضّمير في «له» للمسمّى. ومعنى كون أسمائه أحسن الأسماء، استقلالها بمعاني التّمجيد والتّعظيم والتّقديس، ودلالتها على صفات الجلال والإكرام.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ يعني بقراءتها ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

قال: «الجهر بها: رفع الصّوت، والتّخافت: مالاتسمع نفسك، واقرأ بين ذلك»[3].

وفي رواية: «الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بَعُدَ عنك، والإخفات أن لاتسمع من معك إلاّ يسيراً»[4].

و ورد: «إنّه ﷺ إذا كان[5] بمكّة جهر صوته، فيعلم بمكانه المشركون، فكانوا يؤذونه

١ - في «ب»: «وهما خرورهم لإنجاز الوعد».
٢ - القمّي٢: ٢٩.
٣ - القمّي٢: ٣٠، عن أبي عبدالله ؈.
٤ - المصدر، عن أبي عبدالله ؈.
٥ - في «ب» و«ج»: «إذ كان».

فنزلت»[١].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾. القمّي: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصر ينصره[٢]. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾. ورد: «إنّ معنى الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف»[٣].

تمّ الجزء الأوّل من الاصفى، ويتلوه في الجزء الثّاني من سورة الكهف إلى آخر القرآن، إن شاء الله العزيز المنّان.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٠.
٣ ـ الكافي ١: ١١٧ ـ ١١٨، الحديث: ٨و٩؛ والتّوحيد: ٣١٣، الباب: ٤٦، الحديث: ١و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

فهرس المصادر[1]

«الاحتجاج». لابي منصور احمدبن علي بن ابي طالب الطبرسي(ق٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبها في النجف الاشرف].

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد ابي القاسم علي بن احمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلدٍ واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الأشرف.

«اسد الغابة». لأبي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، ابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«اسرار الآيات». لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة». لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام». لخيرالدين الزركْلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١ـ يشتمل مصادر الجزئين.

«اعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الامين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني. الطبعة الأولى.

«امالي الصدوق». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١) تقديم الشيخ حسين الاعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«امالي الطوسي». لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الاهلية، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

«امالي المفيد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري وحسين أستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

«بحار الانوار الجامعة لدُرَرِ اخبار الائمة الاطهار». للعلّامة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لابي جعفر محمّدبن ابي القاسم محمّدبن عليّ الطبري(القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات». لابي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزا محسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن». للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الاشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/ ١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي

(١١٤٥ ـ ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧[١].

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ ـ ١٤٠٩ / ١٩٦٥ ـ ١٩٨٩م]

«تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي (القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني (ق ٤). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤.

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن احمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوى (٦٨٥) بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧). ١٠ مجلّدات، بيروت،

---

١. كلّما ارجعنا إلى هذه الطبعة ـ لأنّ الطبعة المحقّقة لمّا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب «الطبعة القديمة»؛ تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة.

دار إحياء التراث العربي.

«تفسير روح الجنان». لأبي الفتوح الرازي (ق ٦). قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.

«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى.

«تفسير العياشي». لأبي النضر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣). تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.

«تفسير فرات الكوفي». لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣). قم، مكتبة الداوري.

«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري. الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.

«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّدالحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.

«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّ بن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلّاتي. ٥مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست].

«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

«التوحيد» لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١). الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«تهذيب الأحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب

الإسلامية، ١٣٦٤هـ ش.

«تهذيب التهذيب». لابي الفضل احمدبن عليّبن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دارصادر، ١٣٢٥.

«ثواب الاعمال». لابي جعفر محمّدبن عليّبن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ اكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لاحكام القرآن». لابي عبدالله محمّدبن احمد الانصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لابي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لابي عليّ امين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق السيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي. [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩هـ].

«جوامع الجامع». لابي عليّ امين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق ابوالقاسم گرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/١٣٦٧هـ ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لابي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، احمد الشنتناوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». لجبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لابي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لابي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (٥٨٩ ـ ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«سنن ابي داود». لابي داود سليمان بن الاشعث السجِسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لابي بكر احمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨). ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن الترِمْذي». لابي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة الترِمْذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق احمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لابي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أُصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١او ١٠٨٦). تعليق الميرزا أبوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر

المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق احمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لأبي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/ ١٩٩٠م.

«صحيح مسلم». لابي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

«طب الائمّة». لأبي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري. الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم، انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة». للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي، ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء

«عيون اخبار الرضا ـع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن» لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة». لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير». لمحمّدبن عليّ بن محمّد الشوكاني (م١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.

«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

«قُرْب الإسناد». لابي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي(م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.

«قصص الانبياء». لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان. الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

«قصص الانبياء». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ خليل المسيس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

«الكافي». لابي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١. [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].

«كتاب العين». لابي عبدالرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥

«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التاويل». لابي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ـ ٥٣٨). ٤ مجلّدات، [قم]، نشر ادب الحوزة

[بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/١٩٤٧م].

«كشف المهجة لثمرة المهجة». لابي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الاقوال والافعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ـ ٩٧٥). ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لابي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق الميرزا ابوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥). تحقيق السيد احمد الحسيني. الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لابي جعفر احمد بن محمّدبن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدِّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩). الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى(ص).

«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ ـ ١٤١١/ ١٣٦٣ ـ ١٣٦٩هـ ش.

«المستدرك على الصحيحين». لابي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/ ١٩٧٨م.

«المسند». لاحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لابي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الانصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لاحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/ ١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الاخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«معجم مفردات الفاظ القرآن». للراغب الإصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي. قم، دار الكتب العلمية.

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم انيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دارصعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

«النهايةفي غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (مااختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.

Al-Aṣfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawla Moḥammad Moḥsin

Al-Fayḍ Al-Kāshāni

(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185. 917

Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154